

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة الأمير عبد القادر
للعلوم الإسلامية قسنطينة



قسم الكتاب والسنة
تخصّص: التفسير وعلوم القرآن.
كلية أصول الدين
رقم التسجيل:
الرقم التسلسلي:

القصص القرآني من خلال التفاسير الإباضية

الحديث والمعاصرة

رسالة مقدّمة لنيل درجة دكتوراه LMD في: التفسير وعلوم القرآن

إشراف:

أ.د حدة سابق

إعداد الطالبة:

رقية دريدي

الاسم واللقب	الصّفة	الرتبة العلمية	الجامعة الأصلية
أ.د/ نور الدين سكحال	رئيسا	أستاذ	جامعة الأمير عبد القادر - قسنطينة
أ.د/ حدة سابق	مشرفا ومقررا	أستاذ	جامعة الأمير عبد القادر - قسنطينة
د/ رضوان لخشين	عضوا	أستاذ محاضر أ	جامعة الأمير عبد القادر - قسنطينة
د/ نادية وزناجي	عضوا	أستاذ محاضر أ	جامعة الحاج لخضر باتنة 01
أ.د/ نورة بن حسن	عضوا	أستاذ	جامعة الحاج لخضر باتنة 01

السنة الجامعية: 1440هـ - 1441هـ / 2019م - 2020م



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



قال الله تعالى:

﴿وَكَلَّا نَقْصُ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ

وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرٌ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢٠﴾﴾

(هود 120)

وقال أيضا:

﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾

(آل عمران: الآية 103)

إهداء

إلى قرّة عيني ومهجة قلبي " أمّي الحبيبة" التي ضحّت وصبرت معي، ودعت لي طيلة سنوات البحث.

إلى " أبي الغالي" الذي لم يغفل لسانه عن الدّعاء لي، ولم يتوانى لحظة في دعمي وتشجيعي لإخراج هذه الرّسالة في أحسن حلّة.

إلى سندي في الحياة" زوجي الغالي" الذي وقف إلى جانبي داعما ومشجّعا، ومجاهدا وباحثا معي أيضا.

إلى طفلي الذي جاهد معي وصبر على انشغالاتي ولدي الحبيب "معتصم بالله".

إلى أمّي بعد أمّي " والدة زوجي" التي صبرت معي وأعانتني في تربية إبني.

إلى أبي بعد أبي" والد زوجي" الذي أيّدني بدعوته في الأسحار.

إلى أحبائي إخوتي: أحمد، سفيان، علاء الدّين، إكرام.

إلى الغوالي: سميرة، أميرة، هدى، خولة، عائشة، وهيبه، جهيدة، شافية، فتيحة.

إلى كلّ من سألني يوما عن تقدّم البحث، إلى كلّ الأحبة أهدي هذا العمل.

رقية درويدي

كلمة شكر

قال تعالى: ﴿رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي﴾ (الأحقاف 15).

أتقدم بالشكر الجزيل والعرفان بالجميل للأستاذة الفاضلة: الدكتورة حدة سابق، التي أشرفت على متابعة بحثي وأولتني كل عناية وإرشاد.

كما أتقدم بخالص شكري للسادة الأساتذة أعضاء لجنة المناقشة الذين شرفوني بقبول قراءتهم وتقييم هذا البحث، رغم مشاغلهم، وأعبائهم الكثيرة.

شكر موصول إلى أهل الفضل والكرم من الإخوة الإباضيين وعلى رأسهم: فضيلة الشيخ محمد بن إبراهيم سعيد كعباش وعائلته الكريمة، وفضيلة الشيخ عيسى بن محمد الشيخ بالحاج وعائلته الكريمة، والدكتور يحي بن يحي وعائلته الكريمة.

شكر وتقدير للأخ الفاضل خادم العلم: " الربيع بومعقل " الذي كان حريصا على إفادتي وموافاتي بكل ما يتعلق بالبحث.

كما لا أنسى أن أقدم شكري لكل القائمين على مدرسة الرضوان، وجمعية التراث بغرداية، الذين أعانوني بمختلف المصادر والمراجع المتعلقة بالبحث.

جزاكم الله خيرا جميعا

رقية درويدي

مَقْلَمَاتُ

مقدمة.....

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الخلق محمد بن عبد الله الصادق الأمين، وعلى آله وصحبه الغر الميامين، وبعد:

لقد أنعم الله على عباده أن بعث محمدا ﷺ رسولا، وأيده بالقرآن خير كتاب أنزل، تحدى به الخلائق أجمعين، فهو معجز بلفظه وبيانه، وهو بحر لا تدرك غوره، فكلماته لا تنفذ، ومعانيه لا تنضب، وأسراره لا تنتهي، لذلك كان أحق ما يشتغل به الدارسون، وأفضل ما يتسابق فيه المتسابقون.

فالقرآن الكريم دستور حياة متكامل؛ يشمل جميع جوانبها، فلا يُغفل منها شيء قال تعالى: ﴿مَاقَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾ (الأنعام: الآية 38).

ويعتبر القصص القرآني من الكنوز الثمينة التي حواها القرآن العظيم، حيث أبرز القرآن القصة شخصية ووصفا، وحوارا، ودلالة، إبرازا واضحا ضمن إطار عقدي ديني وتوجيهي، وبذلك تربّع القصص على عرش الحسن والجمال والإبداع الذي يتضاءل أمامه كل شيء حادث في الحياة.

ولذلك كانت القصة القرآنية ولا تزال هي المرجع الطبيعي لأصحاب الرسائل والدعوات، وأولئك الهداة إلى عقول الناس وقلوبهم، ومجالا خصبا لإبراز القيم الدينية؛ غير أنّ تلك القيم تختلف وتنوع من مدرسة إلى أخرى، ومن مفسر إلى آخر، وذلك لتعدد الاتجاهات عند المفسرين واختلاف مذاهبهم، ومشاربهم في تفسير القرآن الكريم.

ومن المدارس التي اعتنت بتفسير القرآن الكريم في العصر الحديث، وحاولت إحكام الصلة بينه وبين الواقع المعيش المدرسة الإباضية.

وبناء على ما سبق، جاءت هذه الدراسة لتكشف جهود المفسرين الإباضيين في مجال القصص القرآني، ومعرفة الأبعاد الدينية والإصلاحية للقصة القرآنية من خلال جهودهم في التفسير.

1. حدود البحث وإطاره:

يعرف عن المدرسة الإباضية قلة إنتاجهم في التفسير، فلا نكاد نحصي تفسيرها كاملا عند الإباضية في القديم، سوى تفسير هود بن محكم الهواري، أما باقي التفسير فإما أن تكون مفقودة كلية، أو غير مكتملة؛ تناولت فقط تفسير آيات أو أجزاء من القرآن الكريم، وقد اجتهد الدارسون والباحثون في بيان أسباب قلة إنتاجهم التفسيري مقارنة بالمذاهب الإسلامية الأخرى، أما في العصر الحديث والمعاصر فإننا نجد اهتماما

كبيراً عند الإباضية وبخاصة إباضية الجزائر بتفسير القرآن الكريم، تدريسا وتأليفاً.

ويعتبر الشيخ محمد بن يوسف اطفيش (1821 _ 1914م)، الملقب بالقطب، من علماء الإباضية الأوائل الذين ألقوا في التفسير في العصر الحديث، حيث أُلّف ثلاثة تفاسير: (هميان الزّاد إلى دار المعاد، داعي العمل ليوم الأمل، تيسير التفسير). ولأنّ طلبته عزفوا عن الهميان -لطوله وتشعبه- اختصره لهم وبسطه فسماه "تيسير التفسير".

كما يعتبر الشيخ إبراهيم بن عمر بيوض من التلاميذ الذين ورثوا العلم عن الشيخ اطفيش، وشتمّر ساعد الجدّ لإصلاح المجتمع وتطهيره من كل ما يدنّسه من عادات ومعتقدات فاسدة، فقدم لأبناء بلده دروساً في التفسير يلقونها في الجامع الكبير بمسقط رأسه بالقرارة، ثمّ قيض الله له من تلامذته من يحفظها ويكتبها، ويعلن من خلالها ميلاد تفسير جديد يضاف للمكتبة الإباضية المعاصرة أسماه: "في رحاب القرآن".

ولأنّ تفسير في رحاب القرآن جاء بعد تفسير اطفيش بحوالي ربع قرن، فإدخاله ضمن هذه الدراسة سيكشف لنا عن تطوّر التفسير عند الإباضية، كما يكشف لنا عن التنوّع في قراءة القصة القرآنية لاختلاف الزّمان، والبيئة.

ولأنّ تفسير "في رحاب القرآن" لم يجرّ من بدايته لانعدام التسجيل في بداية دروس التفسير، فكانت بدايته من الآية السبعين من سورة الإسراء، فعزم الشيخ كعباش على إكمال الجزء المفقود وفاء لمعلّمه "الشيخ بيوض"، فألّف تفسيراً أسماه ب: "نفحات الرّحمن في رياض القرآن".

وتعطينا هذه التفسيرات الثلاثة الصّورة الواضحة للتفسير عند إباضية الجزائر، لذلك فإنّ هذه الدراسة تدور حول آيات القصص القرآني من خلال تفسير "تيسير التفسير" و "في رحاب القرآن" و "نفحات الرّحمن في رياض القرآن" بعنوان:

"القصص القرآني من خلال التفسير الإباضية الحديثة والمعاصرة"

2. مصطلحات البحث:

أولاً: قصص القرآن:

إخباره عن أحوال الأمم الماضية والتنبؤات السابقة والحوادث الواقعة، وقد اشتمل القرآن على كثير من وقائع الماضي، وتاريخ الأمم، وذكر البلاد والديار، وتتبع آثار كل قوم، وحكى عنهم صورة ناطقة لما كانوا عليه.

ثانياً: التفسير:

عزفه الزركشي: بأنه علم يفهم به كتاب الله تعالى المنزل على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم، وبيان معانيه، واستخراج أحكامه وحكمه"

ج. التفاسير: هي تلك المؤلفات التي كتبت في علم التفسير، يكشف مؤلفوها عن معاني الآيات ومدلولاتها، وإعجاز القرآن الكريم في ألفاظه ومعانيه، وإخباره.

ثالثاً: العصر الحديث:

العصر الحديث يبدأ منذ نهاية القرن التاسع عشر الميلادي، أو بداية القرن العشرين، وكان هذا العصر شديداً على المسلمين.

رابعاً: المعاصر: عاصرتُ فلانا مُعاصرةً وعِصاراً، أي كنتُ أنا وهو في عَصْرٍ واحدٍ، أو أدركتُ عَصْرَهُ.

3. إشكالية البحث:

أثار المذهب الإباضي جدلاً واسعاً في القديم والحديث، وحتى في عصرنا الحالي بسبب الآراء التي يتبناها أصحاب هذا المذهب، وبالرغم من تعدد الدراسات والأبحاث حول المذهب الإباضي والتفاسير الإباضية، إلا أنها غفلت عن أهمّ مواضيع القرآن الكريم، وهي القصّة القرآنية في ضوء المذهب الإباضي، والتي يستفاد منها في مجالات عدّة، خاصّة في الدّعوة، والأخلاق والعقيدة، ولأنّ كلاً من المفسّرين الثلاثة الذين شمل البحث تفاسيرهم ينتمون إلى المدرسة الإصلاحية التي أسهمت في توجيه الاهتمام بالقصّة القرآنية ودراستها دراسة تعالج الواقع، فلاشك أنّ لهؤلاء المفسّرين لمستهم الخاصّة في دراسة القصّة القرآنية.

فجاءت دراستنا لتجيب عن الإشكالية الآتية:

- إلى أي مدى ساهمت القصّة القرآنية في التفاسير الإباضية في تثبيت العقيدة وتقويم السلوك؟

والتي ينبثق عنها مجموعة تساؤلات وهي:

- ما هو منهج المفسّرين الإباضيين الجزائريين في عرض القصّة القرآنية؟

مقدمة.....

- هل وُظِّفَت القِصَّة القرآنيَّة في الدَّعوة إلى المذهب الإباضي؟
- ما هي نقاط الاتفاق والاختلاف بين التَّفاسير الإباضيَّة الثلاثة في نظرهم للقِصَّة القرآنيَّة؟

4. أهمية البحث:

تكمُن أهمية البحث في كونه :

- يرتبط بموضوع مهم من موضوعات القرآن ألا وهو القصص القرآني قال سبحانه وتعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةً لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ (يوسف 111).
- القصص القرآني من المواضيع القرآنيَّة التي تميل إليها النَّفس.
- القصص القرآني موضوع مهم، ويعتبر من أنجع الطرق التي اتبعها القرآن الكريم في تأديب النفوس، وسياسة الجماعات، والمحاورات النَّابضة التي أثبتتها هي معالم خالدة لضبط الحقيقة وتوليد العبرة منها.
- للقِصَّة القرآنيَّة آثار متعدِّدة خاصَّة في مجال الأحكام والعقائد والتربية ومختلف القضايا الاجتماعية.
- هذه الدِّراسة ستعطي صورة واضحة وشاملة عن التفسير الإباضي، بتناولها لثلاثة تفاسير مهمَّة لها مكانة بين الإباضيين في عصرين مختلفين.

5. أهداف البحث:

- الهدف والغاية من البحث في هذا الموضوع هو بيان ما قدَّمته التَّفاسير الإباضية في العصر الحديث والمعاصر للقِصَّة القرآنيَّة.
- الوقوف على أبعاد ومقاصد القِصَّة القرآنيَّة عند المفسرين الإباضيين في العصر الحديث والمعاصر وعلاقة ذلك بمنهجهم الإصلاحية ومذهبهم العقدي.
- معرفة مدى اهتمام وعناية المفسرين الإباضيين بالقصص القرآني والكشف عن جهودهم في هذا المجال ودراساتها دراسة تحليلية نقدية.
- معرفة أوجه الاتفاق والاختلاف بين تفسير الشيخ اطفيش، وتفسير الشيخ بيوض، وتفسير الشيخ كعباش من خلال توجيهاتهم لآيات القصص القرآني.

6. أسباب اختيار الموضوع:

- من الأسباب والدوافع التي جعلتني أبحث في هذا الموضوع :
- أهمية موضوع القِصَّة القرآنية في الدَّعوة وتقويم المجتمع في مختلف المجالات.
- الأثر الكبير الذي يتركه علماء الإباضية في أتباعهم، فكان ولا بدَّ من معرفة دور وأهمية القصص القرآني في ذلك.

مقدمة.....

— عدم وجود دراسة شاملة تجمع بين تفاسير الإباضية في موضوع واحد من موضوعات القرآن الكريم، فجلّ الدراسات تناول كل تفسير على حدى، مركزة على المنهج والعقائد، كذلك عدم وجود دراسة تناولت القصص القرآني انطلاقاً من تفسير معين من التفاسير الإباضية.

7. الدراسات السابقة:

لم يحظ هذا الموضوع بدراسات أكاديمية قديمة أو حديثة، بل حظي كل شطر من الموضوع بالدراسة منفرداً؛ فانفردت الدراسات التي تتحدّث عن مناهج المفسّرين الإباضيين في تفاسيرهم، كما انفردت الدراسات التي تتحدّث عن القصّة القرآنيّة، فكانت هذه الدراسات ذات علاقة نسبيّة بالموضوع المطروح للبحث.

أ. الدراسات حول المذهب الإباضي:

— الشيخ محمد بن يوسف اطفيش ومنهجه في تفسير القرآن الكريم بالمقارنة إلى أهل السنّة: ليحي صالح بوتردين

رسالة ماجستير، كليّة آداب جامعة عين شمس (1410هـ-1989م)، بيّنت الرسالة منهج الشيخ اطفيش في التفسير، وردّ من خلالها على بعض الآراء التي تناولت هذا التفسير، أو التي تناولت الحديث عن عقيدة المذهب الإباضي.

— منهج الشيخ محمد بن اطفيش في تفسيره تيسير التفسير: لمحمد مصطفى درويش الخواج:

رسالة ماجستير بالجامعة الأردنية (1994م)، ركّزت هذه الدراسة على القاعدة الفكرية التي عالج بها الشيخ اطفيش نصوص الكتاب العزيز، فتحدّث عن مدى اهتمامه بمسائل علوم القرآن الكريم، وقضايا اللغة والنحو، والقضايا الفقهية والتزامه بمذهبه، وأبانت أيضاً المآخذ التي سجّلت عليه، كما تحدّث عن أهم التفاسير عند الإباضية وما تميزت به، وتعريفاً موجزاً للشيخ اطفيش وأعماله الفكرية وآثاره.

— الشيخ إبراهيم بيوض ومنهجه في الإصلاح (1890م-1981م) لنور الدين سكهال:

رسالة ماجستير تخصص دعوة وإعلام واتّصال جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية (1995م) وهي تعنى ببيان المنهج الإصلاحى والدعوى للشيخ بيوض واسهاماته في خدمة النهضة الإصلاحية بالجزائر من خلال نشاطاته وأعماله.

— آراء الشيخ محمد بن يوسف اطفيش العقديّة: لمصطفى ونتن

رسالة ماجستير، تخصص عقيدة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية (1995م) وتعنى ببيان منهج اطفيش العقدي من خلال مؤلّفاته، من بينها تفسيره تيسير التفسير.

مقدمة.....

- منهج الشيخ إبراهيم بيوض في عرض الإلهيات من خلال تفسيره في رحاب القرآن، لصالح حمدي: وهي رسالة ماجستير تخصص عقيدة جامعة الحاج لخضر - باتنة- (1427هـ-2006م). هذه الدراسة تعنى ببيان منهج الشيخ بيوض في تفسيره لآيات العقيدة، وآرائه في هذه المسائل خاصة وأنّ للإباضية آراءهم الخاصة في هذه المسائل.

- التفسير الشفاهي وأثره في الإصلاح الحديث: نادية وزناجي:

أطروحة دكتوراه تخصص كتاب وسنة جامعة الحاج لخضر - باتنة- (1429هـ / 2008م)، تتبعت الباحثة في رسالتها الموروث الشفاهي في التفسير في المشرق والمغرب ومن بين هذه التفسيرات تفسير الشيخ إبراهيم بن عمر بيوض، وبيّنت أثر هذا النوع من التفسير في الإصلاح.

- اتجاهات التفسير عند إباضية الجزائر من القرن 13 هـ إلى القرن 15 هـ: لخبيزي دليّة

رسالة ماجستير تخصص عقيدة، جامعة الجزائر 1، (2013م) وهي تعنى ببيان الاتجاهات المتعددة للتفسير عند إباضية الجزائر.

ب. الدراسات حول القصص القرآني:

يعتبر القصص القرآني من الموضوعات التي كثرت فيها الدراسات والأبحاث وألفت فيها المؤلفات لارتباطها بواقع الأمة وكونها أكثر تأثيراً لأنها تحكي قصصاً لأقوام سبقونا، ومن الدراسات السابقة في ذلك:

- القصة في القرآن: لمريم عبد القادر السباعي

رسالة دكتوراه في الكتاب والسنة، جامعة أم القرى (1404هـ)، تناولت فيها الباحثة القصة القرآنية وما يتعلق بها من خصائص، وأهداف، وأهمية، والتكرار في القصة.

- سيكولوجية القصة في القرآن: التهامي نقرة

رسالة دكتوراه، جامعة الجزائر (1971م)، تناول فيها الحديث عن دور القصة القرآنية في تحليل النفس البشرية، عن طريق بعض القواعد والأصول المقررة عند علماء النفس والتربية والاجتماع وربط الجانب الفسي بالجانب النفسي، لأنهما يلتقيان في الهدف، وهو التأثير الديني.

- اتجاهات التأليف ومناهجه في القصص القرآني: سليمان محمد علي الدقور

وهي رسالة دكتوراه في التفسير وعلوم القرآن، كلية الشريعة جامعة اليرموك، الأردن (1426هـ-2005م)، وقد اهتمت هذه الدراسة بالكشف عن اتجاهات المؤلفين في إيراد القصص القرآني، ومناهج التأليف فيه، ووضع الأسس والمعايير المنهجية في دراسة القصة القرآنية.

وهي دراسة عامة تشمل جميع المؤلفين في القصص القرآني من مفسرين، ومؤرخين، ومفكرين، وموجزة من

مقدمة.....

حيث الحديث عن مناهج المفسرين في القصص، ففي حديثه عن اتجاهات المفسرين ذكر ما تناوله المفسرون من حديثهم عن القصة القرآنية في مقدمات تفاسيرهم وعنايتهم بها.

- المقاصد الشرعية للقصص القرآني وأثرها الفقهي: ليوسف سرطوط

رسالة دكتوراه في الفقه وأصوله جامعة الحاج لخضر باتنة (1435هـ-2014م)، تناولت هذه الرسالة المقاصد الدينية والأخلاقية التي يبرزها القصص القرآني مستنبطاً إيّاها من النص القرآني، مبرزاً الأثر الفقهي لها.

وكما نلاحظ جلّ هذه الدراسات جاءت منفردة؛ إمّا في القصص القرآني أو في اتجاهات التفسير ومناهجه عند الإباضية، ومن خلال موضوعي هذا سأحاول ربط موضوع القصة القرآنية بالتفسير الإباضي، والوقوف على خصائصه وجهود علمائه في ذلك.

7. منهج البحث:

إنّ موضوعي يجمع بين التحليل والمقارنة والنقد.

فاعتمدت على المنهج التحليلي: المبني على الاستقراء في التفاسير الثلاثة واستخراج توجيهات المفسرين للقصة القرآنية.

والمنهج المقارن: للموازنة بين التفاسير الثلاثة لبيان نقاط الاتفاق والاختلاف بين مناهجها وطريقة عرضها للقصة القرآنية.

وأحياناً لجأ إلى المنهج النقدي: عندما أجد انحرافاً في التفسير خاصة عند الخوض في الإسرائيليات، والتعصب للمذهب، ويبرز هذا المنهج في الفصل الخاص بتفسير "تيسير التفسير"، لأنّ مؤلفه أدرج فيه مالا يقبل في التفسير من المرويّات الغريبة العجيبة، فنناقشها بأقوال العلماء.

8. صعوبات البحث:

لاشكّ أنّ كلّ باحث يعترض مشوار بحثه صعوبات، وهذه خاصية من خصائص البحث العلمي، الذي يقوم أساساً على المشقة والتعب، فكلّ عمل جادّ لا بدّ له من جهد، وتعب؛ فليست الظروف كلّها مناسبة، وليست الأوقات كلّها متاحة، فقط لا بدّ من صبر ومصابرة، وجِد واجتهاد والله وليّ التوفيق.

9. طريقة العمل:

وقد اعتمدت طريقة في كتابة بحثي، ألخصها في النقاط الآتية:

- بالنسبة للآيات القرآنية فقد أدرجتها بالخط العثماني، برواية حفص عن عاصم.

مقدمة.....

- أضع ما أنقله حرفيا بين شولتين، وفي حالة التصرف في القول، والتعبير عنه بأسلوبي الخاص أكتفي فقط بالإشارة إلى المصدر أو المرجع في الهامش مع كتابة: "بتصرف".
- قد يلاحظ القارئ أنني اكتفيت بالتمثيل ببعض القصص القرآني دون الإلمام بكل قصص القرآن، وليس هذا تكاسلا مئي، بل حاولت أن أدرج ما يحقق الهدف من الدراسة، وما يبرز منهج وطريقة كل مفسر في عرض القصة القرآنية.
- يلاحظ القارئ أنني أنقل نصوصا بكاملها، من أقوال المفسرين، وذلك حتى أبلغ فكرتهم بأسلوبهم.

10. خطة البحث:

على ضوء ما تقدم فإنّ البحث يتضمّن الخطوات الآتية:

مقدمة:

وقسمت البحث إلى فصل تمهيدي و ثلاثة فصول في صميم البحث.

الفصل التمهيدي عنونته بالقصة القرآنية والمدرسة الإباضية، وقسمته إلى أربعة مباحث، تناولت في المبحث الأول: التعريف بالقصة القرآنية، وأهميتها، وأهدافها، وخصائصها، وأنواعها، وخصّصت المبحث الثاني للحديث عن المدرسة الإباضية نشأتها وتطورها وأصولها، أما المبحث الثالث فتناولت فيه الحديث عن المجتمع الإباضي في الجزائر، وتحدثت في المبحث الرابع عن التفسير عند الإباضية.

وعنونت الفصل الأول بالقصص القرآني من خلال تفسير " تيسير التفسير " لمحمد بن يوسف اطفيش، وقسمته إلى خمسة مباحث تناولت في المبحث الأول: تعريف الشيخ اطفيش وتفسيره " تيسير التفسير " والمبحث الثاني: خصّصته للحديث عن منهج الشيخ اطفيش في التفسير، أما المبحث الثالث فتناولت فيه منهج الشيخ اطفيش في تفسير آيات القصص القرآني، وأما المبحث الرابع فتناولت فيه مكانة القصة القرآنية في تفسير الشيخ اطفيش، وتناولت في المبحث الخامس: التأويلات العقديّة في القصة القرآنية.

وعنونت الفصل الثاني بـ: القصص القرآني من خلال تفسير "في رحاب القرآن" لإبراهيم بن عمر بيّوض وقسمته إلى خمسة مباحث تناولت في المبحث الأول: تعريف الشيخ إبراهيم بن عمر بيّوض وتفسيره، والمبحث الثاني: بيّنت فيه منهج الشيخ بيّوض في التفسير، أما المبحث الثالث: فذكرت فيه أغراض القصص القرآني في تفسير الشيخ بيّوض، وخصّصت المبحث الرابع للحديث عن المجالات الإصلاحية التي عاجلها الشيخ بيّوض من خلال القصة القرآنية. أما المبحث الخامس: فتناولت فيه الآراء

الفقهية والعقدية في القصة القرآنية.

وعنونت الفصل الثالث: بالقصص القرآني من خلال تفسير "نفحات الرحمن في رياض القرآن" لمحمد بن إبراهيم سعيد كعباش وقسمته إلى سبع مباحث تناولت في المبحث الأول: تعريف الشيخ كعباش وقصته مع التفسير، وفي المبحث الثاني: منهج الشيخ كعباش في التفسير، وفي المبحث الثالث: طريقة الشيخ كعباش في عرض القصص القرآني، وفي المبحث الرابع: ذكرت بعض أسرار القصص القرآني في تفسير الشيخ كعباش، و المبحث الخامس: أغراض القصص القرآني في تفسير الشيخ كعباش، وتناولت في المبحث السادس: التوجيهات العقدية في القصة القرآني وفي المبحث السابع: مقارنة بين التفسير الثلاثة (تيسير التفسير، في رحاب القرآن، نفحات الرحمن).

ختمت البحث بخاتمة تحوي أبرز النتائج وأهم التوصيات، وذيلته بمجموعة من الفهارس الفنية مع قائمة المصادر والمراجع التي اعتمدها في البحث. أسأل الله العلي القدير أن يجعل عملي هذا خالصا له سبحانه، وأن ينفع به القارئ الكريم، وأن يكون ثمرة تضاف إلى المكتبة الإسلامية.

الفصل التمهيدى: القصة القرآنية والمدرسة الإباضية

- المبحث الأول: مدخل للتعريف بالقصة القرآنية.
- المبحث الثاني: المدرسة الإباضية في التفسير

المبحث الأول: مدخل للتعريف بالقصة

القرآنية

- المطلب الأول: القصة القرآنية أهميتها، أهدافها خصائصها، و أنواعها.
- المطلب الثاني: أثر القصة في الإصلاح الاجتماعي

الفصل التمهيدي..... القصة القرآنية والمدرسة الإباضية

توطئة:

يعتبر القصص القرآني من أبرز المواضيع القرآنية التي عنيت بها الأبحاث والدراسات؛ لما تتضمنه من أهداف سامية وخصائص تميّزها عن أي قصة وضعيّة، كما تعتبر المدرسة الإباضية من المدارس التي توجّهت إليها أقلام الباحثين، دراسة وتحليلاً ونقداً ومقارنة، خاصّة في عصرنا الحالي، لما شهدته هذه المدرسة من تطوّر في شتى المجالات.

وفي هذا الفصل سنبيّن كل ما يتعلّق بالقصة القرآنية من مفهوم، وأهداف، وأغراض، وخصائص، وكلّ ما يتعلّق أيضاً بالمدرسة الإباضية نشأة وتطوّر، وعنايتها بتفسير القرآن الكريم في القديم والحديث. وهذا الفصل لا بدّ منه كتمهيد للدراسة حتى نرسم صورة واضحة للقصة القرآنية والمدرسة الإباضية قبل الولوج في صلب الموضوع.

المبحث الأول: مدخل للتعريف بالقصة القرآنية

بما أنّ هذه الدراسة مرتبطة بموضوع القصص القرآني فلا بدّ من استفتاح البحث بمدخل حوله، وهذا المبحث من صميم البحث، ومن خلاله سترتسم في ذهن القارئ صورة شاملة عن القصة القرآنية.

المطلب الأول: القصة القرآنية أهميتها، أهدافها خصائصها، وأنواعها.

يتناول هذا المطلب تعريفاً للقصة القرآنية عند مجموعة من الدارسين، كما سنبيّن أهميتها وأهدافها وخصائصها وأنواعها بشيء من الإيجاز.

الفرع الأول: تعريف القصة

أولاً : تعرف القصة لغة: قصص: قصّ أثره، يقصّه قصّة، وقصصا، بمعنى تتبّع القص : اتباع الأثر، يقال: خرج فلان قصصا في أثر فلان، وقصّنا إذا اقتصّ أثره، وفي قوله تعالى: ﴿ وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ ﴾⁽¹⁾ أي تتبّع أثره.

(1) القصص: الآية 11.

الفصل التمهيدي القصة القرآنية والمدرسة الإباضية

وقصّ عليه الخبر قصصًا وقصصًا أعلمه به، وأخبره. والقصة الأمر والحديث والخبر كالتقصص، وجمعها قصص. (1) بكسر القاف. (2)

أصل القصة في اللغة: المتابعة، وذلك أن القاص يتبع الخبر بعضه بعضًا، وقال تعالى: ﴿فَأَرْتَدَّا عَلَىٰ آثَارِهِمَا قَصَصًا﴾ (3)؛ أي رجعا من الطريق الذي سلكاه يقصان الأثر.

والقصّ: البيان، قال تعالى: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ﴾ (4) ... أي نبين لك أحسن البيان، ومنه قوله تعالى: ﴿فَأَقْصَصَ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (5). وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ

أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِن قَبْلِكَ مِنْهُمْ مَن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ﴾ (6)

والاسم منه القصّ. والقاص من يأتي بالقصة على وجهها؛ لأنه يتتبع معانيها وألفاظها، أو هو قاصّ لأنه يقصّ القصص تباعاً خيراً بعد خبر.

وجمع القاص: قصاص بضم أوله.

وقصّ الشيء: قطع من باب رد... واقتصمت الحديث رويته عليّ وجهه. (7)

(1) الزبيدي: تاج العروس من جواهر القاموس، دار الكتب العلمية، بيروت، مج 09، ص 51، 54.

(2) إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار دار العلم للملايين - بيروت ط 1407 هـ - 1987 م، ج 3 ص 1051.

(3) الكهف: آية 64.

(4) يوسف: الآية 3.

(5) الأعراف: الآية 176.

(6) غافر: الآية 78.

(7) الزبيدي: تاج العروس، مج 9، ص 4507 / إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، المرجع السابق، ج 3 ص 1051.

ثانيا: تعريف القصة القرآنية عند الباحثين في موضوع القصص

يعرف الطاهر بن عاشور القصة بقوله: " هي الخبر عن حادثة غائبة عن المخبر بها." (1)

ويعرف أبو زهرة القصص بأنه: " قصص لأمر واقعة يساق للعب وإعطاء المثالات، وبيان مكان الضالين ومنزلة المهتمدين، وعاقبة الضلال وعاقبة الهداية، وبيان ما يقاوم به النبيون، ووراءهم كل الدعاة للحق، فهو قصص للعبرة بين الوقعات." (2)

ويرى عبد الكريم الخطيب أن القصص القرآني هو "أحد الأساليب التي حملها القرآن ليحاجّ بها الناس، وليقطعهم عن الجدل والمماحكة، شأنه في هذا شأن ما جاء في القرآن من أساليب الاستدلال والمناظرة، والتعجيز، والوعد والوعيد والتهديد، وغيرها من المشاهد المبتوثة في القرآن كله." (3)

ويعرفه بأنه كـ"عرض لأحداث تاريخية مضى بها الزمن"، ويعتبره أيضا وثيقة تاريخية من أوثق ما بين يدي التاريخ من وثائق، فيما جاء فيه من أشخاص وأحداث، وما يتصل بالأشخاص والأحداث من أمكنة وأزمنة. وهو أيضا _ لفظ القصص القرآني في نظر عبد الكريم الخطيب _ يدلّ على ما حدث به القرآن الكريم من أخبار القرون الأولى، في مجالات الرسائل السماوية، وما كان يقع في محيطها من صراع بين قوى الحق والضلال وبين مواكب النور وجحافل الظلام." (4)

أما الدكتور محمد قطب فعرف القصة القرآنية فقال: " القصة القرآنية هي القصة التي جاءت بالقرآن، ونزل بها الوحي الأمين، ليخبر بها عن الله سبحانه، عمّ حدث للأمم السابقة، وعمّ دار بين هذه الأمم والرسل من مواقف وأحداث، وما جرى بين هذه الأمم وغيرها من الأمم الأخرى، وما دار بين الأمة نفسها مع ضرب نماذج منها تعطى للمثل والعبرة." (5)

(1) الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، (تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد)، الدار التونسية - تونس (1984م)، ج1، ص 64.

(2) محمد أبو زهرة: المعجزة الكبرى للقرآن، دار الفكر العربي-بيروت (دط)، ص 121.

(3) عبد الكريم الخطيب: القصص القرآني في منطوقه ومفهومه، دار المعرفة، بيروت لبنان، ص 08.

(4) المرجع نفسه، ص 39_40.

(5) محمد قطب: القصة في القرآن مقاصد الدين وقيم الفن، ص 230.

الفصل التمهيدي..... القصة القرآنية والمدرسة الإباضية

أما الدكتورة **مريم السباعي** فقد عرّفت القصة بأنّها: " تتبّع آثار وأخبار الأمم الماضية وإيراد مواقفهم وأعمالهم وبخاصّة رسل الله إليهم، مع إظهار آثار الدّعوات فيهم وذلك بأسلوب حسن جميل مع التّركيز على مواطن العبرة والعظة. " (1)

ومن خلال جملة التعريفات نرى أنّ هناك من الباحثين من أعطى تعريفا عامّا للقصة دون بيان الفرق بين القصة والقصة القرآنية، وتفرد عبد الكريم الخطيب بتعريف القصة القرآنية على أنّها أسلوب من الأساليب القرآنية بينما باقى التعريفات جاءت بمعنى الإخبار عن الأمم السابقة من أنبياء وغير أنبياء، مبرزة الغرض الأساس الذي سيقى من أجل تلك القصص في القرآن الكريم وهو غرض العبرة والموعظة. إذا وكخلاصة لهذه التعريفات فإنّ القصة القرآنية هي إخبار القرآن الكريم عن وقائع حدثت في الماضي من أجل الاتّعاظ والاعتبار.

الفرع الثّاني: أهميّة القصة القرآنية

تعتبر القصة القرآنية إحدى أعمدة الدّعوة الإسلامية، بما تشتمل عليه من قيم كبرى، ومعاني سامية في شتى المجالات، ونظرا لهذه الأهميّة البالغة للقصص القرآني فقد عنت به المؤلفات في القديم والحديث، وكثرت الدّراسات حول القصة عموما والقصة القرآنية على وجه الخصوص؛ لما تحمله من توجيهات للأفراد والجماعات، ولما فيه من الحقائق العلميّة المتعلّقة بالكون والإنسان والحياة، والأحياء في السموات والأرض، وتفصيله لأسباب السّعادة الرّوحية، وأسباب الرّقّي المادّي حتّى تتمّ السّعادة للمؤمنين بهذا القصص العاملين بتوجيهاته وإرشاداته.

ضف إلى ذلك ما في هذا القصص من رونق الأسلوب، وبديع النّظم، وجمال الصّورة (2)، فالقصة رفيقة الإنسان منذ آدم عليه السّلام، نشأت معبّرة عن آلامه وأحلامه، وغضبه وفرحه، محلّلة للنفس الإنسانيّة بما لها من أبعاد متشعبة وكثيرة من حبّ وبغض، وقوّة وضعف، ومن حيرة واهتداء، وتفاؤل وتشاؤم، وتصوّر لطبيعة الحياة بكلّ أبعادها، فلا يغفل ما للقصة من تأثير. (3) وقد وصف القرآن الكريم القصص القرآني بصفات جعلته يتميّر عن أيّ قصة وضعيّة.

(1) مريم عبد القادر السباعي: القصة في القرآن، رسالة دكتوراه في الكتاب والسنة، جامعة أم القرى (1404هـ)، ص 300.

(2) فضل حسن عباس: القصص القرآني إبحاؤه ونفحاته، شركة الشهاب، ص 11.

(3) مريم السباعي: القصة في القرآن الكريم، ص 08.

أولاً: القصة الحق

والقصة القرآنية هو الحق وهو الصدق الذي لا ريب فيه وقد وصفه القرآن بذلك يقول المولى جلّ وعلا: ﴿إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (1) فرواية القرآن الكريم لقصة الأمم السابقة هو عين الحق والصواب، (2) فالقصة وقعت في غابر الأزمان بأشخاصها وأحداثها وزمانها ومكانها وملابساتها ثم يجيء القرآن الكريم فيقصّها أحسن القصص، أسلوباً محكماً، وعرضاً معجزاً، وحقاً ثابتاً، ويصوّر الحقائق بصدق مصقّى من كلّ شائبة فيها تغيير أو تحريف للحقيقة والواقع (3)، فكلّ ما ورد في القرآن الكريم من قصص لا يجيد أبداً عن الحق، لأنّه بني على الحقائق الثابتة الخالصة من زخرف القول وباطله؛ لأنّه لم يكن للخيال أو الوهم أو المبالغة مدخل إليه (4)، وفي ذلك إنكار وتفنيدي لكلّ من يتّهم القصة في مصدريتها أو أسلوبها وأنها من القصص الأسطوري الخياليّ حيث قال تعالى متحدّثاً عن المشركين الذين تعرّضوا للنبي ﷺ بالإساءة: ﴿وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ أَكْتَبْنَا فِيهَا تَمَلَّى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ (5) والأساطير هي "الحكايات الوهمية الحافلة بالخرافة" (6) - تعالى الله أن يورد في كتابه ذلك.

ثانياً: أحسن القصص

وصف القرآن الكريم القصص بأنه أحسن القصص، فقال تعالى: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمَنِ الْغَافِلِينَ﴾ (7) وكأدّ القرآن الكريم يدعوننا إلى أن نكتفي بما قصّه علينا وألاً نتجاوز القرآن إلى مصادر بشرية (8) فالقصة القرآنية هي أحسن القصص بموضوعاتها المتميّزة، وبطريقة عرضها الفنيّة التي جاءت حافلة بالإثارة والتشويق. ولقد كثرت الدّراسات الفنيّة حول القصة القرآنية للحسن والجمال الذي يحيط بها. وللطّاهر بن عاشور كلام نفيس قيم في بيان أهمية القصص القرآني وفوائده:

(1) آل عمران: الآية 62

(2) صلاح عبد الفتاح الخالدي: مع قصص السابقين في القرآن، دار القلم-دمشق، ط5 (1428هـ-2007م)، ص 22.

(3) محمد محمود حجازي: الوحدة الموضوعية في القرآن الكريم، دار الكتب الحديثة-القاهرة ط(1390هـ-1970م) ص 306.

(4) التهامي نقرة: سيكولوجية القصة في القرآن، رسالة دكتوراه، جامعة الجزائر (1971 م)، الشركة التونسية للتوزيع، ص 156.

(5) الفرقان: الآية 05.

(6) مريم عبد القادر السباعي: القصة في القرآن، ص 54.

(7) يوسف: الآية 03.

(8) مريم عبد القادر السباعي: القصة في القرآن، ص 23.

الفصل التمهيدي القصة القرآنية والمدرسة الإباضية

- " اشتمال القرآن على تلك القصص التي لا يعلمها إلا الراسخون في العلم من أهل الكتاب تحدياً عظيماً لأهل الكتاب، وتعجيزاً لهم بقطع حججهم على المسلمين، يقول جلّ في علاه: ﴿ ذَلِكُمْ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلقُونَ أَقْلَمَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرِيماً وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴾ (٤٤) ﴿١﴾
- اشتمال القرآن على قصص الأنبياء وأقوامهم تكليلاً لهامة التشريع الإسلامي بذكر تاريخ المشرّعين، فدأب كلّ شريعة معرفة تاريخ سلفها في التشريع من الأنبياء بشرائعهم.
- ما فيها من فائدة التاريخ في معرفة ترتّب المسبّبات على أسبابها في الخير والشرّ، والتعمير والتّخريب لتقتدي الأُمَّة وتحدّر. (2)
- ما فيها من موعظة للمشرّكين بما لحق الأمم التي عاندت رسلها وعصت أوامر ربها ليتّعظوا بمصارع نظرائهم وآبائهم، قال تعالى: ﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ (٣١) ﴿٣﴾.
- ابتكار أسلوب جديد في البلاغة العربيّة، شديد التأثير في نفوس أهل اللسان، وهو إعجاز القرآن في أسلوب المحاورّة والتّوصيف، وذلك أسلوب لم يكن معهوداً للعرب من قبل
- ذكر قصص الأمم السّابقة توسيع لعلم المسلمين بإحاطتهم بوجود الأمم ومعرفة أحوالها.
- تعويد المسلمين على معرفة سعة العالم وعظمة الأمم، والاعتراف لها بمزاياها حتّى تدفع عنهم وصمة الغرور.
- أن ينشئ في المسلمين همّة السّعي إلى سيادة العالم كما سادته أمم من قبلهم، ليخرجوا من الخمول الذي كان عليه العرب.
- معرفة أنّ قوة الله تعالى فوق كلّ قوة، وأنّ الله ينصر من ينصره، وأنهم إذا أخذوا بوسيلتي البقاء من الاستعداد والاعتماد، سلموا من تسلّط غيرهم عليهم، وذكر العواقب الصالحة لأهل الخير.
- أنّها يحصل منها بالتّبع فوائد في تاريخ التشريع والحضارة وذلك يفتق أذهان المسلمين. " (4)

(1) آل عمران: الآية 44.

(2) الطاهر بن عاشور: التّحرير والتّنوير، ج1، ص 64_67.

(3) يوسف: الآية 111.

(4) الطاهر بن عاشور: التّحرير والتّنوير، ص 65_67.

الفرع الثالث: أهداف القصة القرآنية

القصة القرآنية إحدى أشكال التعبير القرآني، ووسيلة من وسائله التي تهدف إلى إبراز الأغراض الدينية التي تكفل للإنسان السعادة في الدنيا والآخرة، فهي أداة لتربية النفوس، ووسيلة لتقرير المعاني والحقائق والمبادئ؛ فهي إذاً لم ترد لمجرد الإخبار عن أحداث مضت، بل إنّ لها أهدافاً كبرى لا تنفصل عن أهداف القرآن الكريم،⁽¹⁾ فتعددت وتنوّعت أغراضها، فكانت أبلغ معنى، وأكثر تأثيراً، وأقرب إلى الوجدان، وأغراض القصة متوحّاة من الآيات القرآنية التي جاءت عقب الحديث عن قصة رسول من الرسل، أو أمة من الأمم، أو حادثة من الحوادث السابقة، فمن الأهداف التي ترمي إليها:

أولاً. إبراز الحقائق الإسلامية:

كالدعوة إلى التوحيد والإيمان، وتثبيت أسس العقيدة في النفوس، وإننا نلمس البراهين على التوحيد والتأكيد على أنّ الله وحده هو الخالق وهو المستحق للعبادة وحده من خلال السياق القصصي، وبخاصة من خلال عرض قصص الأنبياء وبيان وحدة دعوتهم إلى هذا، وبيان أن ملّة الكفر واحدة⁽²⁾، قال الله تعالى:

﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَن هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَن حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ فسيروا فِي الْأَرْضِ فَأَنْظِرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ ﴿٣٦﴾﴾⁽³⁾

ثانياً. العبرة والموعظة:

يعتبر هذا الغرض من أبرز الأغراض التي لأجلها سيق القصص القرآني قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١١١﴾﴾⁽⁴⁾

(1) محمد قطب: القصة القرآنية، ص 48 / سيد قطب: في ظلال القرآن، دار الشروق-بيروت، القاهرة مع 5، ص 2677.

(2) محمد قطب: القصة في القرآن، ص 177 / فضل حسن عباس: قصص القرآن الكريم، دار النفائس _ الأردن، ص 44.

(3) التحل: الآية 36.

(4) يوسف: الآية 111.

الفصل التمهيدي..... القصة القرآنية والمدرسة الإباضية

فالعبارة من بين أغراض وأهداف القصة القرآنية التي عبر عنها القرآن صراحة، فما ذكرت قصة إلا وفيها حكم ودروس وعبر، ويتجلى ذلك من خلال حديثه عن الأقوام الفاسدة، والطاعة الجبارة وما حلّ بهم من عذاب وسخط ربانيّ جزاء عصيانهم وعتوّهم، وكفرهم بآيات ربّهم، وعدم اتّباع ما جاءت به رسلهم، فالقصة القرآنية تساق للعبارة وإعطاء الأمثال وبيان مكان الضّالّين والمكذّبين ومنزلة المؤمنين المهتدين إلى الحق⁽¹⁾، جعلت من أخبار هؤلاء مادّة طيبة ذات مقاصد تربويّة هادفة. (2)

ثالثا. تسليّة الرّسول ﷺ وإيناسه

قال تعالى: ﴿وَكَلَّا نَقْصُ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرٌ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ (3) إنّ القصص القرآني فيه إيناس لصاحب الرّسالة المحمديّة بأخبار إخوانه من الرّسل الكرام فقد جاء ليثبت قلب رسول الله ﷺ ومن معه من المؤمنين على الحق، ويخفف عنهم ثقل ما يلقونه من اضطهاد من طرف أعدائهم، من خلال عرض صور لما عاناه الأنبياء السّابقون وأتباعهم من أذى وتعذيب أقوامهم، وكيف صبروا على ما أودوا، وأنّ الشّر والكفر كما هو موجود في قومه ﷺ فهو موجود أيضا مع أقوام الأنبياء السّابقين، فتلك الأخبار تدعوه للصبر كما صبر أولوا العزم من الرّسل، والتأسي بهم، وكما يسليه ويطمئن فؤاده أيضا ببيان أنّ الغلبة للإيمان والتّصر للمؤمنين أصحاب العقيدة، والهزيمة والهلاك للكافرين الضّالّين الصّاديين عن دين الله⁽⁴⁾، فما من معركة وما من مواجهة بين الحقّ والباطل إلا وكان النّصر لأهل الحقّ في النّهاية.

رابعا: الدّعوة إلى الخير ومكارم الأخلاق:

القصص القرآني له أثر بليغ في تأصيل السّلوكة الأخلاقي، فقد جاء لتعليم المسلمين فضائل الأخلاق عن طريق القدوة، والزّجر عن الأخلاق الدّميمة والفواحش، وحماية الإنسان من الوقوع في الآثام، وهذا بتقديم أمثلة لشخصيات تمثّل جانب القدوة، والمتمثلة في شخص الأنبياء عليهم السّلام، فأعطى مثلا للصبر قصة

(1) محمد قطب: القصة في القرآن، ص 21.

(2) المرجع نفسه، ص 171.

(3) هود: الآية 120

(4) فضل حسن عباس: قصص القرآن الكريم، ص 44/ منصور الرفاعي عبيد: أهداف القصة في القرآن، دار العرفان - القاهرة، ص 31.

الفصل التمهيدي..... القصة القرآنية والمدرسة الإباضية

أيوب عليه السلام، ومثالا للعفة والأمانة والتسامح قصة يوسف عليه السلام، ومثالا لحسن المعاملة والدعوة إلى الخير والصّلاح شعيب عليه السلام.

فالقصة جاءت لترسم النموذج الكامل للمعاملة الطيبة والسلوك النموذجي الذي يجب أن يتحلّى به الإنسان المسلم، فبيّنت أنّ دعوة الأنبياء دعوة إلى الخير، وإلى حسن التعامل، وتقويم النفوس، وتهذيب الأخلاق، والتحذير من إفساد الحياة وتخريب النفوس. (1)

خامسا: إثبات الوحي والرسالة

وذلك من خلال إخباره ﷺ بقصص من سبق من الأنبياء والمرسلين، بدقة وصدق في حكاية الوقائع والأخبار، وفي ذلك من مظاهر الإعجاز الكثير، إعجاز إخباري عن أمم سابقة جاء على لسان أمي لا يقرأ ولا يكتب، وإعجاز بلاغي من خلال الدقة في عرض القصص وفي هذا دليل على أن هذا القرآن ليس من صناعة النبي ﷺ، ولا من تأليفه، يقول جلّ وعلا في هذا المقام (2): ﴿ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ﴾ (3)

سادسا: التأييد بالتعم

من الأهداف التي حرصت القصة القرآنية على إبرازها بيان نعم الله وفضله على عباده المؤمنين، وأصفياه الطاهرين، فما من قصة نبيّ إلا و فيها تجليات ومظاهر لأنعم الله عليه، وفي هذا دليل على جود الله وكرمه، وحبّه لأصفياه، ومثال ذلك قصص داوود وسليمان ومريم، ويوسف، ويونس.. عليهم السلام وغيرهم من الأنبياء والصّالحين، يقول جلّ وعلا بيانا لنعمه على سليمان عليه السلام: ﴿وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ غَدُوَهَا

(1) محمد قطب: القصة في القرآن، ص 186/ فضل حسن عباس: قصص القرآن الكريم، ص 45. / منصور الرفاعي: أهداف القصة في القرآن، ص 33.

(2) المرجع نفسه، ص 28/ أسامة محمد عبد العظيم حمزة: القصص القرآني وأثره في استنباط الأحكام، ط(1429هـ-2008م) القاهرة، ص 18.

(3) آل عمران: الآية 44.

الفصل التمهيدي..... القصة القرآنية والمدرسة الإباضية

شَهْرٌ وَرَوَّاحَهَا شَهْرٌ وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ وَمِنَ الْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ ﴿١٢﴾ ﴿١﴾ "وداود عليه السلام: ﴿١٠﴾ * وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ مِنَّا فَضْلًا يَجِبَالٌ أُوتِي مَعَهُ وَالطَّيْرُ وَأَلْنَا لَهُ الْحَدِيدَ ﴿١٠﴾ أَنْ أَعْمَلَ سَلِيغَتٍ وَقَدَّرَ فِي السَّرْدِ وَأَعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١﴾ ﴿٢﴾ " (3)

"ففي القصة القرآنية بليغ الحكم وروائع السير ولفتُ الأنظار إلى ما فيه الاعتبار والاستبصار" (4) ولا يمكن حصر الأهداف التي يرمي إليها، فالقصة الواحدة ينطوي تحتها العديد من الأهداف، منها ما يعرف صراحة ومنها ما هو ضمني يفهم من خلال الآيات.

الفرع الرابع: خصائص القصة القرآنية

والخصائص تعني ما تمتاز به القصة القرآنية من حقائق ومميزات تميّزها عن غيرها من القصص، بما منحها السموّ والعلو في القدر والمنزلة، التي تميّز بها القصص السماوي عن غيره من القصص العادي أو البشري الذي كان للبشر تدخّل فيه. (5)

فالقصص القرآنية له تأثير وجدائي في النفس البشرية فهو يحفل بالأسوة، ويبعث على الطمأنينة والرجاء، له طبيعته الخاصة وبنائه المميّز الذي يفرّقه عن غيره من القصص البشرية، ولقد حملت القصة القرآنية خصائصها المتميّزة المتسمة بالجمال الفني الأخاذ، الذي يؤثر في النفس ويتغلغل في الوجدان (6).

أولاً: ربانية القصة القرآنية

القصة القرآنية مصدرها القرآن الكريم، فهي من وحي الله تبارك وتعالى، منزّهة من كل نقص، معجزة في لفظها، راقية في أسلوبها، صادقة في أخبارها، لها أهدافها الكبرى التي تخدم الدين وتصلح النفوس، وتسلي

(1) سبأ: الآية 12.

(2) سبأ: الآية 10.

(3) محمد قطب: القصة في القرآن، ص 211.

(4) حمدي بن محمد نور الدين آل نوفل: قصص القرآن، مكتبة المورد - القاهرة، ط 1 (1423هـ-2002م)، ص 12.

(5) مريم السباعي: القصة في القرآن، ص 45.

(6) محمد قطب: القصة في القرآن، ص 109.

الفصل التمهيدي..... القصة القرآنية والمدرسة الإباضية

القلوب، وقد جاء في القرآن الكريم آيات أشارت إلى هذه الحقيقة إذ يقول الله تعالى: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ ﴿٣﴾﴾ (1) وجاء في سورة الكهف: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِالْحَقِّ﴾ (2) وفي سورة آل عمران يقول تعالى: ﴿ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَمَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴿٤٤﴾﴾ (3) وغيرها من الآيات التي تنصّ على إلهية القصص القرآني، وأنّ رسول الله ﷺ لم يكن على اطلاع بها. (4)

ثانيا: الواقعية

عنون سيد قطب رحمه الله لهذه الخاصية بـ: " مواد القصص القرآني " ورأيت أنّ عنوان الواقعية أوضح وأنسب وإن كان ما عنون به سيد قطب رحمه الله أعمّ وأشمل، " فالقصص القرآني كل مواده من أناس وأشياء وزمان ومكان كلّها واقعية، لا تشوبه شائبة من وهم أو نسيان، فكلّ شيء في الحدث القصصي له وجود ذاتي وله تاريخ، وله صفات قام عليها". (5) فقد نقلت لنا القصة القرآنية شخصية الإنسان بواقعه، بخيره وشره، بقوته وضعفه في جميع حالات الإنسان في أدقّ صورة وأوضح مثال.

"والواقعية القرآنية ليست واقعا لحالة واحدة بذاتها، بل هي واقع لكلّ شيء... فهي واقعة مزدوجة؛ نراها إذا ما ذكرت الخير في واقعة ذكرت الشرّ في واقعة أخرى" (6)، وتبرز واقعية القصة أيضا في الصدق النفسي في تصوير الإنسان في شتى حالاته، إذا مسّه الضرّ، وهو في صراع مع شهوات الدنيا، كذلك تصويره في صورة الرّجل الحصييف الذي يتمثّل في جزء من سورة يوسف عليه السّلام، كذلك نلمس واقعية القصة في تصوير نماذج للإنسان الضّعيف في عقيدته الذي يتمسك بها في الشرّ ويتركها في الخير. فكلّ ما أخبر به الله تعالى

(1) يوسف: الآية 03.

(2) الكهف: الآية 13.

(3) آل عمران: الآية 44.

(4) سيد قطب: التصوير الفني في القرآن، دار الشروق-القاهرة، الطبعة الشرعية السابعة عشر، ص 179.

(5) المرجع نفسه، ص 179.

(6) مريم السباعي: القصة في القرآن الكريم، ص 62.

الفصل التمهيدي..... القصة القرآنية والمدرسة الإباضية

من قصص السابقين هو واقع في الزمان الغابر ولو لم يخبرنا الله به لما عرفناه ولما أحطنا به علما، فالقصة القرآنية معجزة تدور مع الواقع في الماضي بكل ما فيه من أحداث وملابسات، وتنقلها لنا بصورة حيّة واضحة جليّة.

وأخبار القصص الماضية تعيش واقع الإنسان الحاضر وحقيقته الثابتة، وكأَنَّها تصوّر الإنسان في كافة الأزمنة، فهي واقعية في الزمن الماضي بأحداثها وأماكنها وأشخاصها، وواقعية في زمننا هذا بما تحويه من عبر وعظات لتشابه الأحداث والوقائع، ولو قلنا واقعية المستقبل فإن ذلك يعني إمكانية تكرّر الحوادث بنفس وقائعها كما كانت في الماضي والحاضر (1)؛ فالقصة من القرآن الكريم ومعجزة القرآن تشمل الإعجاز القصصي لأن الله يخاطب بقرآنه جميع البشر في جميع الأزمان إلى قيام الساعة.

وأشار سيّد قطب رحمته الله إلى خصائص أخرى اصطلح عليها بـ: "الخصائص الفنية للقصة" تبين الوجه الجمالي والفني للقصة الذي يميّزها عن أي قصة بشرية.

ثالثا: تنوع طريقة العرض:

تنوع طرق عرض القصص القرآني بناءً على تنوع أغراضه، فهو لا يجري على نمط واحد، وقد لخص سيّد قطب طرق العرض القصصي في القرآن الكريم فيما يلي:

- ✓ ذكر ملخص القصة ثم تفصيلاتها كقصة أصحاب الكهف.
- ✓ ذكر العاقبة والمغزى قبل ذكر القصة كقصة موسى عليه السلام في سورة القصص.
- ✓ ذكر القصة مباشرة بلا مقدمة أو تلخيص كقصة مريم عليها السلام عند مولد عيسى عليه السلام.
- ✓ التنبية على عنوان المشهد ثم تظهر الأحداث بصورة مباشرة كقصة إبراهيم عليه السلام في قصة بناء الكعبة. (2)

رابعا: تنوع طريقة المفاجأة

القصة القرآنية لا تسير على نظام واحد في تقديم الحدث المفاجئ، بل تراعي في ذلك عدّة أمور منها الزمان والمكان، فالهيئة التي تقدّم بها القصة في مجال العقيدة غير التي تكون في مجال التطبيق العملي ولخص أيضا سيّد قطب هذه الطرق فيما يلي:

(1) مريم السباعي: القصة في القرآن الكريم، ص 73.

(2) سيّد قطب: التصوير الفني في القرآن، ص 180.

الفصل التمهيدي القصة القرآنية والمدرسة الإباضية

✓ كتمان سرّ المفاجأة عن بطل القصة وقارئها: ومثال ذلك واضح في قصة موسى عليه السلام مع الخضر، حيث يسوق القرآن الكريم مفاجآت متتالية خفيت على موسى عليه السلام وعلى قارئ القصة، من بدايتها لتتضح المفاجأة ويكشف عنها في نهاية القصة.

✓ كشف السرّ في القصة للقارئ وإخفائه عن أبطالها، كقصة أصحاب الجنة يقول تعالى: ﴿إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ

كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ ﴿٧﴾ وَلَا يَسْتَنْوُونَ ﴿٨﴾﴾ (1)(2)

✓ كشف بعض السرّ للقارئ وإخفائه عن البطل في موضع، وإخفائه عنهما في موضع آخر: ففي القصة الواحدة تتجلى للقارئ مفاجآت القصة في موضع هي خافية فيه عن أبطال القصة، وموضع آخر تخفى عنهما معا، فمثال الشقّ الأول: قصة عرش بلقيس، فعرفنا أن سليمان عليه السلام قد أتى به، بينما تجهل بلقيس ذلك، أما الشقّ الثاني فمثاله مفاجأة الصرح الممرّد من قوارير، فلم نعلم نحن ولا هي بهيئة الصرح. (3)

خامسا: تنوع في عرض المشاهد

القصة القرآنية لم تتبّع طريقة واحدة في عرض مشاهد القصة، ففي القصة الواحدة نجد بعض المشاهد متتابعة وبعضها الآخر فيه فجوة تترك للقارئ يملؤها بخياله، فتتكون لديه صورة متكاملة للقصة، وإن كان هذا هو الغالب على قصص القرآن الكريم على وجه التقريب إلا أنّ هناك قصصا ترد فيه المشاهد متتابعة، متسلسلة حين يقتضي موضوع القصة ذلك. (4)

وذكر الشيخ بيوض رحمته الله في تفسيره "في رحاب القرآن" الفرق بين القصة البشرية والقصة القرآنية، وذكر أيضا أسلوب القرآن الكريم في عرض القصة حيث يقول الشيخ: "من المعلوم أنّ للقرآن أسلوبا خاصا في القصص غير أسلوب القصص والرّواية والمؤرخين، الذين يبدؤون القصة من أول حادث فيها، ثمّ يتتبعونها كتابة ورسمًا وتسجيلًا، حسب تسلسل الحوادث حتّى يأتوا إلى آخرها. لكن لما كان غرض القرآن وقصده من القصص الذّكري والاعتبار، فإنّه يذكر موطن العبرة مباشرة، ولذلك فهو قد يبدأ من وسط القصة، أو يذكر آخرها قبل وسطها وقبل أولها، وقد يذكر شيئا من الأوّل، وشيئا من الآخر، وشيئا من الوسط، إنّه يأخذ ما

(1) القلم: الآية 17_18.

(2) سيد قطب: التّصوير الفني في القرآن، ص 180.

(3) فضل عباس: قصص القرآن الكريم، ص 49.

(4) المرجع نفسه، ص 49.

الفصل التمهيدي القصة القرآنية والمدرسة الإباضية

به الحاجة، الذي هو محلّ العظة والاعتبار، وحتى إذا ذكر القصة متسلسلة فإنه يخللها بالتذكير بقوّته، وتنبهه الناس ولفت أنظارهم إلى الاعتاظ والاعتبار. (1)

سادسا: التكرار في القصة القرآنية

1: مفهوم التكرار في القصة

وهو أن ترد القصة الواحدة عدّة مرّات في مواضع متعدّدة، وهذا التكرار لا يتناول القصة كلّها في كلّ مرّة، وإّما يتناول بعض جزئياتها، وفقا لما يقتضيه الحال التي ترد من أجله القصة، وكلّ إعادة لجزئية من جزئيات القصة يكون بلفظ يفيد تفنّنا في الأسلوب وزيادة في المعنى بطريقة لا يستطيعها سوى الخالق عزّ وجلّ. (2)

2: أنواع التكرار في القصص

تتكرّر القصة في القرآن الكريم على قسمين: تكرار موضوعي، وتكرار قصة واحدة.

أ. التكرار الموضوعي:

وهو أكثر قصص القرآن الكريم، ويقصد به تكرار موضوع من المواضيع من خلال القصة القرآنية كتكرار موضوع عبادة الله تعالى وموضوع إنزال الله العذاب على الأقوام السابقة التي كفرت بدعوة الأنبياء، وهذا النوع من القصص يكون خاصّة في القرآن المكيّ لحاجة أهل مكّة إلى التكرار (3) وهم في بداية إسلامهم حتّى يثبت الله التوحيد في قلوبهم، وكذلك ليؤنسهم بتلك القصص ويربط على قلوبهم بما لمّا يكرّر الله عزّ وجلّ استئصاله لكلّ كافر ظالم ونصره لكلّ مؤمن أيّما كان.

ب. تكرار قصة واحدة:

وهو تكرار قصة رسول واحد في عدّة سور من سور القرآن الكريم، وتكرار القصة الواحدة يكون بذكر جزء منها في سورة وجزء آخر في سورة أخرى، بحيث لا تتكرّر الأحداث (4)؛ فما ذكر في سورة لا يعاد ذكره

(1) إبراهيم بن عمر بيوض: في رحاب القرآن، تحرير عيسى بن محمّد الشّيشي بالحاج، جمعية التراث، القرارة - غرداية، الجزائر، ط2 (2009م)، ج2، ص 79.

(2) مريم السباعي: القصة في القرآن، ص 73.

(3) المرجع نفسه، ص 95.

(4) المرجع نفسه، ص 99.

الفصل التمهيدي..... القصة القرآنية والمدرسة الإباضية

في سورة أخرى، وإنما يذكر في كل سورة ما يقتضيه السياق القرآني كتكرار قصة نوح عليه السلام، وقصة موسى عليه السلام... الخ

3. فوائد التكرار

- إن الله سبحانه وتعالى لا يأتي بشيء في قرآنه عبثاً، فكل ما جاء به لحكمة بليغة وفائدة عظيمة، وتكرار القصة أو موضوعها في مواضع مختلفة من القرآن له فوائد بيّنها الباحثون في شان القصة القرآنية:
- إن الله تعالى إذا كرّر القصة زاد أشياء لم يذكرها في موضع آخر.
- التذكير خشية التناسي إذا طال الكلام ومثال هذا الكلام في قوله تعالى على لسان يوسف عليه السلام: ﴿يَأْتِيْكَ إِذِي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ ﴿١٠٠﴾﴾⁽¹⁾، كرّر الله تعالى الفعل "رأيت" في الآية مرتين لتحقيق الفائدة وهي التذكير.
- التكرار من أحسن سبل الإقناع وأقوى الوسائل لترسيخ المعلومات والفهم.
- التكرار داعية للفت انتباه الإنسان وجذبه.⁽²⁾
- التكرار دلالة على بلاغة القرآن الكريم وإعجازه بحيث يعبر عن القصة الواحدة بمعاني وألفاظ مختلفة: كما في قصة موسى عليه السلام عبر عن معجزة العصا التي أيده الله بها تارة بالحية وتارة بالثعبان وتارة يشبّهها بالجان ولكل لفظة معنى وبينهما ترابط وثيق.⁽³⁾
- قوة الإعجاز، فإيراد المعنى الواحد في صور متعددة مع عجز العرب عن الإتيان بصورة منها أبلغ في التحدّي.
- بيان أهمية تلك القصة لأن تكرارها يدل على العناية بها.⁽⁴⁾

المطلب الخامس: أنواع القصص القرآني

لم تأت القصة في القرآن الكريم على نمط واحد بل جاءت متنوّعة ولقد اختلفت تقسيمات الباحثين للقصص القرآني، فهناك من قسمه باعتبار الطول والقصر، وهناك من قسمه باعتبار موضوعه وهناك من قسمه باعتبار منهجية عرض القصة.

(1) يوسف: الآية 04.

(2) مريم السباعي: القصة في القرآن، ص 114.

(3) المرجع نفسه، ص 119 (بتصرف).

(4) مناع القطان: مباحث في علوم القرآن، ص 281.

الفصل التمهيدي..... القصة القرآنية والمدرسة الإباضية

الفرع الأول: باعتبار طول القصة وقصرها

فمریم السباعي في بحثها الموسوم ب: " القصة في القرآن الكريم " رأت أنّ القصة في القرآن الكريم تتنوع باعتبار قدرها وكميتها إلى قصة طويلة وقصة قصيرة:

1. القصة الطويلة:

وقسمت القصة الطويلة إلى قصة طويلة مجزأة ثمّ تجمع في موضع واحد: وهي التي تأتي مقسمة على عدة سور ثمّ تجمع أحداثها في سورة واحدة، وهو كثير في القرآن الكريم فأغلب القصص ينتمي إلى هذا القسم، وأعطت الدكتوراة مثالا بقصة نوح عليه السلام حيث جاءت مجزأة في سورة الأعراف، وهود، المؤمنون، الشعراء، القمر، الصافات، يونس، الأنبياء، الفرقان، الصافات، الداريات، النجم، العنكبوت، وفي كلّ جزء منها هدف ومقصد.

وقصة طويلة غير مجزأة: ولا يوجد في القرآن الكريم في هذا القسم غير قصة يوسف عليه السلام فهي القصة الوحيدة التي ذكر الله أحداثها في سورة يوسف عليه السلام ولم تكرر في غيرها من سور القرآن الكريم.⁽¹⁾

2. القصة القصيرة:

وذكرت قسمين لها وهما: القصة القصيرة المكتملة العناصر وترد مرة واحدة في القرآن الكريم، كقصة النحل والنمل والهدد، والقصة التي تأتي مشتملة على بعض عناصر القصة غير أنّها قصيرة.⁽²⁾

الفرع الثاني: باعتبار موضوعه

قسم الدكتور مناع القطان القصص القرآني باعتبار موضوعه إلى ثلاثة أنواع:

النوع الأول: قصص الأنبياء، تتضمن دعوتهم إلى أقوامهم، وما أيدهم الله به من معجزات، ومراحل دعوتهم، وبيان عاقبة المؤمنين والمكذّبين.

النوع الثاني: قصص قرآني يتعلّق بحوادث غابرة، وأشخاص لم تثبت نبوتهم، كقصة الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت، وقصة أصحاب الكهف... الخ.

(1) مریم السباعي: القصة في القرآن، ص 245.

(2) المرجع نفسه، ص 245.

الفصل التمهيدي..... القصة القرآنية والمدرسة الإباضية

النوع الثالث: قصص يتعلّق بالحوادث التي وقعت في زمن رسول الله ﷺ، كغزوة بدر وأحد، وهجرته ﷺ، وقصة الإسراء.. الخ. (1)

الفرع الرابع: باعتبار زمن حدوثه

قسّم الدكتور أحمد نوفل القصص القرآني بحسب زمن حدوثه وهو عنده ثلاث أقسام:

القسم الأول: قصص غيوب الماضي ويتمثّل في كل ما أخبر الله تعالى به محمّد ﷺ من قصص الأنبياء والأمم السابقة.

القسم الثاني: قصص غياب الحاضر: ويقصد به كلّ ما يتّصل بالله والملائكة والجنّ والجنّة والنار ونحو ذلك، ممّا لم يكن للرّسول ﷺ سبيل إلى رؤيته ولا العلم به.

القسم الثالث: وهي كلّ الأخبار والأنباء التي أخبر الله تعالى بها نبيّه الكريم قبل حدوثها كإخباره إياه عن انتصار الرّوم في بضع سنين. (2)

من خلال هذه التّقسيمات نرى أنّ الدكتور أحمد نوفل أدخل في القصص القرآني ما لم يشر إليه الآخرون، فاعتبر حديث القرآن عن الجنّة والنار والملائكة من القصص، ولا أرى هذا التّقسيم صائباً لأنّ القصص كما عرفناه سابقاً هو ما حدث في الواقع لأمم سبقت والجنة والنار والملائكة من الغيبات تدخل في باب العقيدة لا في باب القصص والله أعلم.

وأرى أن التّقسيم باعتبار الموضوع هو الذي أعطى صورة شاملة عن أنواع القصة في القرآن الكريم وهو الذي أميل إليه.

المطلب الثاني: أثر القصة في الإصلاح الاجتماعي

يعتبر القصص القرآني من أهمّ وسائل القرآن الكريم في الإصلاح والتّوجيه والوعظ والإرشاد فهو تربة خصبة تساعد المرين على النّجاح في مهمّتهم، وتمدّهم بزاد تهذيبيّ من سيرة النّبیین، وأخبار الماضين وسنة الله في حياة المجتمعات، وأحوال الأمم. (3)

(1) مناع القطان: مباحث في علوم القرآن مؤسسة الرسالة ط1 (2011م. 1432 هـ)، دمشق-سوريا، ص 280.

(2) حمدي بن محمد آل نوفل: قصص القرآن، ص 13.

(3) مناع القطان: مباحث في علوم القرآن، ص 284.

الفصل التمهيدي القصة القرآنية والمدرسة الإباضية

وقد عرف ابن تيمية رحمه الله الإصلاح فقال: " هو صلاح العباد بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فإنّ صلاح المعاش والعباد في طاعة الله ورسوله، ولا يتم ذلك إلا بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وبه صارت هذه خير أمة أخرجت للناس" (1). والصلاح والإصلاح: ضد الفساد ونقيضه، وهي مصطلحات شرعية ربانيّة، أوّردّها الله تعالى في كتابه العزيز.

والإصلاح هو مهمّة الأنبياء من قبل فهم دعاة إصلاح وهداية؛ حيث حاربوا كلّ انحراف فكريّ وعقائديّ في مجتمعاتهم، وقاموا بترسيخ المبادئ السّامية كشّيت الإيمان في النفوس من خلال التّرجيب والتّرهيب، والدّعوة إلى عمل البرّ والابتعاد عن كل الأعمال المنكرة، كلّ هذه الأمور تدعو إلى إصلاح المجتمع وإزالة كلّ الأعمال المخالفة عقلا وشرعا. (2)

وقد شملت القصة في القرآن مختلف جوانب الإصلاح منها: العقيدة، الأخلاق، السياسة، المعاملات بين النّاس... الخ، وإنّ المفسّرين هم أولى النّاس بإصلاح المجتمع، وأولى النّاس بتربية أفرادهم، لذلك جعلوها منطلقا لكل إصلاح، لأنّها الأقرب للقلوب، والأيسر للفهم والحفظ لمطابقتها قضايا الواقع المعيش.

ففي قصص القرآن تربية دينيّة لها أثرها العميق في النفوس، مصدرها العقيدة السّليمة؛ التي تقوم على أساس أنّ كلّ خلق كريم يكون في الإيمان بالله تعالى الذي جعل الكون معرضا رائعا تتجلّى فيه حقيقة الألوهيّة بآثارها وتملأ جوانب الإنسانيّة بآياتها. (3)

وفي القصص علاج لكلّ فساد سياسي أو اجتماعي بين النّاس، حيث بيّن القواعد والأسس التي تقوم عليها كلّ حضارة كما بيّن أسباب اندثارها وزوالها، وبيّن كذلك السّياسة الرّشيّدة التي يبني عليها الحكم الصّالح، وحارب كلّ ما يرجع بالضرر على المجتمعات من استبداد وظلم وطغيان.

وجاء القصص أيضا ليحدّر من انتشار الجرائم، وهضم حقوق النّاس فصور لنا كيف كانت وكيف ستكون عقوبة كلّ من سوّلت وتسوّل له نفسه الإفساد في الأرض.

(1) ابن تيمية: السياسة الشرعيّة في إصلاح الزراعي والرّعيّة، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدّعوة والإرشاد_ المملكة العربيّة السّعوديّة ط1 (1418هـ) ص58.

(2) عمر عبد الله نجم الدّين: مفهوم الإصلاح في القرآن الكريم، مجلّة ديالي، العدد الثامن والعشرين، ص 07.

(3) التّهامي نقرة: سيكولوجية القصة في القرآن، ص 546.

الفصل التمهيدي القصة القرآنية والمدرساة الإباضية

ففي قصة شعيب عليه السلام، نجد شرح لقومه أنّ هدفه من دعوته يتلخّص في إصلاحهم قال تعالى: ﴿إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ (1)، "كما نلاحظ أنّ إصلاح بعض الأنبياء، كان موجّهاً إلى أكبر المفاصد الاجتماعية، السائدة في أقوامهم، كالفساد الأخلاقي في قوم لوط، والفساد التجاري في قوم شعيب" (2)

كما أنّ ظاهرة الاختلاف بين الناس تشير إلى البعد الاجتماعي في قوله تعالى: ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِي مَا اخْتَلَفُوا فِيهِ﴾ (3)، إشارة إلى أنّ الاختلاف ظاهرة اجتماعية طبيعية بسبب اختلاف القدرات والمواهب، لذلك جاءت دعوات الأنبياء لإصلاح مفاصد الأخلاق ومضارّه. (4)

هذه بعض العناصر في القصة القرآنية أراها مهمّة قبل الولوج في تحليلها من خلال التفاسير الإباضية، وهذه المعلومات تبرز مكانة القصة القرآنية وأهميتها في القرآن الكريم، ولهذا المكانة تسابق المفسرون في تحليل أحداثها واستنباط العبر منها.

(1) هود: 88.

(2) يوسف سرطوط: المقاصد الشرعية للقصص القرآني وأثرها الفقهي، رسالة دكتوراه في العلوم الإسلامية (فقه وأصوله)، جامعة الحاج لخضر، باتنة (1435هـ-2014م)، ص 152.

(3) البقرة: الآية 213.

(4) يوسف سرطوط: المقاصد الشرعية للقصص القرآني وأثرها الفقهي، ص 153. (بتصرّف)

المبحث الثاني: المدرسة الإباضية في التفسير

- المطلب الأول: المذهب الإباضي نشأته وتطوره وأصوله العقديّة.
- المطلب الثاني: حركة التأليف في التفسير عند الإباضية

المبحث الثاني: المدرسة الإباضية في التفسير

محور هذه الدراسة يدور حول التفسير الإباضية في الجزائر، فلا بدّ من إعطاء لمحة موجزة عن الإباضية، لمعرفة أصل تسميتهم، وتاريخ نشأتهم، وأبرز عقائدهم وأهمّ كتب التفسير عندهم، وجهودهم في التفسير ومميّزاته.

المطلب الأول: المذهب الإباضي نشأته وتطوّره وأصوله العقديّة.

يعتبر المذهب الإباضي من المذاهب الإسلامية التي ظهرت مبكراً، واختلف عن باقي المذاهب الإسلاميّة من حيث ظروف تطوّره ومن حيث الأفكار التي يتبنّاها أصحاب المذهب.

الفرع الأول: مدخل للتعريف بالمذهب الإباضي

سميّ الإباضيّة بهذا الاسم نسبة إلى عبد الله بن إباح التميمي أحد فقهاء الأوّلين، ولد في زمن معاوية (40هـ - 60هـ)، وتوفيّ في آخر حياة عبد الملك بن مروان، كان من أهل العراق ويعد من أتباع جابر بن زيد⁽¹⁾ الذي توفي سنة 93هـ⁽²⁾، وهناك اختلاف في التلفظ بالهمزة ففي بعض البلدان مثل عمان يفتحون همزة "أباح" وعلى ذلك تصبح التسمية والنسبة "الأباضية"، فوجد الشيخ سليمان الباروني قد عنون لكتابه بـ: "مختصر تاريخ الإباضية" بفتح الهمزة ويقول: "عبد الله بن إباح"⁽³⁾، وكذلك في معظم كتب أهل المشرق، أما في شمال إفريقيا فيكسرون كلمة "إباح" وعليه تصبح النسبة "الإباضية" و الإباضية بكسر الهمزة هي الأصح كما يشير إلى ذلك الشيخ محمد اطفيش في كتابه الرسالة الشافية.

أما الإباضية أنفسهم فهم يرون أنّ نسبتهم إلى عبد الله بن إباح هي نسبة غير قياسية، ساهم بذلك بعض ولاة الدولة الأموية في عهد الملك عبد الملك بن مروان، بسبب المراسلات والمناقشات الطويلة التي جرت بينه وبين عبد الله وعبد الملك بن مروان، ولنقده الحكم الأمويّ عندما ابتعد عن نهج الخلفاء الراشدين، ولمواقفه الجدليّة ضدّ الخوارج حيث ظهر عند عامّة النّاس أنّه الرّعيم المنافع لهذه الفرقة، وهم يسمّون أنفسهم "أهل

(1) جابر بن زيد الأزدي الملقّب بأبي الشعثاء: من طبقة التابعين ولده بمنطقة قريبة من نزوى بعمان، اختلفت المصادر في تاريخ ميلاده ذكر الدرجيني أنّ ميلاده كان في 22هـ-642م، توفي سنة 93هـ - 711م، تتلمذ على يد كثير من الصّحابة وأكثرهم صحبة لهم هو عبد الله بن عباس حيث قال عنه: "لو أنّ أهل البصرة نزلوا عند قول جابر بن زيد لأوسعهم علماً" (أنظر سامي صقر عبد الودود: الإمام جابر بن زيد الأزدي (ت 93هـ-711م) وأثره في الحياة الفكرية السياسية دراسة تاريخية، مطابع النهضة الأردن، ط1 2000، ص 71، ص 77).

(2) بكير بن سعيد أعوش: دراسات في الأصول الإباضية، مكتبة وهبة، القاهرة ط(1408هـ/1988م)، ص 18.

(3) سليمان الباروني: مختصر تاريخ الإباضية، مكتبة الضامري، سلطنة عمان، ط5 (1416هـ-1995م)، ص 22.

الفصل التمهيدي القصة القرآنية والمدرسة الإباضية

الدعوة " و " جماعة المسلمين " و " أهل الاستقامة "، ولم يعترفوا بهذه التسمية " الإباضية " إلا بعد ذلك بزمن. (1) حينما انتشرت على ألسنة الجميع ، فتقبلوها تسليما بالأمر الواقع عند الآخرين (2)، وكتب السالمي في نظمه كشف الحقيقة لمن جهل الطريقة:

إِنَّ الْمُخَالَفِينَ قَدْ سَمُونَا بِذَاكَ غَيْرَ أَنَّنَا رَضِينَا
وَأَصْلُهُ أَنْ فَتَىٰ إِبَاضٍ كَانَ مُحَامِيًا لَنَا وَمَاضِي

ثم يقول بعد ذكر مواقفه ضد حكم عبد الملك بن مروان:

فَصَارَ مَعْرُوفًا لَدَى الْجَمِيعِ لِمَا حَوَى مِنْ شَرَفٍ رَفِيعِ
وَنَسَبُوا مَنْ كَانَ فِي طَرِيقَتِهِ إِلَيْهِ لِاشْتِهَارِ حُسْنِ سِيرَتِهِ
وَنَحْنُ الْأَوْلَىٰ لَمْ يَشْرَعْ لَنَا نَجْلٌ أَبَاضٍ مَذْهَبًا يَحْمِلُنَا
مَنْ ذَاكَ لَا تَلْقَىٰ لَهُ فِي الْمَذْهَبِ مَسْأَلَةً نَرَسُمُهَا فِي الْكُتُبِ (3)

" ولم يرد هذا المصطلح " الإباضية " في مصادر المذهب قبل الربع الأخير من القرن الثالث الهجري، ولعل أول كتاب من كتب الإباضية ظهرت فيه هذه التسمية هو " أصول الدينونة الصافية " الذي ألفه أبو حفص عمرو بن فتح النفوسي. (4) (5)

ويعتبر الإباضية جابر بن زيد الأزدي هو المؤسس الحقيقي للمذهب الإباضي، ويبرزون عدم اشتها نسبة المذهب إلى مؤسسه الحقيقي جابر بن زيد، بأن الظروف فرضت على جابر أن يعمل في الخفاء، بعيدا عن أعين المخالفين، لأن أي أمر يكشف انتماءه للإباضية فأنه يعرضه للخطر... لذلك اختار سياسة التأقلم حسب الظروف، وفضل العمل على إرساء أسس المذهب وتوطيد أركانه. (6)

(1) صابر طعيمة: الإباضية عقيدة ومذهبها، دار الجيل بيروت ط (1406هـ-1986م)، ص 43.

(2) المرجع نفسه، ص 43.

(3) سالم بن حمد الحارثي: العقود الفضية في أصول الإباضية، سلطنة عمان ط 2 (1438هـ-2017م)، ص 122.

(4) أبو حفص عمرو بن فتح النفوسي: له مصنّفات في الفروع والعقائد، تولّى القضاء، كان من أعلم أهل زمانه، من أصحاب الطبقة السادسة (250هـ-300هـ). (أحمد بن سعيد الدرّجيني: طبقات المشايخ بالمغرب، تحقيق إبراهيم طلاي، (دط)، ج 2، ص 320).

(5) عدّون جهلان: الفكر السياسي عند الإباضية، مكتبة الضامري - السيب، سلطنة عمان، ص 19.

(6) المرجع نفسه، ص 19.

الفصل التمهيدي..... القصة القرآنية والمدرسة الإباضية

و الباحث والمتتبع لنشوء المذاهب والفرق الإسلامية يجد أنّ الافتراق الأوّل للمسلمين كان في عهد الخليفة الراشد علي بن أبي طالب، وهو البذرة الأولى لانبثاق الفرق، لما ثار معاوية بن أبي سفيان ومن معه على علي بن أبي طالب وخرج بجيشه من الشام لمحاربة عليّ، ونشبت معركة بين الجماعتين ولما رأى معاوية تأرجح كفة النصر لصالح عليّ بن أبي طالب؛ وأنّ المعركة ستنتهي بهزيمته أشار عليه عمرو بن العاص برفع المصاحف على الرماح، داعين إيّاه إلى الهدنة، فأوقف عليّ القتال ورضي بالهدنة وقبول التحكيم، لكنّ جماعة من جيش علي رأت في الأمر خدعة ولم ترض بالتحكيم فانشقت على عليّ و نزلوا حروراء ينتظرون تجدّد الأحداث، ولما خلص الطّرفان (علي ومعاوية) إلى الهدنة وعزل علي عن الخلافة، وجعل الأمر شورى بين المسلمين، بايع المنشقون على علي إماماً لهم وهو عبد الله الرّاسبي، وعندما قرّر عليّ التّوجّه إلى الشام لمحاربة معاوية دعا هذه الجماعة المنشقة عنه (المحكّمة) إلى الالتحاق بالجيش، لكنّها امتنعت ودعته إلى الانضمام إلى جماعتهم، فأشار بعض من قادة عليّ على عليّ بن أبي طالب أن يقاتلهم ف وقعت معركة النهروان التي سالت فيها كثير من الدّماء، وقتل فيها العديد من المسلمين، وبقيت هذه الجماعة تدافع عن آرائها، لكن ما لبثت أن ظهر التّباين في آرائها بين الغلو والسّلم⁽¹⁾ ففضّلت جماعة منهم الالتزام بالهدوء والرّوية والجنوح إلى السّلم خاصة وأنهم يشكّلون أقلّيّة ضعيفة واتخذت من البصرة مقراً لها.⁽²⁾

وقد تزعم هذه الجماعة أبو بلال مرداس بن أدية التّميمي، الذي شهد معركة صفّين مع عليّ، وأنكر التّحكيم، و اشترك في معركة النهروان مع المحكّمة ضدّ علي، لكنّه انفصل عنهم لأنّه لم يكن مرتاحاً للفتنة التي حصلت بين المسلمين ورفض اللّجوء إلى السّيف لفرض آراء جماعته وهم الإباضيّة، فأقام في قبيلة تميم بالبصرة، وكان ينتمي إلى هذه القبيلة أبرز الشّخصيات السّياسية والفكرية والدّينية في البصرة ويتزعمها الأحنف بن قيس السّعدي⁽³⁾، الذي كان له دوراً كبيراً في حماية أتباع أبي بلال بن مرداس بعد وقعة النهروان، وقد أنكر الخوارج المتطرفون قعود أبا بلال وأصحابه عن الثّورة فلقبوهم " بالقعدة " وفي ظلّ هذه الحماية التي لقيها أبا بلال وأتباعه أخذ ينشر أفكاره وآراءه فكان يعقد المجالس والمناظرات لإقناع النّاس بآرائه، فانظّم إليه عدد كبير من النّاس،⁽⁴⁾ وانظّم إلى هذه المجموعة جابر بن زيد الأزدي الملقّب بأبي الشعثاء (21هـ - 96هـ) الذي لم يلبث أن أصبح رئيس الجماعة والمؤسّس الحقيقي بعد وفاة أبي بلال والذي يعتبره معظم الإباضيين

(1) عدّون جهلان: الفكر السياسي عند الإباضية، ص 18. / سيف بن أحمد البوسعيدي: حملة العلم إلى المغرب، (دط) ص 6.

(2) عدّون جهلان: الفكر السياسي عند الإباضية، ص 17.

(3) عوض محمد خليفات: نشأة الحركة الإباضية، ط (1978م)، ص 47.

(4) المرجع نفسه، ص 47.

الفصل التمهيدي..... القصة القرآنية والمدرسة الإباضية

الزّعيم الرّوحي للحركة الإباضية وفقههم، حيث انضوى الجميع تحت إمرته، لكنهم آثروا أن لا يبوحوا باسمه وأن لا يعلنوا علاقته بالحركة حتى لا يبطش به الولاة. (1)

وحيث أخذت هذه المدرسة في التّموا انضمّ إليها بقية أهل التّهران منهم عبد الله بن إباح، هذا الأخير وبانضمامه إليها خرجت المدرسة من السّرية إلى العلن؛ مما جعلها تحت المراقبة والمتابعة من طرف الدّولة الأمويّة، وكانت له مراسلات ومواقف ثابتة تجاه السّلطة (2)، عبّر عنها بقلمه لا بسيفه، فكان كما يقول عليّ يحيى معمر: "المجاهد علنا، المناضل علنا في سبيل تحقيق الحقائق، وتصحيح قضايا العقول، فيما أحدثه أهل المقالات والبدع... كان الحجّة الدامغة... وبعد وفاة جابر بن زيد ظهر عبد الله بن إباح بأجلى مظاهر الغيرة الدّينية، ولقّن أصحابه مبدأ الإقدام في تقرير الحقّ، وقمع أهل الجور والظلم" (3)، ولقد اكتملت صورة المذهب الإباضي على يد أبي عبيدة مسلم بن كريمة (4)، وإليه انتهت رئاسة الإباضية بعد وفاة جابر بن زيد، حيث تحرّج على يديه رجال الفكر والدّين من مختلف الدول الإسلامية آنذاك عرفوا بحملة العلم. (5)

الفرع الثّاني: أماكن انتشار المذهب الإباضي

مركز الدّعوة كان بالبصرة، ومع انتقال رئاسة المذهب الإباضي إلى أبي عبيدة مسلم بن كريمة بدأت مهمّة حملة العلم في نشر الدّعوة وأفكار المذهب إلى المغرب، فكانت لهم دولة مستقلّة في عمان وتعاقب على الحكم فيها إلى العصر الحديث أئمة إباضيون.

من حواضرهم التّاريخية جبل نفوسة بليبيا، إذ كان معقلا لهم ينشرون منه المذهب الإباضي، ومنه يديرون شؤون الفرقة الإباضية.

ينتشرون أيضا في ساحل إفريقيا الشّرقية في كلّ من تنزانيا، وأوغندا، وفي الشّمال الإفريقي في جزيرة جربة بتونس، ووادي ميزاب في صحراء الجزائر.

(1) عوض خليفات: الأصول التّاريخية للفرقة الإباضية، وزار التّراث القومي والثّقافة-سلطنة عمان، ط3 (1415هـ-1994م)، ص 08.

(2) زكريا بن خليفة المحرمي: الإباضية تاريخ ومنهج ومبادئ، (دط)، ص 05.

(3) عليّ يحيى معمر: الإباضية في موكب التّاريخ، ج 1، الحلقة الأولى، ص 150.

(4) أبو عبيدة مسلم بن كريمة التّميمي: توفي في ولاية أبي جعفر المنصور سنة 145هـ (أحمد بن سعيد الدّرجيني: طبقات المشايخ بالمغرب،

ج1، ص 78)

(5) بكير أعوش: دراسات إسلامية في الأصول الإباضية، ص 17.

الفصل التمهيدي..... القصة القرآنية والمدرسة الإباضية

وكان سبب انتشار المذهب الإباضي في كل من عمان، واليمن، وشمال إفريقيا هو قيام دول في تلك المناطق. (1)

أولاً: المجتمع الإباضي في الجزائر

مع تقادم الزمن، أصبحت المدرسة الإباضية اليوم حضارة بذاتها، لها تقاليدها وأعرافها وأنظمتها ولغتها، وخصائص تميّز مجتمعا عن باقي المجتمعات، فلا ينحصر هذا المذهب في الجانب الديني فقط، بل تعداه إلى الجانب السياسي والاقتصادي والاجتماعي.

و يتوزع الإباضية اليوم في مختلف مدن الجزائر شمالها وجنوبها، شرقها وغربها، وتعتبر مدينة غرداية الموطن الأصلي للإباضية وبها يتمركزون وهم ينقسمون إلى قسمين: سكان وادي ميزاب ويعرفون ببني ميزاب، وهي تضم سبعة مدن وهي: العطف، بنورة، بني يسجن، غرداية، مليكة، بريان، والقرارة (2) وسكان وارجلان ويعرفون ببني وارجلان. (3)

ويتعايشون مع بقية المذاهب، ويتلقون العلم من أساتذة المذهب المالكي في مختلف المدارس والجامعات الجزائرية، ويمارسون أعمالهم وتجاراتهم في ولايات عدة، ومما يعرف عنهم طبيبتهم، وحسن معاملتهم للآخر، وإخلاصهم وتفانيهم في عملهم.

لهم مساجدهم الخاصة في مختلف ولايات الجزائر، ويصلي فيها المالكية والإباضية معا.

ثانياً: التعليم في ميزاب

ينقسم التعليم في ميزاب إلى قسمين، التعليم الحر، والتعليم الرسمي.

ويقصد بالتعليم الحر، التعليم التابع للمسجد وتسمى مجالس التعلم محاضر، يتلقون فيها القرآن الكريم ومبادئ القراءة والكتابة (4)، وتطور التعليم الحر بزيادة رجال الحركة الإصلاحية التي اختلفت مع شيوخ المحاضر لأنهم رأوا قصر مهمة التعليم فيها، فأنشئت دور خاصة للتعليم من بينها معهد الشباب سنة 1925م، وجعل الشيخ بيوض داره مقراً للمعهد، وشهد هذا المعهد إقبالا كبيرا وتطورا ليسمى فيما بعد بمعهد الحياة الذي فعلا أحبي العلم في تلك المنطقة.

(1) زكريا بن خليفة المحرمي: الإباضية تاريخ ومنهج ومبادئ، ص 08.

(2) محمد ناصر: منهج الدعوة عند الإباضية، ص 312.

(3) علي يحي معمر: الإباضية مذهب إسلامي معتدل، ص 16.

(4) يوسف بن بكير الحاج سعيد، تاريخ بني ميزاب، ص 239.

الفصل التمهيدي..... القصة القرآنية والمدرسة الإباضية

كان التعليم في البداية مخصّصاً للكبار فقط ولم يدرج التعليم الابتدائي في المعهد إلا بعد 1938م، وكان يشترط حفظ القرآن الكريم واستظهاره عند الالتحاق بالمعهد، ثم استبدل فيما بعد بالاستظهار فقط عوض الختم، تسهيلاً لانخراط الطلبة. (1)

وتوالت بعدها فتح عدّة مدارس في مدن عدّة بميزاب كمدرسة الرّشاد، والمعهد الجابري ببني يزجن، جمعية النهضة بالعطف... الخ.

أمّا التعليم الرسمي: فقد أنشئت مدارس فرنسيّة رسميّة بعد احتلال ميزاب، وفرضت قانوناً إجبارياً بإلحاق كل طفل بلغ ست سنوات بتلك المدارس. (2)، ويمثّل التعليم الرسمي اليوم المدارس الحكوميّة. وقد طوّرت الإباضية في نمط هذه المدرسة فأنشأوا مدارس خاصّة تابعة في منهاجها لبرنامج التعليم الحكومي، وأضيف إليه فقط مواد أساسية كمادة حفظ القرآن الكريم، وعلوم الشريعة وتشمل المراحل الثلاث، ومن بين المدارس الرائدة مدرسة الرضوان في العطف، التي تميّزت على مستوى الولاية بأعلى معدّلات نجاح في البكالوريا، كما تمتاز بعلو أخلاق وإبداع تلاميذها ونشاط وحيويّة أساتذتها ومشرفيها.

1. دور المرأة في العملية التعليميّة

لم يكن التعليم في بني ميزاب مقتصرًا على الرجال فقط، بل نجد للمرأة دوراً كبيراً في تحفيظ القرآن الكريم، ومحو الأميّة، ومن رحمة الله تعالى بالمرأة الإباضية أن قيض لها من يصلح حال التعليم في بني ميزاب؛ حتى تنال حظّها من التعلّم.

فمن بين النساء الرائدات مامة شيخة بنت إبراهيم، ولدت بغرداية، إذ كانت شغوفة بسماع المواعظ التي يلقيها العلماء والمشايخ في مساجد غرداية، تحصيلها العلمي الدّيني من خلال تلك المواعظ والدّروس، حتّى أصبحت العضد الذي لا يكن الاستغناء عنه في حلقة المرشّدات. وقد وهبها الله تعالى نضجاً في الفكر، وسداداً في الرّأي ممّا جعلها محلّ الاستشارة في العائلة، والمسجد والعشيرة.

واستطاعت أن تكسب لنفسها مكانة بين علماء عصرها، بفضل خزانة الكتب التي أضافتها في غرفة استقبال الضيوف العلماء، وقد كانت تغنيها بالتعاون مع زوجة القطب وابنته كلّما صدر كتاب جديد في السّاحة العلميّة. (3)

(1) يوسف بن بكير الحاج سعيد، تاريخ بني ميزاب، ص 243.

(2) محمد علي دّبوز حياة وآثار الشّيخ بيوض إبراهيم: عالم المعرفة-الجزائر، (د.ط) ص 18.

(3) بدرية بنت حمد الشّقصية: السيرة الرّكيّة للمرأة الإباضية، المطابع العالميّة روي-سلطنة عمان، ط1(1421هـ-2000م)، ص 197.

الفصل التمهيدي..... القصة القرآنية والمدرساة الإباضية

فتحت المرأة بيتها لتعليم النساء وتحفيظهن القرآن الكريم، ومن بين المدارس القرآنية التي وقفت عليها مدرسة زوجة الدكتور يحي بوتردين القرآنية بني يزجن، هذه المرأة التي خصصت وقتها وبيتها لتحفيظ الصغار والكبار من أبناء حيها القرآن الكريم، وأساسيات العلم والدين، ومحو الأمية عنهم.

2. الحياة الاجتماعية:

امتازت البيئة الاجتماعية في وادي ميزاب في العشرينات والثلاثينيات بالصراع المرير بين فئتين.

الفئة الأولى: وهي التي حملت مشعل الإصلاح في كافة مجالات الحياة، سواء الدينية أو العلمية أو التربوية، أو الاقتصادية، وهي التي قامت بإنشاء الجمعيات الخيرية لتجسيد ما تصبو إليه من إصلاح في الواقع، وبذلت جهدها لتصحيح العقيدة الإسلامية ووضعها في مسارها النبوي الصحيح، وحفظها من كل ما يضر بها من تقاليد وعادات فاسدة، ومحاربة الآفات الاجتماعية التي تفتشت في ميزاب تحت مظلة الاستعمار، وقد تزعم هذه الفئة الشيخ بيوض رحمه الله.

الفئة الثانية: كانت تناوى ما تقوم به الفئة الأولى من إصلاح على أساس أنه يمس بكرامة المسجد، وتصدوا بشراسة للمدارس العصرية، واعتبروها بدعة لا أساس لها من الدين، وحملوا عداء للشيخ بيوض⁽¹⁾، هذه يمثلها القواد وغيرهم، واعتبروا وقوفهم في وجه رواد الحركة الإصلاحية حماية للقيم والتقاليد التي ورثوها عن الأسلاف، وخوفا من الدوبان في قيم وتقاليد أجنبية دخيلة.⁽²⁾

3. الحياة الاقتصادية:

كان المعتمد الاقتصادي الأول للميزابيين هو الفلاحة، وزاولوا بعدها حرفة التجارة⁽³⁾ التي لا تزال إلى اليوم حرفة الكثيرين من سكان ميزاب.

وابتداءً من القرن الرابع هجري بدأت الملامح الاقتصادية تتطور وتتغير، فتوسّعوا في قرى كبيرة، وحفروا الآبار، واهتموا بزراعة التّخيل، وأصبحوا يهتمون بالصناعات المختلفة كصناعة الجبس، والخزف.⁽⁴⁾

(1) بدرية بنت حمد الشقصية: السيرة الزكية للمرأة الإباضية، ص 20.

(2) محمد لعاكر: جهاد الإمام الشيخ بيوض بين الإنصاف والإجحاف، المنتقى الأول لفكر الإمام الشيخ بيوض، ص 52.

(3) بيوض إبراهيم: حياة وأثار الشيخ محمد علي دبوز، ص 21.

(4) يوسف بن بكير الحاج سعيد: تاريخ بني ميزاب دراسة اجتماعية واقتصادية وسياسية، المطبعة العربية-غرداية ط4(2017م)، ص 28.

الفصل التمهيدي..... القصة القرآنية والمدرسة الإباضية

ومع التطور الحضاري، وزحف المدينة إلى الصحراء فقد تنوعت الحرف والمهن في ميزاب، غير أن مهنة التجارة تبقى المهنة المحببة والمهنة المنتشرة بكثرة عند المزابيين داخل ميزاب وخارجها.

الفرع الثالث: أصول المذهب الإباضي العقديّة.

للإباضية تسعة أصول عقديّة منها ما يتفق مع مذهب أهل السنّة والجماعة وبعض المذاهب الإسلامية، ومنها ما يخالفهم.

الأصل الأوّل: التوحيد

أي أنّ الله تعالى واحد في ذاته وصفاته، وأنّ ذات الله عز وجل وصفاته شيء واحد، ولا يشاركه فيه شيء، مع الإقرار بأن لا إله إلاّ الله وأنّ محمّدا رسول الله.

الأصل الثاني: الصّفات

يرى الإباضيّة أنّ صفات الله تعالى هي عين ذاته، لأنّ الله قديم وصفة القديم مثله في القدم، فإذا كانت شيئا غيره كان هناك قديمان أو أكثر، وهو تصوّر يتنافى مع أصل التوحيد عندهم، ولا يمكن اعتبار الصّفات مستقلة محدثة. (1)

فمثلا في قوله تعالى: "يد الله" يفسّرون اليد بالقوّة والمنعة وهناك من يفسّرها بالملك، ويمنعون تفسيرها بالمعنى الظاهري الذي يؤدّي إلى نسبة الجوارح إلى الله تعالى، والأمر نفسه بالنسبة لبقية آيات الصّفات، كقوله تعالى: ﴿وَأَصْنَعُ الْفَلَكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ (2). فهي هنا عندهم بمعنى الحفظ والعلم ولا يفيد معنى الجارحة.

الأصل الثالث: الإيمان

الإباضيّة يرون أنّ الدّين والإيمان والإسلام شيء أسماء لشيء واحد وفي مقدّمة التّوحيد لعمر بن جميع قواعد الإسلام أربعة وهي: العلم والعمل والنّيّة والورع.

فالإسلام عند الإباضية لا يصحّ إلاّ بهذه الأركان ولا يجوز الفصل بين القول والعمل. (3)

(1) بكير أعوش: دراسات في الأصول الإباضية، ص 47.

(2) هود: الآية 37.

(3) بكير بن سعيد أعوش: دراسات في الأصول الإباضية، ص 52، 53.

الأصل الرابع: نفي رؤية الله عز وجل

يعتقد الإباضية استحالة رؤية الله تعالى في الآخرة مستدلين على ذلك على الأدلة النقلية والعقلية، فمن أدلتهم قوله تعالى: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ﴾⁽¹⁾، وأما قوله تعالى: ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاصِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾⁽²⁾، فاعتبروا أنّ هذه الآية من المتشابهات يجب تأويلها لغويًا وعقليًا ويؤولونها على الرجاء وانتظار رحمة الله للدخول في الجنة، أما الأدلة العقلية فتمثلت في أنه لو أمكنت رؤية الله تعالى لكان جسمًا ومتحيزًا وموجودًا في مكان.⁽³⁾

الأصل الخامس: القدر

يعرّف الشيخ اطفيش القدر فيقول: "يجب الإيمان بالقدر وهو إيجاد الله الأجسام والأعراض، والقضاء وهو الحكم بها في الأزل، فهو صفة ذات أو إثباتها في اللوح فهو صفة فعل."⁽⁴⁾ وفي باب القدر مسألة خلق الأفعال يقول الشيخ: "لو كان الإنسان خالقًا لفعله لكان فاعلًا لما أراد، ولو كان خالقًا له لكان عالما بكيفيته وكميته وتفصيله قبل أن يخلقه، ولا يدخل الله في شيء من قوله: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾"⁽⁵⁾ لأنّ دخوله يستلزم الحدوث.⁽⁶⁾

الأصل السادس: الوعد والوعيد

الوعد والوعيد أو الثواب والعقاب، تعدّ من أصول العقائد الإباضية فهي مرتبطة بالعدل الإلهي الذي يعطي كلّ ذي حقّ حقه، ولا ينسب إليه الجور والظلم تعالى عن ذلك. وهذا الأصل يتعلّق بثواب المؤمن وعقاب العاصي إذا مات بغير توبة؛ فالإباضية يرون أنّ أهل الكبائر من المسلمين إذا ماتوا من دون توبة كانوا عصاة أو فاسقين، أو منافقين فهم مخلّدون في النّار دائما وأبدا، أمّا

(1) الأنعام: الآية 103.

(2) القيامة: الآية 22.

(3) بكير بن سعيد أعوش: دراسات في الأصول الإباضية، ص 54.

(4) محمد بن يوسف اطفيش: الذهب الخالص المنوه بالعلم القالص، مكتبة الضّامري-سلطنة عمان، (دط)، ص 40.

(5) الأنعام: الآية 101.

(6) بكير بن سعيد أعوش: دراسات في الأصول الإباضية، ص 63.

الفصل التمهيدي..... القصة القرآنية والمدرسة الإباضية

المؤمنون فهم مخلدون في الجنة، مستدلين بقوله تعالى: ﴿ وَمَنْ يَعِصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ ﴾ (1)

وفي آية أخرى يقول الله عز وجل: ﴿ وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا ﴾ (2)، فهذه الآية عند الإباضية نزلت في حق عصاة المسلمين وقد وعد الله هؤلاء بالخلود الأبدي في جهنم. (3)

الأصل السابع: الشفاعة

والشفاعة هي سؤال الخير للغير، وشرعا طلب تعجيل دخول الجنة، أو زيادة درجة فيها من الله عز وجل لعباده المؤمنين، فتكون للأنبياء وغيرهم.

ويرى الإباضية أنّ شفاعة النبي ﷺ لن تكون لمن مات وهو مصرّ على الكبائر، بل هي لمن مات على صغيرة. (4)

الأصل الثامن: خلق القرآن

يعتقد الإباضية أنّ القرآن الكريم كلام الله تعالى مخلوق له تعالى، لفظه وكلماته وسوره ومعناه، ومن أدلتهم على ذلك قوله تعالى: ﴿ وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنَ الرَّحْمَنِ مُحَدَّثٍ إِلَّا كَانُوا عَنْهُ مُعْرِضِينَ ﴾ (5)، وحدث الشيء في نظر الإباضية خلقه، وقوله أيضا: ﴿ وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا ﴾ (6)

الأصل التاسع: لا منزلة بين المنزلتين

منزلة بين المنزلتين هي منزلة بين الإيمان والكفر، فالإباضية يقسمون الناس إلى ثلاث أصناف: مؤمن وكافر

(1) النساء: الآية 14.

(2) النساء الآية 93.

(3) بكير بن سعيد أعوش: دراسات في الأصول الإباضية، ص 75، 76.

(4) المرجع نفسه، ص 80.

(5) الشعراء: الآية 05.

(6) طه: الآية 113.

الفصل التمهيدي القصة القرآنية والمدرسة الإباضية

وما بينهما يعبرون له باسم منزلة بين المنزلتين، أي بين الإيمان والكفر، كما يسمونها منزلة النفاق. (1) واستدلوا

على ذلك بقوله تعالى: ﴿مُذَبِّبِينَ بَيْنَ ذَلِكَ لَا إِلَى هَؤُلَاءِ وَلَا إِلَى هَؤُلَاءِ وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَلَنْ

تَجِدَ لَهُ سَبِيلًا ﴿١٤٣﴾ (2)

أي: لا إلى المشركين في الحكم ولا إلى المؤمنين في الاسم والثواب. (3)

والكفر عند الإباضية قسمان:

كفر نعمة ونفاق: كمرتكب الكبيرة، وهو لا يخرج صاحبه عن ملة الإسلام.

وكفر شرك وجحود، ويتمثل في الذي يجحد آيات الله تعالى ورسوله محمد ﷺ وفي هذه الحالة يعدّ

خارجا عن ملة الإسلام. (4)

وقد اختلف الإباضية في هذه العقائد مع أهل السنة والجماعة خاصة فيما يتعلق بالأسماء والصفات ومسألة خلق القرآن، وأيضا تعريفهم للإيمان، ولا أريد هنا أن أقارن وأنتقد، لأنّ الفصل سيطول، لكن سأبيّن نقاط الاختلاف بين المذهبين في بعض المسائل العقدية التي تطرّق إليها المفسّرون الثلاثة التي شمل البحث تفاسيرهم (تفسير الشيخ اطفيش، وتفسير الشيخ بيوض، وتفسير الشيخ كعباش) في الفصول الخاصة بهم.

المطلب الثالث: التفسير عند الإباضية

يعتبر القرآن الكريم أول المصادر التشريعية عند كلّ مذهب من المذاهب الإسلامية، والإباضية مذهب إسلامي مصدره الأول القرآن الكريم، ثمّ يأتي بعده السنة والإجماع والقياس، ولقد أولى علماء الإباضية ودعاتهم في العصر الحديث خاصّة عناية بالغة بالقرآن الكريم حفظا وتحفيظا، ودراسة وتدرّسا وتفسيرا، وأهمّ ما يميّز نشاطهم في هذا العصر عن نشاطهم في هذا المجال في القديم هو التسجيل والتوثيق والتدوين.

(1) مصطفى و نتن: آراء الشيخ محمد بن يوسف اطفيش العقدية، جمعية التراث-القرارة-الجزائر، ط (1998 م) ص 314.

(2) النساء: الآية 143.

(3) بكير بن سعيد أعوش: دراسات إسلامية في الأصول الإباضية، ص 89.

(4) المرجع نفسه، ص 94.

الفرع الأول: عناية الإباضية بالقرآن الكريم وحفظه وتحفيظه

يهتم الميزابيون عامة وإباضيتهم خاصة بحفظ القرآن الكريم كل الاعتناء وسخروا لتعليم القرآن وعلومه كل المؤسسات التعليمية المنتشرة في مختلف مناطق ميزاب؛ كالكتاتيب ودار التلاميذ، ومختلف المدارس العربية العصرية⁽¹⁾ فاهتموا بتحفيظ الناشئة القرآن الكريم، كما أدرجت مادة حفظ القرآن الكريم في مقرراتهم التعليمية.

الفرع الثاني: حركة التأليف في التفسير عند الإباضية

مما يلاحظ عن التأليف في التفسير عند الإباضية وجود تباين بين التأليف في القديم والعصر المعاصر، وهذا يرجع إلى عدة عوامل وعدة أسباب أثرت على قلته في بداية ظهور المذهب، وساهمت في تطوره وازدهاره في العصر الحالي.

أولاً: الأسباب التي أدت إلى قلة التأليف في التفسير عند الإباضية قديماً:

تميّز الإنتاج التفسيري للإباضية بالقلّة في بداية ظهور المذهب، فكتبهم في التفسير محصورة العدد، وجلبها مفقودة وترجع أسباب قلته إلى الأسباب الآتية:

- كان أغلب أسلافهم من عرب البادية من قبائل بني تميم ممن قلت فيهم القراءة والكتابة.
- كانوا يخشون الكذب والوضع في التفسير والحديث مما زهدهم في التأليف والكتابة.
- كانوا في بداية أمرهم يذودون عن آرائهم بالقوة والسلاح بدل الحجّة والبرهان على خلاف المعتزلة والمرجئة⁽²⁾.
- ويضيف الأستاذ إبراهيم بكير بحاز سبباً آخر وهو أنّ سبب قلة التأليف في هذا العلم لدى الإباضية الرستميّين يعود إلى طريقة التفسير الشفاهي الذي عادة ما يسلكه علماءهم في حلقات المساجد في شكل ترجمة شفوية لألفاظ القرآن الكريم وآياته إلى البربرية التي يفهمها السواد الأعظم من الناس⁽³⁾ وهذا سبب وجيه جداً، فلقد ضاع قرابة نصف تفسير الشيخ بيّوض رحمته الله وأصبح مفقوداً وكنا سنفقد كلاً لولا أنّ الله سخر له من يعنى بكتابته ونقله من المسموع إلى المقروء.

(1) محمد علي دبور: نخضة الجزائر الحديثة، ج1، ص 214.

(2) محمد حسين الذهبي: التفسير والمفسرون، ج2، ص 233.

(3) يحيى بوتردين: الشيخ محمد بن يوسف اطفيش ومنهجه في تفسير القرآن الكريم بالمقارنة إلى أهل السنّة، رسالة ماجستير، كلية آداب

جامعة عين شمس (1410هـ-1989م)، ص 154.

الفصل التمهيدي..... القصة القرآنية والمدرسة الإباضية

واعتبر الدكتور يحيى بوتردين بعضا من هذه الأسباب أسبابا غير موضوعية، وردّ عليها في رسالته التي تحمل عنوان: "الشيخ محمد بن يوسف اطفيش ومنهجه في تفسير القرآن الكريم بالمقارنة إلى أهل السنّة" وأكّد على الأسباب التي ذكرها الشيخ إبراهيم بخّاز.

- وهناك سبب رابع يراه الإباضية رئيسا وهو اندثار الكثير من تراثهم واختفائه نتيجة الثورات المتتالية ضدهم، فلقد أتلفت وضاعت العديد من المؤلفات من بينها التّفسير في الكارثة الحضاريّة التي راح ضحيّتها آلاف المجلّدات حرقا حين دخلت جيوش أبي عبد الله الشّيعي مدينة تيهرت وأحرقت مكتبتها سنة 297هـ. (1)
- كثرة تنقّلات أئمتهم وكتمان أمرهم.
- ضف إلى ذلك نجد تراثهم لا يطبع إلا بجهودهم الفرديّة أو تتبناه بعض المكتبات التابعة للإباضية كجمعية التراث، أو سلطنة عمان باعتبارها دولة إباضية المذهب، بخلاف تراث المذاهب الأخرى التي تتبناها الدّول والأنظمة القائمة في البلاد العربية والإسلامية، وإلا فإن إنتاجهم العلمي يساوي أو يزيد عما هو موجود عند غيرهم كما يرون. (2)

- أنّ علماء المشاركة كانوا يتورّعون كثيرا عن تفسير القرآن الكريم مع علمهم الغزير واطلاعهم الواسع، ولم يكن لهم تفسيرا كاملا للقرآن الكريم. (3)
- للأسف كانت هذه الأسباب وغيرها، سببا في اندثار مكتبة التّفسير عند الإباضية في القديم، ولاشكّ أنّها كانت زاخرة، ولو بقيت لأثرت مكتبة التّفسير الإباضية.

ثانيا: أسباب اهتمام الإباضية بالتّفسير في هذا العصر

إنّ المتأمل لواقع التّفسير اليوم عند الإباضية يجد تطوّرا سريعا واهتماما كبيرا بالتّفسير بعكس ما كان عليه في القديم، فنجد اليوم إقبالا كبيرا من المشايخ والأساتذة الإباضيين على تفسير القرآن الكريم، حتى إنّك لتجد في البلدة الواحدة أكثر من مفسّر، ولعلّ جهودهم هذه ستثري المكتبة الإباضية في مجال التّفسير.

(1) أحمد بن سعيد الدرجيني: طبقات المشايخ، ج 1، ص 94.

(2) محمد حسين الذهبي: التّفسير والمفسرون، ج 2، ص 234.

(3) سعيد بن أحمد الكندي: التّفسير الميسر للقرآن الكريم، تحقيق، مصطفى بن محمد شريقي ومحمد بن موسى بابا عمي، ط1 (1418هـ-1998م) ج 1، ص 09.

الفصل التمهيدي..... القصة القرآنية والمدرسة الإباضية

ومن بين الأسباب التي أرى أنّها ساهمت في تطوّل التفسير عند الإباضية ما يلي:

- حاجة المدرسة الإباضية إلى تفسير مذهبي لأنّ معظم التفسير القديمة إما مفقودة وإما غير شاملة لكلّ سور القرآن الكريم.

- التّأليف في التّفسير ليس غاية، وإنّما هو نتيجة لالتزام الإباضية في مختلف المساجد في بني ميزاب وخارجها بتقديم دروس شفهيّة في التّفسير، فجهودهم هذه تكلّل في النّهاية وتصبح مؤلّفًا لصاحبه. ولعلّ هذا هو السّبب المباشر الذي جعل الكثير من الأساتذة والمشايخ الإباضيين يلجئون عن طريقه إلى تفسير كتاب ربّ العالمين.

ثالثًا: أبرز المؤلّفات في التّفسير عند الإباضية في القديم والحديث:

من خلال تتبّع مؤلّفات الإباضية في التّفسير - على قلّتها - صنّفتها إلى تفاسير مفقودة، ورد ذكرها في بطون الكتب، وتفسير مؤلّفة مطبوعة منها الشّامل لجميع سور القرآن، ومنها ما استغرق آيات فقط من القرآن الكريم:

أ: تفاسير مفقودة:

اجتهد الكثير من الدّارسين في التّنقيب عن جهود الإباضية في التفسير في القديم، وبرغم من أنّ كتبهم في القديم جلّها مفقودة إلا أنّهم استطاعوا إحصاء بعضها مما وجد مكتوبا في بطون الكتب:

1. تفسير جابر بن زيد أبي الشعثاء (ت 93هـ): ذكرت المصادر علمه بكتاب الله تعالى، ورّكاه الصّحابي عبد الله بن عبّاس فقال: " لو نزل أهل البصرة عند قول جابر بن زيد لأوسعهم عما في كتاب الله علما"⁽¹⁾، وقال ابن حبان: " كان من علماء التّابعين بالقرآن، وفقهاء أهل البصرة في الدّين"⁽²⁾

2. تفسير الخمسمائة آية في الحلال والحرام: لأبي المؤثر الصّلت بن خميس الخروصي البهلوي (ت 278هـ)، كان ضريرا وكان من أجلّ فقهاء الإباضية بعمان، قتل في وقعة العشب، حمل العلم عن محمد بن محبوب بن الرّحيل، ونبهان بن عثمان وغيرهما، له أجوبة وفتاوى كثيرة تزخر بها كتب الفقه والتّاريخ، وتفسير آيات الأحكام.⁽³⁾

(1) محمد بن سعد: الطبقات الكبرى، تحقيق محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلميّة بيروت، ط1(1410)، ج7، ص133.

(2) محمد ابن حبان: مشاهير علماء الأمصار، وأعلام فقهاء الأقطار، دار الوفاء-المنصورة، ط (1411هـ-1991م)، ص144.

(3) نور الدّين السّالمي: تحفة الأعيان بسيرة أهل عمان، مطبعة الشّباب، القاهرة ط2(1350هـ)، ج1، ص124.

الفصل التمهيدي..... القصة القرآنية والمدرسة الإباضية

3. تفسير عبد الرحمن بن رستم الفارسي (ت 171هـ): وهو مفقود، يقول أحمد الخليلي: " وهو الإمام

عبد الرحمن بن رستم الفارسي، الذي اشتهر في تراجمه أنه فسّر القرآن كله، ولكنّ تفسيره لم يعثر عليه في زماننا، ويعتبر تفسيره من التّفسير التي ألّفت في وقت مبكّر من تاريخ الإنتاج العلمي في الإسلام." (1)

4. تفسير محمد بن يانس التّفوسي (ت في النّصف الأول من القرن الثالث هجري):

صنّفته المصادر ضمن الطبقة الخامسة (200هـ-250هـ/815م-864م)، وهو أحد أعلام جبل نفوسة، أخذ العلم عن عاصم السّدراتي.

من مشهور أعماله أنّه رشّحته نفوسة، لمواجهة الواصليّة المعتزلة بتيهت، اشتهر بمعرفته العميقة لمعاني القرآن الكريم، إذ يقول عن نفسه: " أخذت تفسير القرآن كله من التّفات، وتعلّمته عنهم إلّا حرفاً أو حرفين"، وفسّر القرآن الكريم شفويّاً. (2)

ولا تذكر المصادر عنه تأليفاً، ولكنها تؤكّد على علمه بالقرآن وعلومه.

5. تفسير أبو يعقوب يوسف الوارجلاني (ت 570هـ):

5.1. نبذة عن الشّيخ يوسف الوارجلاني:

هو يوسف بن إبراهيم بن مناد السّدراتي الوارجلاني أبو يعقوب، ولد (500 هـ-1105م) بسدراتة من قرى وارجلان، ولا تذكر المصادر سنة ميلاده بالتحديد، فقد جعله الدّرجيني ضمن الطبقة الثانية عشر (550هـ-600هـ / 1155م-1203م) (3)، وذلك اعتباراً لفترة وفاته، من أشهر علماء الإباضية بالمغرب ترك بصمات بارزة في التراث الإباضي خصوصاً والمكتبة الإسلامية عموماً، رحل إلى قرطبة وأقام بها سنين عديدة؛ أخذ منها مختلف العلوم التّقليّة والعقليّة، كما رحل إلى الحجاز لأداء فريضة الحج حيث استفاد من علمائها ومراكزها العلميّة.

ومن شيوخه أبو سليمان أيّوب بن إسماعيل (ت 524هـ-1129م)، أبو زكرياء يحيى ابن زكرياء. (4) إضافة إلى تفسير القرآن الكريم ترك أبو يعقوب الوارجلاني تراثاً علمياً كبيراً لكنّ معظمه مفقود ومن مؤلّفاته:

(1) أحمد بن حمد الخليلي: جواهر التفسير أنوار من بيان التنزيل، مكتبة الاستقامة-سلطنة عمان، ط1 (1404هـ-1984م) ج1، ص

35.

(2) محمد بن موسى بابا عمي، إبراهيم بن بكير بحاز وآخرون: معجم أعلام الإباضية، ج2، ص 395.

(3) أحمد بن سعيد الدّرجيني: طبقات المشايخ في المغرب، ج1، ص 491.

(4) المرجع نفسه، ج2، ص 482.

الفصل التمهيدي..... القصة القرآنية والمدرسة الإباضية

- الدليل والبرهان لأهل العقول: ومعظمه في أصول الدين وعلم الكلام. (مطبوع)
- العدل والإنصاف في أصول الفقه والاختلاف (مطبوع)
- مرج البحرين في علم المنطق.
- ترتيب مسند الربيع بن حبيب.
- رسالة في تراجم رجال المسند (اعتبرت النسخة مفقود ثم عثرت جمعية التراث في إطار مشروعها دليل المخطوطات وادي ميزاب على قسم منها بمكتبة آل يدّر ببني يسجن).
- فتوح المغرب في بلاد المغرب (مفقود ويقال أنّ بعض أجزائه توجد في بعض خزائن ألمانيا).
- أجوبة فقهية ورسائل متنوّعة.
- شرح سير محبوب بن الرّحيل في تاريخ الإباضية بالمشرق (مفقود).
- وله ديوان شعر لم يبق منه إلا قصيدة في رثاء شيخه أيّوب بن إسماعيل دوّنها الدرّجيني في طبقاته (1)

5.ب: التعريف بتفسير " يوسف الوارجلاني "

تفسيره مفقود، وذكرت المصادر أنّه يقع في سبعين جزءاً، رأى البرّادي منه تفسير سورتي البقرة وآل عمران في حوالي سبعمائة ورقة. (2)

ومن خلال تراجم هؤلاء العلماء، رأينا جهدهم الكبير في تحصيل العلم، فقد كانوا يرتحلون من أجل العلم والمعرفة مع صعوبة التنقل، ونرى كذلك اهتمامهم بالكتابة والتأليف في مختلف العلوم مع قلة أدواتها وبساطتها وتأسّف أن فقدت مثل هذه تفاسير لهؤلاء العلماء فلو بقيت لكانت زادا معرفياً مهمّاً للإباضيين وغيرهم لقرب هؤلاء من العصور الذهبية المباركة.

ب: تفاسير متوفرة منها المخطوط والمطبوع:

هناك من التفاسير الإباضية التي وصلت إلى هذا العصر على شكل مخطوطات حفظت، واجتهد العلماء في تحقيقها وطبعها ومن هذه التفاسير:

(1) محمد بن موسى بابا عمي، إبراهيم بن بكير بحاز وآخرون: معجم أعلام الإباضية، ج2، ص 481-483.

(2) المرجع نفسه، ج2، ص 482.

1- " تفسير الكتاب العزيز " لهُود بن محمّد الهواري (من علماء القرن الثالث هجري):

أ. نبذة عن هود بن محمّد الهواري:

هو هود بن محمّد بن هود الهواري من قبيلة هَوّارة من قبائل البرانس البربرية. وهو من علماء ومفسري القرن الثالث هجري، لم تحدد الكتب تاريخ ميلاده أو وفاته لكن محقق الكتاب قدّر أن يكون ميلاده في العقد الأول أو الثاني من القرن الثالث هجري، عاش في كنف والده القاضي محمّد الهواري في جبال الأوراس، وبعد من الطبقة السادسة من طبقة العلماء عن الإباضية. (1)

وقد نشأ في بيت علم وحكمة وشهرة، فكان أبوه محمّد الهواري من كبار القضاة في الدولة الرّستمية التي كانت يومئذ في أوج قوتها، وقد نقل عن سكان الأوراس أنّهم قالوا: "تدافعنا هذا الأمر فيما بيننا فلم نرتض أحداً منّا، وقد ارتضينا جميعاً بمحمّد الهواري الساكن بجبل الأوراس لخاصتنا وعامتنا، وديننا ودينانا" (2)، فكان قاضياً عدلاً تقيّاً ورعاً، قويا في دينه، متيناً في أخلاقه، يجهر بالحق ولا يخاف لومة لائم. (3) ففي ظل هذا الوالد العالم، والقاضي الحازم، نشأ الإمام هود بن محمّد وترعرع، وأخذ علومه الأولى في موطنه أوراس، ثم لا يستبعد أن يكون قد خرج في طلب العلم بأقرب المراكز العلمية يومئذ لموطنه، وحيث كانت القيروان هي قبلة طلاب العلم والعلماء بإفريقيا من مختلف المذاهب والمشارب، وذلك أنّ مدينة القيروان يومئذ كانت تحتضن عدداً من فقهاء الإباضية وعلمائهم ومشايخهم (4)، كما لا يستبعد أن يكون قد شدّ رحاله أيضاً إلى مدينة تيهرت، وهي المركز الثاني الذي ازدهرت فيه الحياة العلمية في عصر هود بن محمّد، أيام الدولة الرّستمية.

وأما عن سنة وفاته فلم تذكر بالتحديد في أي مصدر. ويقدر المحقق أنّها كانت في العقد الثامن أو التاسع من القرن الثالث هجري، أي حوالي سنة ثمانين ومائتين فإنّ كل من ذكره من المؤرّخين وكتّاب السير يؤكّد أنّه من علماء الطبقة السادسة 250-300 هـ. (5)

(1) هود بن محمّد الهواري: تفسير الكتاب العزيز، تحقيق بالحاج بن سعيد شريفي، دار الغرب الإسلامي بيروت لبنان، ج1، ص 8.

(2) ابن الصغير: أخبار الأئمة الرّستميين، تحقيق محمد ناصر وإبراهيم بحاز، دار الغرب الإسلامي-بيروت ط(1986) ص 49.

(3) المرجع نفسه: ص 50.

(4) ينظر هود بن محمّد الهواري: تفسير الكتاب العزيز، ج1، ص 15.

(5) بالحاج بن سعيد شريفي: مقدمة تفسير كتاب الله العزيز، ج1، ص 22.

الفصل التمهيدي القصة القرآنية والمدرسة الإباضية

ب. التعريف بتفسير هود بن محكم وقصة التفسير:

اختلفت المصادر في نسبة هذا الكتاب إلى صاحبه فلم يشر إليه من عاصر الشيخ هود بن محكم وهما: ابن سلام اللواتي وابن الصغير فلم يذكر التفسير ولا مؤلفه، غير أنّ أقدم مصدر أشار إلى هذا التفسير هو كتاب " السيرة وأخبار الأئمة لأبي زكرياء " وأكّد المحقق هذا الكلام، وأورده الدرّجيني في طبقات المشايخ الذي فصلّ في الخبر الذي رواه أبو زكرياء؛ الذي أفاد أنّ راوي الخبر هو أبو الربيع بن سليمان بن يخلف المزاتي المتوفى سنة 471هـ / 1074، وهو شيخ أبي زكرياء.

كما تعدّدت الروايات في نسبة هذا الكتاب إلى صاحبه وعلاقته بتفسير يحيى بن سلام وتفسير محمد بن أبي زمنين وقد توصل المحقق بعد دراسة مدقّقة ومعتمّقة في مخطوطات التفسيرين إلى: " أنّ الشيخ هود بن محكم اعتمد اعتمادا كثيرا، إن لم أقل اعتمادا كلياً على تفسير ابن سلام البصري ولو جاز لي أن أضع للكتاب عنوانا غير الذي وجدته في المخطوطات كان العنوان هكذا: " تفسير هود بن محكم الهواريّ مختصر تفسير ابن سلام البصريّ. " لأنّ تفسير ابن سلام أصل لتفسير الشيخ هود الهواري ما في ذلك شكّ وهذا عين الحقيقة والصواب. " (1)

والتفسير مطبوع في ثلاثة أجزاء.

4. الدّراية وكنز الغناية في منتهى الغاية وبلوغ الكفاية في تفسير الخمسمائة آية: للشيخ محمّد بن الحواري القرّي (توفي في القرن 4 هـ).

أ. نبذة عن الشيخ الحواري:

هو الشيخ محمّد بن الحواري العماني الإباضي من علماء عمان، ومن مفسّري الإباضية الذين وصلت كتبهم إلينا، عاش في القرنين الثالث والرّابع الهجريين، وأصله من بلدة تنوف وهي بلدة تقع بين نزوى والجبل الأخضر من سلطنة عمان، واشتهر بالعلم والورع، وكان مرجعا للعمانيين في عصره (2)، يعدّ من المفسّرين الذين عنوا بتفسير آيات الأحكام الفقهيّة وحدها، حيث فسّر خمسمائة آية من القرآن الكريم تدور حول الأحكام الفقهيّة. (3)

(1) الحاج بن سعيد شريفي: مقدمة تفسير كتاب الله العزيز، ج 1، ص 27.

(2) محمد محمد زناتي عبد الرحمن: مقدّمة كتاب الدّراية وكنز الغناية ومنتهى الغاية في تفسير خمسمائة آية، لأبي الحواري محمد بن الحواري، ط (1411هـ - 1991م)، ج 1، ص 12

(3) أحمد الخليلي مقدّمة كتاب الدّراية وكنز الغناية ومنتهى الغاية في تفسير خمسمائة آية، لأبي الحواري محمد بن الحواري، ج 1، ص 04.

الفصل التمهيدي..... القصة القرآنية والمدرسة الإباضية

تلقى الشيخ العلم على يد كبار علماء نزوى الأجلاء واستفاد منهم ومن هؤلاء العلماء الذين استفاد الشيخ منهم ودرس على أيديهم العلامة محمد بن جعفر صاحب كتاب جامع بن جعفر، والعلامة نبهان بن عثمان، العلامة أبو المؤثر الصلت بن خميس الخزوصي، العلامة محمد بن محبوب، العلامة سعيد بن محرز رحمة الله عليهم جميعاً. (1)

ب. التعريف بتفسير " الدرّاية وكنز الغناية في منتهى الغاية وبلوغ الكفاية في تفسير الخمسمائة آية"

هذا الكتاب يقع في جزئين متوسطي الحجم، تحقيق الدكتور زناقي عبد الرحمن، صدرت الطبعة الأولى منه سنة 1411هـ / 1991م عن مطابع النهضة سلطنة عمان، وحقّق مرّة أخرى من طرف الدكتور عوجان وطبع طبعة أولى سنة 1994م. (2)

5. تفاسير محمد بن يوسف اطفيش (ت 1332هـ - 1914م): وسنعرّف به في الفصل الخاص بدراسة منهجه في القصة.

وقد ألف الشيخ ثلاثة تفاسير وهي: هيمان الزّاد إلى دار المعاد، وداعي العمل ليوم الأمل، وتيسير التّفسير.

6. هيمان الزّاد إلى دار المعاد:

يعتبر هذا التّفسير المرجع المهمّ في تفسير القرآن عند الإباضية، ذكر الشيخ اطفيش في مقدّمته أنه لم يحاكي أحداً من قبله من المفسرين، وأنه اعتمد على كلام الله وما اتضح له بفكره، غير أنّ الذّهبي ومن درس تفسيره وجد أنّه اعتمد على كتب من سبقه من المفسرين على اختلاف نحلهم ومشاربهم، وقد عاب عليه ممّن عاصره من علماء الإباضية وانتقدوه على ما ملأ به تفسيره بما هبّ ودبّ من الأخبار والمرويّات الإسرائيلية، وإطالته في ذكر تفاصيل الغزوات التي كانت على عهد رسول الله ﷺ، وتفسيره للآيات بحسب مذهبه ويجعلها دليلاً عليه، ويلوي أعناق الآيات التي تخالف مذهبه صراحة⁽³⁾. ويرجع هذا إلى تأليفه ولا يزال في السادسة عشر من عمره، وقد أمّاه وعمره خمس وعشرون سنة. (4)

(1) محمد محمد زناقي عبد الرحمن: مقدّمة كتاب الدرّاية وكنز الغناية ومنتهى الغاية في تفسير خمسمائة آية، لأبي الحواري محمد بن الحواري، ج1، ص 13.

(2) المرجع نفسه، ج1، ص 08.

(3) محمد حسين الذّهبي: التّفسير والمفسرون، ج2، ص 237.

(4) تسجيل فيديو للدكتور يحي بوتردين حول تفسير هيمان الزّاد على youtube.

7. داعي العمل ليوم الأمل:

أما تفسير داعي العمل ليوم الأمل، فلم يتمه مؤلفه، لأنّه عزم على أن يجعله في اثنين وثلاثين جزءاً، ثم عدل عن عزمه هذا، واشتغل بتفسير هميان الزاد إلى دار المعاد. (1)

8 . تيسير التفسير:

هذا التفسير هو آخر تفاسير الشيخ، وهو تسهيل وتيسير لما كان قد كتبه من التفاسير، وهو شامل لجميع سور القرآن الكريم، وذكر سبب تأليفه له إذ يقول في مقدمة تفسيره: "فإنّه لما تقاصرت المهم عن أن تهيم بهميان الزاد إلى دار المعاد الذي ألفته في صغر السنّ، وتكاسلوا عن تفسيري داعي العمل ليوم الأمل، أنشطت همتي إلى تفسير يغتبط ولا يمل، فإن شاء الله قبله بفضله وأتمه قبل الأجل." (2) وسوف نبين بإذن الله منهج الشيخ فيه في الفصل الخاص به.

7. التفسير الميسر للقرآن الكريم، سعيد بن أحمد بن سعيد الكندي (ت 1207 هـ):

أ. نبذة عن الشيخ سعيد بن أحمد الكندي

هو الشيخ سعيد بن أحمد بن سعيد بن أحمد بن محمد بن سليمان الكندي النزوي، يتصل نسبه إلى أسرة عريقة بالعلم منها العلامة الكبير الشيخ محمد بن إبراهيم الكندي الذي ألف كتاب "بيان الشّرع" في اثنين وسبعين مجلداً ويعتبر هذا الكتاب مرجعاً علمياً في الفقه الإباضي، ولد في القرن الثاني عشر هجري بمدينة نزوى.

من شيوخه: الشيخ سعيد بن بشير الصّبحي. الشيخ حبيب بن سالم البوسعيدي. (3) توفي رَحِمَهُ اللهُ سنة 1207 هـ عن عمر يناهز الثمانين عاماً. (4)

ب. تعريف تفسير " التفسير الميسر للقرآن الكريم لسعيد بن أحمد الكندي "

أصل الكتاب مخطوط قام بتحقيقه مصطفى بن محمد شريقي ومحمد بن موسى بابا عمّي (من جمعيّة التراث بالقرارة)، طبع الكتاب طبعة واحدة: سنة 1418هـ - 1998هـ. ويقع في ثلاثة أجزاء متوسطة الشكل، ولون الغلاف أخضر.

(1) محمد حسين الذهبي: التفسير والمفسرون، ج2، ص 233.

(2) محمد بن يوسف اطفيش: تيسير التفسير، تحقيق إبراهيم طّلاي، وزارة التراث والثقافة- سلطنة عمان ط1(1425هـ/ 2004م) ج1، ص 07.

(3) محمد بن أحمد سعيد البوسعيدي: مقدمة التفسير الميسر للقرآن الكريم، ج1، ص 13.

(4) عبد الله سيف بن محمد الكندي ويوسف بن إبراهيم بن سيف الكندي: مقدمة التفسير الميسر، ج1، ص 16.

الفصل التمهيدي..... القصة القرآنية والمدرسة الإباضية

يعتبر هذا التفسير أول تفسير كامل للقرآن الكريم لمؤلف عماني، وسبب تأليفه لهذا التفسير أنه تنبّه إلى عدم وجود تفسير للمذهب الإباضي فحاول أن يسدّ هذه الثغرة عند علماء المشاركة فبادر إلى تأليف تفسيره هذا.

وهو تفسير ليس بالمطوّل المملّ ولا بالمختصر المخلّ، تحرّى فيه دقّة التعبير وبساطة الأسلوب، وتسهيل فهم المعاني بلغة سهلة وأسلوب رصين، جمع فيه بين التفسير العقلي والتقلي، مستعينا بأسباب النزول. (1)

8. لصالح بن عمر داود لعلّي (1287هـ-1347هـ)

أ. التعريف بالمفسر صالح بن عمر داود لعلّي:

الشيخ صالح بن عمر بن داود بن صالح بن إبراهيم لعلّي من أجلة علماء إباضية الجزائر الذين قادوا مسيرة الإصلاح الاجتماعي والديني في بداية القرن العشرين، ولد في بني يسجن في شهر رمضان المبارك سنة 1287هـ الموافق لـ: 1870 م، وتوفيّ يوم السبت 27 ربيع الثاني 1347هـ الموافق لـ 13 أكتوبر 1928م (2) وكان لوفاته أثر كبير في وادي ميزاب. (3)

كانت نشأته ودراسته ببني يزجن ولم يخرج منها إلا لأداء فريضة الحج، حيث التقى في رحلته بعلماء، حيث اجتمع خلالها بعلماء مصر والحجاز. (4)

ب. مؤلّفات صالح بن عمر داود لعلّي:

إضافة إلى تفسيره "القول الوجيز في تفسير كلام الله العزيز للشيخ مؤلّفات أخرى وحواشي على بعض الكتب منها:

- كتاب خلاصة المراقي في معرفة مبادئ الإسلام، وهو عبارة عن منظومة طويلة في العقيدة والفقّه.
- رسالة في الصّوم والإفطار.
- حاشية على كتاب النيل في الفقّه للشيخ عبد العزيز الثميني.
- حاشية على كتاب الإيضاح للشيخ عامر الشماخي.
- حاشية على كتاب القواعد للشيخ إسماعيل الجيطالي.

(1) محمد بن أحمد بن سعيد البوسعيدي: مقدمة التفسير الميسر للقرآن الكريم، ج1، ص 09.

(2) محمد بن موسى بابا عمي، إبراهيم بن بكير مجاز وآخرون: معجم أعلام الإباضية، ج2، ص 229.

(3) المرجع نفسه، ص 230.

(4) يحيى بوتردين: الشيخ محمد بن يوسف اطفيش ومنهجه في تفسير القرآن الكريم بالمقارنة إلى أهل السنّة، ص 160.

الفصل التمهيدي..... القصة القرآنية والمدرسة الإباضية

- حاشية على كتاب الوضع للشيخ أبي زكرياء الجناوني.
- أجوبة وفتاوى وقصائد شعرية متفرقة. (1)

جلّ هذه المؤلفات لا تزال مخطوطة في مكتبته ببني يزجن.

أ. التعريف بتفسير الشيخ صالح بن داود لعلّي: "القول الوجيز في تفسير كلام الله العزيز":

تفسير الشيخ لعلّي يقع في مجلد واحد ضخّم فسّر فيه جزئين من القرآن الكريم، بدأ من فاتحة الكتاب إلى الآية 182 من سورة البقرة قوله تعالى:

﴿فَمَنْ خَافَ مِنْ مَوْصٍ جَنَفًا أَوْ إِثْمًا فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (2)

ويقع المخطوط في ثلاثمائة وواحد وثلاثين ورقة، نسخه أحد تلاميذ المؤلف وهو الشيخ بكير بن الحاج، وهو موجود بمكتبة الشيخ لعلّي ببني يسجن.

وسبب تأليف للتفسير ذكره المؤلف في الورقة الأولى من المخطوط فقال: "فلما كان التفسير أعزّ ما يقتنى وأجلّ ما به يُهتَمُّ ويُعتنى، إذ به ثمرات القرآن تُجتنى وسائر العلوم عليه يُتوقّف ويُتتى، رأيت أن أسعف من مازال يُلحّ عليّ من أفاضل الإخوان في وضع كتاب تفسير القرآن من مجموع كتب أصحابنا ذوي النباهة والعرفان... والله أسأل العون والتّوفيق والهداية إلى أقوم الطريق... وقد سمّيته القول الوجيز في تفسير كتاب الله العزيز." (3)

9. "اليمن والبركة في تفسير الهدى والرّحمة" لمحمّد بن سليمان بن صالح اليسجني الميزابي بن ادريسو (1246هـ-1831م)

أ.نبذة عن الشيخ ابن دريسو:

هو محمّد بن سليمان بن صالح بن إبراهيم ابن دريسو اليسجني ولد ببني يسجن ميزاب جنوب الجزائر سنة 1246هـ الموافق لسنة 1831م، ونشأ بها، لم تمنعه إصابته بالعمى من الاستزادة من العلم والتّفوّق فيه، ناصر

(1) محمد بن موسى بابا عمي، إبراهيم بن بكير مجاز وآخرون: معجم أعلام الإباضية، ج2، 230.

(2) البقرة: الآية 182.

(3) لعلّي الحاج صالح بن عمر: القول الوجيز في تفسير كتاب الله العزيز، الورقة الأولى نقلا عن يحي صالح بوتردين، ص 161.

الفصل التمهيدي..... القصة القرآنية والمدرسية الإباضية

الحركة الإصلاحية وساند الشيخ محمد بن يوسف اطفيش وحارب البدع والفساد، وكان ذلك سبب في نفيه مع الشيخ اطفيش إلى بنورة⁽¹⁾ حيث فتح بها معهدا للعلم الشرعي. توفي ببني يسجن يوم 12 جمادى الثانية 1313هـ الموافق لـ 1896م وقيل سنة 1298هـ الموافق لـ 1881م.⁽²⁾

ب. شيوخ ابن دريسو:

الحاج سعيد بن يوسف ونتن⁽³⁾، عمر بن صالح عمي سعيد، محمد بن عيسى أزار⁽⁴⁾، عمر بن سليمان⁽⁵⁾، الحاج سليمان بن عيسى⁽⁶⁾، والشيخ محمد بن يوسف اطفيش.⁽⁷⁾

ج. مؤلفات الشيخ ابن دريسو:

- تفسير القرآن الكريم: "اليمن والبركة".
- الذهب الخالص وهو مختصر لكتابي الطهارات والصلاة من ديوان الأشياخ.
- شرح نويّ أبي نصر في العقيدة.
- شح ألفية ابن مالك.
- الفرات في إيضاح هديّة الإخوان في الميراث.

(1) بنورة: إحدى مدن ميزاب السبع وهي: العطف، بنورة، بني يسجن، غرداية، مليكة، بريان، والقرارة (محمد ناصر: منهج الدعوة عند الإباضية، دار ناصر، ص 312)، واسمها بالميزابية (آت بنور) أسست عام 457هـ/1065م (يوسف بن بكير الحاج سعيد: تاريخ بني ميزاب، ص 17).

(2) محمد بن موسى بابا عمي، إبراهيم بن بكير بحاز وآخرون: معجم أعلام الإباضية، ج2، ص 379.

(3) الحاج سعيد بن يوسف بن عدون اليزجني: وينتن المعروف بـ: "الحاج سعيد أن بافو"، كان من حكماء زمانه، توفي سنة 1296هـ،

1879م. (محمد بن موسى بابا عمي، إبراهيم بن بكير بحاز وآخرون: معجم أعلام الإباضية، ج2، ص 187).

(4) محمد بن عيسى أزار: كان حيا في (1301هـ/1883م) من علماء بني يزجن، تولّى مهام علمية ودينية، حيث عين شيخا على مسجد بني يزجن ثم تولّى مشيخة وادي ميزاب، وهو أول قاض من قضاة المحكمة الشرعية ببني يسجن حيث عين في 1883 قاضيا عليها (محمد علي دبور، نخضة الجزائر الحديثة، ج1، ص 283).

(5) عمر بن سليمان: من مشايخ بني يسجن (1292هـ-1875م)، كان قاضيا في بني يسجن (محمد بن موسى بابا عمي، إبراهيم بن بكير بحاز وآخرون: معجم أعلام الإباضية، ج2، ص 308).

(6) الحاج سليمان بن عيسى آل الشيخ: اليسجني كان حيا بين (1230هـ-1265هـ / 1814م-1848م)، تولّى مشيخة بني يزجن، ومنصب المشيخة على وادي ميزاب لا يتولاه إلا من كان ذا قدم راسخة في العلم والسياسة والاجتماع. (محمد بن موسى بابا عمي، إبراهيم بن بكير بحاز وآخرون: معجم أعلام الإباضية، ج2، ص 210).

(7) خبزي دليّة: اتجاهات التفسير عند إباضية الجزائر، رسالة دكتوراه في العلوم الإسلامية، قسم العقيدة، جامعة الجزائر، 2013م، ص

الفصل التمهيدي..... القصة القرآنية والمدرسة الإباضية

- كما نظم العديد من المتون كنظم متن الأجرومية، نظم شرح أسماء الله الحسنى، نظم عقيدة التوحيد لعمر بن جميع الخ.
- بالإضافة إلى هذه المؤلفات ترك مكتبة ثرية تحوي مخطوطات عديدة نادرة في مختلف الفنون، والكثير منها من نسخ أبنائه. (1)

ج. تعريف تفسير " اليمن والبركة ":

فسر الشيخ القرآن الكريم وسمى تفسيره " اليمن والبركة في تفسير الهدى والرحمة" وهو يقع في مجلدين مخطوطين؛ يضم ست مائة وأربع وأربعون صفحة، حوى المجلد الأول مقدمة وتفسير سورة الفاتحة وسورة البقرة إلى الآية 190 قوله تعالى: ﴿ وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴾ (2)، والمجلد الثاني حوى بقية سورة البقرة، وسورة آل عمران إلى غاية الآية 36 قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَىٰ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعْتَ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَىٰ وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذَرَيْتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴾ (3). والشيخ ابن دريسو لم يكمل تفسيره وإنما توقف عند هذه الآية.

وذكر الشيخ الدوافع التي جعلته يقدم على تفسير كتاب الله عز وجل أجملتها الباحثة خبزي دليلة في النقاط الآتية:

1. أمنيته أن يكون من خدام كتاب الله تعالى وأن يجعل له تفسيراً.
2. شعوره بتقدم سنّه وهو لا يزال في بداية التفسير جعله يلوم نفسه لأنه لم يحقق ما كان يصبو إليه.
3. يقصد بتفسيره الثواب والأجر من عند الله تعالى.
4. يرى الشيخ أن لا خير في العيش للعالم الذي لا يوظف علمه ولا ينتفع به. (4)

(1) محمد بن موسى بابا عمي، إبراهيم بن بكير بحاز وآخرون: معجم أعلام الإباضية، ج2، ص 380.

(2) البقرة: الآية 190.

(3) آل عمران: الآية 36.

(4) خبزي دليلة: اتجاهات التفسير عند إباضية الجزائر، ص 385.

10. إبراهيم بن عيسى حمدي أبو اليقظان (1306هـ-1393هـ)

هو إبراهيم بن عيسى، حمدي أبو اليقظان ولد بمدينة القرارة في 29 صفر 1306 هـ الموافق لـ: 05 نوفمبر 1888م، من أبرز تلامذة الشيخ اطفيش رحمته الله، يعتبر شيخ الصحافة الجزائرية المجاهدة حيث أصدر ثمان جرائد أسقطها الاستعمار الواحدة تلو الأخرى، توفي الشيخ في 26 صفر 1393 هـ الموافق لـ 1973م. ترك مؤلفات عدّة قاربت الستين مؤلفاً منها ما هو مطبوع ومنها مازال مخطوطاً، ومؤلفاته في مجال التفسير تفوق العشرة عدا مقالاته التفسيرية، ويبدو النسق المنهجي موحدًا في كتابات الشيخ وهو المسلك الهدائي الإصلاحي؛ حيث جعل الشيخ من القرآن الكريم منطلق دعوته لإصلاح الأوضاع وتغيير الطّباع. (1)

تفسير الجزء الأول: الفاتحة والسور القصار من الرسائل إلى الخاتمة.

" أشعة التور من سورة التور"، "فتح نوافذ الرحمن"، "عناصر الفتح من سورة الفتح" " أقمار من سورة القمر" "سور من الكتاب المجيد"، "أضواء على بعض أمثال القرآن"، "أطوار التكوين والفناء في القرآن" وغيرها من المؤلفات. (2)

والشيخ أبو اليقظان ينفي أن تكون أعماله تفسيراً، وأرى قوله هذا تورّعا ومهابة، وهو وإن لم يفسر القرآن كاملاً إلا أنه اتبع أدوات المفسر في مؤلفاته ففي كتابه نوافذ القرآن يقول الشيخ رحمته الله: "وأنا في هذا لست مفسراً، ولكنني أحاول في ذلك تنسيق الآي في نوافذها فحسب، مع ما أمكنني شرحه قدر معرفتي ومقدرتي." (3)

يلقّ الدكتور حمّو شيهاني على كلامه: " نفهم من هذه العبارة أنّ طريقة تأليف الكتاب تركز على أمرين:

1. جمع الآيات القرآنية المتعلقة بالتأفة المرغوب في فتحها.

2. صياغة معانيها بأسلوب خاص مع الاستشهاد بتلك الآيات وتفسيرها تفسيراً متناسقاً وموضوع

نافذتها. (4)

(1) محمد بن موسى بابا عمي، إبراهيم بن بكير بحاز وآخرون: معجم أعلام الإباضية، ص 71.

(2) المرجع نفسه، ص 79.

(3) حمّو بن عيسى الشيهاني: دراسة في " فتح نوافذ القرآن" للشيخ إبراهيم أبي اليقظان، مجلّة الحياة، معهد الحياة وجمعية التراث، غرداية الجزائر العدد 22، أوت 2017، ص 79.

(4) خبزي دليّة: اتجاهات التفسير عند إباضية الجزائر، ص 75.

الفصل التمهيدي..... القصة القرآنية والمدرسة الإباضية

والشيخ أبو اليقظان لم يعتبر نفسه مفسراً، وإنما كان يؤلف لملء الفراغ بعدما أقعده المرض. (1)

11. في رحاب القرآن: لإبراهيم بن عمر بيوض رحمته الله (1316-1401هـ / 1899-1981م).

وأصل هذا التفسير شفاهي قدمه الشيخ بيوض لتلاميذه بالمسجد العتيق بالقرارة كاملاً، كتبه تلميذه الشيخ عيسى بن محمد الشيخ بالحاج بعد وفاته من سورة الإسراء إلى سورة الناس، لأن الجزء الأول من سورة الفاتحة إلى غاية سورة الإسراء فقد نتيجة تلف الأشرطة التي سجلت عليها دروس التفسير.

وسنعد له فصلاً بإذن الله نبين منهج الشيخ فيه.

11. جواهر التفسير لأحمد بن حمد الخليلي العماني

أ. تعريف أحمد بن حمد الخليلي:

هو أحمد بن حمد بن سليمان الخليلي الحزوي البهلوي، ولد في زنجبار يوم 12 رجب 1361هـ الموافق لـ 27 جويلية 1942 م، أكمل دراسته في عمان، كان مفتياً لسلطنة عمان سنة 1975 م، في سنة 1987 م وكلت إليه إدارة المعاهد الإسلامية بالسلطنة ثم عين برتبة وزير إلى يومنا هذا. (2)

ب. تعريف تفسير "جواهر التفسير":

افتتح الشيخ أحمد الخليلي تفسيره بفصل مطول استغرق أكثر من نصف الجزء الأول من تفسيره، حوى فيه الحديث عن التفسير وأقسامه، والفرق بينه وبين التأويل، وشروط التفسير، كما فصل في العديد من الموضوعات التي لها علاقة بعلم التفسير: كحديثه عن أثر العلوم الحديثة في التفسير، وإعجاز القرآن الكريم، وشروطه وأنواعه.

12. نفحات الرحمن في رياض القرآن: لمحمد بن إبراهيم سعيد كعباش (حفظه الله ورعاه)

ولد الشيخ كعباش خلال 1930 م ولا يزال يفيد الناس بعلمه إلى يومنا هذا. وقد أكمل تفسيره المدون سنة 2013، وأقيم لحتم التفسير حفلاً بهيجا احتفالاً وفرحاً بمولود فكري جديد يضاف للمكتبة الإسلامية

(1) حمو بن عيسى الشيهاني: دراسة في "فتح نوافذ القرآن" للشيخ إبراهيم أبي اليقظان، ص 79.

(2) بتار: من هو أحمد بن حمد الخليلي، تاريخ النشر: 06 جانفي 2011، سيلة عمان avb-s-oman.net.

الفصل التمهيدي..... القصة القرآنية والمدرسة الإباضية

الجزائرية. (1)

ويعتبر تفسيره من التفسيرات الإصلاحية المعاصرة وسنعرّف بالشيخ كعباش وتفسيره ومنهجته في التفسير في الفصل الرابع الخاص بدراسة القصّة في تفسيره.

المطلب الثالث: الجهود التفسيرية المعاصرة عند الإباضية:

خلال زيارتي لمدينة غرداية ولقائي برائد المذهب الإباضي في العطف وهو الشيخ كعباش، والذي أشار عليّ بضرورة عقد لقاءات مع أبرز دعاة المذهب الذين حملوا المشعل بعده وبعد من سبقه من المشايخ، فعقدت لقاء مع الدكتور حمودين بكير - وهو أحد الأساتذة الإباضيين في العطف - الذي كان له الفضل في التعرّف على المحاولات الجديدة في التفسير منها ما زال في بدايته ومنها ما شارف على الختم.

ومن وقفنا على جهودهم في التفسير اليوم:

1. الشيخ إبراهيم بن عمر بيوض: كان تفسيره شفهيًا وهو اليوم مطبوع.

2. الشيخ محمد بن سعيد كعباش: كذلك كان تفسيره شفهيًا وهو اليوم تفسير مطبوع.

3. إبراهيم علواني: له تفسير أنوار القرآن يقدّمه في مسجد بقرية مليكة.

4. بكير بن محمد الشيخ بالحاج (باش عادل):

أ. التعريف به:

هو الشيخ بكير بن محمد بن بكير بن حمو بن بالحاج بن كاسي المعروف بباش عادل وباش عادل هو لقب جاءه من والده الذي كان يتولّى وظيفة الباش عادل في المحكمة (2)، ولد بالقرارة في الفاتح من ذي الحجة سنة 1349هـ الموافق لـ 20 أبريل 1931م.

تحصّل على الشهادة الابتدائية باللغة الفرنسية سنة 1946م، زاول دراسته بالبلدية ثمّ بمعهد الحياة في المرحلة المتوسطة والمرحلة الثانوية.

التحق بالبعثة العلمية البيوضية في العاصمة التونسية "تونس"، ومكث بها ثلاث سنوات من 1953م إلى 1956م، وبعدها عين للتدريس بمعهد الحياة سنة 1957م. (3)

(1) محمد بن إبراهيم سعيد كعباش: رحلة العمر، مكتبة التوفيق - العطف غرداية ط1 (1436هـ-2015م)، ص 19.

(2) رسالة إلكترونية من الشيخ عيسى بن محمد الشيخ بالحاج "محرر تفسير في رحاب القرآن"، بتاريخ 20 أبريل 2019م.

(3) ينظر: خبزي دليلة: اتجاهات التفسير عند إباضية الجزائر، مرجع سابق، ص 94 (في رسالة خطية كتبها لها الشيخ باش عادل بتاريخ 25

أوت 2013م)

الفصل التمهيدي..... القصة القرآنية والمدرسة الإباضية

5. الحاج أحمد بن حمو كروم:

أ. نبذة عن الشيخ أحمد كروم:

ولد سنة 1963م بالقرارة ولاية غرداية-الجزائر.

وهو خريج معهد عمي سعيد الثانوي بغرداية سنة 1983م، تحصل على ليسانس في العلوم الإسلامية والحضارية ببحث عنوانه: "الحديث والمحدثون عند الإباضية" سنة 1992م، وتحصل على ماجستير في التفسير وعلوم الحديث في جامعة أريس-الولايات المتحدة الأمريكية-سنة 2017م بإشراف معهد المناهج-الجزائر. اشتغل معلماً ثم أستاذاً في عدّة مدارس ومعاهد حرّة منذ 1981م، وإماماً ومرشداً وخطيب جمعة منذ سنة 2000م.

وهو عضو لجنة الفتوى في بلدية العطف، ولاية غرداية، وعضو مجلس عمي سعيد، وعضو جمعية أبي إسحاق إبراهيم اطفيش لخدمة التراث، وحالياً أستاذ علوم الحديث ومقاصد الشريعة في معهد عمي سعيد، وعضو حلقة العزابة بمدينة العطف بغرداية.

ب. إنتاجه العلمي:

- له تفسير بعنوان: "البرّ والإحسان وأنوار فتق الرحمن في تفسير أحكام القرآن".

- كتاب بعوان: "مسلمات صالحات في روضة الإيمان".

- شارك في تحقيق أكثر من عشرة كتب في التراث الإسلامي منها:

حاشية الترتيب على مسند الربيع بن حبيب، "فتح المغيث في علوم الحديث"، "الدلائل والحج للشيخ الخضرمي"⁽¹⁾

ب. تفسيره للقرآن الكريم:

جلس الشيخ باش عادل للتفسير شفويا في المسجد العتيق بالقرارة، كل ليلة أحد وإثنين، وتفسيره تحليلي

متسلسل بدأ بفاتحة الكتاب وقد بلغ الآية 77 من سورة آل عمران بتاريخ 20 أبريل 2019م.⁽²⁾

6. الشيخ محمد بن أيوب صدقي:

(1) رسالة إلكترونية من الشيخ أحمد بن حمو كروم بتاريخ: 13 أبريل 2019م.

(2) رسالة إلكترونية من الشيخ عيسى بن محمد الشيخ بالحاج" محرر تفسير في رحاب القرآن" بتاريخ 20 أبريل 2019م.

الفصل التمهيدي القصة القرآنية والمدرسة الإباضية

هو محمد بن أيوب صدقي ولد ببني يزجن بوادي ميزاب بالجنوب الجزائري يوم الخميس 24 صفر 1353هـ الموافق لـ 07 جوان 1934م، نشأ في بلدة بن يسجن، حفظ القرآن الكريم في الثانية عشر من عمره، درس ببني يسجن والتحق بالمعهد الجابري وزاول فيه دراسته إلى أن أتم دراسته العليا في اللغة والشريعات، تحصل على شهادة الليسانس من كلية الآداب في جوان 1966م.

من شيوخه: عبد الرحمن بن حاج يوسف، إبراهيم بن بكير حفار، الشيخ يوسف بن بكير حمو وعلي.

يزاول الشيخ صدقي تفسير القرآن الكريم كل يوم إثنين في دار عشيرة آل خالد ببني يزجن، ووصل في التفسير إلى سورة المجادلة (1) في تفسير قوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا نَجَّيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِمُوا بَيْنَ يَدَيْ جُؤَوكُمْ صَدَقَةٌ ذَلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَأَطَهْرُ فَإِن لَّمْ تَجِدُوا فَإِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٣﴾﴾ (2)

7. الأستاذ محمد بن صالح حمدي:

وهو الأستاذ محمد بن صالح حمدي من مواليد القرارة 1954م، خريج مدرسة الحياة ومعهد الحياة، نال شهادة الماجستير في الاقتصاد الإسلامي سنة 1998م، ثم شهادة الدكتوراه سنة 2008م بكلية العلوم الإسلامية جامعة الحاج لخضر باتنة، يشغل أستاذا بجامعة الحاج لخضر باتنة.

أ. فكرة التفسير:

لما أنهى دراسته العليا جاءته فكرة تنظيم حلقات التفسير في مصلى الفرقان بمدينة باتنة ضمن النشاط العلمي والدعوي للمصلى، فكان يلقي دروسه كل ليلة إثنين وكانت بدايته مع التفسير في شهر أكتوبر 2007م، واستمرت بصفة متسلسلة من سورة "يس" ولم تنقطع حلقاته إلا نادرا، ويرجع في تفسيره إلى تفسير الشيخ بيوض " في رحاب القرآن" ويعتمد عليه اعتمادا شبه كلي، ويعود من حين لآخر إلى تفاسير أخرى لتحقيق مسألة علمية أو شرعية. (3)

(1) أخبرني الشيخ أنه وصل إلى تفسير الآية الكريمة ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا نَجَّيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِمُوا بَيْنَ يَدَيْ جُؤَوكُمْ صَدَقَةٌ ذَلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَأَطَهْرُ فَإِن لَّمْ تَجِدُوا فَإِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٣﴾﴾ يوم الإثنين 15 أكتوبر 2018 أثناء اتصال هاتفي به يوم السبت 20 أكتوبر 2018. (لم أتمكن من عقد لقاء مع الشيخ خلال فترة زيارتي لغرداية، لأنه كان وقتئذ في رحلة علاج لتونس الشقيقة، فاهتماما مني بالتواصل مع الشيوخ والنقل عنهم اتصلت به هاتفيا للاستفسار عن تقدم دروسه في التفسير.)

(2) المجادلة: الآية 12.

(3) خبزي دليّة: اتجاهات التفسير عند إباضية الجزائر، ص 102. (في رسالة بعثها لها بتاريخ 29 أبريل 2013م).

8. الدكتور مصطفى بن صالح باجو

أ. ترجمة للدكتور مصطفى بن صالح باجو

الدكتور مصطفى بن صالح باجو من أبرز المشايخ والدعاة الإباضيين المعاصرين، ولد في 18 أوت 1964م بغرداية، اشتغل أستاذا بجامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية بقسنطينة من سنة 1993 إلى 2011م وتحصل بها على شهادة دكتوراه دولة في أصول الفقه يوم 06 ديسمبر 1999م عنونها "منهج الاجتهاد عند الإباضية" بتقدير مشرف جدا، تدرّج في منصب التعليم العالي من أستاذ مساعد إلى أن حصل على الأستاذية في ديسمبر 2005م. بجامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية.

كما درّس في سلطنة عمان 2002 م إلى 2006 م، كما درّس ببلنات الفرع الحضوري بالجزائر سنة 2010، وحاليا أستاذ كرسي الأصول والفقه المقارن بجامعة غرداية، الجزائر.

حيث تولّى في مساره التوظيفي تدريس عدّة مقرّرات دراسية منها: آيات الأحكام، أحاديث الأحكام، أصول الفقه، التفسير التحليلي الفقه بمختلف فروع: "فقه الأسرة، فقه المعاملات، الفقه الجنائي، الفقه المقارن." كما تقلّد عدّة مناصب علمية منها:

- عضو لجان علمية ومجالس علمية متعدّدة في الجامعات والمعاهد التي درّس فيها، وفي وزارة الأوقاف بالجزائر
- عضو اللجنة الوطنية للعلوم الإسلامية بوزارة التعليم العالي بالجزائر.
- رئيس قسم الفقه وأصوله بجامعة الأمير عبد القادر 1999_2000م.
- عضو لجنة التحكيم في المسابقة الدولية حول جائزة رئيس الجمهورية الجزائرية للبحث في الدراسات الإسلامية.

- رئيس اللجنة العلمية لقسم العلوم الإسلامية جامعة غرداية منذ 2012 ولا يزال.
- عضو المجلس الإسلامي الأعلى بالجزائر بمرسوم رئاسي من رئيس الجمهورية أوت 2017م.
- عضو مجلس عمي سعيد؛ الهيئة العليا للحلقات الدينية الإباضية بالجزائر منذ 2008م.⁽¹⁾

ب. مؤلفات مصطفى باجو:

- "أبو يعقوب الوارجلاني وفكره الأصولي مقارنة بأبي حامد الغزالي"، "منهج الاجتهاد عند الإباضية.
- الشيخ عبد الرحمن بكلي، مسيرة جهاد وومضات فكر.

(1) السيرة الذاتية للشيخ مصطفى بن صالح باجو أرسلها لي إلكترونيا بتاريخ 13 صفر 1440هـ الموافق ل: 22 أكتوبر 2018.

الفصل التمهيدي..... القصة القرآنية والمدرسة الإباضية

- معجم أعلام الإباضية ضمن لجنة البحث العلمي لجمعية التراث.
 - معجم مصطلحات الإباضية " ضمن لجنة البحث العلمي لجمعية التراث.
- ولديه مجموعة من التحقيقات على بعض الكتب:
- تحقيق " المدونة الكبرى " لأبي غانم بشر بن غانم الخراساني (من علماء القرن الثاني هجري).
 - تحقيق كتاب " المصنف " لأبي عبد الله أحمد الكندي (ت 557هـ).
 - تحقيق كتاب " جامع ابن بركة " في الفقه والأصول (من علماء القرن الرابع هجري).
 - تحقيق تفسير الشيخ إبراهيم بيوض في رحاب القرآن لسور آل عمران والنساء والمائدة وهو التفسير المفقود قبل التسجيل الصوتي، تحرير الشيخ حمّو فخار، تحت الطبع في ثلاث مجلدات.
 - تحقيق كتاب " درب الأنبياء ".
 - وله عدّة بحوث حول قضايا فقهية وفكرية وتاريخية تتجاوز الخمسين بحثاً.
 - كما أسهم بمقالات علمية في الموسوعة التركية والعمانية.
 - أسهم ببحوث عديدة في ملتقيات دولية في الأردن وسلطنة عمان، وإيران، وتركيا والسعودية.
 - أشرف وناقش عددا كبيرا من الرسائل الجامعية في الجزائر ولبنان، وماليزيا، وعمان، يتجاوز مائة رسالة بين ماجستير ودكتوراه. فضلا عن عدد كبير من مذكرات الليسانس.

ج. جهود الدكتور مصطفى باجو في التفسير:

تحدّث الدكتور عن جهوده في تفسير كتاب الله تعالى في رسالة الكترونية بعثها حيث يقول: "هي دروس أسبوعية كانت يوم الإثنين ثمّ زدت يوم الأحد، بمسجد الإصلاح في بابا السعد- أحد الأحياء المعروفة في غرداية - انطلقت منذ فاتح سنة 2013 ولا أزال في سورة البقرة الآية 233؛ بسبب انقطاعات متكررة لكثرة الأسفار، والدروس مزيج من العربية والمليزية، والمنهج المعتمد يتركز على الهداية بالقرآن والتّركيز على آيات الله في الخلق، والاعتبار بالتاريخ، وتوثيق صلة الانسان بالخالق، وبيان مقاصد الشّارع في مختلف التّكاليف ليمثل العبد أحكام ربّه عن رضى ويقين.

والدروس كلّها في دفتر مسوّدة لم تصل بعد مرحلة التّنقيح والنّشر ومسجّلة أيضا بالصّوت والصّورة، عسى أن يبسرّ ذلك قريبا إن شاء الله " (1)

(1) رسالة إلكترونية بعثها لي الدكتور مصطفى باجو جزاه الله خيرا بتاريخ 20 أكتوبر 2018 م الموافق ل: 10 صفر 1440هـ. (أثناء زيارتي لغرداية لم أتمن من عقد لقاء مع الشيخ مصطفى باجو لكثرة انشغالاته ، فلم أجد من وسيلة للتواصل سوى البريد الإلكتروني.)

الفصل التمهيدي..... القصة القرآنية والمدرسة الإباضية

وقائمة الإباضيين المهتمين بالتفسير طويلة، لم أستطع الحصول على معلومات أكثر حول سيرتهم الذاتية وحول جهودهم في التفسير، لكن من خلال اللقاءات بالأساتذة الإباضيين، وطلبة العلم علمت اهتمام الكثيرين بالتفسير من بين هؤلاء:

- الدكتور محمد ناصر: من كلام رب العالمين وهو مطبوع في ثلاء أجزاء.
- الدكتور محمد بابا عمي: تفسير سورة الرحمن، والفاتحة، والواقعة والحديد وهو مطبوع.
- الشيخ الدكتور محمد بن داود تيمزغين: أستاذ في الشريعة في معهد المنار-الجزائر (شفوي في المسجد).
- الشيخ موسى بن إبراهيم قزريط: أستاذ الشريعة الإسلامية ومفتي وواعظ بالجامع الكبير غرداية (شفوي في المسجد).
- الأستاذ بورورو إبراهيم بن عمر: أستاذ التاريخ الإسلامي بمعهد عمي سعيد للدراسات الإسلامية والحضارية-غرداية (شفوي)
- الشيخ الحاج سليمان بن باسا بامون: أستاذ التجويد والقراءات بمعهد عمي سعيد للدراسات الإسلامية والحضارية - بني يزقن-غرداية (شفوي).⁽¹⁾

إنّ المدرسة الإباضية قد تطوّرت في شتى المجالات حتى في مجال العقيدة والسلوك، فلم تبق على ما كانت عليه في القديم، وهذا يرجع إلى المدرسة الإصلاحية التي ساهمت بدرجة كبيرة في ذلك، كما أنّ عناية الإباضية اليوم بالقرآن الكريم وتفسيره أصبح يتزايد بشكل كبير مما جعلها مدرسة تفسيرية مستقلة، قدّمت الكثير للمجتمع الإباضي وغير الإباضي.

ولاشكّ أن المهتمين بالتفسير والدراسات القرآنية لم يغفلوا أي موضوع من مواضيع القرآن الكريم، ومنها القصص القرآني الذي يعتبر مدخلا ومرجعا للدعاة في كل مدرسة.

(1) رسالة إلكترونية من الشيخ أحمد بن حمو كروم بتاريخ: 13 أبريل 2019.

﴿ الفصل الأوّل: القصص القرآني من خلال تفسير " تيسير التفسير "

لمحمد بن يوسف اطفيش (ت 1332 هـ - 1914 م) ﴿

المبحث الأوّل: ترجمة للشيخ محمد بن يوسف اطفيش
والتعريف بتفسيره " تيسير التفسير "

المبحث الثاني: منهج الشيخ اطفيش في التفسير

المبحث الثالث: منهج الشيخ اطفيش في تفسير آيات
القصص القرآني

المبحث الرابع: مكانة القصة القرآنية في تفسير الشيخ اطفيش

المبحث الخامس: التأويلات العقديّة والفقهية في القصة
القرآنية

المبحث الأول: ترجمة للشيخ محمد بن يوسف

اطفيش و التعريف بتفسيره " تيسير التفسير "

● المطلب الأول: ترجمة للشيخ محمد بن

يوسف اطفيش

● المطلب الثاني: التعريف بتفسير " تيسير

التفسير "

الفصل الأول..... القصص القرآني من خلال تفسير "تيسير التفسير" توطئة:

يمثل تفسير " تيسير التفسير " لمحمد بن يوسف اطفيش التفسير الإباضي في العصر الحديث، وقد عرف عن الشيخ اطفيش إمامه بشي العلوم والمعارف الشرعية والكونية، حتى أطلق عليه بالقطب.

وقد اخترنا " تيسير التفسير " من بين التفاسير الثلاثة التي ألفها لأنه آخر ما ألف، ولأنه تيسير لتفسيره " هيمان الزاد"، فهو تفسير مهذب شامل لجميع سور القرآن الكريم مقارنة بتفسير داعي العمل ليوم الأمل.

المبحث الأول: ترجمة للشيخ محمد بن يوسف اطفيش والتعريف بتفسيره " تيسير التفسير "

نتناول في هذا المبحث التعريف بشخصية الشيخ محمد بن يوسف اطفيش وتفسيره "تيسير التفسير"، وهذا المبحث يعتبر كمدخل لدراسة القصص في تفسيره، حتى تتكون لدى القارئ نظرة عامة حول حياته والفترة التي عاش فيها، وحول منهجه في التفسير.

المطلب الأول: ترجمة للشيخ محمد بن يوسف اطفيش

يعتبر الشيخ محمد بن يوسف اطفيش من العلماء الموسوعيين، فقد كرس حياته للعلم ونفع الناس به:

الفرع الأول: اسمه ونسبه

هو محمد بن يوسف بن عيسى بن صالح بن عبد الرحمن بن عيسى بن إسماعيل اطفيش (1) وتلقب أسرته بلقب " اطفيش " وهي في لغة بني ميزاب بمعنى: خذ تعال كل: من ثلاث مقاطع بهذا الترتيب، وربما هو "كناية عن الكرم والجود" (2) في هذه العائلة، أما نسبه من جهة أمه فإنها السيدة مائة ستي بنت الحاج سعيد بن عدون بن يوسف بن قاسم بن عمر بن موسى بن يدر من عشيرة آل يدر ببني يزقن". (3)

واشتهر الشيخ اطفيش عند الإباضية بلقب "القطب" وهذا مما يدل على مكانته بينهم إذ يعد مرجعا أساسا عندهم.

(1) مصطفى وبتن: آراء الشيخ محمد بن يوسف اطفيش العقدي، ص 23،

(2) يحي بوتردين: الشيخ اطفيش ومذهبه في التفسير، ص 36.

(3) مصطفى وبتن: آراء الشيخ محمد بن يوسف اطفيش العقدي، ص 24، نقلا عن السلاسل الذهبية في السّمائل الطفيشية/ محمد علي

دبوز: نخضة الجزائر الحديثة، ج 1، ص 295.

الفصل الأول..... القصص القرآني من خلال تفسير "تيسير التفسير"

ولد الشيخ اطفيش سنة 1238هـ الموافق لـ: 1821م هذا ما رجحه الدكتور مصطفى ونتن بناء على ما وجدته في المصادر المخطوطة للشيخ ، كما رجح أن يكون مكان ميلاده بغرداية لا ببني يزجن يقول: "وفي تحديد مكان ميلاد الشيخ نجد المراجع تذكر أنه كان ببلدة بني يزجن نقلا عن أبي إسحاق إبراهيم اطفيش، بينما الصحيح أن ميلاده كان ببلدة غرداية كما تذكر المصادر"⁽¹⁾ واستدل الدكتور بما ذهب إليه بما قاله الشيخ عن نفسه يشرح فيه معنى "مسقط الرأس" ويقول: "أي موضع السقوط نحو غرداية مسقط رأسي، أي موضع ولدت فيه وسقط فيه رأسي من بطن أمي غفر الله لها."⁽²⁾

الفرع الثاني: نشأة وحياتة الشيخ اطفيش

عاش الشيخ في سنواته الأربع الأولى بمدينة غرداية، ورجع مع عائلته إلى بني يزجن وعاش يتيما تحت رعاية أمه وإخوته، وكان لأمه الأثر البالغ في تربيته وتكوينه وتعليمه⁽³⁾. حيث حفظ القرآن الكريم وهو ابن ثمان سنوات، وتعلم على يد عدد من المشايخ أمثال الشيخ محمد بن عيسى أزار، وعمر بن سلمان، والشيخ سعيد بن يوسف، وحمو بن كاسي⁽⁴⁾ وعمر بن صالح⁽⁵⁾، أخذ عنهم المتون وبعض الشروح وهو في سن التاسعة وقد أظهر الشيخ نبوغا منذ بداية عهده بالدراسة ثم انتقل إلى شيخه إبراهيم -وهو شقيقه- الذي تتلمذ عليه كثيرا.⁽⁶⁾

ومن المحن التي تعرض لها الشيخ اطفيش في حياته أنه نفي من بلده بني يسجن، بسبب محاولته إصلاح بعض الأوضاع وتغييرها، فكسب أنصارا ومؤيدين من تلاميذه لإصلاحاته مما جعل معارضييه يكيّدون له، فسكن إحدى القرى المجاورة لها وهي "بنورة" وكان في هذه الفترة يواصل التدريس والتأليف، وبقي في منفاه

(1) مصطفى ونتن: آراء الشيخ محمد بن يوسف اطفيش العقديّة، ص 25 نقلا عن السلاسل الذهبية، ص 36 (كتاب مخطوط للشيخ إبراهيم حفار).

(2) مصطفى ونتن: آراء الشيخ محمد بن يوسف اطفيش العقديّة، ص 25.

(3) محمد علي دبوّز: نُهضة الجزائر الحديثة، ج1، ص 295.

(4) حمو بن كاسي: من علماء النص الثاني من القرن الثالث عشر من آل زرقون ببني يزجن، (محمد علي دبوّز: نُهضة الجزائر الحديثة، ج1، ص300).

(5) عمر بن صالح: من علماء مدينة غرداية، كان قاضي القضاة بها معاصر للشيخ عبد العزيز التّميني، انظر: (محمد علي دبوّز: نُهضة الجزائر الحديثة ج1، ص 286).

(6) المرجع نفسه، ج1، ص 284.

الفصل الأول..... القصص القرآني من خلال تفسير "تيسير التفسير"

حوالي سبع سنين ثم رجع إلى بلد وأقام فيها ولم يغادرها إلا للبقاء المقدسة أو إلى القرى المجاورة أو إلى وارجلان. (1)

ويعتبر الشيخ من رجال الإصلاح في الجزائر ووادي ميزاب خاصة، حيث قضى الشيخ عمره في الوعظ والتدريس والإرشاد، فكان يبصر الناس ويرشدهم في المسجد، وفي تنقلاته ورحلاته، كما كان للتأليف دورا في نشر الفكر الإصلاحى للشيخ اطفيش حتى غدت كتبه ورسائله وعاء لهذا الإصلاح تحمل في ثناياها دلالات واضحة على الحال الاجتماعية في عهده.

فحارب الاعتقادات الفاسدة كتقديس الأماكن، والشعوذة والسحر، فكان الأستاذ المرقي والمنقذ للمجتمع، وبقي هو المرجع الذي يقصد في كثير من القضايا والمسائل. (2)

الفرع الثالث: مقاومة الشيخ للاستعمار:

"كان الشيخ اطفيش مهتمًا بالواقع السياسي الذي عاشه، متبعا للأحداث فأورثه هذا حسرة على واقع المسلمين وتدمرا من جنو الاستعمار على أراضيهم، فعاش على أمل التخلص منه، واسترجاع المسلمين لكرامتهم." (3)

يقول في قصيدة له:

"لَوْلَا ثَلَاثُ هُرَّنَ: تَعْلِيمُ جَاهِلٍ وَخِدْمَةُ رَبِّي وَالْجِهَادُ لِذِي الْكُفْرِ
لَمَا كُنْتُ أَحْسَى الْمَوْتَ وَالْمَوْتُ لَأَرْمُ وَإِلَّا فَمَا الْحَيَاةُ وَالْمَرْءُ فِي قَهْرٍ" (4)

اعتقل الشيخ عام 1882م حين قاد حركة مقاومة ضد الاستعمار الفرنسي ورفضه لدخول وادي ميزاب، وبعدها أطلق سراحه ووضع تحت الإقامة الجبرية فكان لا يتنقل بين قرى وادي ميزاب إلا برخصة من الحاكم في غرداية، فحوّل بيته إلى معهد لتكوين التلاميذ في الفكر والعقائد وسائر مناحي الحياة، وسخر التأليف لهذا الغرض. (5)

(1) محمد علي دبور: نفضة الجزائر الحديثة ج1، ص 336.

(2) مجي بوتردين: الشيخ اطفيش ومنهجه في التفسير، ص 48.

(3) محمد بن يوسف اطفيش: هيمان الزاد إلى دار المعاد، وزارة التراث والثقافة-سلطنة عمان ط1(1408هـ/ 1988م) ج 13 ص 188.

(4) مصطفى وينتن: آراء الشيخ محمد بن يوسف اطفيش العقديّة، ص 37.

(5) المرجع نفسه، ص 39.

الفصل الأول..... القصص القرآني من خلال تفسير "تيسير التفسير"

الفرع الرابع: وفاة الشيخ اطفيش

لقد قضى الشيخ اطفيش عمره في التدريس والإفتاء، والكفاح، والدعوة إلى الله، والذود عن حياض الدّين، إلى أن وافاه الأجل فجر يوم السبت الثالث والعشرين من ربيع الثاني عام 1332 هـ الموافق لـ: شهر مارس 1914م بعد مرض ألمّ به ثمانية أيام⁽¹⁾ عن عمر يناهز الستّة وتسعين عاما.⁽²⁾

الفرع الخامس: آثار الشيخ العلميّة

أولى الشيخ أهميّة وعناية فائقة بالتأليف، إذ بدأه وعمره ست عشرة سنة، فكان يؤلّف في أسفاره ورحلاته، لذا كان إنتاجه كثيرا ومتنوعا قدرها البعض بحوالي 300 مؤلّف ومن بين هذه المؤلّفات:

- تفسير هميان الزاد إلى جار المعاد
- تفسير داعي العمل ليوم الأمل.
- تفسير تيسير التفسير.
- تلقين التالي لآيات المتعالي: شرح جامع حرف ورش.
- ردّ الشرود إلى الحوض المورود.
- وفاء الضمانة بأداء الأمانة في فنّ الحديث.
- جامع الشمل في أحاديث خاتم الرسل
- الرّسالة الشافية في بعض تواريخ أهل وادي ميزاب
- تحفة الحب في أصل الطب.
- إيضاح المنطق في بلاد المشرق.
- الكافي في التصريف
- الذهب الخالص المنوه بالعلم القالص: كتاب قواعد الإسلام للشيخ إسماعيل الجيطالي.
- شرح أصول تبيغورين. كتاب أصول الدين للشيخ تبيغورين بن عيسى الملشوطي.
- شرح عقيدة التوحيد لأبي حفص عمرو بن جميع في العقيدة
- شرح كتاب النيل وشفاء العليل. في الفقه
- مطلع الملك في فنّ الفلك.
- معتمد الصّواب شرح شواهد قواعد الإعراب.

⁽¹⁾مصطفى وينتن: آراء الشيخ محمد بن يوسف اطفيش العقديّة، ص 27.

⁽²⁾المرجع نفسه، ص 27 (نقلا عن أبي اليقظان: ملحق السير، ص 196).

الفصل الأول..... القصص القرآني من خلال تفسير "تيسير التفسير"

هذه بعض مؤلفاته، اخترت من كل فن كتاب أو كتابين حتى نبين التنوع في تأليفه حيث شملت التفسير والحديث والعقيدة والفقهاء والقراءات واللغة والنحو والصرف والقصائد والفلك والطب والمنطق ولذلك سمي بالموسوعي فقد وهبه الله الفقه في شتى العلوم.

هذا إضافة إلى مراسلاته المختلفة والمقررات والحواشي والمختصرات والقصائد والمنظومات. (1)

المطلب الثاني: تعريف تفسير الشيخ اطفيش "تيسير التفسير"

الفرع الأول: سبب تأليف التفسير

تفسير تيسير التفسير ثالث تفاسير الشيخ وآخرها، ألفه في أواخر عمره وأتمه بعد أن تجاوز الثمانين من عمره، وقضى في كتابته 5 سنوات (2)، وسمّاه كذلك تيسيرا وتسهيلا للطلبة الذين عجزوا عن استيعاب ما في هيمان الزّاد لطوله وكثرة الروايات والقصص فيه فكان تيسيرا لتفسير الهميان.

الفرع الثاني: طبعاته

طبع التفسير عدّة مرّات:

الطبعة الأولى: طبعة حجرية بالجزائر في سبعة مجلدات كبيرة من سنة 1325 إلى 1326 هـ.

الطبعة الثانية: طبعة بدون تحقيق في خمسة عشر مجلدا على نفقة وزارة التراث القومي والثقافة بسلطنة

عمان سنة 1988. (3)

الطبعة الثالثة: طبعة محققة ومنقحة ومخرّجة الأحاديث ومفهرسة، اجتهد في تحقيقها وإخراجها الشيخ

إبراهيم بن محمد طلاي (4) بمساعدة لجنة من الأساتذة: (الأستاذان كروم أحمد، بازين عمر في وضع التّراجم وتخرّيج الأحاديث، والأستاذان شريف مصطفى و محمد بابا عمي في وضع الفهارس ومتابعة الطّبع) في ستّة عشر مجلدا، يقع كلّ جزء في نحو 450 صفحة إلى ما يزيد عن 550 صفحة، وأضيف له جزء آخر خصصّ

(1) لمعرفة تفاصيل أكثر حول مؤلفاته ينظر آراء الشيخ محمد اطفيش العقديّة، لمصطفى و نتن فقد اجتهد أيما اجتهاد في جمع وترتيب مختلف

مصنّفات الشيخ ومراسلاته وتقريراته وخطبه وقصائده جزاه الله خيرا.

(2) إبراهيم طلاي: مقدمة كتاب تيسير التفسير، ج1، ص "أ"

(3) المرجع نفسه، ص أ.

(4) الشيخ إبراهيم بن محمد طلاي من مواليد 1929 م ببلدة بني يسجن، أخذ معارفه الأولى على يد الشيخ إبراهيم حقّار تلميذ الشيخ اطفيش، انتسب إلى جامع الزيتونة تونس وتحصّل على شهادة العالمية (ليسانس) في الأدب وعلوم اللغة سنة 1959م. يعتبر من أهم مراجع الفتوى في له العديد من المؤلفات أغلبها تحقيقات منها: تحقيق كتاب الذهب الخالص المنوّه بالعلم القالض للشيخ اطفيش، وكتاب طبقات المشايخ للدّرجيني، كما اختصر تيسير التفسير للشيخ اطفيش في عشرة أجزاء. من مؤلفاته الذاتية: كتاب ميزاب بلد كفاح. (ينظر: موقع

إبراهيم محمد طلاي (chikh-tellai.net)

الفصل الأول..... القصص القرآني من خلال تفسير "تيسير التفسير"

لفهرس المصطلحات والموضوعات التي فصل الشيخ الحديث فيها، استدركوها فيها ما لم يذكر في فهرس كل جزء، منظمة ومبوبة حسب الأحرف الهجائية.

وهذه الطبعة ميسرة على الطبقات الأولى حيث اجتهد الشيخ ومن معه في وضع عناوين لكل جزء من الآيات، وكذلك وضعوا عناوين جانبية للبحوث التي فصل فيها الشيخ؛ فإذا كان حديثه عن القصص وضع بجانب كلام الشيخ (قصص) وهكذا الأمر بالنسبة لباقي البحوث: من أصول الدين وفقه وأسباب نزول.... الخ.

كما وضعوا فهرس مهمة في نهاية كل جزء تتناول المباحث الأصولية والفقهية والموضوعات الفرعية التي تعرض إليها الشيخ، وكذا فهرسا لمختارات الشيخ التي صرح فيها برأيه وما يميل إليه. (1)

طبعة رابعة مختصرة: اختصر هذا التفسير الشيخ إبراهيم بن محمد طلاي في عشرة أجزاء، حذف فيه كل ما له علاقة بالروايات الإسرائيلية.

(1) ينظر: نهاية كل جزء من التفسير.

المبحث الثاني: منهج الشيخ اطفيش في

التفسير

- المطلب الأول: عدم التزام الشيخ بمنهج

محدد

- المطلب الثاني: التفصيل في المسائل

المختلفة

- المطلب الثالث: الاهتمام بمسائل علوم

القرآن

الفصل الأول..... القصص القرآني من خلال تفسير "تيسير التفسير"

المبحث الثاني: منهج الشيخ اطفيش في التفسير

المطلب الأول: عدم التزام الشيخ اطفيش بمنهج محدّد

لم يتبع الشيخ اطفيش منهجا محدّدا في التفسير فهو يبدأ بما يراه يخدم الآية، فتارة يبدأ السّورة ببيان المعاني اللّغوية وأحيانا يبدأ ببيان أسباب النزول وتارة ببيان المسائل الفقهيّة وتارة أخرى بذكر المناسبة بين السّورة والتي قبلها، فهو يتقيّد في تفسيره بما يراه مهماً.

وهذه الطّريقة في التّفسير تتعب القارئ للتّفسير إذ تجعله يتيه بين المعارف المزدحمة خاصّة وكما قلنا تفسيره موسوعيّ " تتزاحم فيه الاهتمامات، وتكثر فيه التّأويلات" (1) والاستنباطات، تناول فيه مختلف العلوم والمعارف، واستخدم العديد من أدوات التّفسير.

ولم يرد الشيخ أن يرسم لنفسه منهجا يسير عليه فغرضه الأوّل هو تبسيط المعاني وتقريبها إلى ذهن القارئ، لذلك لم يبيّن في مقدّمة تفسيره منهجه كما يفعل معظم المفسّرين، حيث أنّهم يخصّصون جزءا في مقدّمة التّفسير يوضّحون من خلاله الطّريقة التي اعتمدها في تفاسيرهم (2)، فيسهّلون على الباحثين التّعريف على منهج المفسّر وعلى مدى التزامه بما ذكره في مقدّمته من عدمه، غير أنّ الشيخ اطفيش بيّن سبب تأليفه للتّيسير وهو كما قال: "أما بعد، لما تقاصرت المهم عن أن تهيم بـ " هيمان الزاد إلى دار المعاد" الذي ألّفته في صغر السنّ، وتكاسلوا عن تفسيره " داعي العمل ليوم الأمل"، أنشطت همّي إلى تفسيره يغتبط ولا يملّ. فإن شاء الله قبله بفضلله وأتمّه قبل الأجل، وأنا مقتصر على حرف نافع، ولمصحف عثمان تابع، وأسأل ذا الجلال أن ينعم عليّ بالقبول والإكمال." (3)

وبالرّغم من أنّه لم يسلك منهجا محدّدا من أوّل التّفسير إلى آخره إلا أنّه يمكن رسم معالم لتفسيره، فهو يعرض الآيات التي يريد تفسيرها ثمّ يقوم بشرحها وتبسيطها واستخراج المسائل المختلفة منها آية آية، وهو لم يقتصر على لون واحد من التّفسير، بل اعتمد على التّفسير النّقلي و النّظر العقلي والاستنباط واللّغة، فتفسيره يعتبر من التّفاسير الموسوعيّة؛ تجد فيه الاستنباطات الفقهيّة والمسائل الأصولية واللّغويّة والنّحويّة. يقول في وصفه الشيخ طلاي محقق التّفسير: "سمّاه المؤلّف "تيسير التّفسير" فهو حقا تيسير لفهم الأوجه المختلفة، للنصّ القرآني التي تتقبلها الصّناعة وأساليب اللغة العربيّة، وطرق البيان فيها؛ فهو ﷻ يقوم بعمل

(1) محمد مصطفى درويش الخواج: منهج الشيخ محمد بن اطفيش في تفسيره تيسير التّفسير، رسالة ماجستير في التّفسير، كلية الدّراسات العليا الجامعة الأردنيّة (1994م)، ص 92.

(2) المرجع نفسه، ص 93.

(3) محمد بن يوسف اطفيش: تيسير التّفسير، ج1، ص01.

الفصل الأول..... القصص القرآني من خلال تفسير "تيسير التفسير"

المدرّس الماهر الذي يدفع طلابه ويجدو بهم إلى فهم المعاني المحتملة من النص دون أن يطغى عليهم بفرض رأيه وما ذهب إليه، ولا يغفل مع ذلك من بيان الرّاجح من المرجوح في الغالب... وجمع الشّيخ بين النّقل والرّواية والرّأي والدّلالة فهو يجمع بين ذا وذاك بأسلوب مختصر مفيد، كما أنّه لا يترك وجهها من وجوه الإعراب والبيان، كما لا يترك مسألة فقهية أو أصولية إلا ويتعرّض لها ويبيّن وجه الصّواب وما اختاره هو أو جمهور علماء الأمة". (1)

الفرع الأول: التفسير بالمأثور

إنّ المتمعّن في تفسير الشّيخ يجد أنّه اعتمد في تفسيره كثيرا على التفسير بالمأثور، الذي يضمّ تفسير القرآن بالقرآن وتفسير القرآن بالسنة، وتفسير القرآن بأقوال الصّحابة، مما يدلّ على اجتهاده في التفسير إذ نجده لا ينجح للتفسير العقلي إلا إذا لم يجد ما يفسّره من التفسير بالمأثور، وقد استعان الشّيخ بتفسير الآيات بالقرآن ذاته وبحديث رسول الله ﷺ، وبأقوال الصّحابة والتابعين.

1. تفسيره القرآن بالقرآن

يعتبر تفسير القرآن بالقرآن بالمبدأ الأساس في التفسير، حيث يقول الشّيخ: "والقرآن يفسّر بعضه بعضا" (2) ونجده كثيرا ما يرجع في بيان معنى آية بآية أو آيات أخرى من القرآن الكريم، ومن الأمثلة التي فسّر بها الشّيخ بالقرآن في قوله تعالى: ﴿وَفِي ذَٰلِكُمْ بَلَاءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾ (١١) ﴿٣﴾. فبيّن أن كلمة بلاء تحمل النعمة والحنة وأكّد هذا المعنى بقوله تعالى: ﴿فَأَمَّا الْإِنسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ﴾ (١٥) ﴿٤﴾ وقوله تعالى أيضا: ﴿وَبَلَوْنَاهُم بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ (١٨) ﴿٥﴾ وقوله أيضا: ﴿وَنَبَلُوكُم بِالْخَيْرِ وَآخِرِ فَتَنَةٍ﴾ (٦) ﴿٦﴾

(1) محمد بن يوسف اطفيش: تيسير التفسير، ج1، ص "ح".

(2) المرجع نفسه، ج5، ص 24.

(3) الأعراف: الآية 141.

(4) الفجر: الآية 15.

(5) الأعراف: الآية 168.

(6) الأنبياء: الآية 35.

الفصل الأول..... القصص القرآني من خلال تفسير "تيسير التفسير"

2. تفسير القرآن بالحديث الشريف:

يأخذ الشيخ بهذا النوع فهو يفسر الآيات بالسنة النبوية إذا لم يجد ما يفسرها في القرآن الكريم، والسنة النبوية شارحة وموضحة ومبيّنة لما جاء في القرآن الكريم لذلك نجد الشيخ يكثر من توظيفها سواء في شرح الآية وبيان معناها أو للاستشهاد على ما يورده من استنباطات ومسائل مختلفة.

ويذكر الشيخ في الغالب راوي الحديث من غير ذكر السند وأحيانا يكتفي بقوله: "قال رسول الله ﷺ"، ومما يلاحظ على هذا النوع من التفسير عدم التزام الشيخ بالحديث الصحيح؛ فإنه يحتج بالحديث عامة صحيحا كان أو حسنا أو ضعيفا، بل وحتى الموضوع هذا الأخير الذي استشهد به غالبا في الأخبار والقصص. ويعزو الشيخ تارة الحديث إلى مصدره وتارة أخرى لا يذكر ذلك، وقد أفاد من مختلف كتب الحديث من بينها: مسند الربيع، صحيح البخاري وصحيح مسلم، وأبو داود والترمذي، وأحمد، والحاكم... إلخ ويبيّن أحيانا درجة الحديث خاصة إذا كان ضعيفا أو موضوعا.

ومن الأمثلة على ذلك:

في ذكره لأبناء نوح عليه السلام استشهد بحديث سمرة بن جندب قال: قال رسول الله ﷺ " سَأْمُ أَبُو الْعَرَبِ، وَحَامُ أَبُو الْحَبَشِ، وَيَافِثُ أَبُو الرُّومِ"⁽¹⁾، فذكر راوي الحديث فقال: " رواه الترمذي وقال حسن، والحاكم وقال صحيح"، كما يبين كثيرا درجة الحديث إذا كان موضوعا ومثال ذلك:

في تفسيره لقوله تعالى: ﴿إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ

﴿٤﴾⁽²⁾ حيث استشهد بحديث في بيان سبب نزول الآيات، قال الحاكم في مستدركه عن جابر بن عبد الله أن يهوديا جاء إلى رسول الله ﷺ فقال: أخبرني يا محمد عن النجوم التي رآهنّ يوسف، فسكت. فنزل

(1) محمد بن عيسى الترمذي: سنن الترمذي تحقيق وتعليق: أحمد محمد شاكر ومحمد فؤاد عبد الباقي وإبراهيم عطوة عوض المدرس في الأزهر

الشريف، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي - مصر الطبعة: الثانية، 1395 هـ - 1975 م، باب: ومن سورة الصافات، ج 5، ص 356.

(2) يوسف: الآية 04.

الفصل الأول..... القصص القرآني من خلال تفسير "تيسير التفسير"

جبريل عليه السلام فأخبره بهنّ فقال: "ألا إن أحبرتك تُؤمن؟ قال: نعم" (1). فأورد الشيخ عقب استشهاده بهذا الحديث قولاً لابن الجوزي وآخر لأبي زرعة يقولان بوضع الحديث وإنكاره. (2)

كما ردّ الأحاديث التي ذكرت أنّ الذبيح هو إسحاق وليس إسماعيل عليهما السلام: يقول: "لا يصحّ ما روي عن العباس أنّه قال: "الذبيح إسحاق" لأنّ في سنده الحسن بن دينار وهو متروك وشيخه منكر الحديث. (3)

3. تفسير القرآن بأقوال الصحابة والتابعين:

جاء تفسير الشيخ حافلاً بأقوال الصحابة والتابعين، فالشيخ يحاول أن يسلك منهج التفسير بالمأثور ما استطاع ومتى وجد لذلك طريقاً، فإذا لم يجد ما يفسر الآية بالقرآن أو بكلام رسول الله ﷺ، فسرها بأقوال الصحابة والتابعين، وأخذ عنهم و أفاد من أقوالهم، فلا تكاد تخلو صفحة في تفسيره من آثارهم، وهو غالباً ما يذكر الأثر دون أن يذكر سنداً أو عزواً، وأكثر الصحابة الذين امتلأت صفحات التفسير بآثارهم هو عبد الله ابن عباس، فلو أردنا أن نحصي عدد الآثار التي تنسب لابن عباس ﷺ لما استطعنا إحصاءها (4)، فقد اعتمد كثيراً على أقواله وآرائه في المسائل المختلفة، وكيف لا يكثر من الأخذ عنه وهو حبر الأمة وإمام التفسير وهو الذي دعا له النبي ﷺ بالإمامة في هذا العلم علم التفسير إذ يقول عليه الصلاة والسلام: «اللهم فقّهه في الدين، وعلمه التأويل» (5)، وكذلك أخذ عن ابن مسعود ﷺ، ومن التابعين الذين أكثر من إيراد أقوالهم: "الضحّاك، ومجاهد، عكرمة، والحسن البصري، ومحمد بن كعب، كعب الأحرار... وغيرهم كثير". (6)

الفرع الثاني: التفسير بالرأي

اعتمد الشيخ أيضاً في تفسيره على لون آخر من ألوان التفسير وهو غالب على تفسيره، وهو التفسير بالرأي، حيث استخدم الاجتهاد العقلي والاستنباط في تحليل الآيات وبيان معانيها، فبين معاني كثيرة من

(1) لم أجد لهذا الحديث تحريجاً في كتب الحديث.

(2) محمد بن يوسف اطفيش: تيسير التفسير، ج 4، ص 299.

(3) محمد بن يوسف اطفيش: تيسير التفسير، ج 12، ص 137.

(4) انظر مثلاً المرجع نفسه، ج 9، ص 127.

(5) عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل: مسند الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون، مؤسسة الرسالة الطبعة: الأولى، 1421 هـ - 2001 م، مسند عبد الله بن العباس بن عبد المطلب، ج 5، ص 56.

(6) ينظر: محمد بن يوسف اطفيش: تيسير التفسير، ج 4، ص 35/ المرجع نفسه: ج 4، ص 07/ المرجع نفسه، ج 3، ص 495.

الفصل الأول..... القصص القرآني من خلال تفسير "تيسير التفسير"

الألفاظ التي أشكل فهمها، وبيّن مقصود العديد من الآيات التي تُعدّ من المتشابهات مؤوّلاً إيّاها؛ مستخدماً في ذلك جميع أدوات التفسير، ومن بين هذه المسائل:

1. تأويله للمتشابه في القرآن الكريم:

أول الشيخ بعض الآيات المتشابهات التي لا يعلمها إلا الله مثل الحروف المقطّعة، "وهذا بالرغم من أنه قد أعلن بنفسه وفي كثير من مناسبة أنّها ممّا استأثر الله بعلمه، ومع ذلك فقد حاول أن يفكّ رموز هذه الحروف معتدّاً بنفسه أحياناً." (1)

ولقد اختلف العلماء في بيان معاني الحروف المقطّعة على قولين:

القول الأوّل: إنّ هذا علم مستور استأثر الله به، وقيل هي من المتشابهة تؤمن بظاهرها ونكل العلم فيها إلى الله عزّ وجلّ.

والقول الثّاني: أن المراد منها معلوم وذكروا فيها وجوها متعدّدة أوصلوه إلى واحد وعشرين وجهاً، فمّمّا قيل: أنّ كلّ حرف منها مأخوذ من اسم من أسمائه سبحانه وتعالى وهو قول لابن عباس رضي الله عنه، وقيل أنّ الله أقسم بهذه الحروف كما أقسم بمخلوقاته "الشمس، الفجر، الضّحى... الخ"، وقول آخر قيل أنّ الله أنزلها متحدّياً بها العرب ليعجزهم. (2)

ومن المسائل التي استطرد الشيخ في بيانها تفسيره لمعاني الحروف المقطّعة في فواتح السّور، فاجتهد في إيجاد معاني لها كتأويله لمعنى: "طه" فأورد ما يقال إنّ "طه" بمعنى يا رجل، يا إنسان بالسريانية، وقال أيضاً: "طه" هو قسم بمعنى أقسم بنفسي، وقال أيضاً: "طه" فعل أمر من "وطي" و"ها" ضمير الأرض أمره أن يطأ الأرض بقدميه. (3) وكذلك في حروف سورة التّمل "طسم" قال: "الطاء من ذي الطول، والسّين من قدوس، والميم من الرّحمن، وقيل: من طوله وسنائه وملكه، وقيل هو اسم للسّورة" (4)

وعلى نفس المنوال يحاول الشيخ أن يجد تأويلات لتلك الحروف في أغلب السّور التي تفتتح بها.

(1) يحيى بوتردين: الشيخ أطفيش القطب مفسّراً، ص 224.

(2) مصطفى ديب البغا ومحي الدين ديب مستو: الواضح في علوم القرآن، دار الكلم الطيب، دار العلوم الإنسانيّة، ط2 (1418هـ-1998م) ص 136.

(3) محمد بن يوسف اطفيش: تيسير التفسير، ج 9، ص 114.

(4) المرجع نفسه: ج 10، ص 226.

الفصل الأول..... القصص القرآني من خلال تفسير "تيسير التفسير"

2. توظيفه التفسير اللغوي:

ولأنّ اللغة تعين كثيرا في فهم التّصوُّص من القرآن الكريم فقد اعتمد عليها الشّيخ اطفيش اعتمادا كبيرا، وأولاهها اهتماما كبيرا فالقرآن نزل بلغة عربية فكان ينبغي - حسب رأيه- أن يفسّر باللّغة التي بها أنزل فكان حضورها جليّا في تفسيره.

والمتتبع لتفسيره يجد مباحث لغويّة عديدة، حاول الشّيخ أن يسبر من خلالها أغوار الألفاظ والتّعابير القرآنيّة، مستعينا بأراء كبار علماء اللّغة المشهورين كأبي عبيدة، والقرّاء، والرّجّاج وغيرهم كما نجده يهتم كثيرا بالجانب الإعرابي انطلاقا من كون الإعراب أداة مساعدة على استجلاء المعنى وتوضيحه. (1)

فتفسيره غني ببيان معاني اللفظة القرآنيّة وبسطها بأسلوبه السّهل الممتنع، فلاؤل وهلة وأنا أستقرئ تفسير "تيسير التفسير" بدت لي الصّعوبة في أسلوبه مقارنة بأسلوب الشّيخين بيوض وكعباش في تفسيريهما؛ ولعلّ صعوبة أسلوبه تأتي من تبخّره الشّديد في اللغة العربيّة والتّحو وعلوم القرآن واطلاعه الواسع، وإلمامه بمختلف العلوم.

فتفسير الشّيخ اطفيش يحتاج إلى القراءة المتأنّيّة في كل مسألة وإلى تأمل في كلّ معنى حتى تفهم مقصوده وتلمّ بمعنى الآية، ومن الأمثلة التي فصلّ الشّيخ فيها في بيان معنى الآية لغويا في قوله تعالى:

﴿وَقَالَ لَهُمْ إِنْ أَلَّهَ قَدَبَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا﴾ (2) فبيّن أصل كلمة طالوت أنّها من العبرانية وأن أصل الكلمة طولوت بفتح الواو معللا ما يقول تعليل الماهر المتمكّن من اللّغة العربيّة (3)، وكذلك في قوله تعالى: ﴿وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا﴾ (4) وقف طويلا عند اسم العلم آدم وبيّن أصل هذه الكلمة ومعانيها المختلفة يقول: "وآدم بوزن أحمر من الأدمة (بضم الهمزة) بمعنى السّمرة... وفسّر بعضهم الأدمة بالبياض أو من الأدمة بفتح الهمزة والدال وهو القدوة أو من أديم الأرض أي من جلدها أي ظاهرها ومن الأدم أو الأدمة بمعنى الألفة..." (5)

(1) محي بوتردين: الشّيخ اطفيش القطب مفسرا، ص 220.

(2) البقرة: الآية 247.

(3) محمد بن يوسف اطفيش: تيسير التفسير، ج 1، ص 298.

(4) البقرة: الآية 35.

(5) محمد بن يوسف اطفيش: تيسير التفسير، ج 1، ص 62.

الفصل الأول..... القصص القرآني من خلال تفسير "تيسير التفسير"

وغالبا ما يستدل على المعاني التي يوردها في بيان معنى اللفظة القرآنية، فيستدل بأقوال علماء اللغة، أو بأقوال الصحابة والتابعين الذين لهم علم باللغة وقواعدها، ففي قوله تعالى: ﴿مَا قَطَعْتُمْ مِنْ لِينَةٍ﴾ بين معنى "لينة" فذكر أنها النخلة مطلقا، ثم ساق المعاني المحتملة لها في ما يقارب النصف صفحة مستدلا بأقوال الصحابة والتابعين وعلماء اللغة كابن عباس وسفيان وجعفر الصادق والأصمعي، ومما أورد من آراء قول ابن عباس وجماعة أن المقصود باللينة هي "النخلة التي ليست عجوة"، وأن سفيان (لعله يقصد ابن عيينة أو الثوري) يرى "أنها النخلة التي ثمرها شديد الصفرة".⁽¹⁾

وقد استطرد الشيخ كثيرا في بيان تفصيلات وتفرعات بعض المصطلحات في القرآن الكريم، فنجده يحصي المواضع التي وردت فيها لفظة "كلا" في القرآن الكريم، ثم يفصل في المواضع التي يجب الوقف عليها أثناء القراءة، والمواضع التي لا يجوز فيها الوقف بل ينبغي الوصل فيها، ويسوق الآيات كلها، ثم يذكر المواضع التي يجوز فيها الابتداء.⁽²⁾

ومثل هذه التفصيلات تنسي القارئ الآية محل التفسير، ويتيه بين هذه التفرعات، وقد يصرف القارئ عن فحوى الآية الكريمة وهدايتها، ولهذا كان من العلماء من رفض أن يخوض المفسرون في مثل هذه التفرعات في تفاسيرهم⁽³⁾، فلو بسط الشيخ القول فيها لكان أيسر وأسهل.

المطلب الثاني: التفصيل في المسائل المختلفة

منهج الشيخ اطفيش التفصيل في مختلف المسائل والقضايا التي تعالجها الآيات، فهو يشرح ويفصل في المسائل الأصولية إذا عاجت الآيات موضوعا أصوليا كاللّوحيد ومرتكب الكبيرة ومسألة الصفات، فنجده يناقش الآراء ويعرض آراء المخالفين من غير المذهب الإباضي، أو ممن يخالف رأيه بصفة عامة ولو من المذهب الإباضي نفسه، وإذا عاجت الآيات موضوعا فقهيا فصل فيه أيضا.

كما نجد الجانب اللغوي يغطي جميع تفسيره فيشرح المفردات ويبين الاشتقاقات اللغوية والنحوية، وأيضا إذا كان موضوع الآية قصة من قصص الأمم السابقة أو من سيرة النبي ﷺ، نجده يفصل في ذكر الروايات

(1) محمد بن يوسف اطفيش: تيسير التفسير، ج 14، ص 420.

(2) المرجع نفسه: ج 9، ص 95.

(3) يحيى بوتردين: الشيخ اطفيش القطب مفسرا، ص 221.

الفصل الأول..... القصص القرآني من خلال تفسير "تيسير التفسير"

والأخبار والأحاديث التي تناولت الخبر أو القصة، وكذلك نجد الشيخ يستطرد في كثير من المواضع التي يبيّن فيها سبب نزول، أو في تسمية السورة وبيان فضائلها فالشيخ لا يكاد يخلص من تفسير آية إلا وقد استوفى تفسيرها لغة وبيانا وتاريخا.

الفرع الأول: بيان المسائل العقديّة والفقهية:

أ. التفصيل في المسائل العقديّة

أولى الشيخ عناية فائقة ببيان العقيدة الإسلامية في تفسيره واهتمّ بها اهتماما كبيرا؛ غرضه من ذلك أن يبيّن للناس أهمّ ما يجب فهمه ومعرفته؛ خاصة وأنه جاء في ظروف كان فيها الناس بأمرس الحاجة إلى من يأخذ بأيديهم ويهديهم إلى نور الحقّ، ويبعدهم عن كل ما فيه ضلال وجهل وبدع وخرافات. وكما نعلم أنّ التّأليف عند الإباضية كان قليلا في الفترة الأولى للظّروف والأحداث التي تعرّضت لها المدرسة الإباضية، فكان تصدر الشيخ اطفيش للتّأليف والكتابة في هذا الجانب من الملحّ أيضا.

فنجده يشدّد في المسائل المتعلقة بالذّات الإلهية كمسألة الصّفات ورؤية الله تعالى في الآخرة وغيرها من المسائل، ولا يتردّد في الرّد والنقّد وتفنيده كلّ رأي يخالف معتقده ففي قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نُؤْمِنَ بِكَ حَتَّىٰ نَرَىٰ اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّعِقَةُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ ﴿٥٥﴾﴾⁽¹⁾ نفى من خلاها رؤية الله تعالى مطلقا في الآخرة، وكفّر من قال بغير ذلك ولو في القلب _ يقصد بذلك المعتزلة فهم ينفون رؤية الله بالعين ويثبتونها بالقلب _ معلّلا ما يذهب إليه بأنّ إجازة رؤيته إجازة لتكليفه " ورأى أنّ العذاب الذي حلّ بهم وهو الصّعق كان بسبب طلبهم رؤية الله تعالى، مبطلا رأي من يقول أنّ الصّعق كان بسبب العناد والاشتراط على موسى عليه السّلام.⁽²⁾

ب. التفصيل في المسائل الفقهية

الشيخ اطفيش عالم فقيه، ويعتبر المرجع الفقهي للإباضيين، فقد كان مفتي زمانه يعقد مجالس للفتوى للإجابة على مختلف المسائل الفقهية والنّوازل التي كانت توجّه إليه من داخل ميزاب وخارجه، ومن داخل الجزائر وخارجها كعمان وليبيا وتونس وزنجبار.⁽³⁾

(1) البقرة: الآية 55.

(2) محمد بن يوسف اطفيش: تيسير التفسير، المرجع السابق، ج 01، ص، 68.

(3) المرجع نفسه، ج1، ص "ق".

الفصل الأول..... القصص القرآني من خلال تفسير "تيسير التفسير"

وللشيخ كتاب يعتبر موسوعة فقهية في الفقه المقارن أسماه " شرح النيل وشفاء العليل" كما يعتبر العمدة في الفقه الإباضي في جميع أنحاء العالم⁽¹⁾، إضافة إلى كتبه العديدة في هذا المجال.

وقد أولى الشيخ عناية بالآيات التي تناولت مواضيع فقهية وشرح مقصودها، وبين رأي مذهبه وانتقد من يخالفه مبينا الرأي الصواب عنده؛ مستدلا بالدليل الثقل من القرآن الكريم وأحاديث رسول الله ﷺ، والدليل العقلي بما ألهمه الله من وسائل الاستنباط والقدرة على الاجتهاد.

ومن الأمثلة على تفصيله في مثل هذه المسائل ما ذكره حين شرح قوله تعالى: ﴿فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ مُبْرَكَةٌ طَيِّبَةٌ﴾⁽²⁾ بين كيفية إلقاء السلام الذي تختلف صياغته باعتبار المكان وباعتبار الدين؛ فبين ما يقال حين الدخول إلى المسجد وإلى بيوت المسلمين، وما يقال أيضا إذا دخل المسلم بيت مسلم ليس فيه أحد وما يقول إذا دخل بيت كافر، كما نهى عن إلقاء السلام على الكفار، وإذا كان من مر عليهم مسلمون وكفار قال "السلام على من اتبع الهدى" مستدلا بالصحيح من حديث رسول الله ﷺ كقوله: "لَا تَبْتَدِئُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ بِالسَّلَامِ، فَإِذَا لَقِيتُمْهُمْ فِي طَرِيقٍ، فَأَضْطَرُّوهُمْ إِلَىٰ أُضْيِقَهَا".⁽³⁾

ويذكر أيضا أوجه أخرى مستدلا بحديث رسول الله ﷺ تجيز السلام على الكفار⁽⁴⁾، ومسلكه في عرض الآراء الفقهية أنه يذكر الآراء المختلفة لكل مذهب من المذاهب وبخاصة رأي المالكية والحنفية والحنابلة والمعتزلة والأشاعرة وغيرها، فإذا توافقت الآراء بين مذهب الإباضية ومذهب آخر ذكر ذلك و إذا اختلفت الآراء ذكر رأي بعضهم، فمرة ينقدها و مرة يكفي بجمع الآراء فقط، ويبيّن صحة رأي المذهب الإباضي ومن وافقه من المذاهب كما في تفسير قوله تعالى: ﴿وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ فِي يَتِمَّى النِّسَاءِ﴾⁽⁵⁾، ردّ على الحنفية في قولهم أن الآية دلالة على جواز تزويج اليتيمة قبل البلوغ ولو غير أبيها أو جدّها وأجاب عليه بأن الآية ذكرت رغبة الأولياء في نكاح اليتيمة

(1) محمد بن يوسف اطفيش: تيسير التفسير، ج1، ص "ذ".

(2) النور: الآية 61.

(3) أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل: مسند الإمام أحمد بن حنبل، مسند أبي هريرة ؓ ج 13، ص 56.

(4) ينظر: محمد بن يوسف اطفيش: تيسير التفسير، ج10 ص 154

(5) النساء: الآية 127.

الفصل الأول..... القصص القرآني من خلال تفسير "تيسير التفسير"

ولا يدلّ على جواز ذلك (1)، ومن المسائل التي صرّح فيها برأي مذهبه – وهي كثيرة وغالبة في التفسير – ما ذكره في مسألة دخول المشرك المسجد حين فسّر قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسْجِدَ اللَّهِ مِنْ أَمْنٍ بِاللَّهِ

وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ (2) فذكر رأي المذهب الحنفي فالمالكي ثم رأي المذهب الإباضي ولم يعقب . (3)

الفرع الثاني: التفصيل في بيان ما يتعلق بالسورة:

يفتح الشيخ اطفيش السورة بذكر مجموعة آيات ثم يجزئها إلى مفردات وجمل، ويشرحها مبرزاً مختلف الجوانب التي عالجتها الآية، وهو في الغالب يشرع مباشرة في تفسير السورة ويكتفي فقط ببيان عدد آياتها، ومن جهة أخرى نجده يذكر تفاصيل عن السورة فيذكر فضائلها وأسمائها، ومثال ذلك ما ذكره في تفسير سورة الإخلاص؛ حيث ساق الأحاديث في فضائل السورة وشرحها ثم في الأخير علق على جملة ما أورده مبرزاً الفضل الأكبر لمثل هذه السور عند الله تعالى. (4)

ويختتم الشيخ السورة في معظم السور بالصلاة على النبي ﷺ وتارة يختم بدعاء قبل الصلاة على النبي ﷺ، كما في إنشائه لتفسير سورة المسد ختم بدعاء: "اللهم نجنا من النار" اللهم عافنا من كلّ بلاء". (5)

ومن السور التي فصلّ الشيخ في بيان معنى اسمها وتجاوز في بيان ذلك عدّة صفحات سورة ق، حيث ذكر في البداية فضلها ومكانتها عند الرسول ﷺ ثم ساق أقوالاً وأخباراً في معناها. (6)

المطلب الرابع: الاهتمام بقضايا علوم القرآن

بذل الشيخ اطفيش جهداً كبيراً في بيان القضايا المتعلقة بعلوم القرآن كعلم النسخ والمنسوخ وعلم أسباب النزول وعلم المناسبات وغيرها من العلوم وهذا ديدن معظم المفسرين، فقد أدرك الشيخ أهمية هذا العلم، وخطورة الإقدام على تفسير كتاب الله الذي لا ينال إلا بالتّمكّن والتّبحّر في علوم القرآن، إذ بنى عليه تفسيره، سواء بذكر قواعده أو تطبيقاته المباشرة على الآيات، وكما نعلم فإنّ الإمام يمثل هذه العلوم هي من الشّروط

(1) محمد بن يوسف اطفيش: تيسير التفسير، المرجع السابق، ج3، ص 364.

(2) التوبة: الآية 18.

(3) محمد بن يوسف اطفيش: تيسير التفسير، المرجع السابق، ج 3، ص 364.

(4) المرجع نفسه، ج 16 ص 424.

(5) المرجع نفسه، ج 16، ص 246.

(6) ينظر: المرجع نفسه، ج14، ص 05.

الفصل الأول..... القصص القرآني من خلال تفسير "تيسير التفسير"

التي لا بدّ لمفسّر ودارس كتاب الله أن يجوزها؛ لما لها من قيمة علميّة وفائدة كبيرة فهي من أوفى ما يجب الوقوف عليه، لأنّها تعين في فهم القرآن الكريم ومعرفة المقصود من الآيات.

حيث اهتمّ الشّيخ اطفيش اهتماما كبيرا بها ووقف عندها كثيرا ومّا أورده في تفسيره:

الفرع الأوّل: الاهتمام ببيان النَّاسخ والمنسوخ

لقد نال هذا المبحث اهتماما كبيرا من الشّيخ اطفيش، حيث أفاض الحديث فيه، وفصّل في تفسير الآيات التي أشارت إلى هذا العلم، فعرف النَّسخ فقال: "النَّسخ إزالة حكم قضي في الأزل أنّه يزال، لا ظهور لما خفي تعالى الله"⁽¹⁾، وأكد على قاعدة مهمّة في النَّسخ حيث قال: "لا نسخ في الأخبار، وإنّما يكون في الأحكام"⁽²⁾، فالنَّسخ يكون في الأحكام العمليّة لا العقائديّة، وأنّه لا يشمل الأخبار كالقصص والوقائع؛ لأنّ الأخبار الماضية لا تتبدّل ولا يطرأ عليها النَّسخ، فلو نقل أحد خبرا مثل أن يقول قام فلان ثمّ نسخ هذا فقال: لم يقم فقد كذب.⁽³⁾

وقد وقف الشّيخ موقفا وسطا في القول بالنَّسخ؛ فلم يكن من المتوسّعين في القول به، ولا من الذين ينفونه مطلقا، ونستنج ذلك من خلال الآيات التي بيّن الشّيخ نسخها، ويتضح الموقف جليّا لما فسّر قوله تعالى: ﴿مَا نَسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا أَوْ مِثْلَهَا﴾⁽⁴⁾، حيث فصّل الشّيخ القول في بيان أنواع النَّسخ وذكر أمثلة على كلّ نوع، كما بيّن الفرق بينه وبين الإنساء حيث قال: "وبين النَّسخ والإنساء عموم وخصوص يجتمعان في الرّفْع عن القلوب، ويختصّ النَّسخ بمنسوخ الحكم مع بقاء التّلاوة وبالعكس، ويختصّ الإنساء بالأخبار التي أذهبت عن القلوب"⁽⁵⁾. فمن خلال إحصائه لتلك الأمثلة وبيانه أنواع النَّسخ من خلالها، تبيّن لنا موقفه هذا.

الفرع الثّاني: الاهتمام ببيان أسباب النزول

اعتنى الشّيخ اطفيش ببيان أسباب نزول الآية لأهمّيّته في بيان معنى الآية

(1) محمد بن يوسف اطفيش، تيسير التفسير، المرجع السابق، ج1، ص 309.

(2) المرجع نفسه، ج5، ص 320.

(3) محمد بولقصاع: مباحث علوم القرآن في تيسير التفسير للشّيخ اطفيش، مجلّة الواحات، غرداية، العدد 14(2011م)، ص 269.

(4) البقرة: الآية 106.

(5) محمد بن يوسف اطفيش: تيسير التفسير، ج01، ص 213.

الفصل الأول..... القصص القرآني من خلال تفسير "تيسير التفسير"

أ. فوائد العلم بأسباب النزول:

فلا يمكن معرفة تفسير الآية دون الوقوف على قصتها وسبب نزولها كما يقول الواحدي، وقد سطر العلماء فوائد عديدة لهذا العلم ومن هذه الفوائد ما ذكره الإمام السيوطي في الاتقان حيث ذكر أنه:

- يعين في معرفة وجه الحكمة الباعثة على تشريع الحكم.

- الوقوف على المعنى وإزالة الإشكال.

"وقال ابن دقيق العيد: بيان سبب النزول طريق قويّ في فهم معاني القرآن، وقال ابن تيمية: معرفة سبب النزول يعين على فهم الآية فإنّ العلم بالسبب يورث العلم بالمسبّب".⁽¹⁾

والشيخ اطفيش من المفسرين الذين أولوا عناية ببيان أسباب النزول، وهو غالباً ما يشير بعد ذكر الروايات في أسباب نزول الآية إلى أنّ العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب.

وبعد استقراء ما أورده في بيان أسباب النزول، يمكننا بيان منهجه في التعامل معها من خلال النقاط الآتية:

ب. يذكر سببا واحدا لآية واحدة:

ومثال ذلك في قوله تعالى: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا إِن زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِن دُونِ النَّاسِ

فَتَمَمُوا الْمَوْتَ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٦٦﴾⁽²⁾ فذكر أنّ الآية "نزلت في يهود خيبر حين دعاهم يهود المدينة إلى الإيمان برسالة محمد أو مخالفتها، فأنكروا عليه الرسالة وقالوا نحن أبناء خليل الرحمن، ومنا عزيز بن الله ونحن أحقّ بالنبوة من محمد، ولا سبيل إلى اتباعه".⁽³⁾

فلم يذكر الشيخ اطفيش غير هذا السبب.

ت. يذكر أوجها عديدة ومختلفة لنزول آية واحدة:

ومثال ذلك في قوله تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا وَقَالَ لَأُوتِيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا

﴿٧٧﴾⁽⁴⁾، حيث أورد عدّة روايات في سبب نزول الآية، فذكر أنّها نزلت في العاص بن وائل حين جاءه خباب بن الإريث يأخذ ديناً له عنده، فأبى أن يقضي له دينه، حتى يكفر بمحمد ﷺ، فأبى ودكره بيوم الحساب فكان فيما قال العاص: لأوتينّ مالا وولداً.

(1) جلال الدين السيوطي: الإتقان في علوم القرآن، (ط 1431-1432 هـ/2010م) دار الفكر، بيروت - لبنان، ص 40.

(2) الجمعة: الآية 06.

(3) محمد بن يوسف اطفيش: تيسير التفسير، ج 15، ص 67.

(4) مريم: الآية 77.

الفصل الأول..... القصص القرآني من خلال تفسير "تيسير التفسير"

وفيما ذكر أيضا أنها "نزلت في العاص أتوه رجال أصحاب النبي ﷺ يتقاضونه ديننا لهم فقال لهم: أستم تزعمون أنّ في الجنة ذهبا وفضة. قالوا بلى: قال موعدهم الآخرة والله لأوتين مالا وولدا ولأوتين مثل كتابكم الذي جئتم به"، وذكر سببا ثالثا أنها نزلت في الوليد بن المغيرة وقد كانت له أقوال تشبه ذلك. (1)

ويبين الشيخ بعد هذه الرواية أنّ العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، فالآيات وإن كانت نزلت بسبب حادثة ما، لكنّ العمل بها وبأحكامها هو لجميع الناس، فحين ذكر هذه الأوجه قال: "نزلت فيهم وفي أمثالهم" (2) ففي قوله "نزلت فيهم وفي أمثالهم" دلالة على هذا.

وفي قوله تعالى أيضا: ﴿ وَقَالُوا مَا لَنَا لَا نَرَىٰ رِجَالًا كُنَّا نَعُدُّهُمْ مِّنَ الْأَشْرَارِ ﴾ (3).

يقول: "وسبب النزول لا يدفع عموم اللفظ، إذ سبب الآية قيل: استهزاء رؤساء قريش كأبي جهل وأمّية بن خلف، وأصحاب القلب لعنهم الله. والهاء لفقراء المؤمنين كعمّار وصهيب وسلمان وخبّاب وبلال وهم الرجال، ولا يقدر ذلك في عموم اللفظ، مع أنّنا لا نسلم أنّ الواو لهؤلاء الكفرة و"رجالا" لهؤلاء المؤمنين بل هما للعموم من أول." (4)

والأمثلة على ذلك كثيرة في تفسيره، فهو غالبا ما يشير إلى أنّ خصوص السبب لا ينافي العموم في الحكم.

الفرع الثالث: بيان المناسبات بين الآيات والسور

ذكر الشيخ اطفيش بعض المناسبات بين السور والآيات، وهو في بيانه للرباط بين الآيات والسور يكتفي ببيان وجه المناسبة بإيجاز شديد وبصورة متفرقة في التفسير، ولم يعن به في تفسيره كما اعتنى ببيان باقي مباحث علوم القرآن الأخرى، ومن الأمثلة على بيانه المناسبة بين الآيات في السورة الواحدة ما ذكره في بيان قوله تعالى: ﴿ وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا ﴾ (5) وبين الآية التي سبقتها: ﴿ وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ (6) إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ ﴿ (6)

(1) محمد بن يوسف اطفيش: تيسير التفسير، ج9، ص 93.

(2) المرجع نفسه، ج9، ص 93.

(3) ص: الآية 62-63.

(4) محمد بن يوسف اطفيش: تيسير التفسير، ج12، ص 217.

(5) مريم: الآية 41.

(6) مريم: الآية 39-40.

الفصل الأول..... القصص القرآني من خلال تفسير "تيسير التفسير"

إذ قال: " فالمناسبة هي عبادة غير الله تعالى." (1)

ومن الأمثلة على المناسبة بين السور ما ذكر من المناسبة بين سورة الكهف ومريم فقال: "والمناسبة بينهما هو اشتماهما على عجائب في قصص كل سورة" (2)، وكما في سورة النجم وصلها بالتي قبلها وهي سورة الطور لما ختمت بما افتتحت به سورة النجم. (3)

(1) محمد بن يوسف اطفيش: تيسير التفسير، ج9، ص 47.

(2) المرجع نفسه ، ج9، ص20.

(3) المرجع نفسه: ج14، ص123

المبحث الثالث: منهج الشيخ اطفيش في

تفسير آيات القصص القرآني

- **المطلب الأول: الإسرائيليات في تفسير الشيخ اطفيش وموقفه منها**
- **المطلب الثاني: الربط بين حلقات القصة**
- **المطلب الثالث: منهج الشيخ اطفيش في عرض قصص الأنبياء**
- **المطلب الرابع: أسلوب الشيخ اطفيش في تحليل آيات القصص القرآني**
- **المطلب الخامس: الإعجاز البياني في القصص القرآني من خلال تفسير الشيخ اطفيش**

الفصل الأول..... القصص القرآني من خلال تفسير "تيسير التفسير"

المبحث الثالث: منهج الشيخ اطفيش في تفسير آيات القصص القرآني

اتبع الشيخ اطفيش في تفسيره آيات القصص القرآني المنهج ذاته الذي فسّر به آيات القرآن كله، من توظيفه للغة واستنباطه للمسائل الفقهيّة والعقدية، ومختلف مسائل علوم القرآن، لكنّ القصّة القرآنيّة تختلف عن باقي آيات القرآن الأخرى _ وإن كانت تشترك معها في الهدف الذي سيقّت لأجله _ لأنّ القصص القرآني هو إخبار من الله تعالى لنبيّه عن وقائع حدثت لأنبياء أو لأقوام في زمن مضى، فالشيخ اطفيش أعطى هذا الموضوع حيّزاً كبيراً في تفسيره، فنجدّه يبحث في أسرار تلك القصص، ويفصّل فيها الحديث ليصل إلى الحكم والفوائد التي تنطوي وراء كلّ قصّة، لذلك فهو لم يغفل جانباً في القصّة بل أعطى لجميع أحداثها أهميّة بالغة، بل ولجميع ألفاظها أهمية أكبر.

ولقد خدم الشيخ القصّة القرآنية وأبرز من خلالها معاني جليّة، وذلك من خلال تبحّره في علوم اللّغة العربيّة من بلاغة ونحو... الخ، فنجدّه يحقّق في الدلالة اللّغوية للمفردة القرآنية، ويرز المقصود من الآية، وهو أيضاً يفصّل في بيان أحداثها وسبب نزولها، فيجمع ما قيل فيها من روايات مختلفة يربّح بينها ويبين الصّحيح والسّقيم منها، فتارة يذكر عمّن نقل وتارة أخرى يكفّي ب عبارة: "قيل".

ولقد أغفلت مختلف الدّراسات التي كتبت عن تفسير الشيخ اطفيش القسم الإيجابي في تفسيره آيات القصص القرآني، فجعلّ الدّراسات ركّزت على ما أورده من روايات وإسرائيليات، ونحن لا ننكر خوضه في تفاصيل القصص القرآني، فتفسيره مليء بالأخبار والمرويات، لكن ينبغي أن لا ننشغل بها عما هو مهمّ، ولا نجعل مسألة التّفصيل في الأخبار والإسرائيليات تغطّي الجانب المشرق من تفسيره هذا، بل علينا أن نبين ما أخطأ فيه وهو قليل لنقومه، وما أصاب فيه وهو كثير لنستفيد منه، خاصّة وقد علمنا أن الشيخ اطفيش علامة زمانه أثنى عليه كلّ من عرفه، وهو مرجع للإباضية في المشرق والمغرب، وله علم غزير ولذلك لُقّب "بالقطب" أو "الموسوعي"، وبدايةً سوف نتناول موقفه من الأخبار والإسرائيليات ولماذا أوردها في تفسيره؟

الفصل الأول..... القصص القرآني من خلال تفسير "تيسير التفسير"

المطلب الأول: الإسرائيليات في تفسير الشيخ اطفيش وموقفه منها

إن أغلب الباحثين في تفسير الشيخ اطفيش انتقدوا إكثاره من ذكر المرويات الإسرائيلية في تفسيره بشدة، حتى أنّ بعضهم صنّفوه بسببها من التّفسير المنحرفة لكثرة المرويّات الإسرائيلية فيه، فأردت من خلال هذا المطلب أن أوضح موقف الشّيخ من الإسرائيليات مع الاستدلال.

الفرع الأوّل: مقدمة عن الإسرائيليات

سوف نقدّم تحت هذا العنوان مقدّمة مختصرة عن الإسرائيليات، مفهومها، وكيف دخلت كتب التّفسير، وأقسامها، وموقف العلماء منها.

أوّلاً. مفهوم الإسرائيليات:

جمع إسرائيلية، نسبة إلى بني إسرائيل، وإسرائيل هو: يعقوب عليه السلام. وهي كل قصّة أو حادثة تروى عن مصدر إسرائيلي. (1) وسبب تسميتها بذلك وإن كان هذا الاسم يدلّ بظاهرة على اللّون اليهودي إما نظرا إلى الأصل لأنّ أصل النصارى راجع إلى بني إسرائيل، وإما للتغليب فإنّ أكثر الأخبار منقول عن اليهود. (2)

ثانيا. دخولها إلى كتب التّفسير:

يقول الشيخ محمد الغزالي متحدّثا عن خطر هذه الروايات ومدى تأثيرها في عقول النّاس: والخرافيون هم آفة الأخبار وآفة الأديان في كلّ زمان، والنّاس يخلو لهم أن يجعلوا من الاستثناء قاعدة، ومن الشّدوذ قانونا، وهنا الطّامة التي تعصف بالدين والعلم معا. فكم من قصص ديني لو صحّ لما تماسك للكون نظام، ولا بقيت لقانون السّببيّة حرمة (3). أورد ابن خلدون في مقدّمته أسباب الاستكثار من المرويّات الإسرائيليّة فقال:

"وقد جمع المتقدّمون في ذلك يعني التّفسير التّقلي وأوعوا، إلا أنّ كتبهم ونقولاتهم تشتمل على الغثّ السمين، والمقبول والمردود، والسّبب في ذلك أنّ العرب لم يكونوا أهل كتاب ولا علم وإنما غلبت عليهم البداوة والأمية.

(1) محمد حسين الذهبي: الإسرائيليات في التفسير والحديث، مكتبة وهبة - القاهرة، (دط)، ص 13.

(2) محمد حسين الذهبي: التفسير والمفسرون، ج1، ص165.

(3) محمد الغزالي: ركائز الإيمان بين العقل والقلب، دار الشروق-القاهرة، ص 241.

الفصل الأول..... القصص القرآني من خلال تفسير "تيسير التفسير"

وإذا تشوّقوا إلى معرفة شيء مما تشوّق إليه النفوس البشرية في أسباب المكونات وبدء الخليقة وأسرار الوجود فإتّما يسألون عنها أهل الكتاب قبلهم ويستفيدون منهم، وهم أهل التوراة من اليهود ومن تبع دينهم من النصارى.

وأهل التوراة الذين بين العرب يومئذ بادية مثلهم، ولا يعرفون من ذلك إلا ما تعرفه العامة من أهل الكتاب ومعظمهم من "حمير" الذين أخذوا بدين اليهودية، فلما أسلموا بقوا على ما كان عندهم مما لا تعلق له بالأحكام الشرعية التي يتناطون لها، مثل أخبار بدء الخليقة أمثال كعب الأحبار، ووهب ابن منبه وعبد الله ابن سلم، فامتألت التفاسير من المنقولات عنهم... وتساهل المفسرون في مثل ذلك، وملأوا الكتب بهذه المنقولات. (1)

ثالثاً. أقسام الإسرائيليات

الأولى: ما أقرّه الإسلام، وشهد بصدقه فهو حقّ.

مثاله: ما رواه البخاري وغيره عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: جاء خبرٌ من الأخبارِ إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فقال: يَا مُحَمَّدُ إِنَّا نَجِدُ: أَنَّ اللَّهَ يَجْعَلُ السَّمَوَاتِ عَلَى إصْبَعٍ وَالْأَرْضِينَ عَلَى إصْبَعٍ، وَالشَّجَرَ عَلَى إصْبَعٍ، وَالْمَاءَ وَالشَّرَى عَلَى إصْبَعٍ، وَسَائِرَ الْخَلَائِقِ عَلَى إصْبَعٍ، فَيَقُولُ أَنَا الْمَلِكُ، فَضَحِكَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى بَدَتْ نَوَاجِذُهُ تَصْدِيقًا لِقَوْلِ الْحَبْرِ، ثُمَّ قَرَأَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ (2)

(1) عبد الرحمن بن محمد بن محمد ابن خلدون: مقدمة ابن خلدون، تحقيق: عبد الله محمد الدرويش، دار يعرب دمشق، ط1 (1425هـ-2004م)، ص 279.

(2) محمد بن إسماعيل البخاري: صحيح البخاري، كتاب تفسير القرآن، باب قوله: "وما قدروا الله حق قدره"، دار طوق النجاة ط (1422هـ) ج6، ص126.

الفصل الأول..... القصص القرآني من خلال تفسير "تيسير التفسير"

الثاني: ما أنكره الإسلام وشهد بكذبه فهو باطل، اليهود تقول إذا جامعها من ورائها، جاء الولد أحول؛

فنزلت: ﴿ نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأَتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ ﴾ (1)

الثالث: ما لم يقره الإسلام، ولم ينكره، فيجب التوقف فيه، لحديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: "كان أهل الكتاب يقرؤون التوراة بالعبرانية، ويفسرونها بالعربية لأهل الإسلام، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم " لا تُصَدِّقُوا أَهْلَ الْكِتَابِ وَلَا تُكَدِّبُوهُمْ، وَقُولُوا: ﴿ وَقُولُوا ءَامَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴾ (2) " (3) ولكن التحدث بهذا النوع جائز، إذا لم يخش محذورا؛ لقول النبي صلى الله عليه وسلم: "بَلِّغُوا عَنِّي وَلَوْ آيَةً، وَحَدِّثُوا عَنِّي بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا حَرَجَ، وَمَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا، فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ." (4)

رابعا. موقف العلماء من الإسرائيليات

اختلفت مواقف العلماء ولا سيما المفسرون من هذه الإسرائيليات على ثلاثة أوجه:

- ✓ منهم من أكثر منها مقرونة بأسانيدھا ورأى أنه يذكر أسانيدھا مثل ابن جرير الطبري.
- ✓ منهم من أكثر منها وجردها من الأسانيد غالبا، فكان حاطب ليل مثل البغوي الذي قال ابن تيمية عن تفسيره: "إنه مختصر من التعلي لكنه صانه عن الأحاديث الموضوعية والآراء المبتدعة" وقال عن الثعلبي: "إنه حاطب ليل ينقل ما وجد في كتب التفسير من صحيح وضعيف وموضوع".
- ✓ منهم من ذكر كثيرا منها وتعقب الغالب مما ذكره بالتضعيف أو الإنكار مثل ابن كثير، وكذلك الشيخ اطفيش أورد الكثير منها معقبا ومفندا بعضا منها وغض الطرف على البعض الآخر وهذا ما سنفصل فيه في هذا المبحث إن شاء الله.
- ✓ منهم من بالغ في ردها ولم يذكر منها شيئا يجعله تفسيرا للقرآن كمحمد رشيد رضا. (5)

الفرع الثاني: إيراد الشيخ اطفيش للروايات الإسرائيلية في التفسير

أورد الشيخ اطفيش الإسرائيليات والروايات التاريخية في تفسيره، وأطنب وتوسّع فيها كثيرا، فهو يتأرجح بين موقفين مختلفين: "أحيانا يظهر بصورة الناقل الأمين الذي يبدو من فرط أمانته في النقل وكأنه حاطب

(1) البقرة: 223.

(2) العنكبوت: 46

(3) محمد بن إسماعيل البخاري: صحيح البخاري، كتاب تفسير القرآن، باب: "قولوا آمنة بالله وما أنزل إلينا"، ج6، ص 20.

(4) محمد بن إسماعيل البخاري: صحيح البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب ما ذكر عن بني إسرائيل، ج4، ص 170.

(5) محمد بن صالح العثيمين: أصول في التفسير، المكتبة الإسلامية ط1 (1422هـ / 2001م)، ص 55.

الفصل الأول..... القصص القرآني من خلال تفسير "تيسير التفسير"

ليل لا يترك شاردة ولا واردة نطق بها أهل الأخبار إلا وساقها، وإن كانت مخالفة للعقل، وأحيانا يظهر في صورة الناقد المتمرس الدقيق، إذ لا يثق في بعض الأخبار والآثار الواردة إليه في ذلك، خاصة إذا شاهد فيها تعارضا صارخا مع العلم والعقل. ولذلك نراه يشك في صحتها ويناقشها، وإن لم يجد فإنه يذلل تلك القصة أو تلك الآثار بعد أن يورد تفاصيلها بقوله: "الله أعلم بصحتها" أو نحو ذلك⁽¹⁾. ويمكن تقسيم المرويّات في تفسير الشيخ إلى ثلاث أقسام:

- إسرائيليّات ردّ عليها وبيّن بطلانها.
- إسرائيليّات سكت عنها ولم يعقب عليها.
- أخبار تاريخية خيالية وأحاديث موضوعة.

وسوف نعرض بعض الأمثلة لكلّ قسم من هذه الأقسام ثمّ نبين غرض الشيخ من إيراده لتلك الروايات. وموقف العلماء منها.

1. ما ردّ عليه الشيخ وبيّن بطلانه:

الكثير من الإسرائيليّات التي أوردها الشيخ اطفيش في تفسيره عقب عليها وبين عدم صحتها، وغرضه من إيراده هو أن يعلم المتلقّي بطلان تلك الروايات فلا يصدّقها إذا قرأها في موضع آخر، فأغلب تلك الروايات مبثوثة في العديد من كتب التفسير دون تحييص منهم، وهو كما قال الدكتور يحيى بوتردين في رسالته يورد تلك الروايات من باب الأمانة، فكلّ ما جاء في القصة من روايات وأخبار ذكره وأورده، ويدلّ أيضا على سعة اطلاعه على كتب القدامى والتفاسير التي سبقته.

وإيراد الشيخ لتلك الروايات مع التنبيه عليها لا تنقص من قيمة تفسيره أبدا، لأنّ بيان بطلانها يحسب له لا عليه كما أنّ ذلك تكسب القارئ معارف جديدة حول كلّ ما يحاك من أباطيل في القصة القرآنية، ممّا يبعد عن المغزى الحقيقي من إيراده.

ولهجة الشيخ وحده ردّه لتلك الروايات تختلف بحسب موضوع الرواية، فنجده شديد اللهجة حاد الردّ إذا كانت تلك الروايات تمسّ العقيدة أو تعارض صريح القرآن والسنة النبوية، بينما لهجته تخفّ إذا خالفت الرواية المنطق والعقل وكانت من قبيل الخيال مع عدم مخالفتها لأساسيات الشريعة الإسلاميّة.

(1) يحيى بوتردين: الشيخ اطفيش القطب مفسرا، ص 214.

الفصل الأول..... القصص القرآني من خلال تفسير "تيسير التفسير"

ومن الأمثلة على ما أورده الشيخ من إسرائيليّات مع التّنبيه على بطلانها: في قوله تعالى: ﴿إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ﴾ (1)، حيث ردّ الرواية التي تقول: أنّ الله عز وجل أمر السمك أن يهجّج إلى صنمين لقيم ولقمانه على شاطئ البحر كلّ يوم سبت، ونهى الله القرية أن يأخذه يوم السبت، ردّ على هذه الرواية فقال: "فمن قال دعا الله الحوت إلى عبادة الصنمين أشرك، ومن قال جعلهما كالكعبة فقد دخل شبهة موهمة مظلمة، عامله بما استوجبه من الشرّ، لأنّ الله عز وجل لا يضلّ الناس بتعظيم صنم". (2)، وأيضا لما تعلّق الأمر بالملائكة والأنبياء ففي قصة موسى عليه السّلام لما طلب رؤية الله تعالى فأجابه المولى جلّ وعلا: ﴿قَالَ لَنْ تَرِنِي وَلَكِنِ أَنْظِرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرِنِي فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا﴾ (3) قال الشيخ: "وما يروى أنّه لكرته الملائكة بأرجلها، وقالوا: أتطمع في رؤيته يا ابن النّساء الحيّض"، عبّ عليها وقال: "أظنّه كلاما وضعته اليهود كذبا" (4)، فلمّا رأى الشيخ أنّ هذه الرواية لا تتفق وعصمة الأنبياء وكرامتهم، وكذلك لا تتفق مع أخلاق الملائكة الذين سجدوا لآدم احتراماً لنبيّ الله، فمثل هذه الروايات ردّها الشيخ وبين عدم صحّتها وكذبها لأنّها من أباطيل اليهود، تروى للتقليل من شأن الأنبياء عليهم السّلام.

والشيخ يستعمل في ردّه للروايات عبارات متعدّدة مثل: "والله أعلم بصحّة ذلك"، ولا دليل على صحّة هذا"، "وهذا من الإسرائيليات، وفي بعض ذلك بعد" (5) وهو في تفسير كثير، (6) أو استعماله العبارات الدّالة على التّشكيك وعدم اليقين مثل: "وزعموا" (7)

2. المرويّات التي سكت عنها الشيخ اطفيش ونقّد العلماء لها.

وقد نقل الشيخ عن كتب عدة روايات تعدّ من الإسرائيليات، منها تلك الروايات التي تذكر أسماء الأشياء والحيوان والأشخاص سكت عنها القرآن، ومنها أيضا ما يخالف العقل وهي من الخرافات التي لا يقبلها

(1) الأعراف: الآية 163

(2) محمد بن يوسف اطفيش: تيسير التفسير، ج5، ص214.

(3) الأعراف: الآية 143.

(4) محمد بن يوسف اطفيش: تيسير التفسير، ج5، ص176.

(5) المرجع نفسه، ج5، ص93.

(6) المرجع نفسه ج5، ص24، ص194.

(7) المرجع نفسه، ج5، ص214.

الفصل الأول..... القصص القرآني من خلال تفسير "تيسير التفسير"

الشرع، والشيخ في إيرادته لتلك الروايات لا يحيل إلى مصادرها إلا نادرا وإنما يكتفي بقوله: " قيل " أو يقال " في الغالب.

ومثل هذه الروايات ردّها بعض العلماء وعدّوها من الأباطيل التي لا بدّ أن تنزّه عنها كتب التفسير، لأنّ كتاب الله حق ولا يفتر إلا بحق، ولا ندخل فيه ما لا تتحقق به الفائدة.

ولا ندري كيف غفل الشيخ عنها وأوردها في تفسيره دونما تعقيب، وهو الذي بين أن في كلام أهل الكتاب زيف وكذب حين فسر قوله تعالى: ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِن كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ ﴾ (1) حيث قال: " وفي ذلك تعريض بأنّ قصّ أهل الكتاب قبيح لأنّه كذب، إذ لا حسن في قصّهم، اللهم إلا أن يعتبر خصوص ما قصوا به دون كذب، ووجه الخروج أنّ صدقهم أفسده كذبهم وأنّه يرتاب فيه " والشيخ أقرّ بأنّ كلام أهل الكتاب فيه شكّ وريبة. (2)

ومّا ذكره: في قصة آدم " ناداه ربّه يا آدم لم أكلت منها وقد نهيتك؟ قال: أطعمني حواء، وقال لحواء: لم أطعمتها؟ قالت: أمرتني الحيّة، وقال للحيّة: لم أمرتها؟ قالت: أمرني إبليس، فقال: أمّا أنت يا حواء فلا دميتك كل شهر كما أدميت الشجرة، وأمّا أنت يا حيّة فأقطع أرجلك فتمشين على وجهك، وليخدرنّ رأسك من لقيك، وأمّا أنت يا إبليس فملعون. " (3)

وفي قصة سليمان ذكر جملة من الأقوال نسبها إلى حيوانات فقه سليمان كلامها لقوله تعالى: ﴿ وَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عَلِمْنَا مِنْتُمْ أَنْتُمْ أَنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ ﴾ (4) وأظنّ في بيان كلام كل طائر فمما ذكره: " قيل صاح ورشان فقال: إنّه قال: " لدوا للموت، وابنوا للخراب "، وصاحت فاخنة فقال: قالت: " ليت هذا الخلق لم يخلقوا "، تعني المكلفين من الجنّ والإنس، وطاوس فقال: يقول " كما تدين تدان " وهدهد فقال: يقول: " استغفروا الله يا مذنبون ".... الخ. (5)

(1) يوسف: الآية 03.

(2) محمد بن يوسف اطفيش: تيسير التفسير، ج 4، ص 297.

(3) المرجع نفسه، ج 5، ص 33.

(4) التمل: الآية 16.

(5) محمد بن يوسف اطفيش: تيسير التفسير، ج 10، ص 323.

الفصل الأول..... القصص القرآني من خلال تفسير "تيسير التفسير"

كذلك في شأن بلقيس وإسلامها ذكر روايات وأخبار منها أنّ الجنّ بنوا لها الصّرح من زجاج حتّى يتبيّن كذب من قال أنّ رجلها رجل حمار إذا كشفت عن ساقها تخوض اللّجّة، ولكن بان بأثهما شعروان (1)... وما تزوّجها إلّا بعد أن أزال شعر ساقها بالنّورة أخرجها لها الشّياطين، بعد أن سأل الإنس وسائر الجنّ فلم يجيبوا إلّا بالحلق، فكرهه مخافة أن تجرح. (2)

هذه أمثلة عن بعض ما ورد في تفسير الشّيخ اطفيش ومثلها كثير، ولا يخفى على أي مسلم خطر هذه الروايات حيث إنّها تصرف ذهن القارئ إليها مغترا بقامة أصحاب هذه التفاسير وقدمها، جاهلا عمّا أراه الله سبحانه في كتابه من التدبّر والتّفكر في آيات الله والاعتبار بما وقع للسّابقين من المكذّبين لرسولهم من آيات مهلكة، وما ناله المؤمنون من درجات رفيعة. (3)

وفي قصّة أصحاب الكهف روايات كثيرة هي من قبيل الإسرائيليات من بينها تحديد اسم الكلب ولونه وغرائب أخرى ذكرها الشّيخ في تفسيره، إذ يقول في وصف كلب أصحاب الكهف: "واسمه قطمير، وعن مجاهد قطمور، وقيل: ثور، وقيل: كلب تبعهم، وقيل: ريان، وهو أصفر اللّون، وقيل: أسمر، وقيل: كلون السّماء، وقال رجل من أهل الكوفة: رأيت أحمر كأنه ثوب إنجاني (4)... قال قومنا: إنّ رجلا لا يتهم بالكذب، وإن اسمه عبيد، وقيل: فيه نمرّة بيضاء، ونمرّة سوداء، وهو لواحد منهم تبعه فطرده فأنطقه الله: إيّ مؤمن ومحّب لأحباب الله، وقيل: لراع مروا به مع غنمه فاتّبعتهم الرّاعي إيماناً بالله، إذ أخبروه بقصّتهم، فتبعه كلبه فطرده، ورفع يديه ودعا فأنطقه الله بذلك، وبأني لا أضرب بل أنفعكم إذا رقدتم أحرسكم، ولما ناموا نام، ولما استيقظوا تيقظ، ولما ماتوا مات معهم، ويدخل الجنة كناقّة صالح، وكبش إسماعيل، وهو كلب حاله من أحسن الأحوال نال درجة الأبرار لحبه إياهم وصحبتهم، حتى كان يتلى في القرآن في مقام المدح". (5)

3. نقد تلك الروايات:

أ. نقد الرواية الأولى: مثل هذه الروايات جاءت في العديد من كتب التفسير قال أبو شهبّة: "كلّ هذا من قصص بني إسرائيل الذين تزيّدوا فيه، وخلطوا حقّاً بباطل، ثمّ حمّله عنهم ابن عبّاس، وغيره من الصّحابة

(1) المرجع نفسه، ج 10، ص 349.

(2) المرجع نفسه، ج 10، ص 351.

(3) محمّد عطا أحمد يوسف: المسكوت عنه من الإسرائيليات، محولية الجامعة الإسلامية العالمية، العدد 7، ص 13.

(4) محمد بن يوسف اطفيش: تيسير التفسير، ج 5، ص 341.

(5) المرجع نفسه، ج 5، ص 341.

الفصل الأول..... القصص القرآني من خلال تفسير "تيسير التفسير"

والتابعين وفسرُوا به القرآن الكريم، ويرحم الله ابن جرير فقد أشار بذكره الرواية عن وهب ابن منبه إلى ما يرويه عن ابن عباس، وابن مسعود إنما مرجعه إلى وهب وغيره من مسلمة أهل الكتاب. (1)

ب. نقد الرواية الثانية: نقد الدكتور أبو شهبه هذه الرواية وأمثالها في قصة سليمان عليه السلام وملكة سبأ، وفي هذه الرواية يقول أبو شهبه: "والتفسير الصحيح لبناء الصرح أن سليمان - عليه السلام - أراد ببناؤه الصرح: أن يريها عظمة ملكه وسلطانه وأن الله سبحانه وتعالى أعطاه من الملك، ومن أسباب العمران والحضارة ما لم يعطها، فضلا عن النبوة... وحاشا لسليمان - عليه السلام - أن يتحايل هذا التحايل، حتى ينظر إلى ما حرم الله عليه، وهما ساقاها وهو أجل من ذلك وأسمى." (2)

ج. نقد الرواية الثالثة: ذكر أبو شهبه هذه الرواية فقال: "روى ابن أبي حاتم من طريق سفيان، قال: رجل بالكوفة يقال له عبيد - وكان لا يتهم بالكذب - قال رأيت كلب أصحاب الكهف أحمر، كأنه كساء أنبجاني" قال: "ولا أدري كيف كان لا يتهم بالكذب، وما زعم كذب لاشك فيه فهل بقي كلب أصحاب الكهف حتى الإسلام؟!"

وذكر أبو شهبه أننا نحن في غنى عن مثل هذه الأخبار، "ولا فائدة من الاشتغال بمعرفته وتفسير القرآن به فالأولى والأحسن أن نضرب عنه صفحا." (3)

4. الأخبار التاريخية والأحاديث الموضوعية في تفسيره:

لم يقتصر الشيخ اطفيش على الروايات الإسرائيلية والتي مصدرها أهل الكتاب فقط، بل شمل تفسيره بعض الأحاديث الموضوعية والمكذوبة على النبي ﷺ مضمونها قصص وأخبار لا تصح لا عقلا ولا شرعا.

وبالرغم من تمكن الشيخ من ناصية علم الحديث ومصطلح الحديث إذ يعدّ من علماء الإباضية القلائل الذين تركوا آثارا ومؤلفات في السنّة النبوية وعلومها (4)، إلا أنه وردت في تفسيره سقطات وهفوات لا ندري كيف غفل عنها وأوردها دون بيان لبطلانها.

(1) محمد أبو شهبه: الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير، مكتبة السنّة ط 4 (دت)، ص 180.

(2) المرجع نفسه، ص 250.

(3) محمد أبو شهبه: الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير، ص 241.

(4) قاسم حاج محمد: آثار الشيخ محمد بن يوسف اطفيش في علم مصطلح الحديث وبعض آرائه في السنّة من خلال كتابيه (جامع الشمل ووفاء الضمانة)، مجلة الواحات للبحوث والدراسات، ص 239.

الفصل الأول..... القصص القرآني من خلال تفسير "تيسير التفسير"

ومن هذه الموضوعات ما ذكره من تفصيل وإطناب في تفسير قوله تعالى: ﴿لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَى﴾ (1) ففصّل في بيان المقصود بـ: "وما تحت الثرى" وساق وصفا له عن ابن عباس ومحمد بن كعب ثم عن جابر بن عبد الله حيث قال: "سئل رسول الله ﷺ ما تحت الثرى؟ فقال: الماء، فقيل: وما تحت الماء، قال: ظلمة، قيل: فما تحت الظلمة؟ قال الهواء، قيل: فما تحت الهواء؟ قال الثرى، قيل فما تحت الثرى؟ قال انقطع علم المخلوقين عند علم الخالق." (2)

وهذا الوصف غريب عجيب وهو من خيال القصاصين كما قال الشيخ إبراهيم طلاي على هامش الكتاب حيث قال: "ويبعد أن يكون من صاحب الوحي عليه السلام". (3)

الفرع الثالث: مصادر الشيخ اطفيش في الروايات والأخبار

حينما نتبّع نقولات الشيخ عمّن سبقه في مجال القصص خاصة نجده نادرا ما يشير إلى المصدر الذي أخذ عنه، ويكتفي فقط بعبارة: "قيل" أو: "يقال" لكنّه في بعض المواضع على قلّتها يذكر عمّن أخذ.

وبمقارنتي للروايات التي أوردها الشيخ اطفيش بما ورد في بعض كتب التفسير التي سبقته وجدت تشابها كبيرا بينها، بل في بعضها تطابق تام. ومن هذه التّفاسير التي ولاشكّ كانت المرجع الأساس في تفسيره وترتيب هذه المصادر بحسب تاريخ وفاة أصحابها:

- تفسير أبو بكر الأصم (201هـ / 279هـ): وهو فقيه ومفسّر معتزلي. (4)
- "جامع البيان عن تأويل آي القرآن": لمحمد بن جرير الطبري (224 هـ / 310 هـ) اعتمد عليه كثيرا في نقل الروايات والأخبار، مع حذف أسانيده، وهو لا يعزو إليه دائما فكثيرا ما ينقل عنه دون الإحالة إليه. (5)
- تفسير القرآن العظيم مسندا عن رسول الله ﷺ والصحابة والتابعين: لابن أبي حاتم عبد الرحمن بن محمد بن إدريس الرازي (ت 327هـ): نقل عنه أيضا ويعزو له يقول: "قال ابن أبي حاتم." (6)

(1) طه: الآية 06

(2) محمد بن يوسف اطفيش: تيسير التفسير، ج9، ص 121.

(3) المرجع نفسه، ج9، ص 122.

(4) المرجع نفسه، ج5، ص 396.

(5) المرجع نفسه، ج5، ص 396.

(6) المرجع نفسه: ج 2، ص 314.

الفصل الأول..... القصص القرآني من خلال تفسير "تيسير التفسير"

● المحرّر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لعبد الحق بن غالب ابن عطية الأندلسي المغربي الغرناطي (481هـ / 546هـ): اعتمد الشيخ على تفسير البحر المحيط، ونقل عنه يقول قال: ابن عطية، ويرجح قوله

أحيانا فمثلا لما ذكر الأقوال في وصف أصحاب الكهف من تغير حالهم بطول شعورهم وكذا أظفارهم بعد أن لبثوا سنين في الكهف قال: "وصحّ ابن عطية أنّهم بقوا على حالهم لم تزد شعورهم وأظفارهم." (1)

● تفسير البحر المحيط أبي حيان الأندلسي (654هـ / 745هـ): يأخذ عنه ويعزو إليه غالبا، يقول قال أبو حيان، وأحيانا: "الإمام أبو حيان" وأحيانا ينقل قول ابن عطية عن ابن حيان ففي قصة أصحاب الكهف قال: "قال أبو حيان: قال ابن عطية: دخلت عليهم فرأيتهم سنة أربع وخمسمائة، وهم بهذه الحالة، وعليهم مسجد، وقريب منهم بناء روميّ يسمّى الرقيم، كأنه قصر مخلق قد يفنى بعضه، وهو في فلاة من الأرض خربة، وبأعلى قصر غرناطة ممّا يلي القبلة، آثار مدينة قديمة يقال لها دقيوس، وجدنا في آثارها غرائب." (2)

وأبو حيان ينقل كثيرا في تفسيره عن الزمخشري وابن عطية، وكثيرا ما يتعقبهما بالرّد والتفنيد خصوصا في مسائل النحو. (3)

● تفسير القرآن العظيم: لابن كثير (700هـ-774هـ) (4) ينقل عنه فأحيانا يعزو إليه وأحيانا لا يذكر ذلك، ويروي عنه روايات ذكرها الطبري.

● الجواهر الحسان في تفسير القرآن، لعبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي الجزائري المالكي (786هـ / 875هـ). (5)

وفاء الضمانة بأداء الأمانة: للشيخ اطفيش، وهو كتاب في فنّ الحديث، يعزو إليه في ذكر الأحاديث التي جاءت في بعض الروايات. (6)

(1) المرجع نفسه، ج 5، ص 343/ المرجع نفسه: ج 5، ص 354، و ص 396، و ص 419، و ص 432... الخ

(2) محمد بن يوسف اطفيش: تيسير التفسير، ج 5، ص 332 / و ج 5 ص 396، و ص 414، و ص 465. الخ

(3) محمد حسين الذهبي: التفسير والمفسرون، ج 1، ص 227.

(4) ينظر: محمد بن يوسف اطفيش: تيسير التفسير، ج 1، ص 152، و ص 200-201.

(5) المرجع نفسه، ج 5، ص 400.

(6) ينظر: المرجع نفسه، ج 1، ص 67.

الفصل الأول..... القصص القرآني من خلال تفسير "تيسير التفسير"

- كتاب ردّ الشرود إلى الحوض المورود: هو كتاب ألفه الشيخ، من أجل إظهار نبوءة النبي محمد ﷺ من التوراة والإنجيل والقرآن لمن ينكرها من اليهود والنصارى وغيرهم من أهل الشرك والوثنية. (1)

الفرع الرابع: غرض الشيخ اطفيش من التفصيل في إيراد القصص

أفصح الشيخ عن ذكره لروايات طويلة مفصلة استغنى القرآن الكريم عن ذكرها، وهي من قبيل الأخبار التاريخية فيها الغثّ والسمين وتحدث عن السبب الذي جعله يفصل فيها وإن كان لا يعتدّ بها فقال: "أنا أذكر هذه الأمور كارهاً ليتروّح إليها السامع، ولو لم أصدّقها" (2)، وقال في موضع آخر: "واعلم أيّ أذكر القصص في التفسير ولو مع كثير منها لا يصحّ عندي ليستريح إليها القارئ والمستمع" (3) وقد ردّ هذا الغرض الأستاذ محمد بولقصاع في مقال كتبه حيث قال: "هذا السبب الذي من أجله ساق الشيخ القصص وأطال فيها في الحقيقة لا يجب أن يقبل بحال؛ لأنّ القرآن ساق لنا أحسن القصص فلا بدّ أن تفسّر بأحسن الكلام وأعدبه، لا بذكر الغرائب وسوق الروايات الضعيفة، علاوة على ذلك أنّ القرآن بحد ذاته طمأنينة للمؤمن وشفاء له وسكينة، ولا يملّ منه القارئ فيحتاج إلى من يلفّفه بأمثال بعض القصص التي ساقها الشيخ". (4) وأوافق الأستاذ كثيراً فيما قاله، لكن ولأننا أمام هذه القامة العلمية الموسوعيّة فينبغي أن نبحث عن الأسباب الحقيقية التي جعلت الشيخ يوردها:

- فالشيخ يحاول أن يستقطب أكبر عدد من الشباب لدرس التفسير، وإلى مجالس العلم عامّة، فهو يخشى عليهم من الأفكار والثقافات الغربية التي كانت تحاك ضد العروبة والإسلام آنذاك، فكان يسعى جاهداً أن يلتفتّ طلبة العلم حول معينه حتى يستفيدوا من الاستنباطات والمسائل المختلفة التي جاءت في ثنايا التفسير.
- أنّ الحاضرين لدرس التفسير تختلف درجتهم العلمية فمنهم العامي والمثقف والشيخ لما ينوع في درس التفسير فهو يراعي ثقافة الحاضرين كلهم ومستواهم العلمي.
- أنّ درجة إيمان الحاضرين كذلك متباينة فتؤثّر الآيات في بعض وبعضهم لا يتأثرون بها، فمن خلال بعض القصص يستميل الشيخ الآخرين شيئاً فشيئاً حتى يستقيم إيمانهم.

(1) محمد ترمزين: ملخص عن علاقات القطب اطفيش من خلال مراسلاته ورحلاته، مقال منشور بتاريخ 22 مارس 2012، مدونة المعرفة، ص 23.

(2) محمد بن يوسف اطفيش: تيسير التفسير، ج 10، ص 377.

(3) المرجع نفسه، ج 6، ص 406.

(4) محمد بولقصاع: مباحث علوم القرآن في تيسير التفسير للشيخ اطفيش، ص 277.

الفصل الأول..... القصص القرآني من خلال تفسير "تيسير التفسير"

- أنّ الشّيخ لما قال: "أنا أذكر هذه الأمور كارها" دلالة على أنّ هناك أمرا ما كان يضطرّه إلى ذكرها، خاصّة أنّ القصص عموما تستسيغه الآذان وتميل إليه القلوب ويثبت علماء النفس أنّ غير المعقول أشدّ فعلا في النفس، لذلك كانت الجوانب الغريبة في هذا القصص أكبر مؤثّر فيها. (1)

- كما أرى أنّ تذكير الشّيخ من موضع لآخر بعدم صحّة تلك الروايات، وردّه لأكثرها أو التشكيك بعدم صحتها تغفر له.

- في بعض المواضع من التفسير ذكر رأيه وموقفه من الأخذ من الإسرائيليات فقال: "في قصّة موسى عليه السّلام كلام وجد في التّوراة وأقول: لا يجوز مطالعة التّوراة والإنجيل لأنّ أهل الكتابين يزيدون وينقصون ويقصدون مخالفة الله ورسوله، ولا يؤخذ بما فيها لذلك." (2)

- والشّيخ من خلال بعض القصص يحاول تعليم النّاس بعض الأخلاق والآداب، ويغرس بعض القيم التي هي من صميم ديننا، فمثلا من خلال قصّة تكليم الله لموسى عليه السّلام ذكر الشّيخ وصفا للهيئة التي سمع بها موسى كلام الله تعالى فقال: "وقف على حجر واستند إلى آخر، ووضع يمينه على شماله وألقى ذقنه على صدره، وأصغى بشراشره"، هذا الوصف وإن كان ليس بهذه الهيئة بالذات وأنّه من الأخبار المشكوك في صحتها لكن ما تضمنته الرواية لا يستبعد أن يكون موسى كان على تلك الهيئة أو ما يقاربها وهو في ذلك المقام العالي المبارك، فمن المؤكّد أن تكون هيئته تدلّ على أدب استماعه، وغض بصره وإصغائه، وسكون جوارحه، وحضور عقله، والشّيخ غرضه من ذكر هذا الوصف هو تعليم المتلقّين أدب حضور مجالس العلم، والأدب مع العلماء، وضرورة الإصغاء الجيّد لما يتلقّونه والعزم على الامتثال لما يسمع. (3)

- ويقول الشّيخ إبراهيم طّلاي تعليقا على إحدى الروايات التي جاءت في تفسير الشّيخ حيث يقول: "هي من رسوبات الأقدمين من الأمم السّابقة، والشّيخ ﷺ إنّما يوردها حبّا منه للمعرفة والرّواية فقط، وقد ذكر القطب ﷺ في كتابه "الدّخر الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى" ما يفيد هذا المعنى: "وقد كنت ممارسا لعلم التّصوّف ولا يخفى عليّ مقاصدهم، والحمد لله تعالى وأجيب عمّا أشكل، وكرهته لأنّه يوهم تفسير القرآن بما هو خطأ" (4).

(1) التّهامي نقرة: سيكولوجيّة القصّة، ص 160.

(2) محمد بن يوسف اطفيش: تيسير التفسير، ج 10، ص 417.

(3) المرجع نفسه، ج 9، ص 129.

(4) المرجع نفسه، ج 9، ص 129. (تعليقا في هامش الصفحة)

الفصل الأول..... القصص القرآني من خلال تفسير "تيسير التفسير"

المطلب الثاني: الربط بين حلقات القصة

تأتي القصة في السورة بما يتناسب مع السياق، فيذكر القرآن جزءاً من القصة في سورة وجزءاً منها في سورة أخرى، لأنّ القصص القرآني جاء ليبيّن العبرة والموعظة من الأحداث التي جرت، وليس لهدف السرد والإخبار، لذلك نجد في كثير من القصص سكوت القرآن عن بعض حلقات القصة الواحدة يترك فيها التصوّر للقارئ. والشّيخ اطفيش نجده في أغلب القصص يربط بين الحلقات المسكوت عنها بعبارات مختلفة كقوله: "وكأنه قيل" أو "وتقدير الكلام"، ومثاله في قوله تعالى في سورة يوسف عليه السلام: ﴿يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعُ عِجَافٍ وَسَبْعُ سُنبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ لَّعَلِّي أَرْجِعُ إِلَى النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٤٦﴾﴾⁽¹⁾ هذا الكلام جاء على لسان الرسول الذي أرسله الملك ليوسف عليه السلام وهو في السجن ثمّ جاء حديث القرآن مباشرة عن كلام الرسول مع الملك وإخباره بجواب يوسف عليه السلام:

﴿قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدْتُمْ فَذَرُوهُ فِي سُنْبُلِهِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تَأْكُلُونَ ﴿٤٧﴾﴾⁽²⁾، قال الشّيخ: "هذا جواب سؤال: كأنه قيل فماذا قال يوسف؟ فقيل: ﴿تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا﴾⁽³⁾

1. بيان الغرض من حذف بعض حلقات القصة

يذكر الله تعالى من القصة ما يتحقّق به الغرض، والشّيخ اطفيش يبيّن في بعض المواضع غرض سكوت القرآن عن بعض حلقات القصة، فمثلاً في قصة يوسف عليه السلام لم يبيّن القرآن الكريم كيف ألقاه إخوته في الحبّ وما الحال التي كان عليها يوسف آنذاك من الخوف والحزن وإثماً تحدّث عن إجماعهم بإلقائه في الحبّ ثمّ انتقل إلى مشهد حديثهم مع أبيهم وإخبارهم إيّاه بما حصل ليوسف كذبا؛ فبيّن الشّيخ أنّ الغرض من عدم ذكر القرآن هذه التفاصيل لعظم الأمر ويقول الشّيخ اطفيش: "أي ألقوه في الحبّ وفعلوا به أمراً مهولاً، فالحذف للتّهويل" ثمّ ساق روايات تصف الجريمة التي قام بها إخوة يوسف ضدّ أخيهم.⁽⁴⁾

(1) يوسف: الآية 46.

(2) يوسف: الآية 47.

(3) محمد بن يوسف اطفيش: تيسير التفسير، ج 4، ص 347.

(4) المرجع نفسه، ج 4، ص 310.

الفصل الأول..... القصص القرآني من خلال تفسير "تيسير التفسير"

2. الغرض من عدم ذكر أسماء شخصيات في القصة:

ترد الشخصيات في القصة القرآنية ونجد المولى جلّ وعلا يفصح عن أسماء بعضها ويسكت عن البعض الآخر، فمن الشخصيات التي ذكرها ذي القرنين، ومريم أم عيسى عليه السلام، وجالوت، هاروت ماروت... الخ

وهناك شخصيات تبدو بارزة في القصة لكنّ القرآن لم يذكر أسماءها، ومن بين هذه الشخصيات الخضر عليه السلام، و امرأة العزيز، فلم يفصح عن اسمها وإنما وصفها بـ "امرأة العزيز" وقال عنها: ﴿وَرَاودَتْهُ أَلَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا﴾⁽¹⁾ اعتبر الشيخ سكوت القرآن عن ذكر اسمها إمّا سترًا لها، وإمّا استهجانًا لقبح فعلتها.⁽²⁾

كما نجد الشيخ يحاول مجتهدًا ذكر أسماء تلك الشخصيات التي سكت عنها القرآن ويجمع الآراء المختلفة ممّا هو متداول في كتب التفسير وكتب التاريخ والإسرائيليات أيضًا، وليس هذا متعلّق بالأشخاص فحسب بل بأسماء الأماكن أيضًا وأسماء الحيوانات ففي قوله تعالى: ﴿أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا﴾⁽³⁾ نجد الشيخ يذكر أقوال متعدّدة في بيان شخصية الذي مرّ على القرية وكذلك في بيان تلك القرية فذكر أن الذي مرّ على قرية هو عزيز بن شرحيا، أو الخضر أو إسحاق بن بشر... الخ، وذكر أنّ القرية "هي قرية بيت المقدس إذ خربه" بخت نصر" وقيل دير سابرأباد، وقيل دير هرقل... الخ"⁽⁴⁾

وهذه التفصيلات ممّا لا فائدة فيه فلا تزيد في معنى القصة شيئًا، وهذا ممّا عاب عليه العلماء مختلف كتب التفسير التي أدرجت مثل هذه التفصيلات لأنّها لو كانت ذا أهميّة لبينها القرآن الكريم، غير أنّنا نفهم ان اهتمام الشيخ ببيان تلك التفصيلات هو تقريب القصة للواقع من خلال تحديد الأماكن والأشخاص والله أعلم.

(1) يوسف: الآية 23.

(2) محمد بن يوسف اطفيش: تيسير التفسير، ج4، 320.

(3) البقرة: الآية 259

(4) محمد بن يوسف اطفيش: تيسير التفسير، ج2، ص 154.

الفصل الأول..... القصص القرآني من خلال تفسير "تيسير التفسير"

المطلب الثالث: منهج الشيخ اطفيش في عرض قصص الأنبياء

للشيخ اطفيش منهجا مميّزا في عرض قصص الأنبياء يختلف عما أورده باقي المفسرين، لخصته في النقاط الآتية:

الفرع الأول: ذكر نسب كلّ نبي

يستهلّ الشيخ قصّة أي نبيّ من الأنبياء ببيان اسمه ومعناه، وإلى أين ينتهي نسب كلّ نبيّ، وذكر بعض ما اشتهر به من أخلاق أو صفات أو مهن، وكذلك يذكر إلى أيّ قوم أرسل، والمدّة التي لبث فيها بين قومه، والسبب التي فيها بعث، كما بيّن أصل اسم كلّ قبيلة كعاد، وثمود. (1)

الفرع الثاني: قوله برفع بعض الأنبياء

يقصد برفع الأنبياء: أنّ الله تعالى لم يتوقّاهم في الأرض وإمّا رفعهم وهم أحياء، والشيخ يقول بحياة بعض الأنبياء وأنّ الله رفعهم كما رفع عيسى عليه السّلام وأهمّ أحياء ويموتون يوم يرفع الله القرآن، فقد قال بحياة إدريس عليه السّلام وذكر رواية طويلة؛ ملخصها أنّ إدريس عليه السّلام التقى بملك الموت وصاحبه وكان ذلك في أيامه التي خصّصها للسياحة لأنّه كان يقسم أيامه بين العبادة والسيّاحة والصيد.

كما قال بحياة إيلias عليه السّلام قال: "إيلias والخضر حيّان، وكّل إيلias بالفيافي والخضر بالبحار." (2)

وكذلك قال بحياة الخضر عليه السّلام ورجّح نبوءته قال: "بقي إلى أيّام موسى ويحيى إلى أن يرفع القرآن والكعبة وهو نبيّ على الصّحيح غير رسول، وعليه الجمهور." (3)

وقد انتقد الشيخ بيّوض هذا الكلام لأنّ هذه الأخبار لا تقبل إلا بالتواتر لأنّها تدخل في باب العقيدة وقد أورد ما قاله الشيخ اطفيش والشيخ أبو حفص عمرو بن جميع الجربي⁽⁴⁾ فانتقدها وبيّن أنّه لا توجد أدلّة

(1) محمد بن يوسف اطفيش: تيسير التفسير، سيدنا هود وقومه عاد ج 5، ص 94 وسيدنا صالح وقومه ثمود، ص 103 وسيدنا إدريس، ج 9، ص 59.

(2) المرجع نفسه، التفسير ج 12، ص 139.

(3) المرجع نفسه، ج 5، ص 395.

(4) هو الشيخ أبو حفص عمرو بن جميع الجربي المتوفى في النصف الأول من القرن الهجري من علماء إباضية المغرب صاحب كتاب عقيدة التوحيد (أحمد بن سعيد الشماخي: كتاب السّير، ج 2، ص 200). / محمد بن موسى بابا عمي، إبراهيم بن بكير بحاز وآخرون: معجم أعلام الإباضية، ج 3، ص 686).

الفصل الأول..... القصص القرآني من خلال تفسير "تيسير التفسير"
قاطعة على حياتهم⁽¹⁾.

المطلب الرابع: أسلوب الشيخ اطفيش في تحليل آيات القصص القرآني

للشيخ اطفيش أسلوبه الخاص في تحليل آيات القصص القرآني، استخدم في ذلك الأدوات التي يراها مناسبة لإيصال المعنى وبيان المغزى.

الفرع الأول: استخدام الأسلوب اللغوي

أولاً. في المقارنة بين القصص:

يتبع الشيخ أسلوب المقارنة بين قصص القرآن لإبراز بعض المعاني التي لا تظهر إلا بعضها ببعض، وهذا الأسلوب يبين لنا مدى اهتمام الشيخ بالمعاني والأسرار التي تحملها القصة القرآنية، فهو يحاول جاهداً أن لا يفوته معنى أو حكمة من كل قصة.

ثانياً. مقارنة بين هود ونوح عليهما السلام:

حيث قارن بين قصة نوح وقصة هود عليهما السلام معللاً هذه المقارنة بتقاربهما في الزمن ولأن هود أتى بعد نوح مباشرة، فبين أن نوح آمن به قليل من الناس، وهود⁽²⁾.

وكذلك استنتج أن قوم هود أقل سوءاً من قوم نوح لسماعهم بالطوفان، أي بمعنى أن قوم هود سمعوا بما حدث لقوم نوح وكيف استأصلهم الله تعالى لعنادهم وكفرهم وعتوهم في الأرض فساداً، فاعتبروا وخافوا من أن يكون مصيرهم كمصير قوم نوح، ولذلك كانوا أقل عناداً وأقل معصية من قوم هود وإن كانوا قد كفروا بما جاء بهم هود لكنهم لم يبلغوا مبلغ قوم نوح في ذلك.

ومما استنتجته أيضاً أن هوداً كان دون نوح عليهم السلام في تكرير الدعاء لقومه واستدل على ذلك من خلال فعل النصح الوارد على لسان كل منهما حيث قال نوح لقومه: ﴿أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنْصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾⁽³⁾ في حين قال هود لقومه: ﴿أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي

(1) إبراهيم بن عمر بيوض، في رحاب القرآن، ج2، ص 287.

(2) محمد بن يوسف اطفيش: تيسير التفسير، ج 5، ص 96.

(3) الأعراف: الآية 62.

الفصل الأول..... القصص القرآني من خلال تفسير "تيسير التفسير"

وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ ﴿٦٨﴾ (1) فقال : نوح عبّر بفعل المضارع " أنصح " الدال على التجدد، أما هود فقد قال خلاف ذلك إذ عبّر بـ " ناصح " فهي تدلّ على الإسمية. (2)

كما بيّن أفضلية نوح على هود عليه السلام تجلّى له هذا من خلال التعبير القرآني عن دعوة كلّ منهما إذ قال تعالى في دعوة نوح لقومه: ﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَتَقَوَّمُوا عِبَادُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِّنْ إِلَهِ غَيْرُهُ وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥٩﴾ (3) إذ قال: " لم يكن هود في التذكير لقومه كنوح بل دونه في المواضبة " لأنّ الله تعالى بعد إرسال نوح عليه السلام أعقبه مباشرة بالفاء ﴿ فَقَالَ يَتَقَوَّمُوا ﴾ أما لما تحدّث عن دعوة هود عليه السلام لم يعقب بالفاء بل قال تعالى: ﴿ * وَإِلَىٰ عَادِ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَتَقَوَّمُوا عِبَادُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِّنْ إِلَهِ غَيْرُهُ وَأَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٦٥﴾ (4) ، فلما لم يعطف بحرف العطف على الرّسالة ، دلّت على تأخّره في التذكير بعد الرّسالة. (5)

ب. بيان دلالة المفردة القرآنية:

يستخدم الشّيخ الأسلوب اللّغوي في بيان دلالة المفردات في القصّة للكشف عن معاني لا تظهر إلا بالتدقيق في معانيها ومثال ذلك في بيانه لقول إبليس اللعين في الآية الكريمة: ﴿ قَالَ فِيمَا أُغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ لَأَنْزِلَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ ﴿١٧﴾ (6) بين الشّيخ معنى قول إبليس -لعنه الله- أن يأتي عباد الله من بين أيديهم وعن أيماهم وعن شمائلهم، وقال هذا الكلام مبالغة منه، يقصد إغواءهم من كلّ مكان حتّى يقطعهم عن دين الله، وبيّن عدم قول إبليس من فوقهم ومن تحتهم قال: " لأنّ الإتيان من تحت يوحش فلا يطاع، والإتيان من فوق يمنع من نزول الرّحمة " ورحمة الله تعالى بعباده أقوى من مكر إبليس، فمكّنه الله ممّ ذكره ولم يمكّنه من هاتين الجهتين " من فوقهم ومن تحتهم " حتى يرفع المسلم يديه بالدّعاء على سبيل الخضوع، ويضع جبهته على الأرض على سبيل الخشوع، فيغفر الله تعالى له ذنوبه".

(1) الأعراف: الآية 68.

(2) محمد بن يوسف اطفيش: تيسير التفسير، ج5، ص96.

(3) الأعراف: الآية 59

(4) الأعراف: الآية 65.

(5) محمد بن يوسف اطفيش: تيسير التفسير، ج5، ص95.

(6) الأعراف: الآية 17.

الفصل الأول..... القصص القرآني من خلال تفسير "تيسير التفسير"

وقال أيضا: "وبدأ بقدّام وخلف لأنّ الشّجاع القوي يأتيّ مواجهها وإذا أراد الاغتيال بالمكر جاءه من خلفه، وفي قوله من بين أيديهم: أي من حيث يعلمون ويقدرّون على التّحرّز ضدّ من خلفهم... و قدّمت الأيمان على الشّمائل بقوّتها فالشّجاع يباشر الجهة القويّة من عدوّه". (1)

الفرع الثاني: أسلوب التّرجيح والاستدلال

يعرض الشّيخ الآراء التي قيلت في القصّة، ويناقشها ويرجّح بينها، ويبين الصّحيح عنده، وما رآه بعيدا رده بالدليل، وللتّرجيح بين الروايات يستعمل عبارات: " والصّحيح عندي"، ومن الأمثلة على ذلك في قول السّحرة لموسى عليه السّلام: ﴿قَالُوا يَكْفُرُ بِإِيمَانِهِمْ وَإِيمَانِهِمْ تَشْقَىٰ وَمَا أُنطِقُوا إِلَّا بِمَا أُوتُوا﴾ (2)، حيث ناقش الرّأي الذي قال بأنّ السّبب الذي جعل السّحرة يخيرون موسى بالإلقاء هو:

تأدبا مع الخصم، وإظهارهم للجرأة وعدم المبالاة بموسى، حيث ردّ هذا الرّأي من جهتين:

أنّ السّحرة كانت لديهم الرّغبة في الإلقاء هم أوّلا بدليل تغييرهم للأسلوب فلم يقولوا: "إما أن تلقي وإما أن نلقي"، وإمّا قالوا: " وإما أن نكون نحن الملقين"، فأما قولهم تأدبا مع الخصم فردّه بدليل منطقي وهم أنّهم لم يؤمنوا ولم يبالوا بموسى من قبل إسلامهم ولا يخافونه فكيف يتأدّبون معه، وإمّا التّأدّب باد على كلام موسى لما أمرهم بالإلقاء أوّلا. (3)

كذلك في قصّة موسى مع الخضر عليهما السّلام ذكر اختلاف الآراء في شخص موسى الوارد في القصّة فهناك من قال أنّه غير موسى بن عمران النّبي بل هو موسى آخر، وذكر حججهم في ذلك منها: أنّه لا يمكن أن يأخذ نبيّ منّ هو دونه، وأنّ موسى لم يخرج من التّيه وكيف له أن يخرج ويترك بني إسرائيل لوحدهم، وردّ الشّيخ هذه الأقوال وأكد أنّ موسى الوارد في القصّة هو موسى النّبي ولا شكّ في ذلك، أمّا حججهم فاعتبرها غير منطقيّة لأنه لا مانع من تعلّم نبيّ من نبيّ أو منّ هو دونه، كذلك لا مانع من خروج موسى من التّيه ثمّ رجوعه، وقد يكون التقى بالخضر قبل دخوله التّيه، أو أنّه خرج وأخبرهم أنّه خارج للعبادة. (4)

(1) محمد بن يوسف اطفيش: تيسير التفسير، ج 10، ص 28.

(2) الأعراف: الآية 115.

(3) محمد بن يوسف اطفيش: تيسير التفسير، ج 5، ص 114.

(4) المرجع نفسه، ج 5، ص 393.

الفصل الأول..... القصص القرآني من خلال تفسير "تيسير التفسير"

المطلب الخامس: الإعجاز البياني في القصص القرآني من خلال تفسير الشيخ اطفيش

ترد القصّة القرآنيّة المتكرّرة في كلّ موضع بأسلوب يتمايز عن الآخر، وتصاغ في كلّ سورة في قالب يختلف عن القالب الآخر في سورة أخرى، والإنسان لا يملّ من تكرارها بل تتجدّد في نفسه معان لا تحصل له إلا بقراءته في المواضع الأخرى. (1) وهذا من الإعجاز البياني في القرآن الكريم وفي القصّة القرآنيّة.

وهذا الذي توصل إليه الشّيخ من خلال قراءاته المتعدّدة وتفسيراته المتجدّدة ومعانيه المتّقدّدة في كلّ مرّة يقدم فيها على تفسير كتاب الله، فقد اهتم الشّيخ اهتماما كبيرا بالإعجاز البياني في القصّة القرآنيّة وبيان الحكمة من تكرار القصّة القرآنيّة، وأسرار اختلاف التعبير اللفظي في القصّة القرآنيّة مدافعا بذلك عن كلّ ما يحاط بالتكرار في القصّة القرآنيّة من شبهات.

وقبل أن أعرض أسلوبه في دفع كلّ ما يوهّم الاختلاف والتناقض في القصص القرآني؛ سأعرض بعض شبهات المستشرقين في قضية تكرار القصّة حتى نعرف الجهد الذي بذله الشّيخ في الدّفاع عن القرآن الكريم، وهذا الجهد هو إحدى الجهود التي تحسب له في تفسيره وفي دفاعه عن القصّة القرآنيّة، فالباحث الموضوعي لا ينقّب على مواطن الخطأ ويوجّه بها التّهم ويحكم من خلالها على صاحبها، بل عليه أن يوازن بين المزايا والمآخذ وجلّ من لا يخطئ.

بعض الشّبّهات التي أثّرت حول تكرار القصّة القرآنيّة:

الشبهة الأولى: يذهب أصحابها إلى وجود اختلاف وتعارض بين آيات القرآن الكريم في الموضوع الواحد ويمثّلون لذلك بوصف القصص القرآني لموقف موسى عليه السلام من ربّه في سورة " طه " وسورة " النمل "، فالحوار والوصف يختلفان والحادثة واحدة.

الشبهة الثانية: ادّعى بعض النّاس أنّ في الكلام تكرارا في المعنى وإن كان اللفظ يتكرّر.

الشبهة الثالثة: قولهم أنّ التّكرار ضعف وضيق من قوّة وسعة. (2)

وقد بيّن الشّيخ اطفيش السّر القرآني في هذا الاختلاف وردّ تلك الشّبّهات دون أن يشير إليها.

(1) مناع القطان: مباحث في علوم القرآن، ص 281.

(2) مريم عبد القادر السباعي: القصّة في القرآني الكريم، ص 128.

الفصل الأول..... القصص القرآني من خلال تفسير "تيسير التفسير"

أولاً: في قصة آدم عليه السلام:

لما عاتب الله جلّ وعلا إبليس لعنه الله لما أبى أن يسجد لآدم عليه السلام تعددت خطابات الله له في كلّ سورة ورد فيه فقال في سورة الأعراف: ﴿ قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ ﴿١٣﴾ قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ ﴿١٤﴾ ﴿١﴾ وفي سورة "ص" قال تعالى: ﴿ قَالَ يَاإِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِإِيْدِيَّ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ ﴿٧٥﴾ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ ﴿٧٦﴾ قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴿٧٧﴾ ﴿٢﴾

وفي سورة الحجر قال تعالى: ﴿ قَالَ يَاإِبْلِيسُ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ لُمَ أَكُنْ لِأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُ مِن صَالِصِلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٣٣﴾ قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَإِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ ﴿٣٥﴾ ﴿٣﴾ والله تعالى ذكر عقب هذه الآيات توبيخاً وعقاباً لإبليس ولم يذكره في مواضع أخرى فعّل الشيخ ذلك بقوله: "لم يذكر التوبيخ في سورة البقرة والإسراء والكهف وطه والله أعلم بحكمة ذلك كله ولا ندري لعله لما جمع المعاصي في معصية واحدة، وذكر في آية ما لم يذكره في أخرى إيداناً بأن كلّ واحدة كافية في التوبيخ والضلال." (4)

وأيضاً تكرر كلام إبليس مع الله تعالى في عدّة مواضع مع اختلاف في اللفظ فقال في سورة الأعراف: ﴿ قَالَ فِيمَا أَعْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ﴿٥﴾ وقال أيضاً: ﴿ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ ﴿٦﴾ وقال في موضع آخر: ﴿ قَالَ رَبِّ بِمَا أَعْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٣٩﴾ ﴿٧﴾، فقد يتساءل متسائل ما هو الكلام الذي قاله إبليس؟ فمرّة أقسم بعزة الله،

(1) الأعراف: الآية 12.

(2) ص: الآية 75-77.

(3) الحجر: الآية 32.

(4) محمد بن يوسف اطفيش: تيسير التفسير، ج5، ص 19.

(5) الأعراف: الآية 16.

(6) ص: الآية 82.

(7) الحجر: 39.

الفصل الأول..... القصص القرآني من خلال تفسير "تيسير التفسير"

ومرة بفعل الغواية؟ ولماذا اختلفت العبارات؟ فالشيخ بيّن سرّ هذا الاختلاف وقال: "القصّة واحدة فيما أن يكون أقسم مرتين، لفعل الله مرّة ومرّة بصفته." (1)

ثانيا: قصة موسى عليه السلام:

وأیضا بيّن الشيخ لماذا اختلفت ألفاظ القصّة الواحدة فعبر الله تعالى في قصّة بالفاظ لم يعبر بها في قصّة أخرى وهذا من الإعجاز البلاغي في القرآن الكريم، ومثال ذلك في قوله تعالى: ﴿ قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ ﴾ (2)، وفي قوله أيضا: ﴿ قَالَ لِلْمَلَأِ حَوْلَهُ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ ﴾ (3)

ففي آية الأعراف نسب الله عزّ وجلّ الكلام إلى الملاء وهم حاشية فرعون، أمّا في آية الشعراء فنسب الكلام إلى فرعون فوضّح الشيخ ما المقصود بذلك وذكر عدّة احتمالات: أولاً: إنّ قول: " إنّ هذا لساحر عليم " قاله فرعون وقاله الملاء؛ فذكر في سورة ما لم يذكر في الأخرى. ثانيا: أو أنّ الكلام قاله فرعون وهم أعادوه أو بلّغوه عنه.

ثالثا: أو أنّ قولهم "صدر عنه وعنهم على سبيل التشاور فصحّ إسناده إلى الكلّ"، لأنهم شركاء في القول. (4)

وأیضا في قوله تعالى: ﴿ قَالُوا ءَأَمَتْنَا رَبِّبِ الْعَالَمِينَ ﴾ (5) رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ ﴿ (6) فبيّن لماذا اختلف اللفظ في قول السحرة، فتارة يقولون " ربّ موسى وهارون " وتارة: " ربّ هارون وموسى " فأرجع تقديم موسى في آية وتأخير هارون في آية أخرى إلى مراعاة فواصل الآيات. فرأس الآية في الأعراف هي النون فجاء تقديم موسى وتأخير هارون، ورأس الآية في طه تنتهي بالألف فقدم هارون وأخر موسى.

كما ذكر احتمالا آخر وهو أنّ تكرار الجملة وارد من السحرة فتارة قدّموا وتارة أخرّوا. (7)

(1) محمد بن يوسف اطفيش: تيسير التفسير، ج5، ص 18.

(2) الأعراف: الآية 109.

(3) الشعراء: الآية 34.

(4) محمد بن يوسف اطفيش: تيسير التفسير، ج 5، ص 145.

(5) الأعراف: الآية 122.

(6) طه: الآية 20.

(7) محمد بن يوسف اطفيش: تيسير التفسير، ج5، ص 149.

الفصل الأول..... القصص القرآني من خلال تفسير "تيسير التفسير"

وأيضاً في قوله تعالى: ﴿فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى﴾ (1) وفي قوله تعالى: ﴿فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ﴾ (2) هنا في سورة الأعراف وبنفس اللفظ في سورة الشعراء (الآية 32)، فبيّن لماذا عبّر الله تعالى في آية بـ: "الحية"، والآيتين بـ: "ثعبان مبین".

فقال "الثعبان ذكر الحيات، فهي في عظم الجسد كالثعبان، وكأنتها جان في سرعة الحركة، وكأنتها الحية الصغيرة الصفراء الدقيقة في السرعة لأنّ الله قال: "حياة تسعى".
وقال أيضاً: أو كانت حية صغيرة خفيفة ونمت في الحال وصارت ثعباناً عظيماً" (3).

وخلاصة القول أنّ الشيخ اطفيش استخدم عدّة أساليب في تحليل القصة القرآنية، وبيّن تلاحم ووحدة القصص القرآني، قد ركّز الشيخ على قصص الأنبياء لما يحمله هذا القصص من أحكام عقائدية وأخلاقية.

(1) طه: الآية 20.

(2) الأعراف: الآية 107.

(3) محمد بن يوسف اطفيش: تيسير التفسير، ج9، ص 136.

المبحث الرابع: مكانة القصة القرآنية في تفسير

الشيخ اطفيش

● المطلب الأول: استخلاص الفوائد والأحكام

من القصص القرآني

● المطلب الثاني: أغراض القصة القرآنية.

● المطلب الثالث: المنهج الإصلاحي في القصة

القرآنية.

الفصل الأول..... القصص القرآني من خلال تفسير "تيسير التفسير"

المبحث الرابع: مكانة القصة القرآنية في تفسير الشيخ اطفيش

من خلال المباحث المهمة التي تناولها الشيخ اطفيش في تحليله لآيات القصص القرآني تبرز لنا المكانة الهامة التي يوليها الشيخ لموضوع القصص من حيث بيان أغراضه والفوائد المستقاة من كل قصة من القصص.

المطلب الأول: استخلاص الفوائد والأحكام من القصص القرآني

ومكانة القصة وأهميتها وإعجازها في القرآن الكريم، فإن الشيخ اطفيش قد أولى عناية بالغة بأسرارها وباستخراج الفوائد والحكم التي جاءت في ثناياها، فتدبره في معاني القصة، ودقة تحليله لما يدور حولها جعله يخلص إلى استنباطات جليلة، ومعاني قيّمة، والشيخ بلغته الراقية يستخرج الفائدة بعبارة موجزة واضحة يفهم منها المعنى والمغزى دون الحاجة إلى التفصيل فيها وشرحها، لأنه يعلم أن كلامه موجز ومبين.

ومن الحكم التي وقفت عليها وأفاد الشيخ بها من خلال القصص:

الفرع الأول: في قصة مريم عليها السلام:

■ فوائد الرطب والماء للمرأة النفساء: لما قال الله تعالى: ﴿فَنَادَتْهَا مِنْ تَحْتِهَا أَلَا نَحْرِي قَدْ جَعَلَ

رَبِّكَ تَحْتِكَ سَرِيًّا ﴿٢٤﴾ وَهَزِيءَ إِلَيْكَ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسْقِطُ عَلَيْكَ رُطْبًا جَنِيًّا ﴿٢٥﴾﴾⁽¹⁾، أكد الشيخ أن تخصيص المولى عز وجل هذا الغذاء بالذات لمريم عليها السلام وهي نفساء، دلالة على الفائدة العظيمة للمرأة النفساء، فهو يعجل شفاءها بإذن الله، كما أشار إلى فائدة تحنيك الصبي حينما يولد بالتمر.⁽²⁾

■ الأمر بالكسب: وفي قوله تعالى: ﴿وَهَزِيءَ إِلَيْكَ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ﴾ أشار الشيخ إلى فائدة مهمة وهي الأمر بالسعي في كسب الرزق، واعتبر أمر الله تعالى لها بهز جذع النخلة وهي في تلك الحالة من الضعف والوهن نتيجة آلام المخاض، لدلالة على ضرورة بدل الأسباب، وهذا لا ينافي التوكل على الله عز وجل مستشهدا بقول الشاعر:

أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَوْحَى لِمَرْيَمَ وَهَزِيءَ إِلَيْكَ الْجِدْعَ يَسَاقُطُ الرُّطْبَ
وَلَوْ شَاءَ أَحْنَى الْجِدْعَ مِنْ غَيْرِ هَزَّهُ إِلَيْهَا وَلَكِنْ كُلَّ شَيْءٍ لَهُ سَبَبٌ.

(1) مريم: الآية 24-25

(2) محمد بن يوسف اطفيش: تيسير التفسير: المرجع السابق، ج9، ص 32.

الفصل الأول..... القصص القرآني من خلال تفسير "تيسير التفسير"

- وجوب السكوت عن السفه: استنتج الشيخ أنّ الله لما أمر مريم عليها السلام بعدم جدال قومها في أمر الصبي من خلال قوله تعالى: ﴿فَإِذَا تَرَيَيْنَ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا﴾ (٢٦) ﴿١﴾ بوجوب السكوت عن السفهاء وعدم مجادلتهم بالكلام، بل وجعل السكوت عنهم مأمور به مؤكّد. (٢)
- في قوله تعالى: ﴿يَأْتِيكَ هَرُونَ مَا كَانَ أَبُوكَ أَمْرًا سَوَاءً وَمَا كَانَتْ أُمُّكَ بَعِيًّا﴾ (٢٨) ﴿٣﴾ بين الشيخ أنّ ارتكاب الفحش من الصالحين أقبح من ارتكاب أولاد غيرهم، وكذلك صلاح الأصل يورث الصلاح للفرع. (٤)

الفرع الثاني: فوائد من قصّة موسى عليه السلام:

- أمر موسى السحرة بالإلقاء هم أولاً ليظهر بطلان سحرهم بمعجزة من الله، ولو ألقى هو أولاً لم يظهر ذلك، وإتّما تظهر معجزته بإلقائهم هم أولاً لتحقيرهم وتحقير إلقائه.

الفرع الثالث: فوائد من قصّة إبراهيم عليه السلام:

- مصاحبة الأب لابنه في مرحلة الصغر في مصالح الدّين والدّنيا هو من أفضل الأوقات لبلوغ الانتفاع به، فإنّه إذا كبر بلغ وقتاً تدعوه نفسه إلى عناد أبيه. (٥)

الفرع الرابع: من قصّة يونس عليه السلام:

- فوائد أكل الدّباء: فسّر الشيخ أنّ شجرة اليقطين التي أنبتها الله تعالى لسيدنا يونس عليه السلام أنّها الدّباء، وهي ممّا كان يحبّه النبي ﷺ ويتتبع أثره في الطّعام، فقد جاء في حديث لأبي طلحة أنّه سمع أنس بن مالك يقول: "إِنَّ حَيَّاطًا دَعَا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَطَعَامٍ صَنَعَهُ، قَالَ أَنَسٌ: فَذَهَبْتُ مَعَ رَسُولِ"

(١) مريم: الآية 26.

(٢) محمد بن يوسف اطفيش: تيسير التفسير، ج 9، ص 34.

(٣) مريم: الآية 28.

(٤) محمد بن يوسف اطفيش: تيسير التفسير، ج 9، ص 37.

(٥) المرجع نفسه، ج 12، 128.

الفصل الأول..... القصص القرآني من خلال تفسير "تيسير التفسير"

اللَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَرَأَيْتُهُ «يَتَّبِعُ الدُّبَّاءَ مِنْ حَوَالِي الْقَصْعَةِ»، قَالَ: فَلَمْ أَزَلْ أَحِبُّ الدُّبَّاءَ مِنْ يَوْمِئِذٍ (1)

وذكر الشيخ للدِّبَّاء فوائد:

- أُمَّهَا تَزِيدُ فِي الدِّمَاغِ: ويقصد بذلك أُمَّهَا تَزِيدُ فِي الذِّكَاةِ، وَتَنْشِطُ الدِّمَاغَ وَيَسَاهِمُ فِي نُمُوِّ المَخِ (2)
- أَنَّ وَرَقَ الدِّبَّاءِ أَنْفَعُ شَيْءٍ لِمَنْ انْسَلَخَ جِلْدَهُ.
- أَنَّ شَجَرَةَ الدِّبَّاءِ لَا يَقَعُ عَلَيْهَا الدِّبَّابُ؛ فَهِيَ شَجَرَةٌ طَاهِرَةٌ نَقِيَّةٌ. (3)

■ فوائد لغوية:

الفوائد اللغوية كثيرة في تفسير الشيخ، وسرّ جمال تفسيره وقوفه عليها والإشارة إليها، تلك الفوائد والأسرار قد لا ينتبه إليها قارئ القرآن، وقد لا يدقق فيها كلّ المفسرين، وتدقيق الشيخ في مثل هذه المسائل يبيّن لنا إمامه الواسع باللغة العربية وتبحّره في علومها المختلفة، كما يهدي لنا الشيخ معاني أخرى تعيننا في فهم أسرار وأغوار كل آية.

ففي قوله تعالى: ﴿وَسَأَلَهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةً الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ﴾ (4) بين الشيخ لماذا نسب الله تعالى الحيتان "حيتانهم" ويوم السبت "سبتهم" لليهود مع أنّهما لله تعالى قال الشيخ: "الحيتان نسبت إليهم لأنّها بليّة عليهم إذ نوحوا عنها وهلكوا بسببها، وأضاف إليهم السبت لأنّه عيدهم ولأنّهم اختاروه وهو شرّ لهم" (5).

ومن الفوائد اللغوية التي أفاد بها الشيخ من خلال القصّة القرآنيّة:

أ. قبح جريمة قوم لوط: أكّد الشيخ على قبح وعظم الفاحشة التي أتاها قوم لوط، فقبح جريمتهم بيّنها من خلال قوله تعالى في الآية الكريمة: ﴿إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِّنْ دُونِ النِّسَاءِ بَلْ

(1) محمد بن إسماعيل البخاري، صحيح البخاري، كتاب الأَطْعَمَةِ، باب من تتبّع حوالي القصعة مع صاحبه إذا لم يعرف منه كراهية، ج7، ص68.

(2) الموسوعة العربيّة: www.mosoah.com

(3) محمد بن يوسف اطفيش: تيسير التفسير، ج12، ص148.

(4) الأعراف: الآية 163.

(5) محمد بن يوسف اطفيش: تيسير التفسير، ج5، ص215.

الفصل الأول..... القصص القرآني من خلال تفسير "تيسير التفسير"

أَنْتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴿٨١﴾ (1)، حيث جاء التأكيد بثلاث كلمات "إنكم" "اللام في لتأتون" وقوله "شهوة من دون النساء" زيادة في التشنيع عليهم بأنهم قد جاوزوا موضع الحرث الحلال إلى موضع حرام ليس محرثا، ثم بين الغاية من الوطاء فقال: "ومبنى الوطاء كف النفس عن الحرام والتناسل لا مجرد قضاء الوطر. (2)

المطلب الثاني: أغراض القصة في تفسير الشيخ اطفيش

تأتي القصة لتحقيق أغراض ذكرناها في الفصل الأول والتي يتفق المفسرون على أنّ القصة القرآنية تأتي لتحقيق أحد تلك الأغراض أو بعضها، فمن الأغراض ما عبّر عنه القرآن صراحة وبينه في كتابه العزيز كقوله تعالى: ﴿وَكَلَّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ (3)، والشيخ لا يفصل القول بما في القصص من أغراض إلا ما كان ظاهرا فيها، فهو يعطي المغزى من القصة ويشير إليها بإيجاز من غير تعمق، ولعلّ الشيخ أوجز كلامه هنا ولم يفصل لأنه يعتقد أنّ الشرح اللغوي والسرد القصصي لأحداث كلّ قصة كفيلاً بفهم الغرض الذي سيقى لأجله فاستغنى عن ذكرها، ومن الأغراض التي أشار إليها الشيخ:

الفرع الأول: غرض تثبيت النبي ﷺ

ففي قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَفَقَالَ إِنِّي رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (4)

ذكر أنّ الآية جاءت تسلياً للرّسول ﷺ وإبطال لقول كفار قريش: ﴿وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ﴾ (5)، وجاءت لتبين له أنّ موسى رسول وليس له مال مثله، وبعث في قوم أعظم من قومه، وإلى جبار عظيم أعظم من جبابرة قريش، لكن الله تعالى نصره عليهم وكذلك سيفعل مع محمد ﷺ، فبين له أنّ الرسالة ليست بالمال (6)، وكذلك في سورة الأعراف لما جاءت قصص الأنبياء

(1) الأعراف: الآية 81.

(2) محمد بن يوسف اطفيش: تيسير التفسير، ج5، ص 212.

(3) هود: الآية 120.

(4) الزخرف: الآية: 46.

(5) الزخرف: الآية 31.

(6) محمد بن يوسف اطفيش: تيسير التفسير، ج13، ص92.

الفصل الأول..... القصص القرآني من خلال تفسير "تيسير التفسير"

مع أقوامهم متتابعة وختمها الله تعالى بقوله: ﴿ تِلْكَ الْقُرَى نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِهَا وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا مِنْ قَبْلُ كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِ الْكَافِرِينَ ﴿١١﴾ ﴿١﴾

الفرع الثاني: غرض العبرة والموعظة

ينبّه الشيخ القارئ في كثير من المواضع إلى مواطن العبرة في القصص القرآني، وأنّ القصص سيق أساسا للعبرة ولتسليّة قلب النبي ﷺ، وأحيانا يبيّن الشيخ العبرة ببيان بعض المسائل العقديّة والفقهية لأنّ تطبيق أوامر الله تعالى واجتناب نواهيه هي أصل الاعتبار والاذكار.

فلما فسّر قوله تعالى: ﴿ فِتْلِكَ يُوْذُهُمْ خَاوِيَةً بِمَا ظَلَمُوا إِيَّاكَ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٥٩﴾ (2) قال: " وفي الآية أنّ الظلم يخرّب البيوت "، فالبيوت الخالية عن أهلها جعلها الله آية للذين يعلمون ما ينبغي عليهم تعلّمه من الأحكام والمواعظ والقصص. (3)

وكذلك بعد قصّة لوط عليه السّلام قال الله تعالى: ﴿ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَأَنْظَرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ ﴿٨٥﴾ (4) ذكر الشيخ أنّ الآية هي خطاب لرسول الله ﷺ، أو لكلّ من يصلح له لعلّه ينزجر بعدهم عن اللواط، ومخالفة الرسول ﷺ. ثمّ ساق الشيخ بعد ذلك فتاوى حول الكيفيات التي يحرم بها الوطء من لواط وسحاق وزنى.. الخ، و في بيانه لها نصّح وتوجيه وإرشاد حتى يعلم القارئ محذورات الوطء فلا يقع فيها. (5)

الفرع الثالث: الكشف عن الزيف والتّحريف الذي قام به أهل الكتاب

وذكر الشيخ غرضاً آخر سيقّت القصص لأجله وهو: الكشف عن الزيف والتّحريف الذي قام به أهل الكتاب، وتوضيح ما كتموه من البيّنات والهدى والحقائق، وتحدّاهم بكشفه عمّا كان في كتبهم قبل التّحريف والتّبديل.

(1) الأعراف: الآية 101.

(2) النمل: الآية 52.

(3) محمد بن يوسف اطفيش: تيسير التفسير، ج 10، 356.

(4) الأعراف: الآية 74.

(5) محمد بن يوسف اطفيش: تيسير التفسير، ج 5، ص 115.

الفصل الأول..... القصص القرآني من خلال تفسير "تيسير التفسير"

فأهل الكتاب بدّلوا في ما جاء في كتبهم خاصّة فيما يتعلّق بقصص الأنبياء عليهم السّلام، فالله تعالى حين يخبر نبيّه محمد ﷺ بالقصص الحقّ كاملاً فهو يبطل كلّ ما ادّعاه اليهود يقول الشّيخ في قوله تعالى:

﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ ﴾ (1) قال الشّيخ اطفيش: "لم يعلم ﷺ قصّة يوسف ولم تخطر بباله، روى أنّ اليهود فاخروا بأنّ الله - عزّ وجلّ بيّن لهم قصّة يوسف عليه السّلام في التّوراة، وهي غير مذكورة في القرآن فنزلت هذه السورة على أبداع طريق وأبلغ كلام بلغة العرب فزال افتخار اليهود ، وسماها الله أحسن قصة لما فيها من العبر والأحكام." (2)

وكذلك في قصّة أصحاب الكهف التي خاض فيها النّاس بالباطل قصّ الله تعالى القصّة على نبيّه الكريم لتفنيد أخبار اليهود الكاذبة لذلك قال الله تعالى: ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِالْحَقِّ ﴾ (3) أي بالصدّق. (4)

المطلب الثالث: المنهج الإصلاحي من خلال القصّة القرآنيّة

تعدّدت وسائل الشّيخ اطفيش في نشر إصلاحه، ومن أهمّها تولّيهِ الوعظ والإرشاد وتدرّيس النّاس؛ فكان يبصّر النّاس ويرشدهم إذا جلس للوعظ في المسجد أو التدرّيس، أو التقى بهم في أسفاره وتنقلاته، كما كان للتأليف دور في نشر إصلاح الشّيخ حتى غدت كتبه ورسائله وعاء لهذا الإصلاح. (5)

استغلّ الشّيخ تفسيره لمعالجة مختلف القضايا الإصلاحيّة التي تقوّم العقيدة والسّلوک والأخلاق، بعضها تناولها انطلاقاً من قصص الأنبياء وقصص الأمم السّابقة لأنّ هذه القصص مليئة بالعبّر والحكم التي لا بدّ أن يستفيد منها القارئ، فكان يدعو دائماً إلى فعل الخير والأمر بالمعروف و التّهي عن المنكر ففي تفسير قوله تعالى: ﴿ وَبَرَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَىٰ إِسْحَاقَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِمَا مُحَسِّنٌ وَظَالِمٌ لِنَفْسِهِ ﴾ (6) قال الشّيخ اطفيش: "محسن" بالإيمان والعبادة، والأمر والنّهي، ونفّع عباد الله في دينهم ودنياهم" فجعل الأمر

(1) يوسف: الآية 3.

(2) محمد بن يوسف اطفيش: تيسير التفسير، ج4، ص 297.

(3) الكهف: الآية 13.

(4) محمد بن يوسف اطفيش: تيسير التفسير، ج5، ص 350.

(5) مصطفى وينتن: آراء الشيخ احمد بن يوسف اطفيش العقديّة، ص 32.

(6) الصّافات: الآية 113.

الفصل الأول..... القصص القرآني من خلال تفسير "تيسير التفسير"

بالمعروف والتّهي عن المنكر وإفادّة النَّاس في ما يحتاجونه من تعاون فيما بينهم، ونصحهم وتوجيههم لما فيه الخير وإرشادهم من الإحسان⁽¹⁾ ومن بين الجوانب التي شملتها جهود الشّيخ الإصلاحية:

الفرع الأوّل: الإصلاح العقدي:

رأى الشّيخ اطفيش أنّ أهمّ سبب في تدهور حال المجتمع هو الجهل وطغيان التقليد عن غير علم، فأنجّه إلى تصحيح كثير من الاعتقادات والمفاهيم حتّى يعود النَّاس إلى السبيل الأقوم ويتركوا ما كانوا فيه من سوء الحال والبدع المذمومة.⁽²⁾

تعدّدت مجالات الإصلاح الذي قام به الشّيخ اطفيش، وأهمّها محاولته إصلاح اعتقاد النَّاس وإبعادهم من الاعتقادات الفاسدة التي تمكّنت من قلوبهم فجعلتهم يركنون إلى أنواع من الشّعوزة، وتقديس الأماكن، والرّكون إلى الكسل وانتظار الخوارق.⁽³⁾

ومن الأمثلة على ذلك نهيه عن التّطيّر؛ والتّطيّر هو التّشاؤم، وهو مأخوذ من عادة زجر الطّير عند العرب فيتحوّل يمينا فيتفاءلون أو يتحوّل يسارا فيتشاءمون عند عزمهم على سفر مهمّ أو قضاء حاجة. وهي عادة جاهلية أبطلها الإسلام، ومن ثمّ جرت عادة النَّاس أنّهم يتطيّرون بالأشخاص أو بالأشياء.⁽⁴⁾

وقد نهى الشّيخ عن هذه العادة الجاهلية واعتبرها شرك بالله تعالى ففي قوله تعالى: ﴿فَإِذَا جَاءَتْهُمْ الْحَسَنَةُ قَالُوا لَنَا هَذِهِ وَإِنْ تُصِبَّهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا بِمُوسَىٰ وَمَنْ مَعَهُ ۗ أَلَا إِنَّمَا طَّيَّرَهُمْ عِنْدَ اللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٣١﴾﴾⁽⁵⁾ وضح الشّيخ أنّ التّطيّر من أخلاق بني إسرائيل الفاسدة، وحذّر من خطورته على عقيدة المرء، وأنّه لا خير ولا شرّ إلّا بقضاء الله تعالى مستدلاً بأحاديث للرّسول ﷺ «مَنْ رَدَّنْهُ الطَّيْرَةَ عَنْ حَاجَتِهِ فَقَدْ أَشْرَكَ»⁽⁶⁾، كما بيّن أنّه من أخلاق اليهود فقد كانوا يتشاءمون برسول الله ﷺ.⁽⁷⁾

والشّيخ حريص أشدّ الحرص على تنقية مجتمعه من الأفكار التي تفسد عقائدهم.

(1) محمد بن يوسف اطفيش: تيسير التفسير، ج 12، ص 134.

(2) مصطفى وينتن: آراء الشّيخ محمّد بن يوسف اطفيش العقديّة، ص 32.

(3) المرجع نفسه، ص 33.

(4) محمد بن إبراهيم سعيد كعباش: نفحات الرّحمن في رياض القرآن، ج 10، ص 136.

(5) الأعراف: الآية 131.

(6) سليمان بن أحمد الطّبراني: المعجم الكبير، عبد الله بن عمرو بن العاص، تحقيق مجموعة من الباحثين، ج 14، ص 35.

(7) محمد بن يوسف اطفيش: تيسير التفسير، ج 5، ص 157.

الفصل الأول..... القصص القرآني من خلال تفسير "تيسير التفسير"

الفرع الثاني: الإصلاح الثقافي

قام الشيخ بدور بارز في نهضة الحركة الثقافية والعلمية في العصر الحديث في الجنوب الجزائري، فكان معقلاً لحركة المقاومة والسياسية والفكرية ضد الاستعمار الفرنسي الغاشم⁽¹⁾؛ حيث حارب الجهل ونشر المعرفة وحث على التسلح بسلاح العلم والعمل به حيث يقول في ذلك: "فائدة العلم معرفة الحق والعمل بع و اعتقاده، فمن جمع علماً ولم يجعله وسيلة إلى العمل كان كغارس شجرة معجبة لا ينتفع بثمرها"⁽²⁾؛ مستغلاً جميع المنابر التي أتاحت له آنذاك، فانطلق من المسجد الذي اعتمد عليه لإيصال أفكاره الإصلاحية لتوعية المجتمع ومحاربة ما لحق به من بدع وتغلغل للثقافة الغربية، وكذا أسس معهده في القرارة حيث شهد حركة علمية واسعة.⁽³⁾

كما نجده يدعو من خلال كتاب الله إلى الإقبال على العلم وحمد الله على كل معرفة أنعمها الله علينا فلما فسّر قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا وَقَالَا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا عَلَى كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ﴾⁽⁴⁾، بين دلالة الآية على أفضلية العلم على المال والملك والعبادات، وكذا دلالتها على أن من علم شيئاً من علم الشريعة أن يحمد الله عليه كما أوصى بضرورة التواضع لمن آتاه الله علماً، وأن يقبل الحق ممن جاء واستشهد على ذلك بقصة المرأة التي قالت لعمر حين خطب في الناس ناهياً عن المغالاة في المهور: قال تعالى: ﴿وَأَتَيْتُمُ إِحْدَهُنَّ قِنطَارًا﴾⁽⁵⁾، فقال: كل الناس أفقه منك يا عمر.

ومما بينه للناس أيضاً من خلال هذه الآية جواز قولك أنا عالم، أو الحمد لله على ما أعطاني الله من علم، ولا فخر في ذلك ولا رياء وأن حديث «مَنْ قَالَ أَنَا عَالِمٌ، فَهُوَ جَاهِلٌ»⁽⁶⁾ محمول على من يقولها برياء وفخر.⁽⁷⁾

(1) عبد الرحمان بن اعطى الله: وسائل الإصلاح الاجتماعي عند الشيخ اطفيش القطب، مجلّة الواحات، ص 205.

(2) محمد بن يوسف اطفيش: تيسير التفسير، المرجع سابق، ج 1، ص 433.

(3) عبد الرحمان بن اعطى الله: وسائل الإصلاح الاجتماعي عند الشيخ اطفيش، ص 207.

(4) التمل: الآية 15.

(5) النساء: الآية 20.

(6) سليمان بن أحمد الطبراني: المعجم الأوسط، باب الميم: من اسمه محمد، تحقيق طارق بن عوض الله بن محمد، عبد المحسن بن إبراهيم

الحسيني، ج 7، ص 59.

(7) محمد بن يوسف اطفيش: تيسير التفسير، ج 10، ص 322.

الفصل الأول..... القصص القرآني من خلال تفسير "تيسير التفسير"

الفرع الثالث: الإصلاح السياسي:

دعا الشيخ اطفيش في الكثير من المواضع إلى ضرورة الإصلاح السياسي، وإصلاح الحاكم، وذلك من خلال بعض المباحث المهمة في هذا الجانب:

أولاً: استحباب المشورة: لا يخفى علينا أهمية المشورة في ديننا فلا أهميتها سمى الله تعالى سورة في القرآن باسم "الشورى" وقد أدرك الشيخ ذلك، فبين الناس مشروعيتها في ديننا الحنيف، فمن خلال قول بلقيس لقومها: ﴿قَالَتَ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي مَا كُنْتَ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّى تَشْهَدُونِ﴾ (٣٢) ﴿١﴾ رغب الشيخ من خلال هذه الآية في المشورة، وجعلها مستحبة ومشروعة في الأمور المهمة ومن بين هذه الأمور ما يتوقف عليه صلاح البلاد وأمنه، فبلقيس طلبت مشورة قومها في ما يجب عليها فعله لما قرأت رسالة سليمان عليه السلام، فهي لم تستقل عنهم بأمر، وكذلك في قصة ذبح إبراهيم لابنه إسماعيل فلما قال إبراهيم: ﴿قَالَ يَبْنَئِي إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَى﴾ (٢) وكون إبراهيم نبي ورؤياهم صدق وحق لم يمنعه من استشارة ابنه ففي قوله: ﴿فَانظُرْ مَاذَا تَرَى﴾ قال الشيخ: "والكلام على صورة المشاورة... والمشاورة مشروعة" (٣) ولنا في رسول الله ﷺ قدوة وهو المؤيد بالوحي إلا أنه كان كثير المشاورة لأصحابه يقول أبو هريرة رضي الله عنه: "مَا رَأَيْتُ أَحَدًا أَكْثَرَ مَشُورَةً لِأَصْحَابِهِ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ." (٤)

ثانياً: التأكيد على ضرورة التواصل الديني والاجتماعي بين المسلمين

يؤكد الشيخ اطفيش على ضرورة التواصل الديني والاجتماعي من أجل تقوية روابط الوحدة بين الأفراد في الجزائر أو في بعض الدول العربية المسلمة مع باقي أفراد المجتمع الميزابي، حيث ربطت بين الشيخ وبعض الحكام في عصره علاقات مختلفة من أهمها العلاقة التي كانت بينه وبين سلاطين عمان وزنجبار بسبب الوحدة المذهبية... كما كانت للشيخ اتصالات بالخلافة العثمانية أيام عبد الحميد الثاني (1876-1909م)، وكان يرى في حكم العثمانيين رمزا للحكم الإسلامي الباقي إلى عهده، فأبدى النصيح لهذا النظام الحاكم الذي كان يمر بآخر أيامه.

(١) التمل: الآية 32.

(٢) الصافات: الآية 102.

(٣) محمد بن يوسف اطفيش: تيسير التفسير، ج12، ص 130.

(٤) محمد بن عيسى الترمذي: سنن الترمذي، كتاب الجهاد، باب ما جاء في المشورة، تحقيق بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي -

بيروت، ط(1998م)، ج3، ص265.

الفصل الأول..... القصص القرآني من خلال تفسير "تيسير التفسير"

وعلاقة الشيخ بغيره تدلنا على مكانته في عصره، ولم يكن لها من سبب سوى المجهود العلمي الذي قدمه، والعمل الإصلاحي الذي قام به. (1)

وهو كذلك يبتّ الاهتمام بأمور المسلمين بين الناس ويحثهم على الدّعاء لأهل الحقّ بالنّصر على الظّالمين ففي إحدى دروس التّفسير أوصاهم بالدّعاء لأمرأة الدّولة العثمانيّة بالنّصر على من تكالب عليهم من دول أوروبا. (2) وفي دعائهم لهم اهتمام بأمورهم ودعم لهم، وهذا ليس غريب على الشيخ فقد اعتبر الاهتمام بأمور المسلمين واجب وأولى من غيره، فرغم العراقيل التي كانت تواجهه في التّغيير إلا أنّه يرى في ذلك راحة وطمأنينة لأنّه أدّى ما عليه وسدّ ثغرة المجتمع، ومّا قاله في إحدى مراسلاته وهو يسدي النّصح لهم بضرورة اهتمام المسلمين بشؤون بعضهم بعضاً: " ومّا سألتما عنه الانشغال بأمر المسلمين، اعلمنا إنّّه أولى من الانفراد، لكن مع تحمّل الأذى ومعالجته، وإذا قوي إخلاصكما سهل عليكم الأذى فتجدان راحة في قلبكما تصلان معها إلى التّعلّم والتّعليم، ففضى عمره في خدمة هذه المجتمع ولم تنه الصّعاب التي كانت تعترض طريقه. " (3)

الفرع الرابع: مباحث فصل فيها الشيخ من خلال القصّة القرآنيّة:

هناك مباحث استطرد الشيخ في شرحها وبيّانها وذلك لأهمّيّتها في حياة المسلم سواء في دينه وديناه ومن هذه المباحث:

أولاً: أهمّيّة الدّعاء:

يعتبر موضوع الدّعاء من المباحث البارزة في تفسير الشيخ اطفيش والتي بدا اعتناؤه ببيّانها وحثّ الناس عليها، حيث نجده في مواضع كثيرة في تفسيره يحثّ الناس على التّقرب إلى الله تعالى واللّجوء إليه بالدّعاء، وكثيراً ما نجده يعقّب على الآيات التي تذكر دعاء الأنبياء، أو الأمر بالدّعاء يلجأ إلى الله داعياً مناجياً. وهو حين يتوجّه إلى الله داعياً تبرز لنا ربانيته واتصاله الوثيق بالله تعالى، فحديثه عن الدّعاء مليء بالخشوع والخضوع والتّوكّل على الله تعالى، ومن بين وقفاته مع الدّعاء حين فسّر قول الله تعالى: ﴿إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا مِن لَّدُنكَ رَحِمَةً وَهِيَئُ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ﴿١٠﴾ ﴿١١﴾ ﴿١٢﴾ ﴿١٣﴾ ﴿١٤﴾ ﴿١٥﴾ ﴿١٦﴾ ﴿١٧﴾ ﴿١٨﴾ ﴿١٩﴾ ﴿٢٠﴾﴾ (4) فبعد بيانه لمعاني الآيات استشهد بأبيات كتبها متأسّياً بالفتية قال فيها:

(1) مصطفى ونّين: آراء الشيخ محمد بن يوسف اطفيش العقديّة، ص 53.

(2) محمد بن يوسف اطفيش: تيسير التّفسير، ج 10، ص 378.

(3) بالحاج أوزايد: جهود الشيخ اطفيش الإصلاحيّة ومواقفه الوطنيّة، مجلّة الواحات، ص 192.

(4) الكهف: الآية 10.

الفصل الأول..... القصص القرآني من خلال تفسير "تيسير التفسير"

يَا رَبِّ هَيِّءْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا.....وَاجْعَلْ مَعُونَتِكَ الْحُسْنَى لَنَا مَدَدًا
وَلَا تَكِلْنَا إِلَى تَدْيِيرِ أَنْفُسِنَا.....فَالنَّفْسُ تَعْجُزُ عَنِ إِصْلَاحِ مَا فَسَدَا
أَنْتَ الْكَرِيمُ وَقَدْ وَجَّهْتُ يَا صَمَدُ..... إِلَى جَنَابِكَ وَجْهًا سَائِلًا وَيَدًا.

ثم توجه بعد هذه الأبيات إلى الله تعالى سائلا إياه أن يجيب دعاءه كما أجاب دعاء أصحاب الكهف.

كما علم الناس الالتزام بدعاء القرآن فلما جاء عند قوله تعالى: ﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا ﴿١٥﴾﴾⁽¹⁾ قال: "ينبغي لمن قرأ هذه الآية أن يقول: "اللهم آتنا رحمة من عندك وعلّمنا من لدنك علما".⁽²⁾

ثانيا: التحذير من خطر العين:

من المباحث التي أفاض فيها الشيخ وبينها للناس قضية العين ، وأنها حق لقوله ﷺ «العين حق، ولو كان شيءٌ سابقَ القدرِ سبقتهُ العينُ، وإذا استُعسلتم فاعسلوا»⁽³⁾، وأكد من خلالها على أنّ العين تصيب الإنسان وتضره فلما فسّر قوله تعالى على لسان يعقوب عليه السلام: ﴿وَقَالَ يَبْنَى لَّا تَدْخُلُوا مِنْ بَابٍ وَاحِدٍ وَادْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ مُتَفَرِّقَةٍ﴾⁽⁴⁾ فقال: أنّ يعقوب أمر بينه من أن يدخلوا من أبواب متفرقة حتى لا يصابوا بالعين، وذلك لا ينفي التوكّل على الله تعالى لأنّ النبي ﷺ قال: "اعفلها وتوكل"⁽⁵⁾، فبين للقارئ ما يجب قوله من أدعية ماثورة للتحرز من الإصابة بالعين ومنها أن يقول كما علّمنا رسول الله: ﷺ «أُعِيدُكُمْ بِكَلِمَاتِ اللَّهِ التَّامَّةِ مِنْ كُلِّ عَيْنٍ لَأَمَّةٍ، وَمِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ وَهَامَّةٍ»⁽⁶⁾ كما بين الشيخ جواز الرقية من العين، ومما قاله أيضا أنّ من عرف بالعين يجلس عن الناس ويرزق من بيت مال المسلمين.⁽⁷⁾

وأرى في ذلك مبالغة من الشيخ ، فيكفي للإنسان تحصين نفسه بالأذكار الماثورة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأنّ من عرف بالعين، عليه أن يتبع المنهج القرآني في وقاية من أعجبه، فيقول: "ما شاء الله".

(1) الكهف: الآية 65.

(2) محمد بن يوسف اطفيش: تيسير التفسير، ج5، ص 400.

(3) مسلم بن الحجاج النيسابوري: صحيح مسلم، باب الطبّ والمرضى والرقى، كتاب السلام، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي دار إحياء التراث العربي - بيروت ج4، ص 1719.

(4) يوسف: الآية 67.

(5) محمد بن عيسى الترمذي: سنن الترمذي، أبواب صفة القيامة والرقاق والورع، ج4، ص 249.

(6) سليمان بن أحمد الطبراني: المعجم الكبير للطبراني، باب ما روي عن ابن مسعود أنّه لم يكن مع النبي ﷺ ليلة الجنّ، ج 10، ص 68.

(7) محمد بن يوسف اطفيش: تيسير التفسير، ج4، ص 361.

الفصل الأول..... القصص القرآني من خلال تفسير "تيسير التفسير"

كما بيّن في موضع آخر فضل قول: "ما شاء الله لا قوّة إلا بالله" إذا أعجبك شيء، وقال أفضل الدّعاء قول ما شاء الله، فهو يحفظ من العين واستدلّ بحديث رسول الله ﷺ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَا أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَى عَبْدٍ مِنْ نِعْمَةٍ فِي أَهْلٍ أَوْ مَالٍ أَوْ وَالدِّ، فَيَقُولُ: مَا شَاءَ اللَّهُ، لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ، فَيَرَى فِيهَا آفَةً دُونَ الْمَوْتِ». (1)

(1) سليمان بن أحمد الطبراني: المعجم الأوسط، باب الميم: من اسمه محمّد، تحقيق طارق بن عوض الله بن محمد، عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، ج6، ص 126.

المبحث الخامس: موقفه من الآيات العقديّة

والفقهية في القصص القرآني

- المطلب الأوّل: القول بعدم إثبات الصفات لله تعالى
- المطلب الثاني: استحالة رؤية الله تعالى
- المطلب الثالث: نفي صفة الكلام
- المطلب الرابع: القول بعصمة الأنبياء
- المطلب الخامس: موقفه من الأحكام الفقهية في القصة

القرآنية

الفصل الأول..... القصص القرآني من خلال تفسير "تيسير التفسير"

المبحث الخامس: موقفه من الآيات العقديّة والفقهية في القصص القرآني

من خلال هذا المبحث سنتعرّف على منهج الشّيخ اطفيش في المسائل العقديّة والقضايا الفقهية، ومنهجه في الاستدلال، وكذا منهجه في التّرجيح بين آراء مذهبه وآراء المذاهب الأخرى مع إعطاء بعض النّماذج في ذلك.

المطلب الأوّل: القول بعدم إثبات الصفات لله تعالى

حين يتعرّض الشّيخ لآيات الأسماء والصفات فإنّه يؤوّلها بما يوافق مبدأ التنزيه المطلق لله عزّ وجلّ على منهج مذهبه الإباضي الذي يعتقد علماؤه أنّ صفات الله هي ذاته سبحانه وتعالى يقول الشّيخ: " وصفاته تعالى قديمة هي هو." (1) هذا عند إباضية المغرب فهم يعتقدون أنّ الصفات ذاتية فقط، وأمّا ما دلّ على الأفعال فيسمّونه فعلا لا صفة. وأمّا إباضية المشرق فيقسّمون الصفات إلى قسمين: صفات ذاتية وصفات فعلية. والشّيخ اطفيش أخذ برأي المشاركة. (2)

الفرع الأوّل: تأويل العين

في قوله تعالى لموسى عليه السلام: ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي﴾ (3)، أول الشّيخ العين في الآية وقال بأنّها استعارة تمثيلية للحفاظ والصّون لأنّ المصنوع يراعى ويراقب (4) وكذلك في قوله لنوح عليه السلام: ﴿وَأَصْنَعُ الْفُلَكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحَيْنَا﴾ (5)

الفرع الثاني: تأويل النّفس:

في قوله تعالى: ﴿وَأَصْطَفَعْتُكَ لِنَفْسِي﴾ (6) ذكر الشّيخ في تفسير هذه الآية قول هو ما عليه جمهور المفسّرين فقال: " لي وحدي على المبالغة في الاصطفاء " ثمّ ساق أقوالا تفيد تأويل النّفس فذكر أنّ " نفسي " بمعنى محبّي عبّر عنها بالنّفس لأنّها أخصّ شيء بها وقيل: لإقامة حجّتي حتى كأنّك أنا لو خاطبتهم،

(1) محمد بن يوسف اطفيش: تيسير التفسير، ج8، ص 484.

(2) مصطفى وتنن: آراء الشيخ احمد بن يوسف اطفيش العقديّة، ص 120.

(3) طه: الآية 39.

(4) محمد بن يوسف اطفيش: تيسير التفسير، ج9، ص 124.

(5) هود: الآية 37.

(6) طه: الآية 41.

الفصل الأول..... القصص القرآني من خلال تفسير "تيسير التفسير"

تعالى عن الشبه " أو ذلك استعارة تمثيلية في التقريب المعنوي بالتبني والإرسال وجلائل التعم " (1) وبالتأويل ذاته فسّر كلمة النفس في قول عيسى عليه السلام في الآية الكريمة: ﴿ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقِّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعَلَّمَ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّمَ الْغُيُوبَ ﴾ (2) حيث فسّر الشيخ النفس في قول عيسى عليه السلام: " تَعَلَّمَ مَا فِي نَفْسِي " بالذات أو القلب، وفي قوله: " وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ " بـ: " معلوماتك التي لم تطلعنا عليها " (3) قال الشيخ: " عبر بالنفس للمشكلة لأنّ جلّ وعلا لا يتّصف بالقلب، وكذا لا يقال: " لا أعلم ما في ذاتك " لأنّه تعالى لا يكون ظرفاً" كما ذكر الشيخ معنى آخر فقال: " نفسك بمعنى غيبك " كما جوّز وقيل أن يكون المقصود بـ: " ما في نفسك " نفس عيسى أيضا لأنّ الله تعالى خالقها ومالكها ولذلك نسبت إليه. (4)

المطلب الثاني: استحالة رؤية الله تعالى

يرى الإباضية أنّ رؤية الله تعالى مستحيلة في الآخرة، والشيخ اطفيش أبدى انتماؤه المذهبي في مثل هذه القضايا العقديّة، فقد كان شديداً على من يقول خلاف ذلك، بل وبلغت شدّته في بعض المواضع إلى تكفير من يقول بالرؤية.

أكد الشيخ على أنّ رؤية الله تعالى مستحيلة دنيا وأخرى، ويستدلّ ويوضح مذهبه ورأيه: ومن الأدلّة التي ساقها قول موسى عليه السلام في الآية الكريمة: ﴿ قَالَ رَبِّ ارْنِيْ أَنْظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ تَرِنِيْ وَلَكِنِ أَنْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرِنِيْ فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ (5) فاستدلّ الشيخ على عدم الرؤية بأنّ المرئي جسم مركّب والله منزّه عن ذلك، وردّ الشيخ على من يقول: أنّه يجوز رؤية الله بلا كيف، وقال أنّ ذلك تناقض، ونفس الإدراك ممنوع، لأنّه إذا رئي فقد أدرك. ولما قال موسى: ﴿ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ قال الشيخ: " أنا أول المؤمنين بك من

(1) محمد بن يوسف اطفيش: تيسير التفسير، ج9، ص 135.

(2) المائدة: الآية 116.

(3) محمد بن يوسف اطفيش: تيسير التفسير، ج 4، ص 194/ ينظر: محمد بن يوسف اطفيش: الذهب الخالص، ص 25.

(4) المرجع نفسه، ج4، ص 195.

(5) الأعراف: الآية 143.

الفصل الأول..... القصص القرآني من خلال تفسير "تيسير التفسير"

بني إسرائيل بما أوحيت بأنك لا ترى، وأن صفات الخلق لا تليق بك، ومنها رؤيتك في الدنيا والآخرة⁽¹⁾، والآية وإن لم تتضمن عدم رؤية الله في الآخرة، وإنما تضمنت رؤيته في الدنيا إلا أن الشيخ أول الآية واستدل بها على عدم الرؤية في الآخرة .

ونرى أن الشيخ قد بالغ في نقد مخالفه في مسألة الرؤية، حيث وصل به تشدده في هذه المسألة إلى وصفهم بالفسق والعصيان فحين فسّر قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَىٰ لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَىٰ اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمْ الصَّلْبَةَ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ﴾⁽²⁾، نجده يقول " والآية دليل على كفر مجيز الرؤية دنيا أو أخرى وذلك لأن إجازتها ولو في القلب إجازة لتكليفه، وتكليفه ممنوع، لأن فيه تشبيهاً، وإدراكه بالقلب تكليف لا يتصور بدونه، فلا يصح قولهم بلا كيف، وتكليفه في القلب بلا تقدير أن يكيفه لغيره"⁽³⁾ - ويقصد "بالكفر" هنا كفر نعمة وهو عند الإباضية الفاسق والعاصي ويطلقون عليه أيضا كافرا كفرا دون الكفر الصريح الذي هو الشرك بالله تعالى - (4)

واجتهد الدكتور مصطفى ونتن في إيجاد حل للخلاف القائم بين المثبتين والتأفين لرؤية الله تعالى حيث قال: " وفي نظرنا: أن الخلاف في هذه الآراء ليس سوى خلاف لفظي وعدم اتفاق على المصطلح، ونستبعد أن يكون المثبتون للرؤية يقصدون معاني النقص التي يلزمهم بها التأفون الذين انطلقوا في نفيهم من المعنى الحقيقي للرؤية البصريّة، وتبقى الاعتبارات التي خاض فيها المتكلمون من علم الغيب الذي استأثر الله تعالى، وليس كل الغيب يعلمه الإنسان بل بعضه يعلمه ويجب الإيمان به." (5)

المطلب الثالث: نفي صفة الكلام

والشيخ يردّ على أصحاب مذهبه ففي قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِنْ شَاطِئِ الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبْرَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَن يَكُومُوا إِلَيَّ أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾⁽⁶⁾

(1) محمد بن يوسف اطفيش: تيسير التفسير، ج5، ص 174.

(2) البقرة: الآية 55.

(3) محمد بن يوسف اطفيش: تيسير التفسير، ج1، ص 109.

(4) مصطفى ونتن: آراء الشيخ محمد بن يوسف اطفيش العقديّة، ص 317.

(5) المرجع نفسه، ص 155.

(6) القصص: الآية 30.

الفصل الأول..... القصص القرآني من خلال تفسير "تيسير التفسير"

قال: " ولقومنا هنا تخاليط تؤدّي إلى التشبيه، يردها المبتدئ المعتقد أنه لا يشبهه شيء، فيفتضحون ويقولون بلا كيف، كقولهم ناداه بكلامه القديم الذي لاصوت فيه، وقولهم بالتجلي له بما شاء." (1)

وكذا لم يثبت صفة الكلام إلى الله عزّ وجلّ ففي قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ يَمْوَسَىٰ ۗ ﴾ (2) نفى الشيخ أن يكون الكلام ألفاظا تلفظها الله تعالى، لأنّ ذلك من صفات المخلوق المحدود الحال، كما نفى قول من قال أنه كلام الله يقصد به الكلام النفسي الذي ليس بحروف ولا أصوات، حيث بيّن أنّ المتكلم بذلك ملك يقول عن الله بأمره تعالى، كما ينزل جبريل بألفاظ التوحيد وغيرها عن الله عزّ وجلّ، أو خلق الكلام في الشجرة، أو في الهواء، أو في بدن موسى. (3)

المطلب الرابع: القول بعصمة الأنبياء

الفرع الأول: تعريف العصمة

يعرّف الشيخ اطفيش العصمة فيقول: "والعصمة عندنا وعند الأشعرية أن لا يخلق الله فيهم ذنبا بناءً على ما يقتضيه أصلنا من استناد الأشياء إلى الفاعل المختار ابتداء" (4)

الفرع الثاني: مذاهب العلماء في عصمة الأنبياء

اختلف علماء الأمة في القول بعصمة الأنبياء، حيث أجمعوا على أنّ الأنبياء معصومون عن الكفر والبدعة، كما أجمعوا على أنّه لا يجوز عليهم التحريف والخيانة في جميع شرائع وأحكام الله تعالى لا بالعمد ولا بالسّهو. أمّا فيما يتعلّق بأفعالهم وأحوالهم فقد اختلفوا في ذلك فمنهم من قال لا يجوز عليهم تعمد الكبيرة، لكن تعمد الصغيرة جائز وهذا قول أكثر المعتزلة، وهناك من قال أنّه لا يجوز عليهم تعمد الصغيرة والكبيرة، لا بالعمد أمّا بالسّهو فهو جائز وهو قول أبي إسحاق إبراهيم بن سيار النّظام، وقول آخر هو أنّه لا يجوز عليهم الصغيرة والكبيرة لا بالسّهو ولا بالعمد ولا بالتأويل والتسيان وهو مذهب الشيعة. (5)

(1) محمد بن يوسف اطفيش: تيسير التفسير، ج9، ص 425.

(2) طه: الآية 11.

(3) محمد بن يوسف اطفيش: تيسير التفسير، ج9، ص 127.

(4) مصطفى وتنن: الآراء العقدية للشيخ اطفيش، ص 231.

(5) فخر الدين الرازي: عصمة الأنبياء، منشورات الكتبي التجفي، ط 1406هـ، ص 11.

الفصل الأول..... القصص القرآني من خلال تفسير "تيسير التفسير"

واختلفوا أيضا في وقت وجوب العصمة فقال بعضهم أنّها من أول الولادة إلى آخر العمر، وقال الأكثرون هذه العصمة إنّما تجب في زمان النبوة وأما ما قبلها فهي غير واجب، وهو قول لأكثر علماء أهل السنة والجماعة. (1)

الفرع الثالث: موقف الشيخ اطفيش من عصمة الأنبياء

الشيخ اطفيش يقول برأي مذهبه الإباضي في القول بعصمة الأنبياء حيث يرى أنّ الأنبياء لا يعصون قبل النبوة ولا بعدها إلا ما يعدّ عصيانا في حقهم، وينظر الشيخ إلى عصمة الأنبياء من جهتين:

من جهة الخطأ والتسيان (2): حيث يرى الشيخ أنّ الأنبياء يصدر منهم الخطأ والتسيان فيما يتعلّق بأمر الدنيا التي لا علاقة لها بالرسالة وتبليغها، فيعتري النبي في حاجات الدنيا ما يعتري غيره من البشر ويستوي معهم وهذا من الصفات الجائزة في حق الأنبياء ومّا يثبت بشريّة الرّسل. (3)

ففي قوله تعالى: ﴿فَازْلَهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ﴾ (4) قال الشيخ: "ومطّوعة آدم وحواء لإبليس نسيانا لنهي الله عزّ وجلّ، أو توهّمها من أول الأمر، أنّ النهي للتّنزيه من أمر سهل، يتحملانه من الأكل ولا يضرهما... فلا يرد أنّ الأنبياء لا يعصون قبل النبوة ولو صغيرة، ولا يستحضر في قصة آدم ما يقال حسنات الأبرار سيئات المقربين، إذ لم يفعل آدم شيئا مما عوتب عليه يدعيه حسنة بل يستحضر أنه يعدّ في حق عالي الرتبة ذنبا ما ليس ذنبا في حق غيره." (5)

أما فيما يتعلّق بتبليغ الرّسالة والوحي عموما يرى الشيخ استحالة أن يصدر الخطأ والتسيان من النبيّ، فهو معصوم لا يمكن أن ينسى شيئا ممّا أوحى إليه، والشيخ يفرّق بين وقوع الخطأ قبل التبليغ ووقوعه بعده، فهو يمنعه ويجعله مستحيلا قبل أن يبلغ الرّسول ما أمر بتبليغه، وإذا بلغ فإنّه من الممكن أن ينسى ويسهو عنه ففي قوله تعالى للنبيّ ﷺ: ﴿وَأَنِ احْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ﴾

(1) فخر الدين الرازي: عصمة الأنبياء، ص 11.

(2) مصطفى وتنن: آراء الشيخ اطفيش العقديّة ص 233.

(3) المرجع نفسه، ص 233.

(4) البقرة: الآية 36.

(5) محمد بن يوسف اطفيش: تيسير التفسير، ج 1، ص 74.

الفصل الأول..... القصص القرآني من خلال تفسير "تيسير التفسير"

وَأَحْذَرَهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ ﴿١﴾ قال الشيخ: واستدلّ بالآية على جواز الغلط والنسيان في حق الرّسل لأنّه أمر بالحدز، وتعمّد قبول فتنّهم لا نتوهمه منه ﷺ. (2)

من جهة اقتراف المعاصي: قال الإباضية بعصمة الأنبياء من المعاصي ووافقهم في ذلك الشيخ اطفيش حيث يرى أنّ ما نسبته الله تعالى إلى الأنبياء من معاصي ليست من جنس معاصينا، لا عمدا ولا خطأ قبل النبوة ولا بعدها، ففي قوله تعالى: ﴿وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى﴾ ﴿١١﴾ ﴿٣﴾

كما يعتبر الشيخ أخطاء الأنبياء التي جاءت في القرآن الكريم ليست في الأصل ذنوبا، ولكنها كما يقال "حسنات الأبرار سيئات المقربين" فعّد المكروه والجائر في حقهم ذنبا ومثال ذلك في قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ حُسْنًا بَعْدَ سُوءٍ فَإِنِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ ﴿١١﴾ ﴿٤﴾

فسر "سوء" بفعل الذنوب من غير الأنبياء، أو من الأنبياء على أن تصدر منهم الصغيرة قبل النبوة أو قبلها وبعدها، وبعّد عليهم المكروه وغير الأولى ذنبا⁽⁵⁾، ويقول أيضا: "والتي لا يفعل كبيرة ولا صغيرة قبل النبوة ولا بعدها." (6)

كما ردّ الشيخ كل الروايات التي تقدح في عصمة الأنبياء وتنسب إليهم اقتراف الكبائر، وفنّدها وعدّها من أكاذيب وأباطيل اليهود، كالروايات التي قيلت في يوسف عليه السلام في قصّته مع امرأة العزيز وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ هَمَمْتُ بِهِ ^ص وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ ^ع﴾ ﴿٧﴾، وما قيل أيضا في داود عليه السلام وقصّته مع الخصمان اللذان تسورا المحراب.

والشيخ يدخل ضمن عصمة الأنبياء تنزيههم من كلّ عيب خلقي، فجده يفنّد كلّ تفسير يسيء إلى الأنبياء وصفاتهم الخلقية.

(1) المائدة: الآية 49.

(2) محمد بن يوسف اطفيش: تيسير التفسير، ج 4، ص 57.

(3) طه: الآية 121.

(4) التمل 10.

(5) محمد بن يوسف اطفيش: تيسير التفسير، ج 10، ص 317.

(6) المرجع نفسه، ج 4، ص 300.

(7) يوسف: الآية 24.

الفصل الأول..... القصص القرآني من خلال تفسير "تيسير التفسير"

ومثاله قوله تعالى في وصف يحي عليه السلام: ﴿أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِّنَ اللَّهِ

وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴿٣٩﴾⁽¹⁾ بين الشيخ معنى كلمة " حصورا " في الآية الكريمة فقال: " حصورا مانعا لنفسه من التساء منعا عظيما في نفسه، والأولى أنه قادر عليهنّ وعدم القدرة عليهنّ نقص يجب تنزيه الأنبياء عنه"⁽²⁾، وردّ على من قال أنّ الآية نص في فضل العزوبية على الزواج وأنه ثابت في تلك الأمة وبق في شرعنا واعتبر حججهم لا تصح لأنّ هناك ما يعارضها إذ يقول النبي ﷺ " تَزَوَّجُوا الْوُدُودَ الْوُلُودَ، إِنِّي مُكَاثِرُ الْأَنْبِيَاءِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ. " ⁽³⁾

المطلب الخامس: موقفه من الأحكام الفقهيّة في القصّة القرآنيّة

اعتنى الشيخ في تفسيره ببيان الأحكام الفقهيّة متى وجد لذلك مدخلا، ولو لم تكن الآية من آيات الأحكام، فالشيخ يعلم ويفقه النّاس في أمور دينهم، واهتمام الشيخ ببيان مثل هذه المسائل والأحكام ناتج عن كونه المرجعيّة الفقهيّة في المذهب الإباضي آنذاك وحتى يومنا هذا لما له من دقّة في استنباط الأحكام من الآيات وترجيحه بين الآراء المختلفة واستدلّاه على كلّ ما يذهب إليه.

والغرض من تخصيص هذا الجزء ضمن دراستي؛ هو بيان مدى اعتناء الشيخ بالقصّة وإعطائها مكانة في استنباطاته واستدلالاته الفقهيّة، إضافة إلى هذا لأبيّن مدى اعتماد الشيخ على القاعدة الأصوليّة " شرع من قبلنا شرع لنا ما لم يكن في شرعنا ما يخالفه" وهو مذهب الجمهور أيضا، والتي أشار إليها كثيرا في تفسيره لآيات قصص الأنبياء خاصّة.

ومن الأحكام التي ساقها الشيخ انطلاقا من القصّة القرآنية:

الفرع الأوّل: بيان محرّمات الوطء وحدّ اللائط

بيّن الشيخ من خلال قصّة لوط عليه السلام بعض الأحكام:

- حرمة المصاهرة باللواط في التّساء والرّجال.
- وطء المرأة في دبرها بعد تزوّجها لا يحلّها لمطلّقها ثلاثا.
- غسل اللائط لا يحطّ عنه الإثم إلاّ إن قدّم توبة وكذلك السّحاق وسائر الرّزني.
- اللواط أفبح من الرّزني.

(1) آل عمران: الآية 39.

(2) محمد بن يوسف اطفيش: تيسير التفسير، ج2، ص 311.

(3) أبو عبد الله أحمد بن حنبل: مسند الإمام حنبل بن حنبل، مسند المكثرين من الصّحابة، مسند أنس بن مالك، ج20، ص 63.

الفصل الأول..... القصص القرآني من خلال تفسير "تيسير التفسير"

- اللواط لا يكون في الجنة ولا يخطر ببالهم وإن خطر قبضه ولم يطلبوه. (1)

كما بين الشيخ الحدّ الشرعي لمقترف فاحشة اللواط وهي الرجم للفاعل والمفعول. أو القتل بالسيف حتى وإن كان الفاعل شابا غير محصن، هذا إن غابت الحشفة، أما إن لم تغب الحشفة فعقوبة الفاعل التعزير أو التنكيل، مستنداً بحديث رسول الله ﷺ (2): " مَنْ وَجَدْتُمُوهُ يَعْمَلْ عَمَلِ قَوْمِ لُوطٍ، فَاقْتُلُوا الْفَاعِلَ وَالْمَفْعُولَ بِهِ. " (3)

الفرع الثاني: وجوب النفقة على الزوج

في قوله تعالى: ﴿ وَنَمِيرُ أَهْلِنَا وَنَحْفَظُ أَخَانَا وَنَزِدَادُ كَيْلٍ بَعِيرٍ ذَلِكَ كَيْلٌ يَسِيرٌ ﴾ (4) أكد الشيخ من خلال الآية الكريمة على وجوب الإنفاق على الأهل، وفصل القول في ذلك فأوجب النفقة على الزوج ولو كان غائبا عن البيت، بحيث لو استدان زوجته فيما يجب بلا إسراف وجب عليه قضاء ذلك الدين، أما فيما أسرفت فيه فلا يجب عليه، وكذلك إن أنفقت المرأة من مالها لم تدرك عليه في الحكم إلا إن أشهدت على الإدراك. (5)

الفرع الثالث: ستر العورة بين الزوجين

لما جعل الله تعالى جزاء الأكل من الشجرة انكشاف السوءات لكل من آدم عليه السلام وزوجه حواء، وجعلا يستران عورتهم قال تعالى: ﴿ فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتَ لَهُمَا سَوْءَاتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ ﴾ (6) أكد الشيخ على تقييح كشف العورة أمام الزوج أو في الخلوة بلا حاجة. (7) وهذا الكلام ينافي قوله تعالى: ﴿ نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ فَأَتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ ﴾ (8)، بمعنى كيف شئتم وقد بين الشيخ معنى قوله تعالى: " أنى شئتم " فقال: "أي من أي موضع شئتم... فدلّ

(1) محمد بن يوسف اطفيش: تيسير التفسير، ج5، ص 115

(2) المرجع نفسه، ج5، ص112.

(3) أبو عبد الله أحمد بن حنبل: مسند الإمام أحمد بن حنبل، مسند بني هاشم، مسند عبد الله بن العباس بن عبد المطلب، ج4، ص464.

(4) يوسف: الآية 65.

(5) محمد بن يوسف اطفيش: تيسير التفسير، ج 4، ص 359.

(6) طه: الآية 121.

(7) محمد بن يوسف اطفيش: تيسير التفسير، ج5، ص18.

(8) البقرة: الآية 223

الفصل الأول..... القصص القرآني من خلال تفسير "تيسير التفسير"

على عموم جميع الهيئات، وكما يكون إتيان الزوجة على أي هيئة تيسرت، فكذلك يباح نظر أحد الزوجين إلى أي موضع من بدن صاحبه من غير استثناء؛ لما في ذلك من الدواعي إلى الوطء على أكمل الوجوه" (1)، ولحديث بهز بن حكيم عن أبيه عن جدّه، قال يا رسول الله؛ عوراتنا ما نأتي منها وما نذر؟ قال قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ عَوْرَاتُنَا مَا نَأْتِي مِنْهَا وَمَا نَذُرُ؟ قَالَ: أَحْفَظْ عَوْرَتَكَ إِلَّا مِنْ زَوْجَتِكَ أَوْ مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ" (2)

الفرع الرابع: موقف الشيخ من القاعدة الأصولية: "شرع من قبلنا شرع لنا ما لم يكن في شرعنا ما يخالفه":

أ. النهي عن بدأ الكفار بالسلام: ومثال ذلك في قول إبراهيم عليه السلام لأبيه: ﴿قَالَ سَلِمْتُ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا﴾ (3)، ذكر استدلال سفيان بن عيينة بالآية في جواز بدأ المسلم الكافر بالسلام، ولم يجوز ذلك وردّ الشيخ هذا القول بما ورد في صحيح مسلم: "لا تبدؤوا اليهود ولا النصارى بالسلام" وقال: وقد يخالف شرع إبراهيم في هذا شرعنا" (4).

في قوله تعالى: ﴿قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ﴾ (5)، يقول الشيخ: "والتسبيح على نية التوبة توبة واعتراف، وقيل: "التسبيح الاستثناء" بأن يقولوا إن شاء الله، نزهوا الله عن أن يكن غير ما لم يرد كونه، وكان في شرعهم سبحان الله مثل إن شاء الله في شرعنا وشرع من قبلنا شرع لنا ما لم ينسخ" وردّ بذلك رأي الحنفية الذين يقولون أن الطلاق بسبحان الله لا يقع؛ لأنهم يعتبرونه استثناء فقال: "والحق أن الطلاق والإعتاق يقعان ولا يفسحان الاستثناء، وأما غيرهما فلا نحتاج فيه إلى شرع من قبلنا بل نحتاج إلى النية، فإذا نوى بقوله سبحان الله الاستثناء صح" (6).

(1) محمد سكهال المجاجي: المهذب من الفقه المالكي وأدلته، دار القلم دمشق، عالم المعرفة، الجزائر، ط (1433 هـ / 2012 م)، ج2، ص 53.

(2) محمد بن عيسى الترمذي: سنن الترمذي، كتاب الأدب، باب ما جاء في حفظ العورة، ج4، ص 395.

(3) مريم: الآية 47.

(4) محمد بن يوسف اطفيش: تيسير التفسير، مرجع سابق، ج 9، ص 52.

(5) القلم: الآية 28.

(6) محمد بن يوسف اطفيش: تيسير التفسير، ج11 ص 303.

الفصل الأول..... القصص القرآني من خلال تفسير "تيسير التفسير"

ب. في الخلوة وأحكام المهر: ومما استنبطه الشيخ من قوله تعالى: ﴿فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى

أَسْتَحْيَاءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا﴾⁽¹⁾ نصًا في جواز الخلوة

بالمرأة الأجنبية إذا أمتنا الفتنة، وهذه مبالغة من الشيخ إذ لا يستقيم بأي حال من الأحوال أن تكون هذه

الآية نصًا ودليلاً على جواز الخلوة، مهما كانت الأسباب، وفي الحديث الشريف ما يؤكد قولي من تحريم

الخلوة بالأجنبية وعواقبها.

ومما استنبطه أيضا من قصة موسى عليه السلام وزواجه من ابنة الرجل الصالح:

- وأن الإصداق بالعناء جائز مستدلاً بالقاعدة الأصولية، فموسى عليه السلام جعل تبعه بالعمل مهرا

لزوجته، شرط أن يكون هذا العمل نافعا مباحا.

- لا يجوز أن يكون المهر بما هو عبادة كالصلاة والصوم، أما قراءة القرآن وتعليمه فوقع فيه الاختلاف، أما

نسخه فجائز لأنه من العناء.

- جواز أكل الأب من صداق ابنته إذا أجازت له، أو عوضها فيما بعد.⁽²⁾

5. بيان حكم السحر:

بين الشيخ أحكاما تتعلق بالسحر من خلال قوله تعالى: ﴿وَاتَّبِعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكٍ

سُلَيْمَنٍ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَنُ وَلَا كَنَّ الشَّيَاطِينُ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ﴾⁽³⁾

فبين أن السحر في شرع من قبلنا شرك مطلقا لأن السحر الذي تتلوه الشياطين تضمن إشراكا، لذلك برأ الله

تعالى النبي سليمان من تعليمه وتعلمه، كما ساق أحكام السحر في شرعنا وأنه محل خلاف بين العلماء

فقال: "تعلم السحر للعمل به أو لتعليمه أو للزبىء به حرام، وللحذر منه أو لتعليمه من لا يعصى به فمباح،

أو لغير فمكروه، أو مباح أو حرام أقوال وعن أحمد أن السحر شرك ولو لم يعتقد حلّه، ولا تضمن خصلة

شرك."⁽⁴⁾ وقال أيضا: "لا يجوز عندي تعليمه إلا لمن استوثق من نفسه أنه لا يستعمله ولا يعلمه لمن يعلم

لأنه يستعمله، أو لا يعلم حاله، لأن للعلم بالشيء قوة داعية للعمل به ولا سيما مثل هذا والنفس داعية."⁽⁵⁾

(1) القصص: الآية 25.

(2) محمد بن يوسف اطفيش: تيسير التفسير، ج10، ص 418.

(3) البقرة: الآية 102.

(4) محمد بن يوسف اطفيش: تيسير التفسير، ج1، ص 200.

(5) المرجع نفسه، ج1، ص 206.

الفصل الأول..... القصص القرآني من خلال تفسير "تيسير التفسير"

6. الاحتجاج بالقياس:

بيّن الشيخ من خلال جواب إبليس -لعنه الله-: ﴿قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ﴾ (1)، حكم الاحتجاج بالقياس وبين أنّ القياس نوعان:

قياس محرم: هو القياس مع وجود النص المخالف له، كفعل إبليس اللعين.

قياس واجب: هو القياس المستكمل الشروط والعمل به: واجب إذا احتج إليه، ومستحب حيث لم يحتج إليه. (2)

وخلاصة القول، فالشيخ اطفيش اعتنى ببيان مكانة القصة القرآنية من خلال ما ساقه من الأحكام والفوائد والعبر منها، ومن خلال منهجه في تحليل آياتها أعطى الشيخ معارف جديدة، واستغلّ القصة أيما استغلال في توصيلها.

أمّا فيما يخصّ إكثاره من الروايات الإسرائيلية فقد بيّن موقفه الواضح منها وأنه لا ينقل منها إلا ما وافق شرعنا ولم يناقضه، وعلل إكثاره من إيراد من الروايات التي لا تستقيم أنه بغرض الترويح عن القارئ وإن كان يجزم بعدم صحتها.

كما لا ننفي أنّ الشيخ اطفيش قد انطلق من بعض القصص لبيّن أموراً لا تستقيم وتناقض أقوال الكثير من العلماء خاصة فيما يتعلق بقصص الأنبياء، وكذلك أعطى من خلالها أحكاماً جريئة خاصة فيما يتعلق ببيان الأحكام الفقهية والعقائدية ففيها الكثير من المبالغة.

ونلاحظ أنّ الشيخ قد أقحم في القصة القرآنية الكثير من المباحث الفقهية والعقائدية واللغوية، وذلك مراعاة للبيئة التي عاصرت تفسيره، فقد كانت فترة زمنية مليئة بالاعتقادات الخاطئة، والبعد عن الدين، والأمية، وذلك بسبب الاحتلال فناسب تفسيره تلك الفترة.

(1) الأعراف: الآية 12.

(2) محمد بن يوسف اطفيش: تيسير التفسير، ج5، ص 22.

الفصل الثاني: القصص القرآني من خلال تفسير "في رحاب القرآن"
لإبراهيم بن عمر بيّوض (1316-1401هـ / 1899-1981م)

المبحث الأول: التعريف بالشيخ إبراهيم بن عمر بيّوض
وتفسيره.

المبحث الثاني: منهج الشيخ بيّوض في عرض القصّة القرآنيّة

المبحث الثالث: أغراض القصص القرآني في تفسير الشيخ
بيّوض

المبحث الرابع: التّوجيه العقدي والفقهي للقصّة القرآنية

المبحث الأول: التعريف بالشيخ إبراهيم بن

عمر بيوض وتفسيره

● **المطلب الأول: التعريف بالشيخ إبراهيم**

بن عمر بيوض

● **المطلب الثاني: دراسة وصفية لتفسير "في**

رحاب القرآن"

● **المطلب الثالث: منهج الشيخ بيوض في**

التفسير

الفصل الثاني..... القصص القرآني من خلال تفسير "في رحاب القرآن"

توطئة:

الشيخ بيوض رجل من رجال الجزائر الأبية؛ الذين دافعوا عن الإسلام والهوية، ورفعوا راية العلم والحرية، رجل لا يرضيه إلا تحقيق قوله تعالى: ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ ﴾⁽¹⁾.

فأسرع لتقويم كل سلوك منحرف، وكل فكر متطرف، وكل عقيدة فاسدة، فكان المصلح والمرتب والداعية، ترك للناس تفسيراً من أجل التفاسير في العالم الإسلامي، يفيض بالمعاني الجليلة والحكم والأسرار الحكيمية، التي توحى بعمق فكر هذا الرجل، وتعمقه في بحر القرآن الكريم.

وسنقف في هذا الفصل على منهجه في تناوله للقصّة القرآنية من خلال مجموعة من المباحث - هذا الموضوع الذي أولاه عناية كبيرة - وسنبرز البعد الإصلاحي لها، وعلاقتها بالعقيدة والفقہ الإباضي.

المبحث الأول: التعريف بالشيخ إبراهيم بن عمر بيّوض وتفسيره

قبل أن نبين منهج الشيخ في عرض وتناول القصّة القرآنية، لا بدّ من تقديم ترجمة موجزة لشخصية هذا الرجل الشهم، الذي تأثر الناس بأخلاقه وتواضعه قبل تأثرهم بعلمه.

المطلب الأول: التعريف بالشيخ إبراهيم بن عمر بيّوض:

الفرع الأول: اسم الشيخ ونسبه وحياته:

هو " إبراهيم بن عمر بابة، بن إبراهيم بن حمّو بيّوض، بن إبراهيم بن حمّو بن بابة، بن أحمد بن علي بن إسماعيل، بن عيسى بن علي"⁽²⁾، ولد في الثّاني عشر من ذي الحجّة 1316 هـ الموافق للثّاني والعشرين من شهر أفريل 1899م، بوادي ميزاب الموافق للحادي والعشرين من شهر أفريل عام 1899م، بمدينة القرارة بوادي ميزاب في جنوب الجزائر، وفيها كانت نشأته ودراسته ولم يبرحها، فتلقّى تعليمه فيها، وعُرف بالنبوغ والدّكاء وحسن الحافظة وذلاقة اللّسان من صباه.⁽³⁾

(1) آل عمران: الآية 110.

(2) محمد علي دبوز: أعلام الإصلاح في الجزائر، عالم المعرفة، الجزائر، ج1، ص 91.

(3) إبراهيم بن عمر بيّوض: في رحاب القرآن، ج1، ص 27.

الفصل الثاني..... القصص القرآني من خلال تفسير "في رحاب القرآن"

وتلقى العلم على يد:

- الشيخ محمد بن الحاج يوسف. (1)
- الشيخ الحاج إبراهيم الإبريكي (2) وهو المعلم الذي بنى فيه أسس العلم الراسخة، وزوّده بالمفاتيح الصحيحة، ويراها الشيخ بيّوض أكبر أساتذته. (3)
- الشيخ الحاج عمر بن يحيى بإبراهيم المليكي: لقب بـ "نور القلب"، ويعد معهد الحياة امتدادا لمعهد الذي أسسه (1314هـ / 1896 م) (4)

ويعتبر الشيخ بيّوض رائد النهضة الإصلاحية في وادي ميزاب، فقد كان مصلحا اجتماعيا كبيرا، وكان إصلاح مجتمعه هو ما يشغل خاطره (5)، فلما توفّي شيخه وأستاذه الشيخ الحاج عمر بن يحيى سنة 1921م، خلفه في رفع راية العلم والإصلاح في القرارة، التحق عضوا بحلقة العزّابة الهيئة الدنيّة العليا في البلدة سنة 1922م، ثمّ عين بعدها شيخا للوعظ والتدريس بالمسجد الكبير بالقرارة. (6)

- أسس الشيخ في عام 1925م، معهد الحياة لتعليم العلوم الشرعيّة والعربيّة برغم الظروف الصّعبة والمضايقات الاستعماريّة.

- كما شارك في وضع القانون الأساسي لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين وانتخب عضوا في إدارتها عام 1931م.

- في الفاتح من شهر محرم 1353هـ الموافق لـ: 15 أبريل 1934م قرّر منه العزم على بداية التّفسير من سورة الفاتحة ثمّ سورة البقرة بطريقة متسلسلة إلى خاتمته.

- في سنة 1937م أسس جمعية الحياة التي احتضنت الحركة العلميّة والثّقافيّة بالقرارة.

- تقلّد الشيخ عدة مناصب فعيّن رئيسا لمجلس حلقة العزّابة بالقرارة عام 1940.

(1) محمد علي دّبوز: أعلام الإصلاح في الجزائر، مطبعة البعث قسنطينة ط 1 1396هـ-1976م، ج 2، ص 97.

(2) محمد بن موسى بابا عمي: إبراهيم بن بكير بحاز وآخرون، ج 2، ص 26.

(3) محمد علي دّبوز: أعلام الإصلاح في الجزائر، ج 2، ص 95-96.

(4) محمد بن موسى بابا عمي: إبراهيم بن بكير بحاز وآخرون: معجم أعلام الإباضية، ج 2، ص 313.

(5) محمد علي دّبوز: أعلام الإصلاح في الجزائر، ج 5، ص 15.

(6) إبراهيم بن عمر بيّوض: في رحاب القرآن، ج 1، ص 27. / محمد بن موسى بابا عمي وإبراهيم بن بكير بحاز وآخرون، معجم أعلام

الإباضية، ج 2، ص 20.

الفصل الثاني..... القصص القرآني من خلال تفسير "في رحاب القرآن"

- كما انتخب نائباً لدائرة غرداية في المجلس الجزائري عام 1948م، وأعيد انتخابه لنفس المجلس سنة 1951م.

- كانت للشيخ أدوار هامة في تاريخ الثورة الجزائرية ومواقف يشهد له الجميع فيها بالفضل، وفي 19 مارس 1962م تم تعيينه ممثلاً للجنة الثقافية للهيئة التنفيذية التي تولت تسيير شؤون الجزائر منذ إيقاف القتال إلى استفتاء الاستقلال في 05 جويلية 1962م.

توفي الشيخ في مساء يوم الأربعاء الثامن ربيع الأول 1401هـ الموافق لـ: الرابع عشر يناير 1981م عن عمر يناهز خمس وثمانين سنة، وشيّع جثمانه بمسقط رأسه بالقرارة⁽¹⁾.

الفرع الثاني: مميزات شخصية الشيخ بيوض

أما مميزات شخصية الشيخ بيوض، فتجمعها خصيصة الرّعاة، إذ كان متعدد المواهب، قوي الشخصية، حصيد الرأي، فريدا في منهجه التربوي. وقد وصفه رفيقه في الجهاد الشيخ عبد الرحمن بن عمر بكلي، فكان أصدق من عرف بحصال الشيخ بيوض، إذ حباه الله بشئى المزايا، خلق كريم، وعلم واسع، وعقل متين، وفكر وقاد، وحافظة قوية، إلى لسان فصيح معبر، وقلم بليغ مقتدر... سخر هذه المزايا في تحصيل العلم ونشره، وغرس الفضيلة وتربية الجيل، وخدمة الأمة في مختلف ميادين الحياة ما يزيد عن ستين سنة في جهاد مستمر، وعناء لا يشبهه عناء.⁽²⁾

لقد كان رحمته الله عصامياً في تكوين شخصيته العلمية، لم يفارق مسقط رأسه في طلب العلم... لكن الله بارك له في القليل الذي ورثه عن أشياخه بمسقط رأسه.

درّس أمّهات الكتب في شئى العلوم: كصحيح البخاري بشرح ابن حجر العسقلاني في الحديث، وكتاب النيل في الفقه ورسالة محمد عبده في التوحيد، ومغني اللبيب في النحو وتهذيب المنطق في علم الميزان⁽³⁾ وغيرها من الكتب.

هذا هو الشيخ بيوض في سطور مع اختصار شديد بشهادة رفيقه في ميدان الإصلاح، تؤكّد ما عرف به وتميّز به من تعدّد مجالات جهاده، وهي تجتمع على محور واحد، وهو السعي بالأمة نحو الأفضل، ومحاربة الجهل والتخلف، ومقارعة الاستعمار الفرنسي، واتخذ من التعليم ركيزته الأساسية في الإصلاح، كما جعل من

(1) محمد بن موسى بابا عمي وإبراهيم بن بكير مجاز وآخرون، معجم أعلام الإباضية، ج2، ص 21.

(2) مصطفى باجو: مقدمة في رحاب القرآن الشطر المفقود، ج1، ص 11_12.

(3) المرجع نفسه، ج1، ص 11_12.

الفصل الثاني..... القصص القرآني من خلال تفسير "في رحاب القرآن"

تفسير القرآن درعه وحصنه الحصين لتبليغ رسالته للأجيال، وعلاج أدواء المجتمع في العقيدة والفكر، والأخلاق والسلوك. (1)

الفرع الثالث: من تراث الشيخ بيوض

- تفسير مسجّل في أشرطة مغناطيسية سمعية للنصف الثاني من القرآن الكريم حرّره الشيخ عيسى بن محمد الشيخ بالحاج في ست وعشرين جزءاً ولم ينهه بعد حيث وصل إلى غاية سورة التّبا.
- فتاوى مطبوعة في جزئين.
- أعمال في الثورة، المطبعة العربيّة غرداية الجزائر- ط 1991.
- المجتمع المسجدي تفرّغ أشرطة قام به الدكتور محمد بن قاسم ناصر بوحجام.
- أجوبة ومراسلات مخطوطة.

مئات من الدّروس المسجّلة في أشرطة مغناطيسية لمناسبات مختلفة هي عصارة فكره: دينية، اجتماعية، ثقافية، وطنية ودولية. (2)

المطلب الثاني: دراسة وصفية لتفسير " في رحاب القرآن"

بداية الرّحلة مع تفسير كتاب الله بالنسبة للشيخ بيوض كانت سنة 1921م، وهو ما يزال في العشرين من عمره حين جلس إلى الناس يفسّر القرآن، معتمداً في ذلك على تفسير البيضاوي، ثمّ انتقل إلى تفسير الشيخ محمّد عبده الذي كان يعجب بمنهجه الإصلاحية إعجاباً كبيراً، فاعتمد تفسيره لجزء: "عمّ يتساءلون" ولم تكن طريقته عندئذ واضحة متسلسلة، إذ كان مشغولاً بالعمل الإصلاحي والتعليم، وإعداد الجيل لتحمل رسالته الإصلاحية والتّربويّة، حتى إذا كان يوم السبت الفاتح من محرّم سنة 1353هـ قرّ منه العزم على بداية التّفسير من أوّل سورة البقرة بطريقة متسلسلة متتابعة.

وكان تفسيره عبارة عن دروس عمّامة تلقى في مسجد القرارة أمام عمّامة النّاس أساتذة وطلّاباً، صغاراً وكباراً يلقيها بالعربيّة الفصحى مع شروح باللّهجة الميزابيّة أو العربيّة الدّارجة، رغبة منه في إيصال رسالة القرآن إلى كلّ قلب. (3)

ولأنّ مدينة القرارة لم تعرف النّور الكهربائي آنذاك بسبب الاحتلال الفرنسي؛ فإنّ الدّروس التي ألقاها قبل سنة 1961م لم تحظ بالتسجيل الصّوتي، ولذلك ضاع تفسير الشيخ وفقد كلياً من أوّل البقرة إلى الآية سبعين

(1) مصطفى باجو: مقدمة في رحاب القرآن الشطر المفقود، ج1، ص 13.

(2) إبراهيم بن عمر بيوض: في رحاب القرآن، ج1، ص 27.

(3) المرجع نفسه، ج1، ص 28.

الفصل الثاني..... القصص القرآني من خلال تفسير "في رحاب القرآن"

من سورة الإسراء وهي قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْوَيْدِ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ (٧٠) ولذلك فبداية التسجيل الصوتي كان سنة 1961م⁽¹⁾ انطلاقا من هذه الآية الكريمة.

واستمرّ الشيخ يقدم تفسير كتاب الله قرابة ستين سنة، وختمه بسورة الناس بعد صلاة العشاء من يوم الثلاثاء السادس والعشرين ربيع الأول 1400 هـ الموافق لـ: الثاني عشر فبراير 1980م، وقد أقامت الجزائر حكومة وشعبا مهرجانا عظيما بمدينة القرارة تنويجا للشيخ ولمسيرته بحضور جمع من العلماء والفضلاء، وكان ذلك في ماي 1980م، ولم يعيش الشيخ بعد هذه اللحظة فترة طويلة بل وافته المنية بعدها بثمانية أشهر تاركا وراءه فيضا غزيرا من علم جليل.⁽²⁾

الفرع الأول: نقل التفسير من المسموع إلى المقروء

إنّ الجهد الذي بذله الشيخ عيسى بن محمد الشيخ بالحاج⁽³⁾ هو جهد ينوء بالعصبة أولى القوة، كما عبّر عنه د/محمد صالح ناصر الذي شرفه الشيخ عيسى بالتقديم للتفسير، فقد تفانى بكل ما يملك تفانياً عظيما في نقل التفسير المسموع إلى المقروء، والمتصفح لهذا التفسير يعرف قدر هذا الجهد ولا أرى ما حمله على ذلك إلا حبا لكتاب الله أولا وإجلالا واحتراما لأستاذه ووفاء له ولعلمه.

بدأ عمله على التفسير سنة 1973م حين حرّر تفسير سورة النور في دفتر يحوي 300 صفحة كما هو مسموع بلهجته المحليّة والعربيّة، ولما عرضه على الشيخ بيّوض رحمته الله سرّ لذلك ودمعت عيناه، لأنّه لم يكن يحلم يوما أن يكون تفسيره مؤلّفا تتناوله الأيدي.

ثمّ تفرّغ الشيخ عيسى بعد آدائه الخدمة الوطنيّة سنة 1974م، إلى تحرير عمل الشيخ بيّوض.⁽⁴⁾ ومن المسائل التي تناولها الكتاب:

(1) إبراهيم بن عمر بيّوض: في رحاب القرآن، ج1، ص06.

(2) المرجع نفسه، ج1، ص28.

(3) الشيخ عيسى بن محمد الشيخ بالحاج: من مواليد 1954 بمدينة القرارة، نشأ وتلقّى تعليمه بها، حفظ كتاب الله تعالى سنة 1968 وتحصل على الشهادة الابتدائية من مدرسة الحياة سنة 1967.

زاول دراسته بمعهد الحياة إلى أن تحصل على شهادة البكالوريا سنة 1973م. (أثناء اللقاء الذي جمعني به في مقرّ سكنه بالقرارة بتاريخ 28 ديسمبر 2017م) تولّى التدريس في معهد الحياة من 1973 م إلى 1974م ثمّ من 1988 م إلى غاية 2014 م، التحق بحلقة العزابة سنة 2004، وتولّى مهمّة التدريس وخطب الجمعة إلى يوم الناس هذا.

(4) لقاء علمي بالشيخ عيسى بن محمد بمقرّ سكنه بالقرارة غرداية -الجزائر بتاريخ: 30ديسمبر 2017م.

الفصل الثاني..... القصص القرآني من خلال تفسير "في رحاب القرآن"

➤ بيان المسائل التي صرح فيها الشيخ برأيه:

حيث تناول في هذا الفهرس مختلف المواضيع التي وردت في التفسير والتي تدلّ اجتهاد الشيخ بيّوض وسعة علمه وتعمّقه في معاني الآيات، هذه المعاني التي تفرّد باستخلاصها والوصول إليها، كما بين المواضيع التي تولّدت للشيخ في مجلسه والتي أطلق عليها: " بنت اللحظة " .

➤ بيان البحوث التي فصل فيها الشيخ الحديث:

تناول في هذا الفهرس ما فصل الشيخ الحديث فيه فيما يخصّ الجانب الفقهي والعقدي، ممّا يسهل على الباحث أو القارئ معرفة آراء الشيخ العقديّة والفقهية المبتوثة في التفسير دون عناء أو تعب.

➤ فهارس خاصة بالتعريفات اللغوية والاصطلاحية والأبيات الشعرية والأمثال والحكم والقواعد:

هذه الفهارس تسهّل على الباحث الرجوع إلى تعريف المفردة أو الآية التي استشهد في بيان معناها بسواء بالأبيات الشعرية أو الحكم أو الأمثال.

إضافة إلى فهرس الآيات المفسّرة مرتبة ومتسلسلة بحسب ترتيب المصحف تدلّ على الدقّة والعناية بالتفسير تحريرا وتنظيما وتيسيرا.

بارك الله في جهد الشيخ وجعل عمله هذا عند الله متقبّلا، ثقيلًا في ميزان حسناته فقد سهّل على الباحث القراءة في التفسير، فقد جعلني أهيم بالتفسير أنقب فيه على الفوائد، وأقرأ ما بين السطور أحلّل وأفارن وأسنتج فقد كفاني عناء البحث عن تلك المواضيع التي ذكرتها آنفا.

الفرع الثاني: جهد الدكتور مصطفى باجو في إكمال الشطر المفقود من التفسير

بعد أن أيقنت الأمة أنّ تفسير النصف الأوّل من تفسير الشيخ بيّوض قد أصبح أثرا بعد عين، وعدّ ضمن التراث المفقود الذي خسرتة الأمة لانعدام التسجيل في تلك الفترة (قبل سنة 1959م) ، قيّض الله لجهد الشيخ في التفسير من ينقب عنه ويخرجه إلى النور .

فمن بركة الشيخ بيّوض أن ترك لنا تلامذة أوفياء، يكتبون ويدونون كلماته، ومن هؤلاء: التلميذ النجيب والشيخ الوفيّ حمّو فخّار رحمته الله يقول الدكتور مصطفى باجو: "ومن حسن الطالع أن وجدنا نموذجا لتلك المدونات التي رصدت التفسير قبل التسجيل الصوتي، حفظه الشيخ حمّو فخّار رحمته الله ودوّنه في ستّ كراريس، نفحنى بها قبل بضع سنوات (قبل سنة 2005م)، ومن تواضع الشيخ حوّ فخّار أن أمدني بهذه الدفاتر رجاء النظر فيها لعلّ فيها ما يفيد الناس، فشعرت أنّ كنزا لا يقدر بثمن ساقته الأقدار إليّ، وأسرعت للاشتغال

الفصل الثاني..... القصص القرآني من خلال تفسير "في رحاب القرآن"

به رغبة في استكمال مرحلة أساسية في مسيرة الشيخ بيّوض في التفسير، كانت تحسب في ذمة التاريخ، وأنها قد طوّتها الأيام إلى اندثار .

ولكن شاءت رحمة الله أن تتداركها بما خطته يمين شيخنا فخّار، الذي كان من أخلص وأنشط تلامذة الشيخ بيّوض -رحمهما الله تعالى - وقد رصد الشيخ حمّو فخّار هذه الدروس أيام تلمذته في القرارة بين يديّ الشيخ بيّوض أواخر ثلاثينيات القرن العشرين، بداية الأربعينيات. (1)

ويصف لنا الدكتور مصطفى باجو كيف كانت رحلته مع هذا الكنز الثمين فيقول: "وكانت الخطوة الأولى نقل ما حرّره الشيخ فخّار من المخطوط إلى الحاسوب، وبقيت مرحلة التنقيح والتّخريج، استكان فيها العمل إلى الظلّ ثلاث سنين حتى يسّر لي الله التّفرّغ له... وقد كنت عرضت العمل على الشيخ حمّو وهو خام بنقائه فغممني بدعواته الصّالحة، ممّا حفّزني لاستكمال خطواته الباقية. (2)"

ويقع هذا العمل في جزئين؛ يضمّان تفسير سورة آل عمران والنساء والمائدة وآيات من سورة الأنعام الآيات (1، 2، 3، 91، 108)، وآيات من سورة فاطر: (الآيات 15، 16، 17)

كما تحلّله تفسير بعض سور المفصل من سورة الفجر إلى سورة العلق، قدّمها الشيخ بيّوض في رمضان 1359هـ/1940م، ثمّ ذيل الدكتور باجو التفسير بدرس جامع في الصّوم والإفطار ورؤية الهلال ألقاه الشيخ في رمضان 1359هـ.

أما عمل الدكتور باجو في الكتاب فهو كالآتي:

- نسخ ما خطته يمين الشيخ حمّو فخّار ثمّ سبك عباراته وإتمام ما فيها من خلل في الأسلوب، إذ كتبها في سنين تلمذته الأولى.
- ما كان من فراغات نظر في طريقة إتمامها؛ إمّا بإهمالها أصلا إن كان الكلام متّصلا، وإمّا بالاستعانة بنظيرها من تفسير المنار وفي أحيان نادرة يكملها اجتهادا منه بما يفيد السياق وأشار على ذلك في التفسير.
- توثيق وتخريج الأحاديث والأقوال والأشعار والحكم وتعريف الأعلام والمصطلحات.

ولا يختلف جهد الشيخ عيسى بن محمّد والدكتور مصطفى باجو كثيرا سوى في طريقة العنونة للآيات؛ فهذا ما لم يقم به الشيخ عيسى وكذا في طريقة عمل الفهارس.

والملاحظ كذلك في تحرير الشيخ حمّو فخّار أنه مختصر إذا ما قورن بتحرير الشيخ عيسى، وهذا منطقي لأنّ الشيخ حمّو مهمما اجتهد في تدوين كلّ ما تلقّظت به شفّتا الشيخ بيّوض فلن يستطيع تدوين كلّ شيء ولعلّ

(1) مصطفى باجو: مقدمة في رحاب القرآن الشطر المفقود تفسير أجزاء الربع الأول، ج1، ص17.

(2) المرجع نفسه، ج1، ص17.

الفصل الثاني..... القصص القرآني من خلال تفسير "في رحاب القرآن"

الفراغات التي كان يتركها في دفاتره هي للاستطرادات والاسقاطات الواقعية التي ملأت صفحات التفسير المحرر من طرف الشيخ عيسى.

كذلك عبارة بنت اللحظة التي ميّزت تفسير الشيخ بيّوض وهي من خصائصه، لم نلمسها في تحرير الشيخ حمّو سوى بعض الملاحظات بين الفينة والأخرى.

ونأسف أنّ بعضاً من تلك السور التي حرّرها الشيخ حمّو ينقصها تفسير بعض الآيات التي فاتته فتركها بدون تفسير.

وعلى كلّ حال، فعمل الدكتور باجو واجتهاده كنز ثمين يهديه للمكتبة الإسلامية، فهو بركة لهذه الأمة، فهو ينقّب على تراث علمائنا ليحييها ويستفيد الناس منها؛ ويخرج دررهم المكنونة إلى النور بعد أن طوتها الأيام، لا يشكو مللاً ولا تعباً وهو صاحب المهّمات والمسؤوليات الكبيرة، وهذا دأب الصالحين الذين أفنوا أعمارهم لخدمة الدين والعلم؛ يتلذذون ويتشون بأعمالهم وجهودهم في سبيل العلم.

الفرع الثالث: مصادر ومراجع الشيخ بيّوض في التفسير

رجع الشيخ في تفسيره إلى مجموعة من التفسير ذات قيمة علمية كبيرة وأفاد منها، وغالبا ما يشير إلى التفسير الذي أخذ منه ويشيد بما فيه من درر، ومن التفسير التي اعتمد عليها كثيرا:

أ. تفسير مفاتيح الغيب لفخر الدين الرازي (ت 606هـ): ينقل عنه الروايات والأخبار، ينقده أحيانا ويردّ بعض آرائه.

ب. الجامع لأحكام القرآن لأبو عبد الله القرطبي: (ت 671هـ) هـ:

ت. أنوار التنزيل وأسرار التأويل لناصر الدين أبو سعيد عبد الله البيضاوي (ت 685هـ): يعتبر هذا التفسير العدة الأولى التي منها انطلق الشيخ في دروس التفسير فقد كان دائم الرجوع إليه، ويشير إليه بقوله: "قال القاضي"

ث. تفسير روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني للآلوسي (ت 1270هـ): ينقل عنه خاصة بعض روايات القصص القرآني.

ج. تفسير تيسير التفسير لمحمد بن يوسف اطفيش (ت 1332هـ): يرجع إليه خاصة في الجانب الفقهي والعقدي.

ح. تفسير في ظلال القرآن لسيد قطب (ت 1385هـ): حيث قال فيه: "فقد مضى زمان عليّ ولم أرجع إلى الظلال، وهي غفلة كبيرة منيّ حقيقة، على تقديري الكبير للكتاب، لأنني قد اطلعت عليه كثيرا

الفصل الثاني..... القصص القرآني من خلال تفسير "في رحاب القرآن"

وعرفت قيمته، ولا أدري ما سبب هذه الغفلة وفي آخر نهار هذا اليوم رحلت أقرأ سورة الحجرات استعداداً للبدء في تفسيرها وأعدت قراءتها، فبدأ مقامها يعظم ويعظم أمام عيني وأنا أتأمل ما فيها من التوجيهات العظيمة. (1)

خ. تفسير المنار لمحمد رشيد رضا (ت1354هـ): وهو من التفسير التي اعتمد عليها الشيخ كثيراً في تفسيره؛ لتأثره بفكر الشيخ عبدة ومحمد رشيد رضا الإصلاحي.

المطلب الثالث: منهج الشيخ بيوض في التفسير

اعتنى الشيخ بيوض في تفسيره بمجموعة من المباحث الهامة التي تعين القارئ على فهم الآية القرآنية كبيان علاقة السورة بما قبلها وما بعدها (علم المناسبات)، واعتماده على الجانب اللغوي في تبسيط المعاني، وشرح ما أشكل فهمه في الآية القرآنية وغيرها من المباحث.

الفرع الأول: بيان ما يتعلق بالسورة

يفتح الشيخ بيوض تفسير السورة ببيان اسمها أو أسمائها إن وجدت وسبب تسميتها ويذكر إن كانت مكّية أو مدنيّة وعدد آياتها وفضلها مستندا إلى ما ورد من أحاديث وآثار ومثال ذلك ما ذكره من أحاديث مرفوعة للنبي ﷺ في بيان فضل سورة الكهف (2)، و فضل سورة طه (3).

ثم يبدأ الشيخ بتفسير السورة آية آية، ثم يقسم الآية ويشرح ألفاظها ويبيّن معانيها اللغوية وسبب نزولها ومناسبتها بما قبلها أو بعدها.

الفرع الثاني: اهتمام الشيخ بيوض بعلم المناسبات:

وقصص القرآن له علاقة وطيدة بعلم المناسبات " فالقصص إنما يرد في سياق السورة ليؤدّي وظيفته فيه، وقلّ أن ترد قصة بكلّ حلقاتها في سورة واحدة، وإلّا يأتي في سياق كل سورة من حلقاتها ما يناسب موضوع السورة ومحورها وأهدافها" (4)

(1) إبراهيم بن عمر بيوض: في رحاب القرآن، ج 20، ص 07.

(2) المرجع نفسه، ج 2، ص 5.

(3) المرجع نفسه، ج 3، ص 212.

(4) أحمد أبو زيد: التناسب البياني في القرآن الكريم دراسة في النظم المعنوي والصوتي، كلية الآداب الرباط ط(1992م) ص 67.

الفصل الثاني..... القصص القرآني من خلال تفسير "في رحاب القرآن"

ولقد اهتم الشيخ بيوض ببيان وجه المناسبة بين السور والآيات من غير تكلف، وأبرز الصلة بين الآيات والسور بطريقة مبسطة تجعل القارئ يدرك التلاحم الوثيق بين سور القرآن وآياته، واهتمامه ببيان ذلك نابع من يقينه بأهمية هذا العلم في التفسير وفي فهم معاني الآيات، وفي الكشف عن الفوائد والحكم وترتيب سور القرآن على النحو الذي نجده اليوم في المصاحف ويعجني قول السيوطي في وصف فائدة هذا العلم حيث يقول: "فائدته: جعل أجزاء الكلام بعضها آخذا بأعناق بعض، فيقوى بذلك الارتباط، ويصير التأليف حاله حال البناء المحكم المتلائم الأجزاء." (1)

ويعتبر الشيخ إدراك التناسب بين الآيات إلهام من الله تعالى حيث يقول: "قد يقول أحد: ما مناسبة بين هذه السورة وتلك؟ ولكن ما عليك إلا البحث، فابحث تجد بحسب ما يلهيك الله تعالى" (2)، وفصل الشيخ بيوض الحديث عنه وبين ما يتصل به من مسائل، فبين أن التناسب الذي يكون بين آخر السورة وأول السورة التي بعدها مما أولاه العلماء العناية والاهتمام، وهو يرى ذلك أيضا ويوليه اهتماما كبيرا، وحذر من الوقوع في شبهات المستشرقين الذين بحثوا في التناسب بين السور المرتبة ترتيبا نزوليا، فالشيخ بيوض عالج هذه المسألة بإسهاب، وبين أن ترتيب سور القرآن أمر توقيفي لا يجوز العدول عنه أبدا (3)، ولا يجوز بأي حال من الأحوال التغيير في ترتيب الآيات والسور. (4)

وهو كثيرا ما يذكر التناسب بين السورة وما قبلها خاصة عندما ينقطع لفترة عن درس التفسير، فيحاول من خلال ذلك-ذكر التناسب بين السورة وما قبلها-تذكير الحاضرين بأخر المواضيع التي فسرت في السورة، مثال ذلك بيان التناسب بين سورة الروم وسورة لقمان، وسورة الإسراء والكهف.. الخ

كما اهتم أيضا بالتناسب بين الآيات في السورة الواحدة كما في سورة مريم. (5)

والشيخ لم يكن متكئا في إبراز التناسب بل نجده ينتقد كل من تكلف في ذلك، ويتعقبهم بالرد والتوضيح ومثال ذلك تعقبه للفخر الرازي والآلوسي في بيان المناسبة بين قوله تعالى: ﴿فَلَعَلَّكَ بَدِخٌ

(1) بدر الدين الزركشي: البرهان في علوم القرآن، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ط1 (1370هـ / 1957م)، دار إحياء الكتب العربية ج1، ص 36.

(2) إبراهيم بن عمر بيوض: في رحاب القرآن، ج17، ص 389.

(3) المرجع نفسه، ج11، ص 5.

(4) المرجع نفسه، ج11، ص 7.

(5) المرجع نفسه، ج3، ص 21.

الفصل الثاني..... القصص القرآني من خلال تفسير "في رحاب القرآن"

نَفْسَكَ عَلَى آثَرِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا ﴿٦﴾⁽¹⁾ وبين الآية التي تليها مباشرة قوله تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَهَا لِنَبْلُوهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴿٧﴾﴾⁽²⁾ يقول الشيخ بيوض: " وقد تكلف بعض المفسرين تكلفاً غريباً في وجه المناسبة بين هذه الآية والتي قبلها، ومن الغريب أنهم حوّموا، ولم يقعوا على وجه الصواب. " ⁽³⁾

الفرع الثالث: توظيف الشيخ بيوض للجانب اللغوي

يتضح جلياً خلال قراءتك لتفسير "في رحاب القرآن" تمكن الشيخ بيوض من اللغة العربية؛ من خلال أسلوبه الزاقي حيث اهتم ببيان معنى اللفظة القرآنية لغويًا من غير تكلف، فهو بين ما استعصى فهمه على الحاضرين خاصة وأنّ درسه يحضره الكبير والصغير والأُمّيّ والمتقف، ودرجة استيعابهم لكلامه تتفاوت فيما بينهم، لذلك فهو لم يول اهتماماً بالغا بالأبحاث اللغوية، كما استأنس بالشعر العربي والحكم والأمثال العربية والشعبية؛ من أجل إيصال المعنى وتبسيطه، فمن الأمثلة على توظيفه للغة العربية ذكره فائدة "ظلّ" في تفسيره لقوله تعالى: ﴿قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَافِيَةً﴾⁽⁴⁾، فبيّن ماذا تفيد هذه اللفظة وذكر مشتقاتها والفرق بينها وبين "كان" وأخواتها يقول: "ظلّ من أخوات كان وتفيد اتّصاف المخبر عنه بالخبر في النهار، كما أنّ "بات" تستعمل لاتصاف المخبر عنه بالخبر في الليل و"أصبح" لاتصاف المخبر عنه بالخبر في الصّباح، و"أمسى" لاتصاف المخبر عنه بالخبر في المساء وهذا على جهة التّغليب ولكن "ظلّ" قد تستعمل للدوام. ⁽⁵⁾

وفي شرحه للفظ القرآنيّة فصلّ في شرح معنى كلمة "مقت" فبيّن أنّ معناها بغض الشّديد أو الكره الشّديد، وبيّن الفرق بينهما وضرب الأمثلة. ⁽⁶⁾

(1) الكهف: الآية 06.

(2) الكهف: الآية 07.

(3) إبراهيم بن عمر بيوض: في رحاب القرآن، ج2، ص 57.

(4) الشعراء: الآية 71.

(5) إبراهيم بن عمر بيوض: في رحاب القرآن، ج07، ص366.

(6) المرجع نفسه، ج 16، ص 34-35.

الفصل الثاني..... القصص القرآني من خلال تفسير "في رحاب القرآن"

ومن الأمثلة على توظيفه للشواهد الشعرية وهي كثيرة جدًا، فهو يستعين بها لبيان معنى ففي بيان معنى قوله تعالى: ﴿تَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ إِذْ يَقُولُ أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا يَوْمًا﴾ (1) ذكر أبيات شعرية لأبي تمام تبين أن الإنسان إذا جاءته أيام الشدة عرف قيمة أيام في الرخاء: إذ يقول:

مَضَتْ سُنُونٌ بِالْوِصَالِ وَبِالْهِنَاءِ.... فَكَأَنَّهَا مِنْ قِصْرِهَا أَيَّامٌ
ثُمَّ انْتَلَتْ أَيَّامٌ هَجْرٍ بَعْدَهَا.... فَكَأَنَّهَا مِنْ طُولِهَا أَعْوَامٌ
ثُمَّ انْقَضَتْ تِلْكَ السُّنُونُ وَأَهْلَهَا... فَكَأَنَّهَا وَكَأَنَّهُمْ أَحْلَامٌ. (2)

ومن ذلك أيضا بيانه لمعنى كلمة "صَرَصَرَ" في قوله تعالى: ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرَصَرًا﴾ (3) قال: أكثر ما يستعمل الصر في البرد كما قال الأعرابي:

أَوْقَدَ فَإِنَّ اللَّيْلَ لَيْلٌ قَرَّ.... وَالرِّيْحُ مَا تَرَاهُ رِيْحٌ صِرَّ
عَسَى يَرَى نَارَكَ مَنْ يَمَرُّ.... إِنْ جَلَبْتَ ضَيْفًا فَأَنْتَ حُرٌّ. (4)

فتفسيره مليء بالشواهد الشعرية التي تبسط المعنى وتبين أنه لا غرابة في اللفظة القرآنية فكلها لها أصل في اللغة العربية.

كما اهتم الشيخ أيضا بالأمثال والحكم العربية والمحلية باللغة الميزابية، كل ذلك بغرض التبسيط والتسهيل لا غير؛ حتى يقرب معنى الآية إلى الأذهان، وكما ذكرنا سابقا فدرس التفسير تحضره جميع الفئات من المثقفين والأميين، فكان ولا بد أن ينزل بلغته إلى مستوى جميع العقول؛ لأن هدفه إدراك المعاني المحيطة بالآيات وفهمها وتدبرها والعمل بها. ومن الحكم العربية التي أوردتها: في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا﴾ (5) ذكر حكما تدل على معنى اللغو أو الكلام الفارغ منها: "جعجة من غير طحين"، "اطبخ الماء تُصيب الرغاوي" و"دق الماء في المهراس" (6)

(1) طه: الآية 104.

(2) إبراهيم بن عمر بيوض: في رحاب القرآن، ج3، ص380.

(3) فصلت: الآية 16.

(4) إبراهيم بن عمر بيوض: في رحاب القرآن، ج16، ص416.

(5) الفرقان: الآية 72.

(6) إبراهيم بن عمر بيوض: في رحاب القرآن، ج7، ص256.

الفصل الثاني..... القصص القرآني من خلال تفسير "في رحاب القرآن"

الفرع الرابع: الجمع بين التفسير بالمأثور والتفسير بالرأي المحمود

جمع الشيخ بيوض بين التفسير بالمأثور والتفسير بالرأي والاجتهاد المقبول، فاعتمد على تفسير القرآن بالقرآن، ثم بحديث رسول الله ﷺ، ثم بأقوال الصحابة والتابعين، كما وظف الشيخ اجتهاده بما وهبه الله من نظر ثاقب في الآيات.

أولاً: التفسير بالمأثور:

اعتمد الشيخ بيوض على القرآن نفسه في شرح معاني الآية القرآنية، كما اعتمد أيضا على ما جاء في السنة النبوية من أحاديث .

1. تفسير القرآن بالقرآن

اعتمد الشيخ بيوض كثيرا على تفسير القرآن بالقرآن لبيان ما أجمل من الآيات، وهذا المنهج سلكه كثير من المفسرين وهو المنهج الأصح في التفسير كما يقول ابن تيمية رحمته الله: "إنَّ أصحَّ الطرق في ذلك أن يفسر القرآن بالقرآن، فما أجمل في مكان فإنه قد فسّر في موضع آخر، وما اختص في مكان فقد بسّط في موضع آخر"⁽¹⁾، وقد أرشد الشيخ إلى منهجه هذا فكان يقول: "لقد أغناني كتاب الله عن كل كتاب"⁽²⁾ ويقول أيضا ردّا على من قالوا بأنّ داوود عليه السلام هو أفضل الأنبياء على الإطلاق "ولو تتبّعوا قاعدة تفسير القرآن بالقرآن لما كان هذا الخلاف ويقول أيضا: "وأحسن تأويلات القرآن ما كان يؤخذ منه، بتقابل الآيات في موضوع واحد فتظهر المعاني"⁽³⁾، وتظهر الحكم والأسرار"⁽⁴⁾ وفي تفسير قوله تعالى: ﴿يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمْئَاتِهِمْ﴾⁽⁵⁾ فبيّن أن المقصود بإمامهم في الآية هو ما يقتدى به مستندا إلى ما يعضد رأيه من القرآن الكريم حيث يقول: "فالذي نعلمه يقينا.. أن لكل جماعة إماما تدعى معه يوم القيامة، ولنا على هذا أدلة فيما قصّه الله تعالى علينا في كتابه العزيز.. وإذا كان القرآن يفسر بعضه بعضا_ وما فسّر

(1) أحمد بن عبد الحلیم ابن تيمية: مقدمة في أصول التفسير، تحقيق عدنان زرزور، ط2(1392هـ/1972م) ص 93.

(2) إبراهيم بن عمر بيوض: في رحاب القرآن، ج1، ص 33.

(3) المرجع نفسه: ج13، ص70.

(4) المرجع نفسه، ج11، ص182.

(5) الإسراء: الآية 71.

الفصل الثاني..... القصص القرآني من خلال تفسير "في رحاب القرآن"

القرآن مثل القرآن_ فنحن مع الداهيين إلى أن الإمام هو المقتدى به. "(1) فكلامه هذا يدل على اعتماده على القرآن الكريم أولا في كل ما أشكل فهمه.

في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَنُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ وَيَبْتِي لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ (13) ﴿2﴾ رد رأي من قال أن الباء في "بالله" هي للقسم وأكد على أن "بالله" جار ومجرور؛ مستدلا بما ورد في القرآن من آيات جاء فيها لفظ الجلالة تابعة للنهي عن الشرك (3) كما في قوله: ﴿وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ﴾ (4)، والأمثلة على هذا كثيرة جدا في تفسيره، مما جعله يرتقي إلى مصاف التفاسير النقية الصافية الأقرب إلى الحق والصواب.

2. تفسير القرآن بالسنة النبوية

والسنة النبوية الشريفة كانت حاضرة أيضا في تفسيره فكثيرا ما يستشهد بأحاديث رسول الله ﷺ فيستشهد بالصحيح والحسن، و يستشهد بالحديث الضعيف أحيانا، كثيرا ما نجد تعليق الشيخ عيسى والدكتور مصطفى باجو في الهامش على بعض الأحاديث التي استشهد بها الشيخ " لم نجد له تخريجا "ومثال ذلك استشهاده بـ: " العرأة في الدنيا الكاسون يوم القيامة " علق عليه الدكتور مصطفى باجو: " لم أهتمد إلى تخرجه " (5)

وطريقته في الاستدلال بالحديث الشريف أنه يورده دون ذكر السند ويكتفي فقط بذكر راوي الحديث وأحيانا بقوله: " قال النبي ﷺ " أو " قال رسول الله ﷺ "، وكثيرا ما يذكر جزءا منه فقط.

كما في تفسير قوله تعالى: ﴿وَقُرْءَانَ الْفَجْرِ﴾ (6) قال: " قال النبي ﷺ : جَاءَنِي جِبْرِيلُ عِنْدَ زَوَالِ

(1) إبراهيم بن عمر بيوض: في رحاب القرآن، ج 1، ص 84.

(2) لقمان: الآية 13.

(3) إبراهيم بن عمر بيوض: في رحاب القرآن، ج 11، ص 182.

(4) الحج: الآية 31.

(5) إبراهيم بن عمر بيوض: في رحاب القرآن، تفسير أجزاء من الربع الأول، ج 01، ص 106.

(6) الإسراء: الآية 78.

الفصل الثاني..... القصص القرآني من خلال تفسير "في رحاب القرآن"

الشَّمْسِ فَصَلَّىٰ بِي الظُّهْرِ، وَعِنْدَمَا صَارَ كُلُّ شَيْءٍ مِثْلَهُ صَلَّىٰ بِي العَصْرِ... (1) والحديث لابن عباس (2)، ولعله يروي الحديث بالمعنى لعدم تذكره كاملا .

ثانيا: التفسير بالرأي المحمود عند الشيخ بيوض

وظف الشيخ اجتهاده في شرح بعض الآيات القرآنية، ويتضح لنا منهجه هذا في المباحث الآتية:

1. عنايته بهذا اللون من التفسير

سلك الشيخ بيوض هذا المنهج في تفسيره ووظف اجتهاده في كثير من المسائل بما حباه الله من علم ودقة وملاحظة، ممتثلا قوله تعالى: ﴿ كَتَبَ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبْرَكًا لِيَذَّبَرُوا عَائِيَّتِهِ وَلِيَسْتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ (3)، وكثيرا ما نتلمس حبور الشيخ وسروره حين يظفر بشيء من فرائد المعاني المستنبطة؛ مستشعرا نعمة الله تعالى وفضله عليه، وأهل العلم والتفسير يشتهون ويتذوقون القرآن ويفرحون باستخراج كنوزه يقول الشافعي رحمته الله: "استنبطت البارحة آيتين، فما أشتهي باستنباطهما الدنيا وما فيها." (4) فالبارز في تفسير في رحاب القرآن اعتماده على رأيه في استنباط المعاني والدلالات التي بدت له عند تفسير الآية؛ والتي لم يسبق وأن أشار إليها من سبقه من المفسرين، ومما لاحظته أن بعضا من تلك المعاني تبرز روح مفسرها التي غاصت في أسرار القرآن الكريم، فأخرجت دررا ولؤلؤا يفيد بها قارئ تفسيره، كما تبرز الهدف الأساس من تفسيره وهو الوصول إلى الحقائق الربانية والأسرار النورانية فالقرآن الكريم بحر لا تنضب معانيه، وهو يدعو من منبره إلى تذوق القرآن الكريم واستشفاف معانيه التي يزخر بها القرآن الكريم والتي لا تنفذ أبدا.

ومما لاحظته على أسلوب الشيخ هو استنطاقه لآيات القرآن بطريقة عجيبة، جعلتني أجزم يقينا أنه لو أمد الله في عمر الشيخ بيوض لأخرج لنا من كل آية معاني جديدة غير التي ذكرها في تفسيره هذا، نخدم

(1) إبراهيم بن عمر بيوض: في رحاب القرآن، تفسير أجزاء من الربع الأول، ج 1، ص 115.

(2) أبو داود السجستاني: سنن أبي داود، كتاب الصلاة، باب المواقيت، المكتبة العصرية - صيدا بيروت، ج 1، ص 107. (عن ابن عباس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أمني جبريل عليه السلام عند البيت مرتين، فصلى بي الظهر حين زالت الشمس وكانت قد ردت الشراة، وصلى بي العصر حين كان ظلُّه مثله، وصلى بي يعني المغرب حين أظطر الصائم، وصلى بي العشاء حين غاب الشفق، وصلى بي الفجر حين حرم الطعام والشراب على الصائم، فلما كان الغد صلى بي الظهر حين كان ظلُّه مثله، وصلى بي العصر حين كان ظلُّه مثليه، وصلى بي المغرب حين أظطر الصائم، وصلى بي العشاء إلى ثلث الليل، وصلى بي الفجر فأسفر» ثم التفت إلي فقال: «يا محمد، هذا وقت الأنبياء من قبلك، والوقت ما بين هذين الوقتين»

(3) ص: الآية 29.

(4) محمد بن إدريس الشافعي: تفسير الإمام الشافعي، جمع وتحقيق ودراسة أحمد بن مصطفى الفزان، دار التدمرية-المملكة العربية السعودية،

(ط 1427 هـ/ 2006 م) ج 1، ص 424.

الفصل الثاني..... القصص القرآني من خلال تفسير "في رحاب القرآن"

روح هذا العصر المتجددة أحداثه، وتوجه المجتمع إلى ما فيه خيره وصلاحه يقول الشيخ في هذا الباب: "هناك أشياء ومعاني تقال ولا تكتب، ولكن الانسان يتذوقها إذا قرأ الآية وأعاد".⁽¹⁾

وأثناء زيارتي لمحَرَّر تفسير في رحاب القرآن ورأيت جهده المضي في نقل التفسير من المسموع إلى المقروء، ورأيت أول نسخة كتبها وهي تفسير سورة النور، قصّ عليّ موقف الشيخ بيوض وهو يرى من يعتني بتفسيره فيكتب وينشر قال الشيخ عيسى: لما عرضت تفسير سورة النور على الشيخ قال لي ما هذا؟ قلت له هذا جهدي يا شيخ قد نسخته وكتبته، فبكى وقال ما كنت أظنّ يوماً أن أرى جهدي سيستفيد منه من بعدي.

هذا الكلام نستخلص منه أموراً كثيرة من بينها أنّ الشيخ بيوض لم يكن يطمح إلى كتابة التفسير، وأنّه أخلص في تقديم دروس التفسير واجتهد فبارك الله له في عمله وجهده، ولو استمرّ في حلقات التفسير فقد يفتح الله عليه فتحاً أكثر ممّا فتح عليه من قبل، لكنّ روحه تعجّلت إلى بارئها بأسابيع بعد ختمه للتفسير، وكذلك بكاء الشيخ دلالة على حبّه العظيم لأمتّه التي كان يرجو أن يصل إليها علمه وخيره، وإن كان لا يحلم أبداً بالتأليف لأنّه اشتغل بتأليف الرجال، لكنّ الله تعالى قيض لعمله من يكتبه وهو الآن ثمرة جديدة تضاف للمكتبة الإسلاميّة.

ويمكن تقسيم التفسير بالرأي عنده إلى ثلاث أقسام:

القسم الأول: وهو ما صرّح بتفرّده فيه برأيه ولم يسبقه إليه أحد من المفسرين قبله.

القسم الثاني: ما صرّح فيه برأيه مع احتمال وروده من قبل

والقسم الثالث: ما صرّح فيه برأيه فيما اختلف فيه المفسرون في بيان معنى الآية فرأيه قد يوافق رأي بعض المفسرين ويخالف بعضهم (ترجيحه رأياً على رأي).

القسم الأوّل: ما صرّح الشيخ فيها برأيه الخاص:

وأكد على أنّه لم يسبق أن ذكرها مفسّر آخر قبله، وهذه الآراء تدلّ على تدبّره العميق لمعاني القرآن الكريم، وقد أشرنا إلى ذلك سابقاً، واجتهاده هذا هو من الإلهام الرباني يهبه لمن يشاء، والشيخ لا يقول برأيه إلا بناء على علم.

ويعبّر عمّا استخلصه هو واجتهده فيه بعبارات تدلّ على تفرّده بالقول في تلك المسألة، أو في ذلك التأويل ويدخل في هذا ما يسمّيه بـ: "بنات اللحظة" والتي سنفصّل القول فيها فيما بعد.

(1) إبراهيم بن عمر بيوض: في رحاب القرآن، ج 11، ص 105.

الفصل الثاني..... القصص القرآني من خلال تفسير "في رحاب القرآن"

القسم الثاني: ما صرح فيه برأيه مع احتمال وروده من قبل

كذلك يدلي الشيخ بيوض رحمته الله برأيه الذي بدا له في تفسير الآية الكريمة، لكنه لا يجزم تفرد به بذلك الرأي، بل يذكر احتمال وروده في مصادر سبقته، يقول الشيخ في مسألة علم نوح عليه السلام أنّ ابنه من جملة المستثنين الذين أرادهم الله تعالى في قوله: ﴿وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ مِنْهُمْ﴾ (1) " وهذا مبحث لا بدّ من تحقيقه، ولم أر من بحث فيه، وقد يكون هنالك من بحث فيه ولم أعثر عليه، ولا أدعي أنني اطّلعْتُ على كلِّ التفسير، ولكنني أعجب من نفسي أنا كيف تمرّ عليّ عشرات السنين ولا أنظر في هذه القصّة المهمّة، وهي عظيمة الأهمية." (2)

القسم الثالث: في ترجيحه رأياً على رأي

يستعمل الشيخ عدة عبارات تبين ترجيحه واختياره لرأي دون آخر كقوله مثلاً: "لكنني أرى أن أرجح المعنى الثاني" (3)، "هذا ما أرجحه وأميل إليه" (4)، وهو في الغالب يرجح ما عليه جمهور العلماء وما يراه الأقرب للصواب، فتارة يكتبني فقط بذكر الرأي الأرجح ولا يذكر الأقوال الأخرى، وتارة يذكر الأقوال ثم يرجح ما يراه الأصوب، وهو في ترجيحه أحياناً يردّ الرأي المرجوح إذا كان مناف للمعقول والمعقول واللغة العربية، وإذا كان غير ذلك جعله بعيد الاحتمال، أو حكم بضعفه، لكنه لا يراه مستحيلاً كما في قوله تعالى: ﴿وَمِنَ آيَاتِهِ أَنْ تَقُومَ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ بِأَمْرِهِ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِّنَ الْأَرْضِ إِذَا أَنْتُمْ تَخْرُجُونَ﴾ (5) يقول الشيخ "نحن لا نعلم كيفية هذه الدعوة، هل المعنى: دعاكم من الأرض أي إنّ دعوة الله صادرة من الأرض، أم أنّ الله تعالى دعانا من الأرض التي متنا فيها وتحقق فيها فناؤنا حتى نخرج منها؟ يقول: " يبدو أنّ هذا هو المعنى الأقرب، وإن زعم البعض أنّ المعنى الأول هو الأولى، ولكننا نراه بعيداً، ولا نقول باستحالته." (6)

2. التفسير الموضوعي في تفسير الشيخ بيوض

التفسير الموضوعي من أنواع التفسير المهمّة والتي تبين فقه المفسّر وتدبره العميق في آي القرآن العظيم.

(1) المؤمنون: الآية 27.

(2) إبراهيم بن عمر بيوض: في رحاب القرآن، ج 21 ص 333.

(3) المرجع نفسه، ج 2، ص 300.

(4) المرجع نفسه، ج 5، ص 131.

(5) الزوم: الآية 25.

(6) إبراهيم بن عمر بيوض: في رحاب القرآن، ج 10، ص 208.

الفصل الثاني..... القصص القرآني من خلال تفسير "في رحاب القرآن"

أ. مفهوم التفسير الموضوعي:

عرّفه محمد باقر الصّدر فقال: " يكون التّفسير موضوعيا باعتبار أنّه يختار مجموعة من الآيات تشترك في موضوع واحد، وهو توحيدى باعتبار أنّه يوحد مدلولات هذه الآيات ضمن مركّب نظري واحد ليخلص بالتالي إلى تحديد إطار نظريّة واضحة. " (1)

ورجّح الدكتور مصطفى مسلم التعريف: " هو علم يبحث في قضايا القرآن الكريم، المتّحدة معنى أو غاية، عن طريق جمع آياتها المتفرقة، والنظر فيها، على هيئة مخصوصة، بشروط مخصوصة لبيان معناها، واستخراج عناصرها، وربطها برباط جامع. " (2)

ب. عنايته بهذا اللون من التّفسير:

منهج التّفسير الموضوعي غالب على تفسير الشّيخ بيّوض؛ فهو يستعين بهذا اللون من التّفسير من أجل ربط الآيات ببعضها ورسم الصّورة الكاملة لأي موضوع من مواضيع القرآن الكريم.

ومّا يلاحظ على تفسيره تفصيله في بعض المواضيع التي يراها مهمّة، وتفسيرها تفسيراً موضوعياً، موطّفا ما جاء من الآيات في الموضوع المختار، ومن المواضيع التي أولاهها الشّيخ عناية خاصّة وفصّل فيها القول موضوع "المرأة"، حيث جمع في هذا الموضوع النّصوص القرآنية التي تتحدّث عن مكانة المرأة وقيمتها في الإسلام، وحقوقها وواجباتها، وحجابها وخطر تبرّجها.. الخ، مبيناً ضعفها وأنخداعها بما زين لها، كما اعتبرها أكبر مشكلة تواجه الرّجل، بل من أكبر مشاكله ومن المشاكل التي مرضت الإنسانية بسببها مرضاً مزمناً⁽³⁾ ما لم تلتزم بقواعد الدّين، فأفاض الحديث في فتنة المرأة والمكائد التي تحاك ضدها لتهدم ثوابتها وأنوئتها ودينها، وما صنع لأجل ذلك من أدوات الرّينة والملابس القصيرة. (4)

(1) محمد باقر الحكيم: السنن التاريخية في القرآن، أعاد صياغته محمد جعفر شمس الدّين، دار المعارف للمطبوعات، دمشق، ط 1 (1409هـ - 1989م) ص 36،37.

(2) مصطفى مسلم: مباحث في التّفسير الموضوعي، دار القلم، ط4 (1426هـ - 2005م)، ص 08.

(3) إبراهيم بن عمر بيّوض، في رحاب القرآن، ج1، ص 153.

(4) المرجع نفسه، ج1، ص 170.

الفصل الثاني..... القصص القرآني من خلال تفسير "في رحاب القرآن"

ولعلّ الغيرة على حرّامات المسلمات جعلت الشّيخ بيوض يبّالغ في وصف المرأة وينعتها بأقبح الأوصاف حيث يقول: "إنّ الفتن أيا كانت، فتن أخلاق، أو كلام، أو فسق، أو حرب فإنّ سببها المرأة، وقديما قيل: فتش عن المرأة كلّما رأيت فتنة ثارت أو حربا نشبت." (1)

ينتقل الشّيخ من القرآن إلى الواقع الإباضي معالجا وناصحا وخائفا على الهويّة الدّينيّة للمرأة في ظلّ التّيارات الغربيّة الجارفة التي تمسّ حجاب المرأة وأخلاقها يقول الشّيخ ناصحا: "إنّ المرض خطير وهو يمسنّا من قريب، وقد بدأنا نغمس فيه ونحن نزعّم أنّنا الطائفة النّقيّة، لقد بدأ بعض شباب بني ميزاب في الوقوع في هذا الوحل، فكان الواحد منهم يتأبّط ذراع زوجته وهي سافرة، ويذهب بها إلى فرنسا أو إسبانيا... فيتنخز هو وتستقرّد هي فالحذر الحذر أيّها المؤمنون" (2)

والشّيخ في مثل هذه الفصول جمع بين الدّراسة الموضوعية، انطلاقا من الآيات القرآنيّة ودلالاتها والدّراسة الواقعية وتحليلاتها، وهذه صبغة التّفكير الإصلاحية الذي يقف على موطن الدّاء ليوجّه من خلاله رسائل نصح وتوجيه، وتوعية لإيقاظ الضّمائر الغافلة وإحياء القلوب الميّتة.

ومن خلال زيارتي للمجتمع الإباضي ببني ميزاب بالعطف، وبني يزجن، والقرارة تحديدا رأيت أثر هذه التّوجيهات تتجسّد في نساء هذه المناطق، من حياء وعفة والتزام بالحجاب الشّرعي حيث ترى النّساء في هذا المجتمع كالملائكة بلباسهن الأبيض أو ما يعرف بـ: "الحايك أو بوعوينة" مفتخرات به فتيات كنّ أو متزوّجات. فترى الطّهر يعمّ المكان.

فكلام الشّيخ وغير من دعاة الإصلاح كان نبراسا يحتذى به، فبني ميزاب قرى طاهرة تقلّ فيها المفاسد الأخلاقية بل نكاد نقول تنعدم إذا ما قورنت بباقي أجزاء الوطن الجزائري. هذه المنطقة بارك الله فيها ببركة علم أعلامها، وجهودهم الإصلاحية في تطهير المجتمع من كلّ المفاسد والآفات التي تهدمه.

3. فكرة بنت اللحظة

أ. ما هي فكرة بنت اللحظة؟

بنات اللّحظة مصطلح أطلقه الشّيخ بيوض رحمته الله وتردّد كثيرا في تفسيره، وهو يندرج ضمن التّفكير بالرّأي.

(1) إبراهيم بن عمر بيوض، في رحاب القرآن، ج1، ص177.

(2) المرجع نفسه، ج1، ص178.

الفصل الثاني..... القصص القرآني من خلال تفسير "في رحاب القرآن"

وعن سبب إطلاق الشيخ هذه التسمية (بنت اللحظة) يجيئنا الشيخ عيسى بن محمد محرّر التفسير فيقول:

"هي أفكار ولدت أثناء تقديم درس التفسير دون إعداد مسبق وهي عبارة عن هبات وفتوحات ربّانية يهبها الله لمن يشاء". (1)

ويوعز الشيخ عيسى بن محمد أفكار بنات اللحظة إلى إخلاص الشيخ بيّوض، وتفانيه الخارق للعادة في

درس التفسير، كما يقول تعالى: ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ

خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٢٦٩﴾ (2) كما اعتبر الشيخ عيسى بن محمد معاناة

الشيخ المختلفة وظروف حياته الصعبة هي سبب كل هذا العطاء. (3)

عبّر الشيخ عن الأفكار التي تولدت في مجلسه بعبارات مختلفة كلّها تدلّ على أنها خطرت له في تلك

اللحظة، وسأسرد بعض الأمثلة التي بيّنت مواضع تلك الأفكار والعبارات التي عبّر بها:

في تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَمٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ

أَبْحُرٍ مَا نَفَذَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٧﴾ (4) فبعد أن ذكر المناسبة بين هذه الآية

وآية: ﴿قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفَذَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنفَذَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ

مَدَدًا ﴿١٠٩﴾ (5) والتي تكمن في جمع الله تعالى بين المداد المذكور في سورة الكهف والأقلام المذكورة في سورة

لقمان قال: "المداد لا يكتب وحده، والقلم لا يكتب وحده، وجمع الأقلام المذكور في آية والمداد المذكور

في آية أخرى تكتمل الصورة التي يريدتها الله تعالى وهذه ملاحظة بنت اللحظة ولم تمرّ بخاطري قبل". (6)

في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ نَادَى رَبُّكَ مُوسَىٰ أَنْ أَنْتَ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿١٠﴾ قَوْمَ فِرْعَوْنَ أَلَا يَتَّقُونَ ﴿١١﴾﴾ (7)

وصف الله تعالى قوم فرعون بالظلم؛ لذلك أصبح لقب فرعون اليوم مرادفا للظالم المستبد، وأصبح الناس

يشتقون من اسم فرعون أفعالا تدلّ على الجور والبطش والظلم، فيقال: فلان تفرعن أي أصبحت صفاته

(1) لقاء علمي مع الشيخ عيسى بمقر سكنه بالقرارة ولاية غرداية بتاريخ: 30 ديسمبر 2017 الموافق ل: 13 ربيع الثاني 1439 هـ.

(2) البقرة: الآية 229.

(3) أثناء اللقاء العلمي الذي جمعني به في بيته بالقرارة ولاية غرداية بتاريخ (30.12.2017 م / 13 ربيع الثاني 1439 هـ).

(4) لقمان: الآية 27.

(5) الكهف: الآية 109.

(6) إبراهيم بن عمر بيّوض: في رحاب القرآن، ج 11، ص 335.

(7) الشعراء: الآيات 10-11.

الفصل الثاني..... القصص القرآني من خلال تفسير "في رحاب القرآن"

كصفات فرعون يقول الشيخ بيوض: "وحيثما ذكر اسم فرعون ينقذح في الذهن الظلم والطغيان والجبروت ويجب أن نستحضر هذه النكتة، وقد حضرتني في هذه اللحظة لتزيدنا في فهم حكمة تسبيق هذا الوصف قبل التعيين." (1)

في تفسير قوله تعالى: ﴿فَأَلْقُوا حِبَالَهُمْ وَعَصِيَّهُمْ وَقَالُوا بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ الْغَالِبُونَ﴾ (2) يقول: "والسحرة إنما جاؤوا بهذا السحر ليجادلوا ما جاء به موسى من الآيات ولا نستطيع أن نقول ليس لهم من السحر إلا هذا النوع وهذه ملاحظة بدت لي في اللحظة" (3)

في تفسير قوله تعالى: ﴿مَا يَلْفُظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ (4) قال: "من العجيب أن تخطر لي في نفس اللحظة التي أقرأ فيها الآية ملاحظة لم تخطر ببالي قط، وهي اختيار الله تعالى لكلمة "قَوْلٍ" في هذا المقام، ولم يقل مثلا ما يعمل من عمل إلا لديه رقيب عتيد" (5) ثم يذكر ما يبدو له من اختيار القول دون العمل، وحسب رأيه أن الناس لا يعطون قيمة للأقوال مثلما يعطونها للأعمال؛ لاعتبارهم أن الكلام مجرد ربح الأفواه. (6)

ب. طريقة طرح سؤال

الغرض الأصلي للاستفهام هو طلب معرفة أمر لم يكن معلوما عند الطلب، إلا أن الاستفهام يخرج عن غرضه الأصلي إلى أغراض أخرى كالتشويق والفخر والإنكار والتقرير والتمني والتهويل والتعظيم، والتحسر، التفرع... الخ (7)

ومما يميّز تفسير الشيخ بيوض هو استفتاحه لتفسير بعض الآيات القرآنية بأسلوب الاستفهام والتساؤل، متبعا بذلك منهج القرآن الكريم، فهو لا يُريد الإجابة من الحاضرين على أسئلته، وإنما له أهداف وغايات

(1) إبراهيم بن عمر بيوض: في رحاب القرآن، ج 7، ص 307

(2) الشعراء: الآية 44.

(3) إبراهيم بن عمر بيوض: في رحاب القرآن، ج 7، ص 332.

(4) ق: الآية 18

(5) إبراهيم بن عمر بيوض: في رحاب القرآن، ج 20، ص 282.

(6) المرجع نفسه، ج 20، ص 283.

(7) عبد الكريم محمود يوسف: أسلوب الاستفهام في القرآن الكريم غرضه وإعرابه، مطبعة الشام ط1 (1421هـ/2000) ص 17.

الفصل الثاني..... القصص القرآني من خلال تفسير "في رحاب القرآن"

أخرى، وطريقته تناسب الدروس الوعظية الإرشادية؛ فمن خلال تلك الأسئلة التي يطرحها هو يلفت انتباه الحاضرين والسماعين إلى معنى الآية وما يستخلص من حكم وفوائد.

ومن خلال الأمثلة التي ساقها، اتضح لي أنّ الهدف أو الفائدة من طرح تلك الأسئلة هي لفت الانتباه بالدرجة الأولى، وبغرض التشويق تارة، وبغرض التأنيب وإيقاظ الضمائر تارة أخرى.

ب 1. بغرض لفت الانتباه

غالبا ما يوظف الشيخ استفهاماته بغرض الإشارة إلى شيء مهمّ سيرطحه، وحتى ينتبه السامع إلى ما سيقال، يقول الشيخ: "فالاستفهام من الله تعالى - كما يستعمله كثير من بلغاء العرب- يراد به لفت النظر إلى شيء مهمّ، حتى يلتفت المخاطب بكليته ويوجّه ذهنه وعنايته إلى ما يسمعه"⁽¹⁾ ومثال ذلك قوله تعالى:

﴿إِذْ رَأَىٰ نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَّعَلِّي آتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجْدٍ عَلَىٰ النَّارِ

هُدًى ﴿١٠﴾ ﴿٢﴾ تساءل قائلا: "ترى، أين كان موسى في ذلك الوقت؟ ومن كان معه؟ أزوجه فقط أم معها آخرون؟ من أين جاء وإلى أين هو ذاهب؟ ثمّ بعد ذلك يجب على سؤاله بقوله: "لابدّ من معرفة الجواب على هذه التساؤلات حتى نفهم القصّة على وجهها"⁽³⁾، ومن خلال هذا التساؤل فإنّ الشارد ينتبه له، والمنصت يدقّق في كلامه، والشيخ بيوض كان يكره التشويش في درسه والالتفات فيحاول من خلال هذه الطّريقة جذب الأسماع والأذهان للمعاني القيّمة التي يلقيها.

كذلك في قوله تعالى: ﴿فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ زُبُرًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿٥٣﴾﴾⁽⁴⁾

افتتح تفسير الآية بعدّة أسئلة تثير فضول السامعين لمعرفة الإجابة الوافية من الشيخ حيث قال: "ترى هل استجاب الناس لدعوة الله؟ وهل استجابوا لدعوة رسل الله؟ وهل اتخذوا الرّسل أئمة فسلكوا طريقهم واهتدوا بهديهم؟"⁽⁵⁾، يحاول من خلال هذه الأسئلة تبسيط المعاني خاصّة وأنّ مجلسه يجلس فيه الصّغير والكبير والمتعلّم والأمّي.

(1) إبراهيم بن عمر بيوض: في رحاب القرآن، ج3، ص 229.

(2) طه: الآية 10.

(3) إبراهيم بن عمر بيوض في رحاب القرآن، ج3، ص 230.

(4) المؤمنون: الآية 35

(5) إبراهيم بن عمر بيوض: في رحاب القرآن، ج 7، ص 307

الفصل الثاني..... القصص القرآني من خلال تفسير "في رحاب القرآن"

ومن باب لفت الانتباه أيضا إشراكه للحاضرين في الدرس كأنه يريد إجابتهم وتثبيت ما يقول في أذهانهم، خاصة إذا كان المسؤول عنه من المعارف القبليّة لديهم، فمثلا نجده قبل أن ينتقل إلى تفسير الآية الموالية يطرح أسئلة توقظ انتباه الحاضرين إلى ما بعدها من الآيات؛ فتترابط الأحداث في أذهانهم، وهذه الأسئلة تزيد من تركيزهم وانتباههم وغوصهم في أسرار الآي ومثاله حين فسّر قوله تعالى: ﴿ فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ أَنْ عِبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴾ (٣٢) (1)، مهّد للآية التي تليها بسؤال فقال: " ولكن كيف كان جواب الكفرة؟" (2) ثم يذكر الآية متبوعة بالتفسير.

ب.2. بغرض التشويق

التشويق عنصر مهم في القصص القرآني، ولذلك مالت إليه القلوب، ويعتبر القصص القرآني من أجلّ المواضيع التي تناولها القرآن الكريم للأغراض التي سبقت له -وقد ذكرناها في الفصل الأول- ولذلك ركّز الشيخ بيّوض على عنصر التشويق في تفسير آيات القصص القرآني حتى يعلّق القلوب بأحداثها ويجعلها تتطّلع لمعرفة أسرارها، فيلتزم الناس بالحضور، ولا يفوتون حلقة واحدة. والشيخ بيّوض كان يفسّر السورة في عدّة حلقات ولا شكّ أنّه كان يختم الحلقة بسؤال، ويترك الإجابة عنها في الحلقة المقبلة.

ب.3. بغرض التوعية وإيقاظ الضمائر

وأحيانا كثيرة يطرح الشيخ بيّوض أسئلة متعددة، يعبر من خلالها عن تأسّفه لحال الأمة التي اعترأها الفساد الأخلاقي وتارة يعبر عن غضبه للتجاوزات في حقّ الله تعالى وغيرته على الوطن، وبعض الأسئلة تحمل تأنيبا وتوبيخا لحال المسلمين المبكي؛ نتيجة بُعدهم عن الدين وعدم أخذهم بتعاليمه وتكاسلهم عن فهم معانيه. وهذا ممّا أكّده لي الشيخ عيسى بن محمد وهو محرّر التفسير وتلميذ الشيخ بيّوض فقال لي: كثيرا ما يتحدّث بغضب شديد ويعبر عن حزنه وأسفه العميق خاصة حين تنتهك مبادئ الدين وتفسد الأخلاق وتتطرّف الأفكار وتختلّ العقيدة. ومثال ذلك حين فسّر قوله تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ لِأُوجُهِهِمْ حَافِظُونَ ﴾ (٧) إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٦﴾ فَمَنْ أْبَتَغَىٰ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ﴿٧﴾ (3) تحدّث بغضب وألم عن الفساد الذي عمّ المجتمع لانتشار فاحشة الرّبي فيسأل أسئلة

(1) المؤمنون: الآية 32.

(2) إبراهيم بن عمر بيّوض: في رحاب القرآن، ج 5، ص 140.

(3) المؤمنون: الآية 05-07

الفصل الثاني..... القصص القرآني من خلال تفسير "في رحاب القرآن"

ترك الإجابة فيها للسامعين، وهي نابعة من غضب اللذين فيقول: "كيف يمكن أن يصلح الولد وهو من نطفة حرام؟ بل أئى يكون له العطف والحنان اللذان هما سبب الرعاية والحضانة؟"⁽¹⁾

وفي هذا الباب نلمح غضبه حين أسقط الآية واقعياً، وذكر ما دعت إليه بعض الجهات من إلغاء نسب الولد (الذي ولد بطريقة غير شرعية) لأمه وأبيه ونسبه إلى الدولة بحجة أن الأولاد: ليس هم أبناء للدولة فيقول: "لكن هل تصلح الدنيا وتقوم على هذا؟ ألهذا خلق الله الإنسان؟ أهذا هو الإنسان الذي يصلح خليفة الله في الأرض؟ ما هو السبب الذي أوصل إلى هذه الحال؟"⁽²⁾، ثمَّ يجيب على تلك الأسئلة مسقطاً إيّاها على واقع المسلمين اليوم، مبيناً ما يجب تبيانه، محدّراً من كل ما يحاك ضدّ الأمة الإسلامية من دسائس منشؤها الغرب، غرضها إفساد الرّكيزة الأساس للمجتمع وهم الشباب.

4. تقسيم مواضيع التفسير إلى مسائل

البحث والاستقراء في تفسير الشيخ بيوض مبسّط وسهل للغاية؛ حيث قسمه محرّره عيسى بن محمد الشيخ بالحاج إلى مسائل متعدّدة بحسب المواضيع التي تناولها الكتاب، ممّا يسهّل على القارئ معرفة ما فصلّ الشيخ فيه الحديث وما اقتصد فيه، كما يسهّل على الباحث معرفة آراء الشيخ التي أدلى فيها برأيه واجتهد فيها في مختلف المسائل، فيرجع فقط إلى رقم الصّفحة في فهرس التفسير. فالقارئ يجد متعة في قراءته لسهولته وبساطة معانيه وقربه الشديد من واقع المسلمين.

وهذا التقسيم لدلالة على الجهد المضني والعمل الدؤوب، والتفاني العظيم الذي بدله الشيخ عيسى من أجل إخراج هذا التفسير بهذا التسق الجميل، والترتيب المحكم واللغة الرّاقية.

5. عدم التزامه بمنهج التفصيل في مختلف المباحث

من خلال استقراء تفسير الشيخ بيوض رحمته الله، نلاحظ عدم توازن بين الأجزاء الأولى من التفسير، والأجزاء الأخيرة منه، حيث كان منهجه في الأجزاء الأولى التفصيل في مختلف المسائل اللغوية و النحوية، والإسقاطات الواقعية والدراسات الميدانية، لكنّ هذا التفصيل بدأ يتراجع ويقلّ في الأجزاء الأخيرة، وقد أشار الشيخ بيوض إلى ذلك مرارا في ثنايا تفسيره، واعتذر عن هذا التراجع بسبب المرض الذي أنهك جسده، فكان همّه هو إتمام التفسير، فركّز على ما هو مهمّ يقول الشيخ: "نقتصر فيما بقي من تفسيرنا إلى آخر القرآن، على استخراج حكمه، ممّا تتعظ به القلوب وتقوّي الإيمان، وما يهتدي به القائل والسماع،

(1) إبراهيم بن عمر بيوض: في رحاب القرآن، ج 5، ص 164.

(2) المرجع نفسه، ج 5، ص 75.

الفصل الثاني..... القصص القرآني من خلال تفسير "في رحاب القرآن"

وربما لا نتوسّع فيه كما كنّا قبل هذا في سنوات مضت منذ افتتحنا درس التّفسير من أوّل سورة الفاتحة إلى اليوم (سورة المرسلات) وقد مضى أكثر من أربعين عاما، وقد كنّا نتوسّع شيئا ما في الأبحاث اللغويّة والصّرفيّة والتّحويّة وغيرها، ولكنّه اليوم لم يبق من العمر ما يتّسع لهذا، ولا من الصّحّة ما أستطيع هذا⁽¹⁾ إنّ القراءة في تفسير الشّيخ بيّوض سهلة، وممتعة، فأسلوبه الشّيق يجعلك تسترسل في قراءة التفسير، وتبسيطه للمعاني وربطه الآيات بعضها ببعض يجعلك في فهم الآيات القرآنيّة.

(1) إبراهيم بن عمر بيّوض: في رحاب القرآن، ج 26، ص 382.

المبحث الثاني: منهج الشيخ بيوض في

عرض القصة القرآنية

● المطلب الأول: مكانة القصة القرآنية عند

الشيخ بيوض

● المطلب الثاني: موقف الشيخ بيوض من

الإسرائيليات

● المطلب الثالث: الترابط القصصي عند

الشيخ بيوض

الفصل الثاني..... القصص القرآني من خلال تفسير "في رحاب القرآن"

المبحث الثاني: منهج الشيخ بيوض في عرض القصص القرآني

اعتنى الشيخ بيوض بالقصة القرآنية إيما اعتناء، حيث أبرز دلالاتها، وفوائدها، وما يستنبط منها من أحكام، ولم يغفل أي حلقة من حلقات القصة، بل وقف على كل مشهد محللاً ومفسراً، وواعظاً.

المطلب الأول: مكانة القصة القرآنية عند الشيخ بيوض

بيّن الشيخ بيوض مكانة القصة القرآنية التي شغلت حيزاً واسعاً من تفسيره، فلم تمرّ أمامه قصة إلا ووقف معها وقفة متأنية، متدبراً ومحللاً ومستنبطاً وواعظاً ومصلحاً، فهي عنده مصابيح هداية، يقف أمامها وقفة الفاحص المتأمل الذي يسبر أغوار الحوادث ليفيد بها، وهي مشكاة لإيصال الكثير من المعاني كونها تؤثر في النفوس وتميل إليها القلوب.

يفتح الشيخ القصة بسرد مجملها أولاً حتى ترتسم أحداث القصة كاملة في ذهن السامع، ليتفرغ بعد ذلك إلى تحليل القصة والوقوف على أسرار كل جزئية فيها، وتميّزت القصة عند الشيخ بيوض بعرضها بأسلوب راقٍ يجعلها تلامس الأحاسيس وتخرق العقول؛ تجعل القارئ يغوص معه في أغوارها ليصل معه إلى المعاني الجليلة والفوائد العظيمة التي يستخلصها في نهاية كل قصة، فهو ينزلها واقعياً ويربطها بحياة المسلم وظروف حياته، يحلّل أحداثها ويفكّكها ويربطها بمحور السورة ويبحث عن التناسب بما قبلها وبعدها، كما أنّه يحاول أن يجمع ما أمكن من الأحاديث النبوية والآثار الصحيحة لبيّن الغرض الذي سيقى لأجله مبتعداً عن كل ما يفسد حقيقتها من الخرافات والأساطير.

وبيّن الشيخ في غير موضع في تفسيره أنّ القصة القرآنية من المواضيع التي لا بدّ أن يعنى بها الباحثون؛ فهي ليست أسطورة من الأساطير، أو قصة من القصص الموضوعة أو الأخبار المكذوبة، وليست من الأخبار التي يزيد فيها القصاص والمؤرّخون في كلّ زمان، بل القصة القرآنية هي القصص الحق، يقول الشيخ عن قصص القرآن: "أخبار الله تعالى وأنباؤه هي الحق وهي عين الحق... فقصص القرآن هي صدق وهي أحسن." (1)

وهو في مطلع كلّ قصة يبيّن الموضوع العام للقصة والغرض الذي سيقى لأجله وسبب نزولها، ويبرز مكانتها وأثرها في مختلف الجوانب الدنيوية والحياتية، حتى يشوّق القارئ إلى معرفة أسرار وحكم القصة، كما فعل في بداية سورة الكهف حيث بيّن المحور التي تدور حوله السورة وقال أنّها تدور حول الصّراع العنيف بين المؤمنين الصّادقين والكافرين الظالمين (2)، فهو بذلك يهيئ القارئ لمعرفة حيثيات هذا الصّراع ولمن كانت

(1) إبراهيم بن عمر بيوض: في رحاب القرآن، ج8، ص236.

(2) المرجع نفسه، ج2، ص171.

الفصل الثاني..... القصص القرآني من خلال تفسير "في رحاب القرآن"

الغلبة؟ ولماذا هذا هو محورها مع أنّ قصصها متباين، وهو بذلك يستعمل أسلوب التشويق والإثارة، وهو الأسلوب المناسب لإيقاظ الذهن حتى يكون القارئ في أتم الاستعداد لتلقي المعارف والمعلومات فلا يغيب عنه شيء.

المطلب الثاني: موقف الشيخ بيوض من الإسرائيليات

يعتمد كثير من المفسرين على بعض الروايات والأخبار الإسرائيلية لتكملة مشاهد القصة، وبيان ما سكت عنه القرآن الكريم، والشيخ بيوض من المفسرين المعاصرين الذين كان لهم موقف ثابت تجاه هذه المرويّات.

الفرع الأول: عدم الخوض في تفاصيل القصص القرآني

"في رحاب القرآن" تفسير نزهة الشيخ عن الإسرائيليات، ومبدؤه واضح في التعامل مع تلك المرويّات والأخبار، صرح به وأفصح عنه في غير موضع من تفسيره، فما مرّ على قصة من القصص إلا وفند كل رواية ظنية ليس لها أصل في القرآن الكريم أو السنة النبوية، فنجده لا يُعنى بالأسماء والأعداد ومختلف التفاصيل التي سكت عنها القرآن، واكتفى ببيان ما تتحقّق به الفائدة، حيث وجّه كل عنايته لاستخلاص الدروس، واستنباط العظة والعبرة منها، محاولاً الوصول إلى السنن الكونية التي تحكم سير المجتمعات، وتدهور الحضارات.

وأساسه في رفض تلك الروايات هو عدم صحّتها ومخالفتها للمعقول والمنقول على حدّ سواء، و عليه فإذا صحّت الرواية عن أهل الكتاب - ودليل ذلك موافقتها لما ورد في شرعنا - فإنه كان يعتمدها؛ فعند تفسير قوله: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ﴾⁽¹⁾ وكثيراً ما يورد ما ذكره المفسرون من المرويّات المختلفة على وجه العموم من دون تفصيل مبيناً أن لا فائدة ترجى من ذكرها، فهو في كلّ مرّة يذكر فيها مرويّات عن أهل الكتاب يذكر أنّ الغرض من القصص القرآني هو الاعتاظ والاعتبار، ولو كان هناك فائدة من تلك التفاصيل لما سكت القرآن عنها، ولأبأنها للناس.

ففي قصة نوح عليه السلام مثلاً حين سلط الله تعالى الطوفان على من رفض الإيمان به وما جاء به من الحق يقول تعالى: ﴿فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ ﴿١١﴾ وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَى

(1) المائدة: الآية 13.

الفصل الثاني..... القصص القرآني من خلال تفسير "في رحاب القرآن"

أَمْرٍ قَدْ قَدَرَ ﴿١٢﴾⁽¹⁾ يقول: " لا ندري كيف تفجّر الأرض عيوننا فالتقى الماء على قدر ، ولا كم عددها ولا كيفية انفتاح السماء بالماء المنهمر إلا أننا نعلم أنّ الماء طغى على كل شيء فأغرقه. (2)

كذلك لم يفصّل في العدد الذي ذهب مع نوح عليه السلام وآمن معه، وإنما اكتفى بذكر أكبر عدد في تقدير الرّوّة ثمّ يعيد ويذكر أنّ العدد لا يهم بل علينا فقط ان نعلم أنّ العدد لا يعيننا. (3)

وفي قصّة موسى عليه السّلام لما جاء مدين ذكر ما أورده المفسّرون من ذكر اسم البنت التي تزوّجها موسى عليه السّلام أيّ البنتين تزوّج، وأنّ والد المرأتين كانت له مجموعة من العصي هي للأنبياء الذين سبقوه منها عصى آدم التي نزل بها من الجنّة... وهي العصا التي أعطاهها لموسى يعقّب الشيخ فيقول: " وللقصّاص أقوال كثيرة في هذه العصا لا ندري مبلغها من الصّحّة، ويكفيها الاتّعاظ بما قصّه الله تعالى في كتابه من القصص الحق. (4)

وأرى أنّ غرض الشيخ من ذكر هذه الرّوايات على اختلافها بين المفسّرين مجمّلة، هو إفادة المتلقّي بما جاء حول هذه القصص من أخبار حتى يميّز بين صحيحها وسقيمها ولا يتلوّث ذهنه ولا يزيغ بتفاصيل لا تنفع ولا تزيد في الفهم والعلم شيئاً، وغرضه أيضاً هو بيان المنهج الصّحيح لدراسة القصص القرآني والاستفادة منه وهو عدم التّسليم بكل ما نسمعه من مرويات سكّت عنها القرآن بل علينا أن نقرأ بعين مبصرة ناقدة.

أولاً: نقده للرّوايات الإسرائيليّة

ردّ الشيخ الرّوايات الإسرائيليّة الباطلة التي امتلأت بها كتب التّفسير من غير تثبیت فيها ولا تمحيص، وصرّح بطلانها.

فنجده في مواضع كثيرة يذكرها مطوّلة وبتفاصيلها لا بغرض الاستشهاد، وإتّما ليفنّدها ويبطلها من جهة، ولينبّه الحاضرين على خطورتها وضرورة تجنّب الأخذ بها أو الإيمان بها، لأنّ القلوب تميل إلى القصص التاريخيّة فقد تكون إحدى تلك القصص الباطلة عالقة بذهن أحدهم معتقدا صحتّها ومن خلال إيرادها وذكرها لهم فكأنّه يؤكّد صحتّها، ومثال ذلك ما ذكر من مرويات في قصّتي داوود وسليمان قال: " وطعنوا في داوود عليه السّلام الذي يعتزّ به اليهود وبملكه فاتّهموه بالعشق والغرام، وقالوا إنّّه صعد مرّة إلى سطح منزله ورأى امرأة

(1) القمر: 11-12.

(2) إبراهيم بن عمر بيوض: في رحاب القرآن، ج5، ص131.

(3) المرجع نفسه، ج5، ص132.

(4) المرجع نفسه، ج8، ص321.

الفصل الثاني..... القصص القرآني من خلال تفسير "في رحاب القرآن"

جميلة فتمكنت من قلبه فعشقها، ولما سأل عنها وجدها زوجة أحد قواده، قالوا: فاحتال داود وبعثه إلى الحرب ليقتل في المعركة حتى يتزوج بزوجه "عقب عليها فقال: "كلّ هذا كذب وزور على داود عليه السلام وأمثاله من الأنبياء والرسل". ويقول أيضا: " وهذا من أساطير خرافاتهم لعنهم الله. "(1)

وحيث أراد أن يقدم تعريفا للقمان اكتفى بقوله أنه اسم لعبد صالح، وذكر الروايات المختلفة التي ذكرها المفسرون في كتبهم حول حياته؛ وفي أي عهد عاش، وهل هو نبي أم رجل صالح؟ هل هو حر أم عبد؟ ومم سنة عاش؟ وما شكله ولونه؟ واعتبر كل هذه الخلافات مما لا يصح؛ لأنّ ليس فيها قول يعتمد صحته، ومن هنا نفهم أنه لا يقبل من المرويات التي سكت القرآن عنها إلا ما كان خيرا صحيحا عن الرسول ﷺ، لأنّ الاختلاف والتناقض بين الروايات يضعفها، والتناقض من سمات الإسرائيليات التي يبطل بعضها بعضا. (2)

فالشيخ بيّض وقف موقف المصلح في شتى مجالات الحياة، فحارب الخرافات والأساطير وكلّ ما لم يأت صريحا في القرآن والسنة النبوية، كما حارب البدع والتقاليد التي تخدم المجتمع، فاعتبر العناية بتلك المرويات والأخبار، مما يبعد القارئ عن الفهم الصحيح للمقصد الحقيقي للقصّة القرآنية لأنّ هدفها إصلاح المجتمع وتقريب المؤمن إلى ربه وهذه الأهداف لا نجدها في الزيادات والتفاصيل التي عنيت بها كتب اليهود والنصارى لأنّ كثيرها باطل مختلق يتنافى مع صريح القرآن والسنة النبوية وقليلها ظني لا نجزم بصحته ولا بضعفه.

ولبيان الغرض الأساس للشيخ بيّض من إيراده تلك القصص ثمّ التعقيب عليها وبيان بطلانها خاصة فيما يتعلّق بقصص الأنبياء نسوق ما ذكره الدكتور محمد بن قاسم ناصر بوحجّام حيث قال: " كان يفحص ما يقرأ منها، وينقدها بميزان العقيدة، ويتحرّى ما يجب أن يعتقد في حقيقة أنبياء الله، فما كان منها مخالفا للشرع قد يذكره ليبيّن فساده وتجنّبه الحقيقة، وبعده عن شرع الله. "(3)

فهذا هو منهج الشيخ في تعامله مع الإسرائيليات فهو لا يرى حرجا في إيراد ما لم يناقض القرآن الكريم، وإن كان يكره توظيفه لأنّه مما لم تتحقق به الفائدة لذلك نجده في مواضع لا يبطلها جملة ولكن يشكك في صحتها.

(1) إبراهيم بن عمر بيّض: في رحاب القرآن، ج8، ص 170.

(2) المرجع نفسه، ج11، ص 88.

(3) محمد ناصر بوحجّام: منهج الشيخ بيّض في عرض العقيدة، العالمية للطباعة والنشر، البلدة-الجزائر، ط2 (1438هـ/2017م)

الفصل الثاني..... القصص القرآني من خلال تفسير "في رحاب القرآن"

ثانيا: ذكره للروايات الإسرائيلية استثناسا:

أورد الشيخ بيّوض في تفسيره للقصص القرآني بعض المرويات والأخبار بغرض الاستئناس وغالبا ما تكون هذه الروايات مسكوتا عنها ولا تخالف الشرع يقول الأستاذ صالح حمدي: "وما كان منها غير مخالف للشرع، فإما أن يكون موافقا له فيحقه، وإما أن يكون مسكوتا عنه فيذكره استثناسا، مع توقّفه عن تصديقه أو تكذيبه وقد يرجّح بالقرائن عند اختلاف الروايات، مع عدم الجزم لما توصل إليه"⁽¹⁾ ومثل هذه الروايات ذكرها العديد من المفسرين ممن توزّعوا عن توظيف الإسرائيليات في تفاسيرهم والشيخ بيّوض حين يورد تلك المرويات يبيّن أنّها لا تخالف الشرع والمنطق (العقل) ولا بأس في ذكرها ومن الأمثلة على هذه المرويات:

— ما ذكره من الروايات حول كيفية إلقاء الكتاب لبلقيس: حيث ذكر روايات مختلفة لم ينفها، وإمّا رجّح احتمال ثبوتها بالدليل العقلي، فمثلا من الروايات التي ذكرها " أنّ الملكة كانت في غرفة نومها، متكئة على سريرها، ووراء هذا البيت سبعة أبواب " يقول معقبا: " ولا عجب في أنّ الملوك يتخذون هذا وأكثر."⁽²⁾ وكذلك لما ذكر الرواية التي تقول أنّ " الهدهد دخل من الكوة التي تدخل منها الشمس إلى غرفة نومها، حتى إذا بزغت الشمس تنساب أشعتها من هذه الكوة إلى الغرفة، فتسجد لها الملكة"⁽³⁾ يقول معقبا: " فالهدهد إذن سدّ الكوة التي تدخل منها الشمس عند شروقها بجناحيه، فقامت بلقيس لترى ما الذي حجب عنها الشمس، فوجدت الهدهد فألقى إليها الكتاب."⁽⁴⁾ فهذه الروايات يحتمل الشيخ ثبوتها للقرائن المتصلة بها، وبناء على الأدلة العقلية، وعدم مخالفتها مخالفة شرعية لما جاء في القرآن الكريم.

ثالثا: موقف الشيخ بيّوض من التفاسير التي أوردت الإسرائيليات.

وقف الشيخ بيّوض موقفا بطوليا في الدفاع عن القرآن الكريم، وتصفيته من كل الخرافات والأساطير التي أوردتها المفسرون في تفاسيرهم، بما يتنافى مع الدين والمنطق، وخاصة بما يتعلّق بعصمة الأنبياء عليهم السلام، فقد كان شديد اللّهجة معاتبيا حيناً ومتعجّبا حيناً آخر، فلم يخف في الله لومة لائم في تعبيره عن موقفه الصريح ورفضه القاطع لما أدرج في كتب التفسير من تلك المرويّات.

(1) إبراهيم بن عمر بيّوض: في رحاب القرآن، ص 89.

(2) المرجع نفسه، ج 8، ص 68.

(3) المرجع نفسه، ج 8، ص 68.

(4) المرجع نفسه: ج 8، ص 70.

الفصل الثاني..... القصص القرآني من خلال تفسير "في رحاب القرآن"

ومما يلاحظ في نقد الشيخ للإسرائيليات أمران:

أ- ثبات موقفه: فلم يتحيز لفئة أو لمذهب بل انتقد المخالف والمناصر بل وانتقد شيخه وأستاذه الشيخ اطفيش الذي ملأ تفسيره بمرويات وأخبار معظمها لا يصح ولا يقبل، فلم يكن الشيخ يبوض منتصرا لمذهبه قط، بل أورد الحقيقة بدلائلها وبراهينها وحججها هدفه من كل ذلك جعل القرآن الكريم منهج حياة لا كتاب تسلية ولا كتاب تاريخ، فما رآه يخالف صريح المعقول والمنقول انتقده وبيّن بطلانه.

ب- تأدبه في النقد:

كان الشيخ يبوض حكيمًا وناقدا متأدبًا مثال يحتذى به في الأخلاق وبرز لي هذا من خلال عباراته التي انتقد بها التفاسير التي أوردت المرويات الإسرائيلية التي لا قيمة ولا فائدة منها، فغالب ما انتقده من المرويات وردت في التفاسير التي اعتمدها كمصدر لتفسيره استفاد منها كتفسير البيضاوي والرازي والألوسي واطفيش، وغيرهم من المفسرين الذين اجتهدوا في التفسير فاجتهدهم بشري ولا يخلو من سقطات وهفوات. فما تتبعته من عبارات ردّ فيها تلك الروايات تدلّ على الاحترام الذي يكنّه الشيخ لعلمائه ومشايخه، فكان نقده متأدبًا غرضه بيان الحقيقة التي لا بدّ من تحريها؛ لأنه يتعامل مع أقدس كتاب ولا مجال لتوظيف الرأي فيه.

ومن الأمثلة على أدبه في التعامل مع تلك المرويات، أنه يعرض عن ذكر قائلها ومصدر ورودها فهو يردها جملة مكتفيا بقوله قال بعضهم، أو قال بعض المفسرين.. الخ ففي قصّة ذي القرنين لما قال الله تعالى عنه: ﴿وَجَدَهَا تَطَّلُعُ عَلَى قَوْمٍ لَمْ يَجْعَلْ لَهُم مِّن دُونِهَا سِتْرًا﴾⁽¹⁾ ذكر روايات وردت في كتب التفسير منها أنّ أرضهم لا تحمل البناء، فإذا طلعت الشمس تغوروا في المياه، فإذا غربت خرجوا، وأنّ لهم آذانا طويلة يفترشون بوحدة ويتغطون بالأخرى فردّ هذه الروايات متعجبًا قائلاً: "وقد أعيدَ هذا القول عند الكثير ولم أفهم ما معنى هذا!! وكلّ هذا خراف باطل لا أصل له ولا قيمة له مطلقًا، والبعض لا يغريهم إلا أن يزيدوا مثل هذه الخرافات في القصص التي ذكرها الله في كتابه. وهذا شيء غير مرضي أبدا!"⁽²⁾ وفي قوله "والبعض" كلمة متأدبة أيضا حتى لا يظلم من لم يكن هذا غرضه أو وردت في تفسيره سهوا.

وحين بحثت وجدت أنّ الرازي في تفسيره "التفسير الكبير" والشيخ اطفيش في تفسيره "تيسير التفسير" قد أوردا مثل هذه الروايات لكنه لم يشر إليهما.⁽³⁾

(1) الكهف: الآية 90.

(2) إبراهيم بن عمر بيوض: في رحاب القرآن، ج2، ص 370.

(3) فخر الدين الرازي: مفاتيح الغيب، دار إحياء التراث العربي - بيروت ط3(1420هـ)، ج 21، ص 497. / محمد بن إبراهيم اطفيش:

تيسير التفسير، ج 5، ص 432.

الفصل الثاني..... القصص القرآني من خلال تفسير "في رحاب القرآن"

الفرع الثاني: تفصيل الشيخ بيوض في ذكر روايات تاريخية

من جانب آخر نجد أنّ الشيخ لم يلتزم بمنهجه في تناول القصة القرآنية، فقد أطنب في بعض المواضع وفصل فيها في عدّة صفحات، وإن كانت تلك الروايات التاريخية لها أهميتها التاريخية لكن لا أرى التفسير موضع

للتفصيل فيها، لأنّها تبعد ذهن القارئ عن مضمون وموضوع الآية وتجعله يتيه في تفاصيلها وتعدد آرائها.

ومن بين تلك التفصيلات إسهابه في بيان شخصية ذي القرنين: هل هو ملك أم نبيّ، وهل هو الاسكندر المقدوني وما هي أدلّة ذلك؟، أم هو "قورش"؟، ولماذا سمّي بذي القرنين، ومن أي بلد هو؟ معتمدا على بحث أبو الكلام آزاد الهندي. (1)

والشيخ بيوض ذكر السبب الذي جعله يطيل في ذكر هذه التفصيلات؛ وهو تحريّ الحقيقة حتّى تكون الانطلاقة صحيحة يقول: "كثيرا ما يضلّ الباحثون سواء في المسائل الدنيّة والعقدية أو أيّ كانت في نقطة البدء فلا ينطلقون من مبدأ سديد فيتجهون اتجاها منحرفا فكلّما أمعنوا في البحث أمعنوا في الضلال، لكنّ البداية الصّالحة هي معرفة نقطة البداية... الخ" (2) فالتحقيق في شخصية ذي القرنين ولو بشيء من التفصيل رآها الشيخ من البحوث المهمّة لأنّ معظم المفسرين ذكروا أنّ ذي القرنين هو الاسكندر المقدوني وخطأ الشيخ منطلقهم.

وما أراه هو أنّ الشيخ كان عليه أن يكتفي ببيان الرأى الصائب كما عودنا دون التفصيل فيه، والإشارة إلى المصدر الذي أخذ منه المعلومة، لأنّ الغرض من القصة ليس بيان شخصية ذي القرنين ولو كان فيه فائدة لصرّح القرآن باسمه كما صرّح باسم لقمان وغيرهم من الصّالحين الذين ذكروا في القرآن، وهذا التفصيل مظانّه كتب التاريخ والسير وليس التفسير؛ لأنّه يجيد بالقارئ عن مقصد الآية الحقيقي والله أعلم.

(1) أبو الكلام آزاد الهندي: محي الدين أحمد بن خير الدّين (1888م-1306 هـ / 1958م-1377هـ) المشهور بلقب أبو الكلام آزاد

و "آزاد" تعني في اللغة الأردية " الحر" وهو عالم من علماء الهند وأو وزير للتعليم فيها منذ الاستقلال، ألف العديد من الكتب من بينها كتاب " ترجمان القرآن" وهو ترجمة لمعاني القرآن الكريم إلى اللّغة الأوردية بالإضافة إلى دراسة عميقة لتحديد شخصية " ذي القرنين"

(موسوعة ويكيبيديا الحرة، أبو الكلام آزاد <https://ar.m.wikipedia.org>)

(2) إبراهيم بن عمر بيوض: في رحاب القرآن، ج2، ص358.

الفصل الثاني..... القصص القرآني من خلال تفسير "في رحاب القرآن"

المطلب الثالث: الترابط القصصي عند الشيخ بيوض

يعتبر الترابط القصصي عند الشيخ بيوض من المباحث المهمة التي بيّنت لحمة ووحدة القصص القرآني.

الفرع الأول: مفهوم الترابط

أقصد بالترابط التناسب وقد عرّف "التناسب" ابن العربيّ في سراج المريدين فقال: "هو ارتباط أي القرآن بعضها ببعض حتّى يكون كالكلمة الواحدة متسعة المعاني منتظمة المباني"⁽¹⁾ وعرّف السيوطي المناسبة فقال: "المناسبة في اللّغة: المشاكلة والمقاربة ومرجعها في الآيات ونحوها إلى معنى رابط بينها عام أو خاص، عقلي أو حسي، أو خيالي، أو غير ذلك من أنواع العلاقات أو التلازم الذهني، كالسبب والمسبب والعلة والمعلول والنظيرين والضدّين ونحوه، وفائدته جعل أجزاء الكلام بعضها آخذاً بأعناق بعض، فيقوى بذلك الارتباط ويصير التّأليف حاله حال البناء المحكّم المتلائم الأجزاء"⁽²⁾.
إذا فالتناسب هو الترابط.

الفرع الثاني: مفهوم الترابط القصصي

إنّ إضافة الترابط إلى القصص أقصد به ارتباط موضوع قصص القرآن الكريم بعضها ببعض، سواء كان هذا الترابط بين القصة الواحدة في سورة واحدة أو سور متعدّدة، أو بين قصص القرآن بعضه ببعض لوجود رابط بينها من حيث الموضوع أو المقاربة أو المعنى أو الضدّ... الخ، مما يفيد في وضوح المعنى وبيانه أكثر.

وإنّما سمّيتُ التناسب بين القصص في تفسير الشيخ بيوض ترابطاً؛ حتى لا يفهم على أنّه التناسب بين قصص السّورة الواحدة لأنّ التناسب عادة يقتضي التّابع والاتصال. ولأنّ معظم الدّراسات اعتنت ببيان التناسب بين القصص في السّورة الواحدة، أو مناسبة القصة لمحور السّورة وموضوعها العام.

والعلاقة بين الترابط والتناسب هو أنّ التناسب يهدف إلى بيان الانسجام والتّلاحم، بين القصص وموضوع السّورة، أمّا الترابط يفيد ذلك ويفيد أيضاً التّلاحم بين أجزاء القصة الواحدة في سور متعدّدة، وكذلك بين القصص في السّورة الواحدة، ويفيد في وضوح المعنى وبيانه أكثر والله أعلم.

(1) محمد الطاهر بن عاشور: التحرير والتنوير، ج1، ص116.

(2) جلال الدين السيوطي: الاتقان في علوم القرآن، دار الفكر بيروت-لبنان، ط 1431هـ-2010م، ج1، ص452.

الفصل الثاني..... القصص القرآني من خلال تفسير "في رحاب القرآن" الفرع الثالث: عناية الشيخ بيوض بالترابط القصصي في القرآن وأهدافه

وقد اعتنى الشيخ بيوض ببيان الترابط بين قصص القرآن الكريم، لأنها تشترك في الموضوع العام فقصص الأنبياء كلها تشترك في موضوع عام وهو الدعوة إلى التوحيد، وهو كثيرا ما يربط وقائع قصة بقصة أخرى تشابهها في الوقائع والأهداف أو تقابلها، و يختلف هدف الشيخ في بيانه لذلك الترابط بين قصص القرآن؛ فإذا كان القصص في سورة واحدة بين مدى الاتصال والانسجام الوثيق بين تلك القصص، ومدى مناسبتها لمحور السورة أو عنوان السورة، وإذا كان القصص في سور شتى فأحيانا يبين التكامل بين تلك القصص لأنهما تخدم معنى واحد فيزداد المغزى من القصة وضوحا وجلاء، وأحيانا يربط بين القصص من أجل أن ترسم الصورة الكاملة لقصة معينة وهدفه من هذا إدخال المتلقي في جو القصة.

الفرع الرابع: أنواع الترابط القصصي في تفسير الشيخ بيوض

من خلال القراءة التحليلية لتفسير الشيخ بيوض، ظهرت لي أنواع الترابط عند الشيخ بيوض وتمثل هذه الأنواع في:

أولا: الترابط بين القصص في السورة واحدة

ونعني به ذلك الترابط والانسجام بين قصص السورة الواحدة من الناحية المعنوية وذلك لأن كل قصة في القرآن جاءت لتحقيق غرض معين وهدف محدد لا تتجاوزها، وهو ما يخدم أيضا محور السورة أو الموضوع الذي تتسق فيه كل أجزاء السورة الواحدة.

وقد أبرز الشيخ الترابط بين قصص السورة الواحدة وبين العلاقة الوطيدة التي تربط هذه القصص، فالقصص لا تأتي متتالية إلا لوجود رابط وثيق بينها.

ومن الأمثلة على ذلك بيانه الترابط بين قصة أصحاب الكهف وقصة صاحب الجنين: اللتان تعالجان مسألة البعث، فقصة أصحاب الكهف كان الخلاف بين أهل ذلك الزمان شديدا في مسألة البعث، فلما بعث الله الفتية بين منكري البعث آنذاك أن البعث حق، وكذلك صاحب الجنين فقد أنكر البعث بقوله:

﴿ وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِن رُّدِدْتُ إِلَىٰ رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنْقَلَبًا ﴾ (1) والله تعالى في

ختامه للقصتين ذكر أهوال يوم القيامة وأكد على حقيقة البعث وبالتالي توضح مناسبة وترابط القصتين مع السياق القرآني ومع الغرض الذي سيقنا لأجله.

(1) الكهف: آية 36.

الفصل الثاني..... القصص القرآني من خلال تفسير "في رحاب القرآن"

ثانيا: الترابط بين القصص في سور مختلفة.

والقصّة في القرآن الكريم جاءت لغرض مشترك وهو إثبات وحدة الإله ووحدة الدين ووحدة الرّسل ووحدة طرائق الدّعوة ووحدة المصير الذي يلقاه المكذّبين، (1) فمن الطّبيعي أن نجد ترابطا بين مختلف قصص القرآن الكريم، وإن اختلف موضوعها ظاهريا لكنّها في الأصل تخدم الغرض الدّيني وهو توحيد الله عزّ وجلّ. وبين الشّيخ أيضا كيف تتكامل القصص فما كان غامضا في قصّة أظهره الله في قصّة أخرى وهذا ما توصل إليه الشّيخ من خلال قصّة موسى مع الخضر التي تنطوي تحتها العديد من الأسرار التي غفل عنها الكثيرون، فلما قتل الخضر الغلام بين الله تعالى سبب القتل أو الحكمة منه فقال: ﴿وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا أَنْ يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا﴾ (2) ولتجسيد هذه الحكمة وتصويرها ربطها الشّيخ بقصّة الولد الكافر وكأنّه يبيّن لنا مصير الغلام الذي قتله الخضر لو أبواه الله حيّا يقول الشّيخ بيّوض: "قصّ الله علينا هذه القصّة ليبيّن لنا ماذا يحدث بين الآباء والأبناء من صراع فالأبناء الصّالحاء يدعون إبنهم المتمرّد للصّلاح والتّقوى... ولكنّه كان يسخر منها بقوله: ﴿أَفِ لَكُمْ آ﴾ (3) (4) فصور لنا الله تعالى الحالة التي يكون عليه الوالدين من الخوف والرّجاء من والدي الولد وهما يسألان الله أن يهدي ولداهم إلى الطّريق المستقيم فليس لأب ولا أم القدرة على رؤية إبنهما يتعدّب، فهما مع إصراره على الكفر يحنون على ولداهما وعبر الله تعالى عن هذا الحنان بقوله: "يستغيثان" قال تعالى: ﴿وَهُمَا يَسْتَغِيثَانِ اللَّهَ وَيْلَكَ ءَأَمِنَ إِنَّ وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا﴾ (5)

فالترابط وثيق بين القصّتين فلم يرد الله بوالديّ الغلام شرّا بمقتل ولديهما بل كل الخير قد أراده لهم (6).

وكذلك بيّن الشّيخ الترابط بين قصّة أصحاب الكهف وقصّة مريم وذكريا ويحي عليهم السّلام، وجعل الرّابط بين هاتين القصص هو بيان أنّ الله تعالى ليس مقيدا بالأسباب، وأنّ قدرته عزّ وجلّ لا تخضع لنظام الكون المطّرد، فالله عزّ وجلّ فعّال لما يريد، يخرق العادة المعهودة ويخرق سنن الكون المطّردة، والله جلّ في

(1) جلال الدين السيوطي: الإتقان في علوم القرآن، ج1، ص 452.

(2) الكهف: آية 80.

(3) الأحقاف: الآية 17.

(4) إبراهيم بن عمر بيّوض: في رحاب القرآن، ج2، ص 339.

(5) الأحقاف: الآية 17.

(6) إبراهيم بن عمر بيّوض: في رحاب القرآن، ج2، ص 339.

الفصل الثاني..... القصص القرآني من خلال تفسير "في رحاب القرآن"

علاه بيّن هذا الخرق في زمن ما حتى يؤمن الناس أنّ قدرة الله تعالى صالحة لكلّ شيء، مبطلاً بذلك كلّ العلوم التي جازمت بأن هذه السنن لا يمكن مطلقاً أن تتبدّل أو تتغيّر. (1)

وفي حديثه أيضاً عن بشارة زكريّا بيحي، ذكر بشارة إبراهيم بإسحاق عليهم السّلام جميعاً، والحكمة من بيانه لهذا الرّبط هو مقارنته بين تلقي كليهما للبشارة، فمن خلال الأسلوب القرآني الذي يعبر عن حالة النبيّين حين سماع البشارة بيّن الشّيخ أفضليّة إبراهيم على زكريا عليهما السّلام مؤكّداً أنّ الأفضلية بين الأنبياء ثابتة في القرآن لقوله تعالى: ﴿ * تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ ﴾ (2) وقوله أيضاً: ﴿ * وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَى بَعْضٍ ﴾ (3) فبيّن أنّ زكريا بدأ أكثر تعجباً ﴿ قَالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا ﴾ (4) بينما لم يكن التعجب من إبراهيم جلياً حيث قال تعالى: ﴿ قَالَ أَبَشَّرْتُمُونِي عَلَىٰ أَنْ مَسَّنِيَ الْكِبَرُ فِيمَ تَبَشِّرُونَ ﴾ (5) وإمّا التعجب الشديد كان من زوجته سارة: ﴿ قَالَتْ يَوَيْلَتِي ۖ أَنَّىٰ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا ۖ إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ ﴾ (6)

كما بيّن أنّ هذه القصص (قصة مريم، وزكريّا، وإبراهيم عليهم السّلام) تترايط فيما بينها ترابطاً معنوياً، فهي كلّها تعنى ببيان قدرة الله تعالى على خرق عادة ميلاد البشر، فخلق بشراً من غير أب، وخلق بشراً من عجوز عقيم. (7)

ثالثاً: التّرايط بين أجزاء القصة الواحدة في سور مختلفة

ومن المؤكّد أنّ القصص إمّا يرد في سياق السّورة ليؤدّي وظيفته فيه، وقلّ أن ترد قصة بكلّ حلقاتها في سورة واحدة، وإمّا يأتي في سياق كل سورة من حلقاتها ما يناسب موضوع السّورة ومحورها وأهدافها، ولبيان

(1) إبراهيم بن عمر بيوض: في رحاب القرآن، ج3، ص 34.

(2) البقرة: الآية 253.

(3) الإسراء: الآية 55.

(4) مريم: الآية 08.

(5) الحجر: الآية 54.

(6) هود: الآية 72.

(7) إبراهيم بن عمر بيوض: في رحاب القرآن، ج3، ص 37-38.

الفصل الثاني..... القصص القرآني من خلال تفسير "في رحاب القرآن"

التّرابط بين حلقات القصّة الواحدة، والقصّة القرآنيّة تخضع لوحدة السّورة في القرآن ومن آثار خضوعها عدم الالتزام بالترتيب الطّبيعي لحلقات القصّة، فمرة تعرض حلقة من أوّل القصّة ومرة من وسطها ومرة من آخرها. (1)

يقوم الشّيخ بجمع أحداثها المجزأة على سور القرآن الكريم ويكمل ما جاء مختصرا بما جاء مفصّلا في سورة أخرى حتى يجعلها متسلسلة المشاهد متتالية الأحداث، فتتضح القصّة بذلك في ذهن المتلقّي، لأنّ القصّة القرآنيّة تذكر الأحداث بما يتناسب مع المقام، وما يتناسب أيضا مع أغراضها ومقاصدها، لكنّ الشّيخ يجد أنه لا ضير في أن يذكر بعض المشاهد التي لم تذكر في هذا المقام حتى تتحقق الغاية وهي الفهم العميق لكلّ قصّة من القصص.

ومثال ذلك عرضه قصّة موسى عليه السلام في سورة الشعراء فبعد أن أخبرنا القرآن الكريم عن موقف

السّحرة مع فرعون وكيف ابتلوا بالعذاب جزاء إيمانهم بموسى، انتقل مباشرة إلى مشهد خروج بني إسرائيل مع موسى عليه السّلام، وبين مواجهة موسى لفرعون وبين الخروج سنوات عديدة، لم يشر القرآن إليها في هذه السّورة، فذكر الشّيخ بيّوض ما وقع فيها من أحداث منها طغيان فرعون وجبروته فهو لم يكتف بتعذيب السحرة فقط، بل تجرّ على بني إسرائيل فأصبح يقتل أبناءهم ويستحيي نساءهم وهذا ما جاء في سورة الأعراف، وأفهم أنّ غرض الشّيخ هو أن يفهم المتلقّي أنّ فرعون لم يدع موسى وشأنه؛ فموسى من بني إسرائيل ويضربه ما يضرّ قومه.

ثمّ ذكر أيضا أحداثا قصّها الله تعالى في سورة الأعراف تحبّرنا عن العذاب الذي سلّطه الله تعالى على قوم فرعون، أولاها الأخذ بالسّنين والجفاف وقلة الرّرع والمطر والجراد والقمل والضفادع والدم، وفصّل الشّيخ في الحديث عن العذاب وما وجده قوم فرعون من نصب وتعبد حد الهلاك، حتى خضعوا وذلّوا أنفسهم والتجأوا لموسى كي يسأل الله أن يرفع عنهم البلاء، ووعدوه بالإيمان وإرسال بني إسرائيل معه لكنهم نكثوا وأخلفوا وعدهم؛ ظلّنا منهم أنهم خدعوه (2). فبهذا الإبداع في جمع أجزاء القصّة تصوّرت لدينا القصّة كاملة متسلسلة الأحداث.

وكذلك في قصّة لوط عليه السّلام اتّبع المسلك ذاته الذي سلّكه في قصّة موسى عليه السّلام، فقد جاءت

(1) أحمد أبو زيد: التناسب البياني في القرآن الكريم، ص 67.

(2) إبراهيم بن بيّوض: في رحاب القرآن، ج 7، ص 352.

الفصل الثاني..... القصص القرآني من خلال تفسير "في رحاب القرآن"

مختصرة في سور بين الله تعالى من خلالها ومن خلال مثيلاتها من القصص المختصرة أنّ طبيعة المشركين مع رسلهم واحدة من أقدم العصور إلى عصر قريش⁽¹⁾، وقصة لوط وردت مفصلة في سور أخرى من القرآن الكريم كسورة العنكبوت وسورة هود، وجمعها الشيخ في هذا المقام فأكمل مشاهدتها ورّب أحداثها وصوّر لنا القصة كاملة، لأنّها من الأهميّة بمكان لما تناولت الحديث عن قوم ارتكبوا من الفواحش أفزرها وأعظمها وهي فاحشة اللواط، وهي إتيان الذّكران والإعراض عمّا أحلّه الله تعالى من الرّواج الحلال الذي يكون بين الذّكر والأنثى، لكنّهم خالفوا الفطرة السّليمة .

هذه الفاحشة التي أخبر بها القرآن محمداً ﷺ استفحلت في مجتمعاتنا اليوم، وقد أشار الشيخ بيّوض إلى ذلك السّبب الذي جعله يفصّل في تفسير هذه القصة، والحديث عن العذاب الذي لحق قوم لوط، وسيلحق كلّ من تسوّل له نفسه الاقتراب من الفواحش عامّة، لأنّ الله تعالى يقول: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَّنَ﴾⁽²⁾ ومن خلالها يحذّر المسلمين من تفشّيها، ومن عذاب الله الذي سيلحق فاعليها فيقول: "وكذلك أهلك الله تعالى هؤلاء القوم بسبب هذه الفاحشة التي صارت تنتشر في بعض الدّول، ولا شك أنّها تنتظر الدّمار، تنتظر قنابل كقنابل هيروشيما التي أنهت الحرب العالميّة الثانية أو أفضع ولا بدّ أنّه آت لا ريب فيه ."⁽³⁾

(1) إبراهيم بن بيّوض: في رحاب القرآن، ج7، ص 417.

(2) الأنعام: الآية 151.

(3) إبراهيم بن عمر بيّوض: في رحاب القرآن، ج7، ص 444.

المبحث الثالث: أغراض القصص القرآني

في تفسير الشيخ بيوض

- المطلب الأول: العبرة والموعظة
- المطلب الثاني: تسلية النبي ﷺ
- المطلب الثالث: بيان قوّة الله تعالى وقدرته
- المطلب الرابع: الإصلاح الاجتماعي

الفصل الثاني..... القصص القرآني من خلال تفسير "في رحاب القرآن"

المبحث الثالث: أغراض القصص القرآني في تفسير الشيخ بيوض

يعتبر الشيخ بيوض أنّ الغرض الأساس الذي من أجله سيق القصص القرآني في القرآن الكريم هو العبرة والموعظة، فالله تعالى لا يقصّ من أجل التسلية، وإنما لاستنباط الأحكام التي وردت فيها، فنجده غالباً ما يستنطق العبرة من كلّ قصّة حيث يقول: "وقصص القرآن لم يُجعل إلا للتدبّر والاعتبار... إذن على كلّ واحد أن يتتبع القصّة ويفهم كلّ عبرة فيها، فإنّ في كلّ مشهد من مشاهدنا حكمة لمن فتح الله بصيرته وفتح قلبه." (1) لكنّه ومن خلال تحليله لآيات القصص بيّن لنا أغراضاً أخرى جاء القصص لتحقيقها.

المطلب الأول: العبرة والموعظة

يستخلص الشيخ من كلّ قصّة العبرة والموعظة منها، مسقطاً إيّاها على واقع المسلمين في عهد النبي ﷺ لأنّه المجتمع الأوّل الذي تلقّى آيات القرآن الكريم، ومسقطاً إيّاها على واقع المسلمين اليوم ناصحاً وداعياً إلى الالتزام بأوامر الله تعالى وتطبيقها واجتناب نواهيه، كما يدعو إلى التدبّر في مصير الأقسام السابقين الذين عصوا وطغوا واستكبروا، ورفضوا الامتثال لدعوات الأنبياء، فكان عقابهم الخزي والعار والدّمار، وفي مصير المؤمنين الذين صبروا وتحملوا الاضطهاد من أجل كلمة الحقّ وأتباع طريق الحق. يقول الشيخ بيوض رَحِمَهُ اللهُ بعد أن أتمى تفسير آيات سورة المؤمنون التي تحدّثت عن قصّة نوح " فليس قوم نوح هم المبتلون بل نحن الآن مبتلون بهذا وممتحنون " ثمّ يتساءل ما إذا كنّا سنعتبر بهذه القصّة فتندكّر ونخاف أن يفعل بنا ما فعل بقوم نوح. ويشبّه المسلم المتمسك بدينه الصّابر وقت البلايا والمصائب بالدّهب الذي إذا احترق لم يضره شيء، ويشبّه غيره بالنحاس والرصاص الذي يتأثر بسرعة إذا ما لامس النّار (2)، فهو يسقط الأمور واقعياً حتّى يقرّبها إلى أفهامنا.

والشيخ يبدو عليه التفاعل والتأثر الكبير حين يروي قصص القرآن الكريم، لما فيها من العبر التي توظف المشاعر والضّمائر فنراه في كثير من المرّات يتوجّه إلى المولى داعياً أن يربط على كلّ قلب مؤمن حين البلاء وأن يجعله من الذين يتدبّرون الآيات ويتعظون بها.

ويذكر الشيخ بيوض أنّ غرض العبرة والموعظة غرض أساسي يتفق فيه جميع المفسّرين والدّارسين للقصص القرآني، ولا أحد يشكّك فيه، لذلك أولاه عناية فائقة حتى أنّه أدرج غرض تثبيت فؤاد النبي ﷺ تحت

(1) إبراهيم بن عمر بيوض: في رحاب القرآن، ج8، ص 236.

(2) المرجع نفسه، ج5، ص 135.

الفصل الثاني..... القصص القرآني من خلال تفسير "في رحاب القرآن"

العبرة والموعظة حيث قال: " من المعلوم أنّ قصص الأنبياء وأخبار الأمم الماضية في القرآن إنّما تذكر للاتعاظ والاعتبار وليس القرآن كتاب تاريخ يسجّل الحوادث والأحداث بحسب ترتيب وقوعها الزماني غالبا، وإنّما يقصد الله تعالى إلى مواطن العبرة في القصة فيأخذها ويذكرنا بها ... وأوّل من يعتبر بها هو النبي ﷺ ". (1)

ومّا استدللّ الشيخ به على أنّ القصص القرآني جاء بغرض العبرة هو مجيء القصص مفرّقا، ومجيء القصة الواحدة أجزاء مقطّعة، وذكره في كلّ سورة ما يقتضيه المقام أو وقت النزول، لأنّ القرآن الكريم كتاب عبرة فقصة موسى عليه السلام مثلا نزلت مقسّمة في كلّ سورة يتناول الله تعالى ما تدعو إليه الحاجة وما يقتضيه سياق السورة، ويقتضيه الزمن الذي نزل فيه وإن تكرّر الحدث فإنّه يكون بأسلوب جديد يختلف اختلافا واضحا عن غيره. (2) فكلّ قصة يذكر لها عبرة ويذكر ذلك في نهاية كلّ قصة، فمثلا ذكر أنّ العبرة من قصة موسى مع الخضر هي إظهار بعض علوم الله الغيبية لموسى وقومه، والعبرة من قصة صاحب الجنتين هو إظهار صورة المؤمن الفقير الصّابر والغنيّ الكافر... الخ

الفرع الأوّل: نماذج من القصص

ففي سورة الشعراء تناولت ذهاب موسى إلى فرعون وكيف كان جداله ثمّ كيف كانت عاقبته والعبرة من ذكر هذا الجزء في هذه السورة هو حاجة النبي ﷺ وحاجة المؤمنين وحاجة المكذّبين أيضا.

أ- حاجة النبي ﷺ :

في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ نَادَى رَبُّكَ مُوسَىٰ أَنْ أُنْتِ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿١٠﴾﴾ (3) وصفهم الله جلّ وعلا بالظالمين، وفي ذلك إجماع إلى تسليّة النبي ﷺ لأنّه عانى أيضا أيّما معاناة من ظلم قومه، فهم يشتركون في صفة الظلم، وليذكره بأنّ موسى عليه السّلام أيضا أرسل إلى قوم ظالمين لأنفسهم ورسولهم وللناس عامّة. (4)

ب- حاجة المؤمنين:

وموطن العبرة في هذا الجزء يتجسّد في إيمان السّحرة وثباتهم على الحقّ لما توعدّهم فرعون بالعذاب، قال

(1) إبراهيم بن عمر بيوض: في رحاب القرآن: ج 15، ص 55.

(2) المرجع نفسه، ج 7، ص 306.

(3) الشعراء: الآية 10.

(4) إبراهيم بن عمر بيوض: في رحاب القرآن، ج 7، ص 307.

الفصل الثاني..... القصص القرآني من خلال تفسير "في رحاب القرآن"

تعالى: ﴿قَالُوا لَا ضَيْرَ إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ ﴿٥٥﴾ إِنَّا نَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطِيئَاتِنَا أَنْ كُنَّا أَوَّلَ

الْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٦﴾﴾⁽¹⁾ حيث نزلت هذه الآية لتلبي حاجة المؤمنين الذين يعانون من اضطهاد كفار قريش وتزدهم صبرا إلى صبرهم وقوة إلى قوتهم يقول بيوض رحمته الله: "إنما يريد الله أن يربط على قلوبهم بمثل هذه القصص ويسليهم بها ويقول لهم هل بلغ بكم الأمر إلى ما بلغ بسحرة فرعون من العذاب والاضطهاد.⁽²⁾

فقصة موسى عليه السلام هي دواء لكل مسلم وهو يقرأ نهاية الظلم بإغراق فرعون وجنوده، والجزاء الذي ناله المؤمنون بعد ذلك قال تعالى: ﴿كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴿٥٩﴾﴾⁽³⁾

وكذلك نحن بحاجة إلى مثل هذه القصص لنشهد تضحيات من قبلنا في سبيل إعلاء كلمة الحق، ونشهد أيضا تمسكهم بالدين وثباتهم عليه رغم المحن والشدائد التي لاقوها، ولنصبر على كل ابتلاء، فمهما عظمت ابتلاءاتنا فلن تصل إلى ما ابتلي به المؤمنون السابقون.

ولنعلم أيضا أنّ الأختيار من الناس هم من يقفون في وجه الظالم حتى ينتهي ظلمه، ولنعلم أيضا أنّ الله تعالى يجعل نصره وثوابه للأختيار من عباده ولو طال الأمد.

ومّا نستفيده أيضا أنّ باب التوبة مفتوح وأنّ الله يقبل التوبة من عباده لأنّ العبرة بالخواتيم.

ج-حاجة الكافرين

إنّنا ندرك من خلال ما سلّطه الله تعالى من العذاب على فرعون وقومه وجعلهم عبرة لمن بعدهم أنّ الحقّ ينتصر دائما ولو بعد مدة وأنّ عاقبة الظلم والكفر هو الهلاك والخسران وقد قال تعالى بعد إغراق فرعون وقومه: ﴿وَأَنْجَيْنَا مُوسَىٰ وَمَنْ مَعَهُ أَجْمَعِينَ ﴿٦٥﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخَرِينَ ﴿٦٦﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُّؤْمِنِينَ ﴿٦٧﴾﴾⁽⁴⁾. أي عبرة لمن سلك هذا الطريق فإنّ التّهاية هي العذاب والهلاك.

(1) الشعراء: الآية 50.

(2) إبراهيم بن عمر بيوض: في رحاب القرآن، ج 7 ص 344.

(3) الشعراء: الآية 59.

(4) الشعراء: الآية 65-67.

الفصل الثاني..... القصص القرآني من خلال تفسير "في رحاب القرآن"

الفرع الثاني: الفوائد والأحكام من قصص القرآن عند الشيخ بيوض

أكد الشيخ بيوض أنّ القصد من قصص القرآن الكريم هو استنباط الأحكام العمليّة التي تنفع المسلم في تشريعاته وفي تعاملاته والحكم التي تطلع العبد على ما أراد الله أن يطلع عليه عباده من أسرار في ملكوته حتى يقوى إيمان المرء، وهو يذكر ويعيد في كثير من المواضع أنّ قصص القرآن التي قصّها الله تعالى في القرآن الكريم تحوي على معين لا ينضب، يمكن للإنسان أن يستخرج ويستنبط منها على قدر ما أتاه الله تعالى من بعد نظر وفقه، فمن الفقه أن يفقه الإنسان القصص فيصل إلى عبر ومعان وأحكام واستنباطات.

فمن خلال هذه الحكم هو يقرّر أنّ القصّة القرآنيّة وبرغم أنّ مضمونها هو أخبار وقعت في أزمان مضت إلا أنّها من أعظم مواضع القرآن، صالحة لكلّ زمان ومكان، ومن الفوائد والدرر التي استخلصها الشيخ ما يلي:

أولاً: الفوائد والعبر من قصص الأنبياء

1. قصّة موسى عليه السلام:

تعتبر قصّة موسى من أكثر القصص وروداً في القرآن الكريم وفي هذه القصّة من الألفاظ والعجائب والفوائد والحكم تجعل الإنسان يقرأها بتدبّر وتمعّن، وقد نبّه الشيخ بيوض كلّما تعرّض لتفسير سورة جاءت فيها قصّة موسى عليه السلام إلى أهميّة الاطلاع على هذه القصّة وتدبّرها حيث يقول فيها: "حقاً إنّ قصّة موسى لعجيبة فمن تأملها وتدبّرها فإنّها تقويّ الإيمان في قلبه وتملأه يقينا بقدرة الله تعالى ..."⁽¹⁾

وذكر الشيخ بيوض فوائد وعبراً كثيرة وجميلة نذكر منها:

في قصّة موسى مع الخضر (عليهما السلام):

من الحكم الجليلة والمعاني العظيمة التي استخلصها وأرشد إليها الشيخ في هذه القصّة:

- أنّ كلّ شيء يقدره الله تعالى له حكمة، فلعنّ الله ينزل بلاء ليدفع به بلاء أعظم.⁽²⁾
- جواز إيقاع فساد من أجل دفع الفساد، لأنّ الفساد الذي يوصل إلى الصّلاح يعتبر صلاحاً (إذا تعلّقت منفعة أو مصلحة بشيء بحيث لا يمكن الوصول إليها إلاّ بإحداث فساد ذلك لأنّه يندرج في باب جلب المصالح من طريق إيقاع المفساد) وهذا ما استخلصه من حرق الخضر للسّفينة من أجل منفعة.⁽³⁾
- أنّ صلاح الآباء هو سبب البركة في الأبناء.

(1) إبراهيم بن عمر بيوض: في رحاب القرآن، ج 8، ص 263.

(2) المرجع نفسه: ج 2، ص 324.

(3) المرجع نفسه، ج 2، ص 332.

الفصل الثاني..... القصص القرآني من خلال تفسير "في رحاب القرآن"

- الحثّ على الإحسان إلى اليتامى.
 - حسن الصّحبة تدلّ على تقدير العلم ومعرفة مقام العلماء. (1)
 - القصّة جاءت لتقوية الإيمان في القلوب وتركيز الرّضا بالقضاء والقدر في النفوس. (2)
- ومن العبر التي التمسستها من هذه القصّة هي ضرورة المعاملة بالحسنى فالخضر عليه السّلام يعلم موسى هذا المعنى لما استطعما أهل القرية ولم يضيّفوهما فلم يكثر بهم وقابلهم بالفعل السيّء وإتّما عاملهم بالحسنى، ولذلك بنى الجدار الذي رآه يكاد ينهدم. وبناء الجدار جاء بعد رفض أهل القرية لإطعامهم مباشرة وما يدلّ عليه التعبير القرآني: ﴿فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا﴾ (3) والفاء تستعمل إذا جاء الحدث مباشرة - والله أعلم -

2. قصة مريم (عليها السّلام)

ومن العبر والأحكام التي استخلصها الشّيخ من قصّة مريم عليها السّلام:

- استحالة وقوع خرق ميلاد البشر من غير أب في المستقبل لأنّ ذلك مرتبط بانقطاع الوحي.
- التّزاوج سنّة كونيّة تشمل الحيوانات والنباتات والجماد.
- ما يحدث اليوم من ظواهر طبيعيّة ليست خرقا للعادة وإتّما هي سنن كونيّة تتّبع نظاما مطردا تحدث في فترات متباعدة.
- أفضلية الرّطب والماء على سائر الطّعام الذي يقدّم للمرأة التّفساء.
- الولد يرث من أبويه الصّفات الخلقية والخلقية إلا أن يتربّى في بيئة مغايرة لوالديه.
- بيان عظم برّ الوالدين وخطورة عقوقهما، فنقيض البر في القرآن هو الشّقاوة والجبروت. (4)

3. قصة أصحاب الكهف:

من القصص المهمّة التي أعطى من خلالها الشّيخ بيّوض رحمته الله دروسًا قيّمة وحكما نفيسة " قصة أصحاب الكهف"، ومن الحكم التي أرشد إليها:

(1) إبراهيم بن عمر بيّوض: في رحاب القرآن، ج2، من ص 284 إلى ص 314.

(2) المرجع نفسه، ج2، ص 341.

(3) الكهف: الآية 77.

(4) إبراهيم بن عمر بيّوض: في رحاب القرآن، ج3، من ص 34 إلى ص 87.

الفصل الثاني..... القصص القرآني من خلال تفسير "في رحاب القرآن"

- في قوله تعالى: ﴿فَقَالُوا أَبْنَاءُ عَلِيِّهِمْ بُنِينَآرُ يُهْمُ أَعْلَمُ بِهِمْ قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَىٰ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا﴾ (1) بيان صنفان من النَّاس؛ مؤمن وكافر، لأنَّ في القول الأول سخريَّة واستهزاء وعدم اِكْتِرَاح، فجاء ردُّ المؤمنين بالتَّأكيد "لَنَتَّخِذَنَّ" (2).

- قصَّة أصحاب الكهف وقصَّة أصحاب الجنِّين، وقصة السَّجود لآدم وما تخلَّلها، وما فيها من حكم وعبر، تقرّر قواعد وأسس هذا الدِّين. (3).

- من إعجاز الله تعالى وقدرته أنَّ أصحاب الكهف ناموا نومة هنيئة حسنة، لا يظهر عليهم أعراض النَّائمين. (4).

وما ذكرناه إمَّا هو بعضا من تلك الفوائد على سبيل المثال لا الحصر، فتفسير الشَّيخ مليء بالفوائد والعبر من القصص القرآني التي قلَّ ما يبيتها مفسر في تفسيره، ففكر الشَّيخ الإصلاحي يجعله يستقي من كلِّ قصَّة ما يعالج به قضايا مجتمعه، خاصَّة وأنَّ للقصَّة وقع وأثر كبير في النَّفوس.

المطلب الثاني: تسلية قلب النبي ﷺ

إنَّ الغرض الأساس من ذكر قصص الأنبياء في القرآن الكريم هو أن يتَّخذها النبي ﷺ ومن معه من المؤمنين نبراسًا لهم في حياتهم؛ يسيرون على هديهم ويعتبرون بمسيرتهم الدَّعوية ومواجهاتهم لأقوامهم وصبرهم على خط الدَّعوة.

فمن مقاصد القصص القرآني تخفيف الضَّغط على النبي ﷺ وردِّ ثقته بنفسه، وبث الطَّمأنينة في قلبه، وإزالة ما في صدره من همِّ وكرب، فحينما يقرأ عن الرِّسل السابقين ومعاناتهم مع أقوامهم وما لاقوه من العذاب والاضطهاد في سبيل الدَّعوة إلى الله تعالى، فإنَّ ذلك يخفِّف حزنه ويربط على قلبه ويثبته، ويزيد من صبره وتحمله العذاب والمحن التي يلاقيها هو وصحابته من كَفَّار قريش، وكذلك فهو يستفيد من حكمة الرِّسل وكيفية تعاملهم ومواجهتهم لأقوامهم.

(1) الكهف: 21.

(2) إبراهيم بن عمر بيوض: في رحاب القرآن، ج2، ص 123.

(3) المرجع نفسه، ج2، ص 416.

(4) المرجع نفسه، ج2، ص 109.

الفصل الثاني..... القصص القرآني من خلال تفسير "في رحاب القرآن"

الله تعالى ذكر هذا الغرض-تسليية قلب النبي ﷺ -صراحة في القرآن الكريم قال الله تعالى: ﴿وَكَلَّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرٌ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ (١)

هذا الغرض جاء صريحاً واضحاً في القرآن الكريم لذلك لم يغفله الشيخ بيوض، بل لم تأت آية في القرآن الكريم تتحدث عن الأقسام السابقين وعذاب الله تعالى لهم، وطغيانهم في الأرض، إلا وأشار أنّ الغاية من ذلك هو تسليية قلب النبي ﷺ وتثبيت فؤاده.

ففي قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَا مَعَهُ أَخَاهُ هَارُونَ وَزِيْرًا ﴿٣٥﴾ فَقُلْنَا أذْهَبَا إِلَى الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا فَدَمْزَلُهُمْ تَدْمِيْرًا ﴿٣٦﴾ وَقَوْمَ نُوحٍ لَمَّا كَذَبُوا الرُّسُلَ أَغْرَقْنَاهُمْ وَجَعَلْنَاهُمْ لِلنَّاسِ آيَةً وَأَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ عَذَابًا أَلِيْمًا ﴿٣٧﴾ وَعَادًا وَثَمُوْدًا وَأَصْحَابَ الرِّيسِ وَقُرُونًا بَيْنَ ذَلِكَ كَثِيْرًا ﴿٣٨﴾ وَكُلًّا ضَرَبْنَا لَهُ الْأَمْثَلُ وَكُلًّا تَبَرْنَا تَبِيْرًا ﴿٣٩﴾﴾ (٢)

حيث ذكرت الآيات تكذيب الأقسام لرسولهم موسى وهارون ونوح وعاد وثمود وأصحاب الرس قال الشيخ: "في الآية تسليية للنبي ﷺ وتوصية لقومه ليعتبروا بهذه القرون وما آلا إليه." (٣)

ثم ساق الله تعالى آيات تدلّ على غفلة كفّار قريش وعدم اعتبارهم بمن سبقهم قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا عَلَى الْقَرْيَةِ الَّتِي أَمْطَرْنَا السَّوْءَ أَفْلَمْ يَكُونُوا يَرَوْنَهَا بَلْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ نُشُورًا ﴿٤٠﴾﴾ (٤) يتحدّث الله تعالى في هذه الآية عن قوم لوط الذين أهلكهم الله تعالى وأباد قريبتهم، ولم يبق منها سوى ركاما وأثاراً، وكيف أنّ كفار قريش يَمْرُونَ عليها ولا يتّعظون وهم يعلمون أنّ الله تعالى هو مهلكهم بسبب طغيانهم، كل ذلك تذكير وتثبيت لقلب رسول الله ﷺ. (٥)

(١) هود: الآية 120.

(٢) الفرقان: الآية 35_39.

(٣) إبراهيم بن عمر بيوض: في رحاب القرآن، ج7، ص 145.

(٤) الفرقان: الآية 40.

(٥) إبراهيم بن عمر بيوض: في رحاب القرآن، ج7، ص 145.

الفصل الثاني..... القصص القرآني من خلال تفسير "في رحاب القرآن"

وكذلك يسلي الله تعالى قلب النبي ﷺ بقصة سيدنا إبراهيم عليه السلام الذي هو جدّ العرب، والعرب كلهم يعتزّون بالانتساب إليه خاصة قريش وهو بهذه القصة يخاطب عواطف النبي ﷺ ويدعوه إلى التأمل في هذه القصة، إبراهيم عليه السلام عاداه ورفض دعوته وحاربه أقرب الناس إليه وهو أبوه، ويدعوه من خلالها إلى عدم اليأس والحزن من عداوة القوم فيكفي أنه وجد من يقف إلى جانبه.

ويذكر الله تعالى القصص في سورة الشعراء متتابعاً، يسرد فيه ما عاناه أنبيأؤه من طغيان أقوامهم حتى يزيد قلبه ثباتاً، ويجعل يقينه بالله أكبر، لأنّ ما يمرّ به هو سنّة الله، وهو طريق الدعوة الشاق الذي يمرّ به كلّ نبيّ، وفي نهاية كلّ قصة يذكر الله تعالى الجانب المشرق فيها وهو انتصار الحقّ على الباطل، وفي هذا بشارة للنبيّ ﷺ أنّ البداية المحرقة ستكون نهايتها مشرقة بإذن الله، وهذا وعد الله لأنبيائه من قبل وللمؤمنين من بعد. (1)

المطلب الثالث: بيان قوّة الله تعالى وقدرته

ذكر الشيخ بيوض غرضاً آخر للقصص القرآني - خاصة تلك التي تتحدّث عن قصص الأنبياء مع أقوامهم - وهي أنّها جاءت لتبيّن بالدليل القاطع والبرهان الساطع، والحجّة القويّة المحسوسة أنّه ليس في الكون قوّة تتصرّف إلا قوّة الله تعالى، وكلّ قوى البشر والمخلوقات الأخرى لا تعدّ شيئاً بالنسبة لقدرة الله تعالى، وكلّ جبار طغى وتجرّب فإنّ ناصيته بيد الله وعاقبته إلى الدمار، واعتبر الشيخ قصة موسى عليه السلام من القصص التي تحتاج إلى تدبّر لمعانيتها الجلييلة التي تحملها، والتي أبرزت أنّ الحق سينتصر مهما طال أمده وأن الباطل سيندثر مهما بلغت قوّته إذ يقول: "حقاً إنّ قصة موسى لعجيبة، فمن تأملها وتدبرها فإنّها تقويّ الإيمان في قلبه، وتملؤه يقيناً بقدرته الله تعالى وأنّه المتصرّف الوحيد المطلق في هذا الكون وأنّه إذا أراد المكرّ بالجباة يكرّم بهم ويسخر بهم ويعاملهم معاملة يظهر بها ذلهم وضعفهم وجهلهم وفساد نظريّاتهم حتى تأتي لحظة الانتقام." (2)

فمهما بلغت قوّة المخلوق ومهما علت مكانته وازداد رزقه وعلمه فإنّ الله تعالى فوق كلّ هذا، فلا يمكن لأيّ كان أيّ يضاهاى قدرة الله تعالى وتعتبر قصة فرعون وقارون مثلاً للطغيان في المال والعلم يقول الشيخ بيوض: "ولقد ركّز الله تعالى في هذه السورة - سورة القصص - على هاتين القصتين واستعرضهما في حوالي ستين آية من مجموع آي السورة... والغرض الأوّل هو بيان أنّ لا عزّة ولا سلطان ولا العلم ولا المال يقومون لقدرة الله تعالى فإن طغى أصحاب السلطان فالله تعالى لهم بالمرصاد وعاقبتهم الذلّ والخزي والعار." (3)

(1) إبراهيم بن عمر بيوض: في رحاب القرآن، ج 7، ص 364.

(2) المرجع نفسه، ج 8، ص 263.

(3) المرجع نفسه، ج 8، ص 227.

الفصل الثاني..... القصص القرآني من خلال تفسير "في رحاب القرآن"

كما بيّن الشيخ أنّ كل علم مهما بلغ من التقدّم وكلّ مال جمع مهما بلغ من الكثرة فإن أراد به أصحابه الطغيانَ والجبروت فإنّ العاقبة هي الدمار والخراب، يضرب بذلك المثل بالدول الكبرى في العالم اليوم التي استعبدت العالم بقوّتها الصنّاعيّة والتكنولوجيّة، فقتلت الأبرياء ودقرت الحضارات كأمریکا التي هدّمت حضارة العراق وإسرائيل التي سلبت الحياة من الفلسطينيين.

هذا التطوّر في الوسائل الحربية وهذا التّفنن في القتل والقمع والتدمير مهما طال، فإنّ عذاب الله لآت وإنّ نصره لأوليائه سيتحقّق.

وذكر الشيخ أنّ الهلاك الذي لحق الطغاة وسيلحق بكل متجبرّ يكون إمّا بـ:

1. الانتقام بالقدرة الإلهية دون واسطة: كإهلاك الخسوف والإغراق وأمثلة هذه العقوبات كثيرة في القرآن الكريم.

2. الانتقام على أيدي الرّسل والمؤمنين: فالله تعالى يسلّط المرسلين والمؤمنين على الكافرين.

3. الانتقام والإهلاك بواسطة أيديهم أو أنفسهم: كأن يقتل الأخ أخاه، أو الإبن أباه والتّاريخ الإسلامي مليء بهذه التّماذج. (1)

ويوجّه الشيخ الخطاب من خلال هذه القصّة إلى كلّ طغاة هذا الزّمان أنّ الله لهم بالمرصاد يقول: "ومن تدبّر السّورة وطبّقها على العصر الحاضر يجد وكأنّها نزلت لهذا الوقت وهذا الزّمان" (2) وأنّ فرج الله آت وأنه لا محالة سينصر كلّ مستضعف في الأرض، لكن على المرء ألا يستعجل الانتقام فالله يمهّل ولا يمهّل والله يعلم متى ينتصر للمظلوم وكيف؟

ومن الاستنتاجات التي خلص إليها الشيخ من قصّة موسى مع فرعون، أنّ عظيم قدرة الله تكمن في تنوعها، فكما ينتقم من الظالمين بالقوّة والبأس فهو كذلك ينتقم منهم بالحبّ، وهذا سرّ من أسرار القدرة الإلهية وسرّ من أسرار قصّة موسى عليه السّلام، قدرة الله تتحدّى قوة فرعون الذي نادى فقال: ﴿أَنَا رَبُّكُمْ الْأَعْلَى﴾ بيّن الله له أنّ قوتك لا تساوي عند الله شيئاً، فأذله بأن انتقم منه بأبسط الأشياء وهو الحبّ قال تعالى: ﴿وَالْقَبِيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي وَلِيُصْنَعَ عَلَيَّ عَيْتِي﴾ (3)

(1) إبراهيم بن عمر بيوض: في رحاب القرآن، ج 8، ص 226.

(2) المرجع نفسه، ج 8، ص 231.

(3) طه: الآية 39.

الفصل الثاني..... القصص القرآني من خلال تفسير "في رحاب القرآن"

ومن الاستنتاجات التي ساقها ليبرهن أنّ غرض القصة هو بيان قدرة الله تعالى تفكيكه لبعض شيفرات القصة _ إن صحّ التعبير_ كولادة موسى عليه السلام في العام الذي يقتل فيه الأولاد، وفي الحب الذي أرساه الله تعالى في قلب كل من رآه، وفي قصة رميه في البحر ولماذا ساقه الله إلى بيت فرعون تحديداً، ولماذا أرجعه إلى أمه بعد ذلك؟ كل هذه الاستفهامات أجاب عنها الشيخ بيوض ويبيّن أنّ الغاية من كل هذا بيان قدرة الله تعالى التي تتحدّى كل قوّة بشرية. (1)

المطلب الرابع: الإصلاح الاجتماعي

وبما أنّ أولويات المصلحين في كلّ زمان ومكان هي إصلاح المجتمع وتلمّس الواقع والاهتمام بالمستجدّات التي تقع من حوله، والشيخ بيوض بصفة خاصّة لم يُغفل هذا، فمن أغراض القصة البارزة في تفسيره هو تربية المسلم تربية سليمة، وتنشئته على القيم العليا ليكون فرداً صالحاً في مجتمع صالح، فكان هدفه الأول من دروسه في التفسير هو تركية النفوس وتثقيف العقول، والنّهضة بالمجتمع، فكان القرآن الكريم عامّة والقصص القرآني خاصّة منبراً ومحوراً للتربية والإرشاد في مختلف مجالات الحياة. يقول الشيخ بيوض: "والقصد من الوعظ طبعاً هو توجيه الناس وإرشادهم وهدايتهم ليستقيموا على الصّراط السّوي ولقد كتب الكتاب قديماً وحديثاً في أساليب الدّعوة والدّاعية إلى الله، التي يكون لها أحسن التأثير على تقبّل الكلام والعمل بمقتضاه، ومن جملة تلك الأساليب الاستشهاد من الوقائع والأحداث ومن كلام الحكماء " ومقصده من ذلك مضاعفة الجهد في التأثير على السّامعين. (2)

ويصف لنا محمد علي دّبوز - تلميذ الشيخ بيوض - دروس الشيخ الإصلاحية التي انطلقت من القرآن الكريم والسّنّة النبوية وكيف كتب الله لها القبول بين الناس: "إنّه يتناول الأمراض الاجتماعية، ويعرض المجتمع على الكتاب والسّنّة، فبيّن خلله، وأسباب الضّعف التي ابتلي بها المسلمون، وترى الدرس يستمرّ ثلاث ساعات وفي يوم عيد، والناس خاشعون أمامه، متعطّشون، يصغون إلى الدّرس بقلوبهم وعقولهم، لا يقلقون ولا يملّون، وترى آلات التسجيل الكثيرة أمامه، يسجّل بها الناس دروسه النفيسة البليغة فينقلونها إلى بلدانهم..." (3)

(1) إبراهيم بن عمر بيوض: في رحاب القرآن، ج 8 ص 264.

(2) المرجع نفسه، ج 11، ص 102.

(3) محمّد علي دّبوز: نفضة الجزائر الحديثة، ج 1، ص 199.

الفصل الثاني..... القصص القرآني من خلال تفسير "في رحاب القرآن"

ولقد آمن الشيخ بيوض أنّ كتاب الله تعالى هو المحور الأساسي لتصحيح حياة المسلم، وتقويم سلوكه؛ لذلك اتخذ منطلقاً في إصلاحه الاجتماعي؛ وأعطى أغلب أوقاته لدروس التفسير. (1)

فقد سعى الشيخ إلى إبراز مقاصد القصة القرآنية القريبة والبعيدة، متناولاً إيّاها بالشرح والتوضيح والاستنتاج والتحليل، بكيفية تجعل مضمون الآية ودلالاتها وكأها تخاطب القارئ مباشرة؛ بحيث يتلاشى عامل الزمن فيصبح كلّ مسلم معنياً شخصياً بمدلول الآية، كل ذلك من أجل بلورة المعنى ليصبح فكراً نيراً في الأذهان ويتحوّل إلى سلوك مستقيم في الواقع. (2)

ولأننا في زمن كثير فيه التطرف والانحراف، وللأسف غاب عن كثير من المصلحين السبب الذي يمنع دخول هذه الأفكار التي تهدد عقيدة المسلم وحياته ومجتمعه؛ وهو بيان العقيدة الصحيحة والتحذير من العقائد الضالة المنحرفة ببيانها، وتفصيل القول في خطرها وأماكن انتشارها، وما تحمله من أفكار هدامة لعقيدة المسلم السليمة. يقول الأستاذ صالح حمدي متحدّثاً عن منهج الشيخ في توظيفه القصص القرآني لترسيخ العقيدة السليمة: "ومع إيمانه العميق بأنّ قصص القرآن أهم وسيلة لتقرير العقائد وتثبيتها، وإصلاح النفوس من خلالها." (3)

فحدّر من التمسك بالعادات القديمة والتقاليد الهدامة التي تولج الانسان حيز الشرك، دون أن يعي أو يعلم حجته في هذا الانجذاب وهو الوفاء لما عهده من الآباء والأجداد، فحارب المعتقدات الخاطئة، ومختلف البدع والخرافات التي كانت سائدة في قرى وادي ميزاب، ودعا إلى وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وعدم السكوت عن مثل هذه المعتقدات التي تهدم دين المرء.

أولاً: مجالات إصلاحية مهمة عاجلها الشيخ بيوض من خلال القصة القرآنية

1. المجال السياسي

أ. مظاهر الحكم الصالح والحكم الفاسد

عالج الشيخ بيوض من خلال بعض القصص القرآنية قضايا سياسية مهمة، حيث ركّز اهتمامه على إبراز فضائل ومزايا الحكم العادل وصفاته، والتّنديد بالحكم الجائر ومفاسده وما ينتج عنه من خراب وفوضى تجعل

(1) صالح بن قاسم الراعي: فقه الأولويات ودوره في الإصلاح عند الشيخ بيوض، ط (2012م) جمعية التراث - غرداية، ص 109.

(2) عبد الله بن سليمان الكندي: جهود علماء الإباضية في التفسير، رسالة ماجستير، جامعة آل البيت - الأردن، ص 97.

(3) محمد ناصر بوحجام: منهج الشيخ في عرض العقيدة، ص 116.

الفصل الثاني..... القصص القرآني من خلال تفسير "في رحاب القرآن"

الناس يملّون وتفتر همهم وعزائمهم. (1)

فمن خلال قصّة ذي القرنين وسليمان عليهما السّلام أعطى مثالا للحكّام الصّالحين في تعاملهم مع رعيّتهم، ففي قصّة ذي القرنين بيّن لنا محور القصّة ومناط الحكمة فيها وهو بيان ذي القرنين لدستوره الذي يحكم البلاد وسياسته للنّاس، فجدّد لنا صورة الحاكم الصّالح العادل التي ينبغي أن يكون عليها الحكّام، من المعاملة بالحسنى والمساواة بين النّاس؛ فمن أحسن يجازى وحقّه لا يهضم، ومن أساء وظلم يعاقب ويحاسب ولو كان أقرب النّاس.

كما ساق آيات عديدة في هذا الباب تبين السياسة الحكيمة التي شرّعها الله في كتابه وأمر النّاس أن يسلكوها، كبيان بعض القواعد الأساسيّة لسياسة الشّعوب كالتداول على السّلطة من خلال قوله تعالى:

﴿وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ﴾ (2)، فبيّن أنّ المراد بالأيّام المتداولة هو أيّام العزّ والسّلطان وانطلاقاً من تلك الآيات أكّد على أنّ القرآن الكريم ما أنزل إلا ليشرّع للنّاس ما يهتدون به ، كما دعا في كثير من المواضع إلى ضرورة الالتزام بأسباب التّمكن التي بيّنها الله في كتابه حيث قال: ﴿الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ ^ق **وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ** ﴿٤١﴾ (3)، يقول الشّيخ: "إنّ الله لم يسق قصّة ذي القرنين عبثاً، ولا لأنّ قريشا أو اليهود سألو النبي ﷺ عنه... أوليس الله تعالى هو الذي دهم إلى أن يسألوا النبي ﷺ عن ذي القرنين، حتّى يخبر الله تعالى بقصّته، وينصّ على أنّه من الملوك الصّالحين، ويخبر عن سياسته التي انتهجها في نظام الحكم وفي غزواته وفتوحاته وهذا مناط الحكمة ومحطّ الفائدة." (4)

ومن جهة أخرى ندّد بالحكم الجائر وبيّن طبيعة بعض الحكّام الفاسدة والتي تقوم على الظلم و الجبروت والاستبداد من خلال قوله تعالى: ﴿قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا

(1) علي عزوزي: لمحّة عن منهج الشّيخ بيوض في التفسير، كتاب الملتقى الأوّل لفكر الإمام الشّيخ إبراهيم بن عمر بيوض، نشر جمعية الحياة _ القرارة غرداية، ص 313.

(2) آل عمران: الآية 140.

(3) الحج: الآية 41.

(4) إبراهيم بن عمر بيوض: في رحاب القرآن، ج 2، ص 380.

الفصل الثاني..... القصص القرآني من خلال تفسير "في رحاب القرآن"

أَذَلَّةٌ وَيَكْفُرُونَ ﴿٣٤﴾⁽¹⁾، وبين الفلسفة التي يقوم عليه حكم هؤلاء من استغلال للضعفاء والفقراء من الناس، واستخدامهم في إثارة الفتن ونشر الفساد بين الناس، وضرب بفرعون مثلا في الطغيان من خلال قوله تعالى: ﴿إِنِّي فَرَعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلْ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضِعُّنَّ طَائِفَةً مِنْهُمْ يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ﴿٤١﴾⁽²⁾ الذي فرّق بين الناس وجعلهم طبقات وهو ما يعرف بالتمييز العنصري، حيث وقف الشيخ عند هذا الخلل في الحكم، فبعد أن عرض مشهد الظلم الذي لاقاه بنو إسرائيل على يد فرعون والعقاب الذي أعده الله له، ولكل من اتبع طريقته الفاسدة في حكم الرعية، دعا إلى نبذ الظلم لأنه السبب الأول في تفكيك المجتمع وإحداث التمييز العنصري، هذا الأخير الذي كانت ولا تزال نتائجه وخيمة؛ حيث استحکم بين الأجناس بصورة فاحشة، ومن ذلك تمييز الأبيض على الأسود وما يصاحبه من احتقار وإهانة وهذا ظلم كبير وتفرقة بين الناس، وأكد الشيخ أنه ينبغي أن تكون الأفضلية باعتبار الإيمان لا باعتبار الألوان والأجناس.

وأعطى أمثلة عن المجتمعات التي ساد فيها التمييز العنصري آنذاك كأمریکا التي تحبّطت في حروب ودماء بسبب الاضطهاد والظلم المتولّدين عن العنصرية بين البيض والستود وكذلك الشان في جنوب أفريقيا، والإسرائيليين الذين نصبوا أنفسهم أفضل الشعوب وشعب الله المختار.⁽³⁾

ومن التمييز أيضا ازدراء واحتقار أصحاب المهن الشاقة كالحداد وعامل النظافة وأمثالهم فالإسلام بريء من هذا، وختم كلامه بتحذيره من عذاب الله وانتقامه من كل من سوّلت له نفسه اضطهاد الناس واستعبادهم، وضرب مثلا بفرنسا التي استعبدت الجزائريين واضطهدتهم مئة وثلاثون سنة، وجعل الله هوانها وذمها على يد من استعمرتهم، وكذلك أمريكا التي تورّطت في حرب الفيتنام عام 1964، فخسرت أولادها وأموالها وأمثالهم كثر في هذا العالم.⁽⁴⁾

ويستخلص الشيخ أيضا سياسة فاسدة انتشرت بين الحكّام وهي إعطاء رتب في الدولة للمقرّبين وغالبا ما يكون هؤلاء من المفسدين، ممّا يسبب خراب وفوضى وفساد عام وساق أمثلة عن هذا لأنبياء لم تمنعهم قرابتهم من قبول العقاب على أقربائهم كنوح عليه السلام الذي هلك ابنه غرقا جزاء كفره وقال الله له: ﴿إِنَّهُمْ

(1) التمل: الآية 34.

(2) القصص: الآية 04.

(3) إبراهيم بن عمر بيوض: في رحاب القرآن، ج8، ص258.

(4) المرجع نفسه، ج 8، ص260.

الفصل الثاني..... القصص القرآني من خلال تفسير "في رحاب القرآن"

لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ ﴿١﴾ وإبراهيم عليه السلام الذي قال عنه الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَّهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ ﴿٢﴾﴾ (1)(2)، فالقرآن من خلال هذه القصص وغيرها بين أنه لا اتصال بين صالح وفاسد.

والشيخ بيوض بعد أن أفاض في معالجة مثل هذه القضايا السياسية، دعا حكام المسلمين إلى التقوى وإقامة العدل بين الناس، والعمل بأسباب التمكين التي بينها الله تعالى في كتابه، (3) والتدبر في قصة ذي القرنين التي اعتبر شخصيته مثالا حقيقيا لكل من يريد الإصلاح في الأرض يقول الشيخ: "وكانه مثال أراد الله تعالى أن يضربه لمن أراد أن يكون ملكا صالحا حقا، ويظهر لنا مقدار النزاهة ومقدار العفة وعدم الرغبة في الدنيا، لأنه خلق للإصلاح وكان قصده الإصلاح." (4)

ب. مجال الأخلاق والآداب العامة:

اهتم الشيخ بيوض بالجانب الأخلاقي فسعى من خلال دروسه وبخاصة قصص الأنبياء إلى توعية الشباب ونصحهم بضرورة تحلي الأخلاق الفاضلة والابتعاد عن مظاهر الانحلال والتقليد الأعمى للغرب يقول الشيخ: "لم يكن عملي خاصا بميدان العلم ، ولكن يتناول جميع نواحي الأمة ووظيفتي غسل العار عن الأمة، وتطهيرها من أدناسها بشباب مثقف بالثقافة الصحيحة ، أكفاء لكل ما يسند إليهم" (5) فمن قرأ تفسيره فإنه يقف على كثير من التوجيهات التي يخص بها الشباب لأن الفساد الأخلاقي ينتشر بينهم خاصة، واعتبر الشيخ إضاعة الصلاة والتهاون في أدائها بداية كل انحطاط وفساد أخلاقي، لأن الصلاة كما يقول الله تعالى:

﴿إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾ (6)

ففي قوله تعالى: ﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهْوَاتِ فَسُوفَ يَلْقَوْنَ غِيَا﴾ (7) جاءت هذه الآية في سياق الحديث عن أخلاق الأنبياء وخصالهم الحميدة التي خصهم الله بها،

(1) التوبة: الآية 114.

(2) ينظر: إبراهيم بن عمر بيوض: في رحاب القرآن، ج8، ص 259.

(3) المرجع نفسه، ج2، ص 381.

(4) المرجع نفسه، ج2، ص 384.

(5) محمد علي دبوز: أعلام الإصلاح في الجزائر، ج4، ص 106.

(6) العنكبوت: الآية 45.

(7) مريم: الآية 59.

الفصل الثاني..... القصص القرآني من خلال تفسير "في رحاب القرآن"

شخص من خلالها الشيخ الحالة المبكية والمخزية للمجتمع آنذاك (وهو اليوم أخزي) من تحليهم عن الصلاة واستخفافهم بها وازدراءهم بالمصلين الملتزمين بأوقاتها، ووصفهم بالمتخلفين، وتفضيلهم لملهيات الدنيا عليها.

كما بين أن كل ما يلهمي عن الصلاة ويصد عن ذكر الله يعتبر من الشّهوات ولو كان ذلك ألعابا جائزة، (ضرب مثلا بكرة القدم أو الذهاب إلى السينما.. الخ) ودعا إلى ضرورة الالتزام بأداء الصلاة وإقامتها على الوجه الذي يرضي الله؛ لأنها تحمي الإنسان من الإنزلاق في وحل المعاصي، وحث على حضور مجالس الذكر وحضور المواعظ التي تقدّم قبل الصلاة. ومّا أعجبي في دروس الشيخ وهو يعظ الناس ويأخذ بأيديهم ناصحا وموجهها، أنه يعود إلى التذكير بما تناوله في آخر جلسة له مع التفسير، ويؤكد على أهمية موضوع الصلاة من خلال نشرية وزارية تحث الأئمة على الالتفات إلى موضوع الأخلاق في خطبهم يقول الشيخ: "ومن غريب الأمر أن تعالج هذه التشريعية وتصف حالة المسلمين اليوم كما كنت وصفتها بالأمس، حتى يتبين لكم بأنني لم أكن مبالغا عندما وصفت تدهور الأخلاق والانحلال الذي بمعنى التحرر الفكري، الذي يوجد في جميع بلاد الإسلام خاصة في الجزائر. (1)

ومن المؤسف أنّ الدولة الآن قد حادت عن هذا المنهج الإسلامي في تطهير المجتمع من الفساد الأخلاقي، بل هي تشجّع كل فساد من خلال ترخيص بيع الخمر، وإقامة الحفلات الغنائية الفاضحة التي ينتشر فيها كلّ عري وفجور، من المؤسف جدا أن لا نجد في هرم دولتنا من ينادي بحماية المجتمع والشباب خاصة من الأفكار الغربية التي تهدم أخلاقه كما كانت تنادي من قبل، تقول التشريعية: "أيها الإخوان المؤمنون إنّ الحالة الأخلاقية قد تدهورت إلى أبعد الحدود، ممّا جعل رئيس دولتنا، الذي أصبح مسؤولا عن حاضر هذه الدولة ومستقبلها، يشعر بهذا الخطر الذي يهدد البلاد وهو يعلن رأي الأمة في هذا الموضوع بكلّ حزم... ليتمكن الشعب بمساعدة سلطاته التنفيذية من وضع حد نهائي لكلّ انحراف في التفكير وفساد الأخلاق وطيش في السلوك وخاصة لدى الشباب." (2)

ومن بين القصص التي جعلها الشيخ بيوض محورا للإصلاح الاجتماعي قصّة لوط عليه السلام؛ لما تحمله هذه القصّة من فوائد وأحكام تهدّب النفوس وتقوّم السلوك، حيث تناول الشيخ من خلال تفسيره للقصّة ما انتشر في البلدان الغربية من تفشي هذه الظواهر المنكرة وعدم اتعاضهم بآثار العذاب الذي حقّ على قوم لوط _ المتبقية تحت البحر الميت كما أثبت علماء الآثار _ ثمّ يؤكد على أنّ العذاب سيلحق بهم كما لحق قوم لوط من قبل فالله يمهّل ولا يهمل لأنّ هذه الفاحشة ما تفشّت في قوم ظاهرة كانت أو مستترة إلا نزل

(1) إبراهيم بن عمر بيوض: في رحاب القرآن، ج 3، ص 127.

(2) ينظر نص التشريعية في: المرجع نفسه، ج 3، ص 130.

الفصل الثاني..... القصص القرآني من خلال تفسير "في رحاب القرآن"

بهم البلاء والعذاب من الله تعالى، ولكي ينبهنا على خطورة هذه الفاحشة ذكر إحصائيات لدول غربية تقنن لممارسة الرذيلة قال: "ويعدّ اليوم في أمريكا حوالي عشرين مليون من الشواذ جنسيًا اتخذوا دورا رسميّة للفسق والعياذ بالله، كذلك الشّان بالنسبة للبرلمان الإنجليزي الذي صوّت فيه بإباحة الفاحشة رسميًا." (1)

استفاض الشّيخ في هذا الباب مستدلًا بالإحصائيات التي تبين مدى حجم انتشار هذه الفاحشة، كلّ ذلك ليقدم النصح للمتلقّي ويدعوه إلى الطّهارة والنّقاة والامتثال لحديث رسول الله ﷺ: "يا معشر الشّباب من استطاع منكم الباءة فليتزوّج، فإنّه أعزُّ للبصر، وأحصن للفرج، ومن لم يستطع فعليه بالصّوم فإنّه له وجاء." (2)

والعالم الإسلامي اليوم يعيش ثورة جنسيّة جامحة، يلتهث فيها أهلها خلف الغريزة يشبعونها بالحرام، كلّما انغمس فيها ازداد حاجة إليها، وأصبح الشّدوذ والانحراف الأخلاقي علنا، فصار مجتمعنا أقبح من مجتمع قوم لوط عليه السّلام.

ومّا نشاهده ونسمعه اليوم من تفشي ظاهرة اختطاف الأطفال (ذكورا وإناثا) والاعتداء عليهم والتّكيل بجنتهم خير دليل على وصفي لحالة مجتمعنا - أنّها أقبح من حالة مجتمع قوم لوط- حيث تفشّت هذه الظاهرة تفشيا مخيفا أدّت إلى انتشار حالة من الرّعب والخوف في أوساط الأسر، وأرجع العديد من المختصّين والتّفسانيين أن أسباب هذه الاختطافات عديدة لكن يبقى الاعتداء الجنسيّ السّبب الأول، فماذا ينتظر المجتمع الإسلامي غير الضّياع والدمار؟ (3)، فقوم لوط لما قلبوا الفطرة السّليمة - الرّواج بين الذكر والأنثى - قلب الله أوضاعهم وقلب عليهم ديارهم، ومن خلال قصّة لوط عليه السّلام وما هو منتشر في الأمة العربيّة والإسلاميّة من الفواحش كالزّنى واللواط والسّحاق (أو ما يسمى بزواج المثليين الذي أصبح يقنن له ويرخص له في العديد من البلدان العربيّة والغربيّة)، و حدّر من وقوع العذاب مؤكّدا على أنّ الله يهمل ولا يهمل، وما سلك قوم منهج قوم لوط إلا حلّ بهم ما حلّ بقوم لوط كما أكّد الشّيخ أنّ محاولة الإصلاح في المجتمع والرّقّي بأخلاق أفرادهم أصبح اليوم ملحا، فكيف لو عاصر وقتنا هذا فإنه سبكي دما لما آلت إليه الأمة من اتباع مخز وفاضح للشّهوات .

ب.1. الحث على الأخلاق الحسنة:

وكما حدّر الشّيخ من بعض الأخلاق القبيحة ونهى عنها، دعا إلى التحلّي بالأخلاق الفاضلة، فالأخلاق

(1) إبراهيم بن عمر بيوض: في رحاب القرآن، ج 7، ص 444.

(2) مسلم بن الحجاج النيسابوري: صحيح مسلم، كتاب النكاح، باب استحباب النكاح لمن تاقت نفسه، ج 2، ص 1019.

(3) ظاهرة الحجاب في تونس والتناقض، بتاريخ (01 أفريل 2013 www.tunisia-sat.com)

الفصل الثاني..... القصص القرآني من خلال تفسير "في رحاب القرآن"

هي سمة المجتمعات الرّاقية المتحضّرة فأينما وجدت الأخلاق فثمة الحضارة والرّقي والتّقدّم والتّبي ﷺ وهو رسول البشريّة وخاتم الأنبياء والمرسلين يقول: " إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأَتَمِّمَ مَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ " (1)

ب. 2 العفة والحياء:

استخلص الشيخ معاني كثيرة من قوله تعالى: ﴿فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ﴾ (2) بيّن من خلالها ما يجب على المرأة المسلمة من التزام بالحياء والعفاف، فبيّن الصّورة التي لا بدّ للمرأة، تكون عليها إذا خرجت لقضاء حاجتها، فلا تخرج متعطّرة متبرّجة وإتّما ترتدي لباس الحياء، من غير مباحة ولا تمايل ولا خضوع بالقول.

كما حتّ على ضرورة تعليم الفتاة هذا الخلق منذ الصّغر، فحياء المرأة هو رأس مالها، فيه عزّها وبه تحفظ كرامتها، وشرف أهلها، وليس هناك امرأة صالحة لا يزيّن الحياء خلقها، والحياء يحفظ سلوك المرأة بعيدا عن الفحش، وأقوالها بعيدا البذاءة.

كما أكّد الشّيخ أنّ خروج المرأة لقضاء مصلحة أو للعمل ليس عيباً، وليس ذلك منافع للحياء مادامت المرأة عفيفة حصينة، فابتنا شعيب خرجتا لرعي الغنم وليس ذلك منقصة لهما مادام الحياء يزيّنهما. (3)

وفي نفس السّياق يصرّو لنا الشّيخ خلق العفة والحياء أيضا مع مريم عليها السّلام.

ثانيا: آثار الإصلاح في المجتمع الإباضي

الشّيخ بيّوض رحمته الله صدق مع الله فصدقه الله، فكانت آثار نهضته الإصلاحية بارزة في المجتمع الإباضي، كان صادقا مخلصا، حازما على تطهير المجتمع من كل فساد، وتظهر نتائج الإصلاح في نقاوة وطهر المجتمع من كل أنواع الرذائل والفواحش، فلا ترى عريا، ولا مخالقات أخلاقية، ولا شعارات الموضة في نسائها وشبابها. لما زرت المجتمع الإباضي (القرارة، العطف، بني يزجن) رأيت تلك الآثار بادية في سكانها وفي عمرانها، مجتمع منظم موحد، أعراسهم منظمة، محتشمة، تحقّق الغرض الدّيني الذي لأجله شرّع الزّواج وهو تحقيق المودّة والرّحمة بين الزّوجين من خلال البساطة في تجهيز العرس والتّيسير في المهر، كما تحقّق التّآلف والمحبّة والتّضامن بين أفراد المجتمع، إذ حضرت إحدى الأعراس في القرارة فانددهشت من التنظيم المحكم للعرس، وانددهاشي الأكبر كان في الرابطة الأخوية بين سكان المنطقة، حيث تمّ في ذلك اليوم زفاف عشرة شبان صادف زفافهم يوما واحدا، وتكاليف العرس يدفعها أيسرهم فأقام عرسه وعرس الفتية التسعة الذين معه.

(1) أبو بكر البيهقي: السنن الكبرى، جماع أبواب من تجوز شهادته من الأحرار البالغين العاقلين المسلمين، باب بيان مكارم الأخلاق، تحقيق محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية بيروت ط3(1424هـ / 2003م)، ج10، ص 323.

(2) القصص: الآية 25.

(3) إبراهيم بن عمر بيوض: في رحاب القرآن، ج8، ص 314.

الفصل الثاني..... القصص القرآني من خلال تفسير "في رحاب القرآن"

وكذلك في المآتم ترى فيها احتراماً للميت، واستشعاراً لهيبة الموقف، فيسبحون الله ويهللون ويذكرون.
وتوجهت صوب مقبرة القرارة ورأيت قبر الشيخ بيوض رحمته الله، فلا ترى قبرا مبنيا، وتزيينا، مقبرة بسيطة
المعالم، تدعوك فعلا للاتعاظ والاعتبار، ومما أدهشني أنّ المقبرة من غير سياج ولا حائط ولا باب ولا حارس،
فتيقنت أنّ الأمن يعم المنطقة فلا انتشار للسحر والشعوذة، على عكس ما هو موجود في شمال الجزائر فجميع
المقبر مجهزة بالأضواء، والحراس، والسيّاج، والباب المحكم الإغلاق لانتشار أعمال السحر بكثرة هناك.

المبحث الرابع: الآراء العقدیة والفقهیة

من خلال القصة القرآنیة

● المطلب الأول: الآراء العقدیة وموقفه

منها

● المطلب الثاني: الآراء الفقهیة وموقفه

منها

الفصل الثاني..... القصص القرآني من خلال تفسير "في رحاب القرآن"

المبحث الرابع: الآراء العقديّة والفقهية من خلال القصّة القرآنية وموقفه منها

المطلب الأول: الآراء العقديّة وموقفه منها:

"إنّ العقيدة هي الأساس التي بنى عليها الشّيخ بيّوض تربيته بالتفسير، ينطلق منها ليصل إليها، يؤسّس منها وعليها ما ينطق به، وما يوضّحه، وما يشرحه، وما يقيم عليه بنيانه التربوي والتوجيهي والترشيدي والإصلاحي." (1) وإنّ طريقة تعامل الشّيخ بيّوض مع القرآن تفسيراً وتأويلاً وتحليلاً وبياناً... يبرز ويقرّر أنّ القرآن نزل أصلاً ليثبت العقيدة في القلوب و أنّ قصص القرآن أهم وسيلة لتقرير العقائد، وإصلاح النفوس، ويكشف أنّ كلّ ما يؤمر به المرء أن يأتيه وكلّ ما ينهى عنه أن يتجنّب، منطلقه العقيدة ومنتهاه العقيدة هذا المنهج القويم الذي سلكه الشّيخ مكّنه من تحقيق كثير من أهدافه في التّربية، وبلوغ غرضه من تفسير القرآن، وهو تثقيف النّاس ووعظهم ومعالجة أمراض النفوس التي تقوم به أو تساعد عليه رسوخ العقيدة في القلوب. (2)

1. تحرّره من التّعصّب المذهبي

فالشّيخ بيّوض لم يعنَ في تفسيره ببيان الخلافات العقديّة بين المذاهب ، ولا بتفاصيلها فهو يرى أن المشكلة ليست في تعدّد المذاهب ذلك أن التّعصّب المذهبي بدعة ظهرت في أتباع المذاهب الإسلاميّة أما الائمة فقد كان الواحد منهم يقول: " إذا صحّ الحديث فهو مذهبي " أو "إذا صحّ الحديث فاضربوا بكلامي عرض الحائط" (3) فهو يسعى جاهداً إلى ترسيخ العقيدة الصّحيحة مترقّعا عن التّعصّب لمذهبه الإباضي وكان يدعو إلى الحقّ من حيث هو حقّ لقوّة حجّته (4)، واعتبر مجالس الذّكر هي صمّام الأمان الذي يحمي المجتمعات من جميع الانحرافات ولأنّ لزوم هذا الطّريق يحمي المسلم من الوقوع في مستنقع الفرق الضّالة.

ومن المسائل العقديّة التي وقفت عليها ولم يكن الشّيخ موالياً لمذهبه ولم يخض فيها كما خاض فيها غيره من المفسّرين:

(1) محمد ناصر بوحجام: منهج الشّيخ في عرض العقيدة، ص 37.

(2) المرجع نفسه، ص 37، 39.

(3) إبراهيم بن عمر بيّوض: روح الشريعة الإسلامية وواقع التشريع اليوم في العالم الإسلامي، محاضرة ألقاها بالملتقى السابع للتعرف على الفكر

الإسلامي، تيزي وزّو 1393هـ / 1973م نقلا عن كتاب الفكر العقدي عند الشّيخ بيّوض وآثاره في الإصلاح، ص 191.

(4) المرجع نفسه، ص 191.

الفصل الثاني..... القصص القرآني من خلال تفسير "في رحاب القرآن"

أ. مسألة صفات الله تعالى:

يؤكد الشيخ بيوض على وجوب الإيمان بما أراد الله أن يسنده إلى نفسه من أفعال، من غير تشبيه أو تعطيل ومنهجه في التعامل مع الأسماء والصفات مرتكز على تنزيه الخالق عن مشابهة المخلوق مع الرجوع عند أي إشكال إلى قانون الله المحكم ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ (1) مؤكداً أنه لا وجه للشبه بين صفات الخالق وصفات المخلوق إلا الألفاظ. "فوجوده ليس كوجود غيره من المخلوقات، وكذا حياته وسمعه وبصره وإرادته وحبّه وبغضه، وولايته وعداوته، وكلّ شأن من شؤونه خاصّ به لا يشبهه شيء" (2)

ففي قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ يَمْوَسَى﴾ (3) لم يفصل الشيخ في بيان كيفية النداء ولا بأيّ لغة كان، ولا في كيفية سماع موسى له، ولا من أين جهة كان. يقول: "ليس لنا أن نخوض في معرفة هذا النداء... وكيف كان هذا الصوت وبأيّ لغة كان وإذا اقتضت الحكمة أن يكون بما يفهمه موسى." (4)

واكتفى الشيخ ببيان أنّ الكلام الذي خصّ الله به موسى عليه السلام هو نوع خاص وبه سمّي كليماً. ويقول في هذه المسألة: "كلّ ما يجب أن نعتقده أنّ لله الأسماء الحسنى، وهي صفاته، ولكن لا نعرف لها حقيقة إلا أنّها اتصف بها، ويكفيها هذا." (5)

وقد نوه الشيخ إلى خطورة البحث في مثل هذه المسائل وأكد على ضرورة التمسك بعقيدة السلف في كلّ ما يتعلّق بشؤون الله تعالى وصفاته وأسمائه الحسنى ونفوض فيها الأمر كلّه لله، ونهى عن محاولة التفلسف لفهم حقيقة الصفة أهي عين الذات أم زائدة عن الذات.

كما ألقى الشيخ بعبابه على الذين خاضوا في مسألة الكلام وأطالوا فيها الجدل ويرى أنّ هذا الخلاف لم يخلف إلا الفتن والفرقة بين المسلمين وتكفير بعضهم بعضاً.

(1) الشورى: الآية 11.

(2) حمو بن عيسى الشيباني: الفكر العقدي عند الشيخ بيوض، ص 218.

(3) طه: الآية 11.

(4) إبراهيم بن عمر بيوض: في رحاب القرآن، ج 3، ص 244.

(5) المرجع نفسه، ج 3، ص 280.

الفصل الثاني..... القصص القرآني من خلال تفسير "في رحاب القرآن"

كذلك في قوله تعالى: ﴿وَلْتُصْنَعْ عَلَىٰ عَيْنِي﴾ (٣٩) ﴿١﴾ وقوله: ﴿وَأَصْطَفَعْتُكَ لِنَفْسِي﴾ (٤١) ﴿٢﴾ لم يُخْضَ في بيان المقصود بالعين والتفَسُّ بل أعرض عن كل ذلك (٣).

وقد ذكر الشَّيْخُ في تفسيره أبعادا جعلته يعرض عن الخوض في المسائل العقدية التي وقع فيها الاختلاف بين علماء الأمة لخصها الدكتور حمو بن عيسى الشَّيْهاني:

"- سلامة المعتقد لأنَّ العقيدة لا تبني إلا على الدليل القطعي.

- تقوية براهين الإيمان في القلب تكون بالمنهج القرآني الفاعل.

- المحافظة على الوحدة الإسلاميَّة، لأنَّ إثارة هذه القضايا من أقوى أسباب توسيع شقَّة الخلاف المذهبي" (٤).

- أنَّ الدَّخول في كلِّ هذا - الخوض في صفات الله تعالى - ضلال، ولا يؤدِّي إلا إلى ضلال. (٥)

2. نقده للتراث الإباضي: (٦)

يشترط الشَّيْخُ لقبول أخبار العقيدة بلوغ درجة التواتر وإلا توقَّف في اعتقادها كموقفه من الرواية التي تنصَّ على أنَّ أربعة من الأنبياء لم يموتوا بعد وهم عيسى وإدريس والخضر وإلياس والتي أوردها الشَّيْخُ أبو حفص عمرو بن جميع الجري (٧) فانتهدها وبيَّن أنَّه لا توجد أدلَّة قاطعة على حياتهم وقال: "وصاحب العقيدة ﷺ ترخَّص كثيرا حين أدخل فيما سمَّاه بالعقيدة أشياء أخبر بها .. وكذلك مسألة تحديد الأنبياء والرَّسل وذكر أسمائهم" ونحن نقول مرارا لا نؤمن بعدد معيَّن، لأنَّه ربَّما يكون أقلَّ أو أكثر... إمَّا الذي يجب علينا أن نؤمن بأنبياء الله ورسله دون أن نحدِّد عددهم حتى لا نزيد فيهم من ليس منهم أو ننقص من هو منهم" (٨)

(١) طه: الآية 39

(٢) طه: الآية 41.

(٣) إبراهيم بن عمر بيوض: في رحاب القرآن: ج3، ص280.

(٤) حمو بن عيسى الشَّيْهاني: الفكر العقدي، ص217.

(٥) إبراهيم بن عمر بيوض: في رحاب القرآن، ج8، ص361.

(٦) حمو بن عيسى الشَّيْهاني: الفكر العقدي، ص199.

(٧) هو الشَّيْخُ أبو حفص عمرو بن جميع الجري من علماء القرن السابع هجري، إباضية المغرب صاحب كتاب عقيدة التَّوْحِيد (معجم أعلام

الإباضية ج2، ص317).

(٨) إبراهيم بن عمر بيوض: في رحاب القرآن ج2، ص287.

الفصل الثاني..... القصص القرآني من خلال تفسير "في رحاب القرآن"

كما نقد شيخه اطفيش في مسألة تحديد وقت نزول عيسى عليه السلام حيث نقل قوله في تيسير التفسير " سينزل عيسى إن شاء الله على ما ألهمت وروعت بعد أربعين عاما من تاريخ 1325 للهجرة"⁽¹⁾

وقال الشيخ بيوض بعد ذلك: " وكان عمري أنا في هذا التاريخ بالتحديد تسع سنوات إلا يوما... ولو كان الأمر كما قال الشيخ لكان عيسى نزل سنة 1365هـ إلا أن يكون في جزيرة غير معروفة."⁽²⁾ ونستنتج مما سبق أن الشيخ لا يتوانى عن قول الحق وبيانه، ولو كان ذلك بمخالفة أئمته وشيوخه، فاختلافه معهم ليس إقلالا من شأنهم، بل هو يقدرهم ويحترم آراءهم، لكن قاعدته ثابتة لا تتغير وهي أن أخبار العقيدة لا تقبل إلا بالخبر القطعي المتواتر، فما عدا ذلك يردّه بأدب وموضوعية ونقد علمي.

ومن المسائل العقديّة التي حاول الشيخ ترسيخها في قلوب الناس وإرشادهم إليها من خلال القصة القرآنية:

1. التحذير من مظاهر الشرك

يعتبر المجال الديني من المجالات التي ركّز عليها الشيخ بيوض في نهضته الإصلاحية، حيث طالت الطقوس التبعديّة كثير من البدع والخرافات فتصدى لتغييرها ومن ذلك مسألة اتخاذ القباب والأضرحة، والاعتقادات الباطلة في الرجال الصالحين والاستعانة بهم والدعاء بواسطتهم وهذا من الشرك بالله تعالى حيث بيّن الشيخ خطورته على دين المرء، فمن خلال قصة نوح عليه السلام وقف على هذه القضايا وعالجها وصحح تلك الاعتقادات الخاطئة ومن بين هذه المسائل:

2. مسألة اتخاذ القباب والأضرحة

لما تناول الشيخ قصة نوح عليه السلام بيّن حقيقة الآلهة التي عبدها قوم نوح في قوله تعالى: ﴿ وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴾⁽³⁾ وذكر رواية لابن عباس رضي الله عنه أن هؤلاء الآلهة الخمسة كانت لرجال صالحين، اتخذت لهم مقامات ومساجد حول قبورهم، ثم بدأ الانحراف شيئا فشيئا حتى عبدها، ثم انطلق من هذه الرواية ليتحدّث عن مسألة اتخاذ القباب والأضرحة وتقديس الرجال الصالحين، سعيًا منه إلى سدّ ذريعة الشرك بالله تعالى، والأخذ بأيدي الناس من ظلمات الجهل إلى نور الحق، فالأمة الإسلامية في أمس الحاجة إلى التوحيد وهي أمة التوحيد، وتصفية عقائد الأمة

(1) محمد بن يوسف اطفيش: تيسير التفسير، ج13، ص115.

(2) إبراهيم بن عمر بيوض: في رحاب القرآن، ج17، ص579.

(3) نوح: الآية 23

الفصل الثاني..... القصص القرآني من خلال تفسير "في رحاب القرآن"

من كلِّ مخلّفات الوثنيّة والجهل، فحدّر من انتشار الأضرحة والقباب التي تقصد للتبرّك بها، مستدلاً بحديث رسول الله ﷺ الذي ينهى عن بناء القبور واتخاذها مساجد لها، روت عائشة رضي الله عنها: "أَنَّ أُمَّ حَبِيبَةَ وَأُمَّ سَلْمَةَ ذَكَرَتَا كَنِيسَةً رَأَيْتَاهُمَا بِالْحَبَشَةِ فِيهَا تَصَاوِيرٌ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: "إِنَّ أَوْلَيْكَ إِذَا كَانَ فِيهِمُ الرَّجُلُ الصَّالِحُ فَمَاتَ، بَنَوْا عَلَى قَبْرِهِ مَسْجِدًا، وَصَوَّرُوا فِيهِ تِلْكَ الصُّورَ، فَأُولَئِكَ شِرَارُ الْخَلْقِ عِنْدَ اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ". (1)

حيث وصف حالة المجتمع آنذاك الغارق في وحل الشرك، وتأسّف لما اتّخذ الناس أضرحة لأولياء صالحين، أو علماء ومارسوا فيها كل أنواع الشرك كطلب التّفع ودفع الضّر، والتّقرّب إليها بالدّباح والنذر حتّى أصبح حالنا وحال هذه الأضرحة كما وصف الشاعر المصري حافظ إبراهيم:

أَحْيَاؤُنَا لَا يُرْزُقُونَ بِدِرْهِمٍ وَبِأَلْفِ أَلْفٍ يُرْزَقُ الْأَمْوَاتُ
مَنْ لِي بِحِطِّ النَّائِمِينَ بِحُفْرَةٍ قَامَتْ عَلَى أَحْجَارِهَا الصَّلَوَاتُ
يَسْعَى الْأَنَامُ لَهَا وَيَجْرِي حَوْلَهَا بَحْرُ التُّدُورِ وَتُقْرَأُ الْآيَاتُ. (2)

هم قد أشركوا بالله تعالى لما اعتقدوا نفعهم ولما جعلوا بينهم وبين الله واسطة، كلّ هذا هو نتيجة الجهل ونتيجة عدم فهم الدّين، والشّيخ من خلال دروسه وقف كثيرا عند هذه القضية الخطيرة التي ضربت روح الأمة الإسلاميّة في عقيدتها، ويعيد التذكير بخطورتها من موضع لآخر ومن قصّة لأخرى، ومن بين الأضرحة التي اتخذها الناس وقدسوها ضريح الشّيخ عبد القادر الجيلاني⁽³⁾، حيث بنوا له قبة في كلّ مكان قبة تسمّى سيدي عبد القادر، فالتّاس لما بلغ الجهل عندهم مبلغه لم يجعلوا تلك الأضرحة على القبور فحسب، بل بنوا أضرحة وهميّة في العديد من البلدان لشخص واحد تقديسا له وتبرّكا به اعتقادا منهم أنّه يستجيب دعواتهم ويدفع بقرابينهم أذاهم. (4)

وهذا المرض تفشّى وانتشر في بلادنا الإسلاميّة قاطبة ففي اليمن: هناك قبور ينسبونها إلى الأولياء، ويحجّون إليها، مثل قبر الحاوي والبرعي، وابن علوان والأهدل وغيره، وفي العراق: أمرّ وأدهى، حيث تجد الشرك عند

(1) مسلم بن الحجاج النيسابوري: الجامع الصحيح، كتاب المساجد، باب النهي عن بناء المسجد على القبور واتخاذ الصور فيها والنهي عن اتخاذ القبور مساجد، برقم (528)، مج1، ص 239.

(2) أحمد بن عبد العزيز بن عبد الله الحسني: دعوة الإمام محمد عبد الوهاب سلفيّة لا وهابيّة، مكتبة الملك فهد الوطنيّة، ط1 (1420هـ-1999م)، ص 451.

(3) عبد القادر الجيلاني: عبد القادر بن موسى بن عبد الله بن جنكي دوست الحسني، أبو محمد، محيي الدين الجيلاني، أو الكيلاني، أو الجيلي: مؤسس الطريقة القادرية. من كبار الزهاد والمتصوفين. ولد في جيلان (وراء طبرستان) وانتقل إلى بغداد شابا، سنة 488 هـ فاتصل بشيوخ العلم والتصوّف. (خير الدين الزركلي: الأعلام، ج4، ص 47).

(4) إبراهيم بن عمر بيوض: في رحاب القرآن، ج26، ص 43.

الفصل الثاني..... القصص القرآني من خلال تفسير "في رحاب القرآن"

القبور: الإمام أبي حنيفة... والقبر المزعوم لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه فتراهم يتوجهون إليهم بالعبادة والدعاء والذبح والاستغاثة، وطلب الحاجات ولطم الخدود وشق الجيوب.. الخ⁽¹⁾

ومع أننا اليوم في عصر وصل فيه صوت العلماء والدعاة ما وراء البحار، مبيّنين قواعد الدين وأصوله، ومحذّرين من خطورة الشرك وأنواعه، إلا أنه ما زال الكثير من الناس يقصدون تلك المزارات ويقدمون لها معتقدين بركة أصحابها.

وهذا ممّا وقفت عليه أثناء زيارتي لمدينة تلمسان بالغرب الجزائري، عام 2013م، وزيارة لمسجد الشيخ أبو مدين الغوث (ت 599هـ)⁽²⁾، بناء ضريح لهذا الشيخ الذي عرف بصلاحه بجانب المسجد وأصبح مقصدا للناس ومزارا لهم، فرأيت تماثيلهم عليه رجالا ونساءً يدعون ويبيكون، وفوجئت في فناء المقصورة التي يوجد بها الضريح هناك أيضا قبور لمشايخ وعلى الجدران آثار إشعال النار و حفرة بها تماثيل ودرهم.. الخ كل هذا من مظاهر الشرك والعياذ بالله.

والتّبيّ عليه السلام وهو على فراش موته حدّر الأمة من اتخاذ مسجدا لقبره. فعن عائشة وابن عباس رضي الله عنهما أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله لما حضرته الوفاة جعل يلقي على وجهه طرف خميصة له، فإذا اغتم كشفها عن وجهه وهو يقول: "لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ".⁽³⁾ قال الحافظ ابن حجر: "وكأنه صلى الله عليه وآله علم أنه مرتحل من ذلك المرض، فخاف أن يعظم قبره كما فعل من مضى، فلعن اليهود والنصارى إشارة إلى ذمّ من يفعل فعلهم."⁽⁴⁾

3. دفاعه عن عصمة الأنبياء

ومن المسائل العقديّة التي تّبّه إليها الشيخ ودافع عنها ووقف منها موقفا بطوليا "مسألة عصمة الأنبياء"؛ فهو يرفض المساس بشخص الأنبياء عليهم السّلام ولو بحسن نيّة، فنجدّه في كثير من المواضع يجتهد ويوظّف رأيه الخاص منفردا به غالبا حتّى يصون بشريّة ونبوّة أي نبيّ من الأنبياء، وينزّه نفسه من أيّ إساءة لأيّ نبيّ

(1) أحمد بن عبد العزيز بن عبد الله الحارثي: دعوة الإمام محمد عبد الوهاب سلفيّة لا وهابيّة، ص 451.

(2) أبو مدين الغوث: هو شعيب بن حسين الأنصاري فقيه صوفي زاهد، من مدينة فاس ولد بها ونشأ بها ونهل من معين علمائها توفي سنة 599 م بمدينة تلمسان ودفن بها وبني فيها ضريحه (عبد الحليم محمود: شيخ الشيوخ أبو مدين الغوث، دار المعارف-القاهرة ط(1985م)، ص 23)

(3) مسلم بن الحجاج النيسابوري: صحيح مسلم، كتاب المساجد ومواضع الصّلاة، باب التّهي عن بناء المساجد على القبور، ج1، ص 377.

(4) أحمد بن علي بن حجر العسقلاني: فتح الباري شرح صحيح البخاري، (قوله باب)، رقم (435)، دار المعرفة بيروت، ط(1379هـ) ج1، ص 532.

الفصل الثاني..... القصص القرآني من خلال تفسير "في رحاب القرآن"

من الأنبياء، بل ونجده يردّ أقوال كثير من المفسّرين، ويتعجّب من آرائهم، وقد أشرت في مبحث سابق إلى أدب الشيخ في ردّه على مخالفيه، لكن إذا تعلّق الأمر بنبوءة الأنبياء وعصمتهم فإنّه شديد اللّهجة قاس في الردّ عليهم، لأنّ الأنبياء هم أصفياء الله اختارهم من بين البشر، أدوا رسالة التوحيد، فلا يجوز لأيّ كان أن ينظر إلى أفعالهم بعين قاصرة، وإن كانوا بشرا وقد ذكر القرآن أخطاء صدرت من بعضهم كإبراهيم عليه السلام، وموسى و محمد ﷺ، لكن هذا لا يعني أن يتجرّأ متجرّأ أن يكتب عن أخطائهم بقلة أدب، بل عليه أن يحسن التادّب ويختار لتفسير تلك الآيات بما يتناسب مع مقامهم الذي شرفهم الله به.

من خلال منهجه في التعامل مع قصص الأنبياء يعلّمنا الشيخ أدب التعامل مع أنبياء الله، ويضرب لنا مثلا في الإيمان الحقيقي بالأنبياء عليهم السلام. يقول الشيخ: "إنّ الحقّ الذي يجب أن نعتقه أنّ الأنبياء معصومون، إلّا أنّ هذه العصمة ليست طبيعية جبلوا عليها، ولا هي مكتسبة، وإنّما هي من عند الله تعالى وهو الذي امتنّ عليهم بهذه العصمة." (1)

ويعتقد الشيخ بيّوض أنّ العصمة المحقّقة للأنبياء والرّسل من ارتكاب المعاصي كبيرها وصغيرها إنّما هي بعد النبوءة والرّسالة. (2)

ومّا لاحظته وأنا أتتبع دفاع الشيخ لأنبياء الله ورسله، أنّه يجتهد ما استطاع في إعطاء تفسير يصرف العقل عن النّظرة القاصرة والفهم القاصر لبعض حكم الله في تعليم أنبيائه، والأمثلة على ما ذكرنا كثير جدا أعرضها هنا حتى أرسم صورة شاملة عن بطولاته مع المفسّرين، واجتهاده في الدّفاع عن الأنبياء عليهم السلام، ويحاول أن يجد تأويلا لطيفا للآيات التي تحدّثت عن ذنوب الأنبياء وإن كان متفردا به ولم يقل به أحد من المفسّرين.

أ. دفاعه عن آدم عليه السلام:

في قوله تعالى: ﴿ وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾ (3)، أرجع الشيخ أكل آدم عليه السلام من الشجرة التي نهاه الله جلّ وعلا عن الأكل منها، أنّه يراد بالنهاي به عين الشجرة لا جنسها، وأنّه لم يأكل من عين الشجرة بل

(1) إبراهيم بن عمر بيّوض: في رحاب القرآن، ج1، ص 106.

(2) المرجع نفسه، ج 15، ص 230.

(3) البقرة: الآية 35.

الفصل الثاني..... القصص القرآني من خلال تفسير "في رحاب القرآن"

أكل من جنسها، ثم يقول بعد ذلك: "وعلى كل حال فهو أبونا ولا بد أن نجد له مخرجا حتى لا ينطبق عليه

قوله تعالى: ﴿ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾ (1).

ب. دفاعه عن موسى عليه السلام:

في قوله تعالى: ﴿ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ ءَادَوْا مُوسَى فَبَرَّاهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ

عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهًا ﴾ (2)

ردّ الشيخ روايات تناقلها المفسرين تمسّ بكرامة الأنبياء، ومن بين الروايات التي ردّها وحكم ببطلانه تلك الرواية التي تبين أذية بني إسرائيل لموسى عليه السلام بتهمته بعبث الأدرّة، فساق الله له الأقدار ليضطرّه إلى المرور أمام بني إسرائيل بلا ثياب وقد بدأت سوءته حتى يبرئه ممّا قالوا وتظهر للناس سلامته من كلّ عيب.

فكان الشيخ شديد اللّهجة في ردّ هذه الرواية لمخالفتها عصمة الأنبياء وكرامتهم، ولم يشفع لها ورودها في صحيح البخاري يقول الشيخ: "ولا يغزّيكم كون الرواية موجودة في بعض كتب الحديث الصّحاح كالبخاري ومسلم فقد تكون في كتب الصّحاح روايات غير مقبولة مهما كان أصحابها ثقات فقد يكون أوتوا من قبل توثيقهم لبعض الروايات الذين تبين بعد ذلك أنّهم وضّاعون كذابون" (3) بل إنّ يتعجب من المفسرين ومن مشايخه كيف أوردوها بدون نقد، وتفرد هو بنقد هذه الرواية "ولا أذكر أنّي سمعت لها نقدا أبدا، فهي تحكى وكأَنَّها قضية مسلمة ومن العجيب أن يقبل أحد هذه الحكاية" (4).

فإيذاء بني إسرائيل عند الشيخ يتمثل في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ قَدْرُونَ كَانَتْ مِنْ قَوْمِ مُوسَى فَبَغَى

عَلَيْهِمْ ﴾ (5) ثمّ أورد رواية خلاصتها أنّ قارون أراد أن يتهم موسى عليه السلام في عرضه فأغرى فاجرة

بالمال مقابل أن تقول أمام الملأ أنّ موسى كان يأتيها ويفسق معها ، فلمّا وقفت أمام الملأ أنطق الله لسانها فقالت: "إنّ قارون أعطاني مالا لأقول : إنّ موسى كان يأتيني" (6) فبذلك برّاه الله.

(1) إبراهيم بن عمر بيوض: في رحاب القرآن، ج19، ص 202.

(2) الأحزاب: الآية 69.

(3) إبراهيم بن عمر بيوض: في رحاب القرآن، ج12، ص 777.

(4) المرجع نفسه، ج12، ص 670.

(5) القصص: الآية 76.

(6) إبراهيم بن عمر بيوض: في رحاب القرآن، ج 8، ص 497.

الفصل الثاني..... القصص القرآني من خلال تفسير "في رحاب القرآن"

ج. دفاعه عن داود عليه السلام:

ما ذكره في تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَوَظَنَ دَاوُدُ أَنَّمَا فَتَتَهُ فَأَسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ﴾ (٢٤) (1)، فبين أن التّقصير والخطأ الذي جعل داود عليه السلام يستغفر الله هو تركه للعبادة وملاحقته الطّير وما كان ينبغي له أن يشغل بشيء غير عبادة الله، وهو في مقامه العالي بين يدي الله يصلي، يقول الشيخ معبّرًا ومؤكّدًا أنّ هذا رأيه هو وردّ على من قال أنّ استغفاره كان بسبب خطئه في الحكم بين الخصمين. فقال: "ويبدو لي أنّ داود قد حكم بالحق". (2)

د. مسألة القضاء والقدر

بين الشيخ من خلال الوقائع الثلاث في قصّة موسى مع الخضر (حادثة خرق السفينة، وقتل الغلام، وإقامة الجدار) أهميّة الإيمان بالقضاء والقدر، وربط هذا الرّكن بقلوب الحاضرين وحياتهم اليوميّة، يضرب الأمثلة ويستطها ليغرس في قلوبهم الإيمان اليقينيّ بأنّ ما يحدث في هذا الكون من أمور وحوادث كبيرة كانت أو صغيرة بحكمة ربّانية لا نعلمها وقد نعلم السّرّ والحكمة منها بعد إنفاذ الله لأمره وقدره.

وبين أنّ تفكير الإنسان دائما يتعلّق بالأسباب المباشرة التي تقع قبل الحادثة، والحقيقة هو أنّ الله قد هيأ أسبابا متتالية ومتطوّرة، فدعا الإنسان إلى الصّبر وعدم الجزع لما يقدره الله فلا يدري ما يحبّه الله له قال تعالى: ﴿وَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَن تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ﴾ (3)، فلمّا خرق الخضر السفينة ظنّ أصحابها وموسى أيضا أنّ قد سيء بهم لكنّ الصّلاح والخير كلّهُ في ذلك الخرق، فالملك الظالم الذي يأخذ كل سفينة غصبا لن يأخذ سفينتهم لأنّ فيها عيبا، وبذلك قدر الله لهم بذلك الخرق الاستمرار في طلب الرّزق. ولو لم يخرقها لقطع عنهم الرّزق. (4)

فمن خلال هذا التّفسير، يعلم الشيخ بيّوض المتلقّين أنّ الله لن يظلم عباده أبدا، وأنّ ما قدره الله تعالى في كلّ الحالات هو خير للإنسان، فالله تعالى بيده الخير، ولا يقدر الشّرّ أبدا.

فلو تأمّل الإنسان في ما يجري حوله، وأمّعن عقله، وتدبر آيات ربّه، لأيقن أنّ كل ما يقدره الله لحكمة، يعلمها الإنسان بعد مدّة.

(1) ص: الآية 24.

(2) البقرة: الآية 216.

(3) إبراهيم بن عمر بيّوض: في رحاب القرآن، ج 15، ص 75.

(4) المرجع نفسه، ج 2، ص 344.

الفصل الثاني..... القصص القرآني من خلال تفسير "في رحاب القرآن"

ثانيا: الآراء الفقهية وموقفه منها

لم يهمل الشيخ الجانب الفقهي في تفسيره، ولم يبالغ في إيرادها، بل اعتنى ببيان المسائل الفقهية، التي تناولتها الآيات الكريمة بما يقتضيه المقام، حتى في القصص القرآني نجد الشيخ يدخل من القصة ومن أحداثها إلى بيان مسألة فقهية مجتهدا ومرجحا وناصحا.

وإن كان في بعض المسائل نجده يقول بمذهبه الإباضي، إلا أننا لا نرى له تعصبا أبدا وإنما يقول بما يراه الأصوب، مستدلا على ما يذهب إليه بالدليل من القرآن والسنة وإذا لم يرد في مسألة ما دليلا صريحا حكم باجتهاده مراعي القواعد الكلية والمقاصد الشرعية التي جاء الدين لتحقيقها، فيناقش فتاوى العلماء من قبله ويرجح بعضها على بعض.

والمسائل الفقهية التي يعرضها الشيخ تحمل توجيهات ونصائح تلبي حاجة المجتمع، بما يعرضه من فتاوى في قضايا العصر وما جدّ في حياة الناس⁽¹⁾، كما تبرز تلك المسائل المستنبطة من القصص تعمق الشيخ لمعانيها، وربط تلك المسائل بأحداث القصة أدعى لتذكّرها وعدم نسيانها.

ومن الأمثلة على تلك المسائل والفتاوى التي استنطقها الشيخ من خلال القصة القرآنية، ما جاء في قصة خروج موسى بنبي إسرائيل:

أ. وجوب زكاة حلي المرأة وإن كانت تستخدمه للزينة:

بين الشيخ هذا الحكم لما تحدّث عن خروج بني إسرائيل مع موسى عليه السلام، واستعارة نسائهم حلي نساء الأقباط فذكر أولا الرأي القائل بعدم وجوب زكاة حلي المرأة، وحثّتهم في ذلك أنّ زكاته إعارته لأنّ النساء في عهد النبي ﷺ كنّ يعرن الذهب لبعضهنّ، ورأي آخر يحدّد مقدار الحلي المتخذ للزينة فما زاد عن المقدار الضروي وجبت فيه الزكاة، ثمّ بعدها ذكر رأي المذهب الإباضي الذي يرى عكس ذلك يقول الشيخ: "والقول الفصل عندنا في المذهب وخروجا من الخلاف هو وجوب الزكاة في الحلي متى بلغ التّصاب سواء كان قليلا أو كثيرا" فمثل هذه المسائل الخلافية التي لم يرد فيها نص صريح يتّبع طريق "الريح أو النّجاة" كما يسمونها، فالذهب والفضة تحب فيهما الزكاة باتفاق العلماء، يقول الشيخ: "وإذا كان الحق هو وجوب الزكاة فنحن في فتوانا التي نعتمدها في المذهب في هذه المسألة وأمثالها، إما راجحون أو ناجون. فإذا كان الحق

(1) إبراهيم بن عمر بيوض: فتاوى الإمام الشيخ بيوض، ترتيب وتقديم بكير بن محمد بالحاج، المطبعة العربية-غرداية، ط (1988 م) ج1،

الفصل الثاني..... القصص القرآني من خلال تفسير "في رحاب القرآن"

هو الوجوب حقًا عند الله كما يقول أئمتنا فقد نجونا من التبعة بالآداء"⁽¹⁾. وهو بقوله هذا لا يبغي أن تكون الآراء الأولى صحيحة.

وأنت تقرأ لتلك الفتاوي لا تجدها مقحمة في سرده لأحداث القصة أو مستكرهة عليها، بل يجعل الكلام مترابطا بعضه ببعض، فلما تحدّث عن استعارة نساء بني إسرائيل لحيّ الأقباط، ربطها بإعارة عائشة رضي الله عنها حليًا للنساء الفقيرات في زمن النبي صلى الله عليه وآله وهذه الاستعارة معروفة أيضا عندنا في مناسبات الأعراس، وانطلاقا من هذا ذكر رأي بعض الفقهاء وهو رأي جمهور العلماء من المالكيّة والحنابلة والشافعيّة في عدم وجوب زكاة الحلي لأنّ زكاته إعارته.

وينبّه الشيخ المفتين أن يتحرّوا في إفتائهم خاصّة في مثل هذه المسألة، وأن يعملوا بقاعدة الرّيح أو النّجاة لأنّه وكما يقول المثل: "أحزّم النّاس من تحرّى لدينه".⁽²⁾

أ. أوقات التّهّي عن الصّلاة

وكذلك في قصّة سليمان عليه السّلام لما أخبره الهدهد أنه اطلع على قوم يعبدون الشّمس من دون الله وهم قوم سبأ وملكتهم بلقيس حيث قال: ﴿وَجَدْتُهُمْ وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَزَيْنُ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ﴾⁽³⁾. بين الشيخ أن قوم سبأ كانوا يعبدون الشّمس وقت طلوعها ووقت غروبها وعند توسّطها كبد السّماء ومن هنا حرّمت الصّلاة عندنا نحن المسلمين في هذه الأوقات⁽⁴⁾.

ومن الفتاوى التي ذكرها الشيخ أيضا:

- أنه إذا قام أحدهم يصلي صلاة الفجر وكان في الرّكعة الأولى أو الثانية ثم بزغت الشّمس وظهر قرنها وجب عليه أن يقف حيث هو، فلا يركع ولا يسجد ولا يفعل شيئا حتى يكمل صلاته، وتتوسّط الشمس كبد السّماء، وكذا الأمر بالنّسبة للغروب.

(1) إبراهيم بن عمر بيوض: في رحاب القرآن، ج1، ص353.

(2) المرجع نفسه، ج7، ص553.

(3) التّمل: الآية 24

(4) المرجع نفسه، ج8، ص69.

الفصل الثاني..... القصص القرآني من خلال تفسير "في رحاب القرآن"

- إذا كان يعلم أنّ الشَّمْس ستطلع أو تغرب وهو يصلي، فعليه أن ينتظر تمام ارتفاعها أو تمام غروبها ثمّ يشرع في الصَّلَاة⁽¹⁾.

ولعلّ الشَّيخ هنا يتَّبَع طريق "الريِّح أو النَّجاة" الذي سلكه في بيانه للمسألة الأولى، فالشَّيخ من خلال كلامه عمّم الكلام صلاة الفريضة والتَّافلة لأنَّ معظم الأحاديث لم تحدّد الصَّلَاة: يقول الرِّسول ﷺ: "إِذَا بَدَأَ حَاجِبُ الشَّمْسِ فَأَخْرُجُوا الصَّلَاةَ حَتَّى تَبْرُزَ، وَإِذَا غَابَ حَاجِبُ الشَّمْسِ فَأَخْرُجُوا الصَّلَاةَ حَتَّى تَغِيبَ."⁽²⁾

ج. التقد:

ما ذهب إليه الشَّيخ في أمره بقطع الصَّلَاة وعدم إتمامها إذا دخل وقت النَّهي والمصلي في الصَّلَاة، خلاف ما ذهب إليه أهل السُّنَّة والجماعة فقد نهى النَّبي ﷺ عن قطع الصَّلَاة وأمر بإتمامها. وقد راجع الشَّيخ عيسى ما ذهب إليه الشَّيخ بيّوض فقال: "لعلّ النَّهي يراد به إنشاء الصَّلَاة في تلك الأوقات، أمّا من شرع فيها فليتمّها لقوله ﷺ "إِذَا أَدْرَكَ أَحَدُكُمْ سَجْدَةً مِنْ صَلَاةِ الْعَصْرِ، قَبْلَ أَنْ تَغْرُبَ الشَّمْسُ، فَلْيُتِمَّ صَلَاتَهُ، وَإِذَا أَدْرَكَ سَجْدَةً مِنْ صَلَاةِ الصُّبْحِ، قَبْلَ أَنْ تَطْلُعَ الشَّمْسُ، فَلْيُتِمَّ صَلَاتَهُ."⁽³⁾

وكخلاصة لكل ما سبق فإنّ الشَّيخ بيّوض أولى عناية فائقة لفهم أهداف القصّة القرآنيّة، والوقوف عند معانيها وتدبرها وإسقاطها على الواقع المعيش، كما يرجع الشَّيخ بيّوض دائما إلى التذكير بعواقب الأمم الذين عاثوا في الأرض فسادا و أنكروا دعوات أنبيائهم وهذا تحذيرا لأبناء الجيل من أن يسلكوا مسلكهم فينالوا عقابهم.

والشَّيخ بيّوض لا يجد قصّة إلا واستخرج العبرة منها موجزا ذلك وموضحا إيّاها في شكل نقاط مختصرة. كما نجد الشَّيخ لا يستعين أبدا بالإسرائيليات لشرح قصّة أو لبيان ما سكت عنه القرآن، لأنّ منهجه في ذلك هو عدم الأخذ بقصص أهل الكتاب، وعدم التّركيز على تفاصيل القصص لأنّ ذلك يبعد القارئ عن المعنى الحقيقي الذي سيقّت من أجله القصّة، فكل تفاصيل لم يذكرها القرآن لا تزيد في المعنى شيء بل تعيق التّركيز.

وكذلك الأمر بالنسبة بيان المسائل الفقهيّة والعقدية فالشَّيخ لا يخوض في تفاصيل المسائل بل يذكر باختصار بعض الآراء مرجحا ما يميل إليه.

(1) إبراهيم بن عمر بيّوض: في رحاب القرآن، ج8، ص 70.

(2) مالك بن أنس: الموطأ، باب التَّهي عن الصَّلَاة بعد الصُّبْح وبعد العصر، تحقيق: محمد مصطفى الأعظمي مؤسسة زايد بن سلطان آل نهيان للأعمال الخيرية والإنسانية - أبو ظبي - الإمارات، ط1 (1425 هـ - 2004م)، ج2، ص 307.

(3) محمد بن إسماعيل البخاري: صحيح البخاري، كتاب مواقيت الصلاة، باب من أدرك ركعة من صلاة العصر قبل الغروب، ج1، ص

الفصل الثالث

القصص القرآني من خلال تفسير "نفحات الرحمن في رياض القرآن" لمحمد بن
إبراهيم سعيد كعباش

المبحث الأول: التعريف بالشيخ كعباش وقصته مع التفسير.

المبحث الثاني: منهج الشيخ كعباش في التفسير

المبحث الثالث: طريقة الشيخ كعباش في عرض القصص القرآني

المبحث الرابع: بعض أسرار القصص القرآني في تفسير الشيخ كعباش

المبحث الخامس: أغراض القصص القرآني في تفسير الشيخ كعباش

المبحث السادس: التوجيهات العقديّة في القصّة القرآنيّة

الفصل الثالث..... القصص القرآني من خلال تفسير نفحات الرحمن في رياض القرآن

توطئة:

يتناول هذا الفصل دراسة القصّة القرآنيّة من خلال تفسير "نفحات الرّحمن في رياض القرآن" للشيخ محمّد بن إبراهيم سعيد كعباش؛ هذا المفسّر الذي يعدّ أحد رموز التّراث الإسلاميّ الذين سجّل التّاريخ أسماءهم، مخلّدا آثارهم، فكان بحقّ حلقة فريدة في سلسلة المصلحين الرّبّانيين الذين تعهّدوا كتاب الله تعالى حفظا وتدبّرا وتديسا وتلقينا وانطلقوا منه لينفضوا غبار الجهل عن هذه الأمتّة.

وكان للقصّة القرآنيّة في تفسير "نفحات الرّحمن" دورا كبيرا في الإصلاح بمختلف مجالاته العقدي، والأخلاقي والسياسي، والاجتماعي.. الخ

حيث لم يدخر الشيخ كعباش جهدا في تلخيص فكرة أو استنباط حكمة، أو تدوين فائدة من كلّ قصّة من قصص القرآن الكريم، يحاول إسقاط الواقع المعاصر على واقع الأمم السّابقة ليكشف داء الأمتّة ويبيّن العلاج، وهو الرّجوع بلا شكّ إلى القرآن الكريم؛ لأنّه دستورها ومنهاجها، ويأسرنا بأسلوبه الشّيق الممتع ليأخذنا إلى ذلك الرّمن الغابر، يتلمّس العبر والمواعظ من أخبار أمم مضت يحاول من خلالها أن يزيل رواسب الجاهليّة عن فكر هذه الأمتّة.

فكان تفسيره "نفحات الرّحمن" ثمرة جديدة تضاف إلى المكتبة الإسلاميّة، وشمعة مضيئة تنير درب الحيارى في هذا العصر لما حوى من غزارة علم وقوّة لغة وإلمام بالواقع.

المبحث الأول: التعريف بالشىخ كعباش وقصته مع التفسير.

• المطلب الأول: التعريف بالشىخ محمد بن إبراهيم سعيد

كعباش

• المطلب الثانى: قصة الشىخ مع تفسير "نفحات الرحمن"

• المطلب الثالث: مصادر الشىخ كعباش فى التفسير

الفصل الثالث..... القصص القرآني من خلال تفسير نفحات الرحمن في رياض القرآن

المبحث الأول: التعريف بالشيخ محمد سعيد كعباش وتفسيره

يعتبر الشيخ محمد بن سعيد كعباش مفسرا جزائريا معاصرا نال شهرة وذاع صيته حين ختم تفسيره نفحات الرحمن وأقيم له مهرجانا كبيرا حضره جمع غفير من الناس، وفي هذا المبحث سنتناول في نقاط مختصرة التعريف بشخصية الشيخ وتفسيره.

المطلب الأول: التعريف بالشيخ محمد بن سعيد كعباش

أولا: مولده

هو الشيخ محمد بن إبراهيم سعيد الملقب بـ: (الشيخ كعباش) من مواليد بلدية العطف ولاية غرداية، في الجنوب الجزائري خلال 1930م⁽¹⁾، حفظ القرآن الكريم في سن مبكرة⁽²⁾.

ثانيا: تعلمه والمناصب التي شغلها:

أ. تعلمه:

درس في كتاب قريته ثم ارتحل إلى القرارة عند الشيخ بيوض رحمته الله من سنة 1945 إلى سنة 1950. ثم انتقل إلى تونس حيث درس اللغة العربية والشريعة في الجامع الزيتوني، ودرس العلوم التطبيقية في المعهد الخلدوني ومن المشايخ الذين تتلمذ الشيخ على أيديهم إضافة إلى الشيخ إبراهيم بن عمر بيوض:

- الشيخ محمد الطاهر بن عاشور والشيخ محمد الرغواني في التفسير.

- والشيخ البشير النفير في أحكام القرآن.

- والشيخ اللقاني في مقاصد الشريعة، والشيخ أحمد بن ميلاد في أصول الفقه.

- تحصل على شهادة الليسانس في الأدب العربي في أوائل السبعينات من الجامعة الجزائرية.

ب. المناصب التي شغلها:

بدأ العمل في مجال التربية والتعليم أستاذا ومديرا في القطاع الديني الحر في فترة الاستعمار، ثم في القطاع

(1) محمد بن إبراهيم سعيد كعباش: رحلة العمر، ص 19.

(2) محمد بن إبراهيم سعيد كعباش: نفحات الرحمن في رياض القرآن، (دط)، تخريج الأحاديث، الفهرسة والتنسيق الفني: قاسم بن عمر حاج احمد، جمعية النهضة، العطف، غرداية، 1424هـ - 2003م، ج 1، ص ت.

الفصل الثالث.....التقص القرآن من خلال تفسير نفحات الرحمن في رياض القرآن

العمومي بعد الاستقلال الوطني حتى تقاعده عن العمل سنة 1990م. (1)

كما ساهم منذ سنة 1958م ويساهم إلى يومنا هذا كعضو ناشط في حلقة العزّابة، ويشغل حاليا منصب شيخ العزّابة، ولظروفه الصحيّة القاهرة التي حالت دون أداء مهامّه كاملة قام بتعيين لجنة تتولّى تسيير أمور الحلقة كما اشتغل كمرشد وخطيب الجمعة منذ سنة 1975م، وهو يواصل دروس الوعظ والإرشاد وتفسير القرآن الكريم بالجامع العتيق لبلدة العطف ودروسه المسجديّة تنقل عبر خيوط الهاتف لباقي مساجد البلدة فيستفيد منها الجميع. (2)

بالإضافة إلى ذلك هو عضو في إدارة جمعية النهضة التي يعود إليها فضل تحفيظ القرآن للناشئة وتعليم اللغة العربية منذ 1945م، ويعتبر مجاهدا في الثورة التحريرية له شرف العضوية في المجلس البلدي الثوري الذي نصب سنة 1961م. (3)

ج. اهتمام الشيخ كعباش بالجانب الإصلاحي

يعتبر الشيخ كعباش من رواد الإصلاح في الجزائر حيث قام بعدة إصلاحات في مجالات متعدّدة خاصّة في مجال التّعليم، حيث يرجع له الفضل في فتح المجال لتعليم البنات في وادي ميزاب، إذ كان التّعليم مقتصرًا فقط على الذّكور يقول الشيخ: " ولم تكن البنت تحظى قبل ذلك إلا بالتّعليم التلقيني غير المنظم، فأغراني الرّئيس على الإقدام لشقّ ذلك الطّريق الوعر... لا رغبة في الحصول على المنحة الموعود بها، ولكنني اقتنعت بضرورة تعليم البنات وترقية مستوى المرأة، إذا ما أردنا بحقّ إصلاح أوضاع المجتمع. " (4)

والشيخ كعباش نموذج يحتذى به في الإصلاح؛ فقد كان ولا زال يسعى بفكره وقلمه وجسده من أجل أن يرقى بالمجتمع، يدعو إلى التّجديد دون المساس بالأصول، يبارك كلّ جديد محمود في جميع المجالات، كما كان لا يتوانى عن الحضور في كلّ المناسبات والمحطات والنشاطات في مجتمعه وبلده الجزائر.

وإن قرأت لكتابه "صرخات على مسرح المجتمع" لعرفت الدور الإصلاحي الكبير الذي قام به هذا الشيخ في سنين عمره كلّها، حتى وهو على كرسيّه يشهد إنجازات بلدته وبيارتها، ويشارك أعراسهم وأتراحهم ونشاطاتهم الاجتماعيّة والسياسية بكلماته المطرزة المدبّجة.

(1) محمد بن إبراهيم سعيد كعباش: نفحات الرحمن في رياض القرآن، ج1، ص ت.

(2) محمد إبراهيم سعيد كعباش: حديث الشيخ الإمام ردا على بعض الشبهات والأوهام، جمعية النهضة، العطف، غرداية، ط (1992م)، ج1، ص4.

(3) محمد إبراهيم سعيد كعباش: نفحات الرحمن، ج1، ص "ت"، ص "ح".

(4) محمد بن إبراهيم سعيد كعباش: رحلة العمر، ص85.

الفصل الثالث..... القصص القرآني من خلال تفسير نفحات الرحمن في رياض القرآن

يقول الشيخ في مقدمة كتابه صرخات على مسرح المجتمع: " فيسعدني أيها القارئ الكريم أن أنسق لك هذه الباقية من الخطب والأحاديث التي دوت بها ساحاتنا الاجتماعية في مختلف المناسبات... وهي تعبر عن رأي يجد له قناعة مكينة لدى شريحة كبرى في مجتمعنا المدني... وحسبي بهذه المحاولة المتواضعة أي توحيت النصح الأمين والكلمة الصادقة والوفاء لعهد الله في الدعوة إلى الخير والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر... وعند اختلال الموازين، وانقلاب المفاهيم واحتدام الصراعات تتأكد مسؤولية الدعوة إلى الخير المهتمين بهدي الله في النصح والإرشاد، والتذكير بتبعية الأمانة، أمانة الدين والوطن، وهذا المجهود المتواضع يندرج في هذا القصد النبيل والغاية المثلى". (1)

ثالثاً: إنتاج الشيخ كعباش العلمي

كان للشيخ إسهامات عديدة في إثراء المكتبة الإسلامية من خلال مؤلفاته المتنوعة في التفسير والأدب والشعر والإصلاح والتاريخ وغيرها منها:

- تفسير " نفحات الرحمن في رياض القرآن". في أربعة عشر جزءاً.
- شرح الصدور لتفسير سورة التور.
- من أخلاق القرآن الوصايا العشر من وصية لقمان.
- حديث الشيخ الإمام.
- صرخات على مسرح المجتمع: هي مجموعة من الخطب والأحاديث التي ألقاها الشيخ في مختلف المناسبات الدينية والاجتماعية والسياسية.
- العطف: تاجنيت أم القرى الميزابية في ذكراها الألفية.
- جيل النهضة والإصلاح في العطفاء بلد النّظال والكفاح.
- صوت المنبر من خطب يوم الجمعة الأغر.
- رحلة العمر: وهو كتاب يلخص حياة الشيخ ونشاطاته المختلفة في شتى المجالات.
- حديث القلب وأهازيج الوجد وهو ديوان شعري لا يزال مخطوطاً كتبه بيده وقد اطلعنا عليه خلال زيارتنا لمكتبه بمقر سكنه بالعطف في 25 ديسمبر 2017.

المطلب الثاني: قصة الشيخ كعباش مع التفسير

بدأت قصة الشيخ كعباش مع التفسير حين قرّر الاهتمام بفئة الكبار الذين عاشوا تحت وطأة الجهل والأمية، فخصّص لهم وقتاً يعلمهم فيه أمور دينهم وديناهم من خلال تفسيره لبعض السور القصار مبسطاً

(1) محمد سعيد كعباش: صرخات على مسرح المجتمع، مكتبة التوفيق، العطف غرداية ط1(1437هـ-2016م)، ص 07-08.

الفصل الثالث.....التقص القرآن من خلال تفسير نفحات الرحمن في رياض القرآن

إياها لهم بالقدر والطريقة التي بها يفهمون، ثم تدرج بعدها إلى تفسير السور المتداولة في المناسبات كسورة (يس) و(الأنعام).⁽¹⁾

ولمكانة الشيخ في مجتمعه فقد تقلد مهمة الوعظ والإرشاد والفتوى إماما ومرشدا في المسجد الجامع بمدينة العطف في أواخر الستينيات، حيث أجمع رفقاءه في حلقة العزابة على أن يشرف على تفسير القرآن الكريم في المسجد "تكملة للحلقة المفقودة من تفسير الشيخ بيوض رحمته الله"⁽²⁾ يقول الشيخ واصفا شعوره وهو يقدم على تفسير القرآن: "استخرت الله وأنا بين إقدام وإحجام، وتهيب وإشفاق متمثلا قول أبي بكر الصديق رضي الله عنه:" أي سماء تظني وأي أرض تقلني إن قلت في كتاب الله برأيي؛ ولكن عزائي في تحمّل المسؤولية أنّ مشايخي الأجلاء - رحمهم الله - قد أجازوني كلّهم في التفسير والحديث بوثائق رسمية تثبت إجازتهم من طرف مشايخهم عبر سلسلة متصلة الحلقات في نسب أمانة الدين، من لدن الصحابة والتابعين."⁽³⁾

شرع الشيخ كعباش في تقديم دروس التفسير من أول المصحف بداية بسورة الفاتحة، وكان أحد رفقاءه يتولّى تسجيل الدروس في أشرطة سمعية مرتبة ومرقمة حسب ترتيب الآيات في كلّ سورة، لكن حرارة الجو الشديدة في الجنوب الجزائري أثرت على وضوح الصوت في الأشرطة المسجلة وكادت أن تلتفها، من هنا عزم الشيخ على الكتابة يقول الشيخ: "فحرّ ذلك في نفسي، إذ أرى ضياع جهدي في هذا المجال، وأنا ما أزال على قيد الحياة، فكيف بمستقبل الأجيال؟"⁽⁴⁾

كان هذا السبب حافزا للشيخ للانطلاق في رحلة الكتابة والتدوين، بكل همّة واجتهاد.⁽⁵⁾

وعن سبب تسمية الكتاب بـ: "نفحات الرحمن في رياض القرآن" يقول الشيخ: "أجل إنّها حقًا نفحات ربّانية، وإشراقات لدنيّة، أشعر بها وأحسّها وأنا على منبر المسجد، وقد استجمعت قوّة فكري واستحضرت ذاكرتي، فتزول تماما من صفحة عقلي كلّ الشواغل الدنيويّة، ويغمري فيض ربّانيّ يهتّز له كياني ويستنير به خاطري فإذا بي أغوص في بحر التأمل، تومض خلاله خطرات في ذهني، وتنقذ معانيها فتجري سلسلا على لساني."⁽⁶⁾

(1) محمد بن سعيد كعباش: رحلة العمر، ص 243.

(2) المرجع نفسه، ص 244.

(3) محمد بن سعيد كعباش: نفحات الرحمن في رياض القرآن، ج 01، ص "د".

(4) المرجع نفسه، ج 1، ص "د".

(5) المرجع نفسه، ج 1، ص "د" بتصرف.

(6) المرجع نفسه، ج 1، ص "ز".

الفصل الثالث..... القصص القرآني من خلال تفسير فحاح الرحمن في رياض القرآن

المطلب الثالث: مصادر الشيخ كعباش في التفسير

اعتمد الشيخ كعباش على جملة من التفاسير فاستفاد من بعضها في تجميع المادة العلمية، وأفاد من البعض الآخر في التحرير والتأليف، وهو غالبا ما يذكر عمّن نقل عنه وأحيانا يقتبس أقوالهم مع العزو إلى كتبهم.

أولا: في تجميع المادة العلمية:

- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل لجار الله الزمخشري (467هـ-538هـ)
- التفسير الكبير ومفاتيح الغيب للفخر الرازي (544هـ-604هـ)
- الجامع لأحكام القرآن القرطبي (ت 671هـ)
- تفسير القرآن العظيم لإسماعيل بن عمر ابن كثير (700هـ-774هـ)
- تفسير القرآن الحكيم (المنار) لمحمد رشيد رضا (ت1354هـ)

ثانيا: في التحرير والتأليف:

غير أنه في التحرير والتأليف كان معتمد الشيخ على ثلاثة تفاسير حديثة وهي:

- تيسير التفسير للشيخ القطب محمد بن يوسف اطفيش (ت 1332هـ) يرجع إليه خاصّة في الأمور العقديّة ويقول: "قال: الإمام القطب" و"قطب الأئمة".
 - التحرير والتنوير لمحمد الطاهر بن عاشور (ت1393هـ) اعتمد عليه الشيخ كثيرا في تفسيره ويقتبس أقواله ويقول: "يقول الإمام ابن عاشور"
 - التفسير المنير لوهبة الزحيلي (حيث استفاد الشيخ كعباش من منهجية الزحيلي في تفسيره، من تقسيم التفسير إلى عناوين حسب موضوع كل سورة، كما نقل عن تفسيره ويشير إليه دائما).
وغالبا الشيخ كعباش يعرض آراء هؤلاء المفسرين مكتفيا بالنقل عنهم أحيانا، ومعقبا ومناقشا أحيانا أخرى.
- وقد اعتمد الشيخ على مصادر أخرى كتفسير المراغي الذي يشير إليه كثيرا ويقتبس أقواله خاصّة في بيان التناسب بين الآيات والسور، وتفسير في ظلال القرآن لسيد قطب رحمته الله.

الفصل الثالث.....التص القرآن من خلال تفسير نفحات الرحمن في رياض القرآن

ثالثا: في الترجيح بين الآراء

اعتمد الشيخ على ما ذكرنا من مصادر فأفاد منها في مجالات متعددة، فكان ناقلا آمينا حيث عزی الأقوال إلى أصحابها موثقا ذلك بالجزء والصّفحة، ووضع ما اقتبسه بين حاضنتين، ولم يحشو تفسيره بكثرة المنقولات بل كان بارعا في الاستشهاد وتوظيف أقوالهم بما يراه الأقرب للصواب.

كما نجد الشيخ يرجح بين الأقوال بما يراه معقولا، دون الخوض في التفاصيل، إذ يكتفي فقط ببيان الأرجح مع التعليل، ومثال ذلك: ذكره لآراء المفسرين حول شخصية الرجل الذي استقبل موسى في بيته بمدين وزوجه إحدى ابنتيه:

فذكر الرأي الأول وهو قول أكثر المفسرين أنّ ذلك الرجل هو النبي شعيب عليه السلام.

ثم ذكر الرأي الثاني الذي قال به الإمام الطاهر بن عاشور وهو أنّ الرجل هو كاهن لمدين.

والرأي الثالث أنّه ليس بشعيب عليه السلام وإنما هو شيخ صالح حنكته الشيخوخة وهو الرأي الذي رجّحه الشيخ حيث يقول معللا ما ذهب إليه: "لقد قرأت تعليلا معقولا لسيد قطب في ضلاله يرجح أنّه ليس هو شعيب النبي وخلاصة تعليله أنّ شعيبا شهد مهلك قومه ولم يبق معه إلا المؤمنون به، فلا يمكن هؤلاء المؤمنين أن يسقوا قبل ابنتي نبيهم الشيخ الكبير، ولو كان هو شعيب النبي لسمعنا صوت النبوة في شيء من هذا مع موسى وقد عاش معه عشر سنوات" (1)

ويظهر لنا من خلال كثرة ما رجع إليه من مصادر حرصه على استقراء جميع الآراء، والموازنة بينها ثم الإدلاء بأقربها للصواب حسب علمه، فالشيخ لا يغيره كثرة القائلين في رأي من الآراء، بل معتمد واضح وهو المعقول والمنطقي.

(1) محمد سعيد كعباش: نفحات الرحمن في رياض القرآن، ج10، ص 201.

المبحث الثاني: منهج الشيخ كعباش في التفسير

- المطلب الأول: طريقة الشيخ كعباش في التفسير
- المطلب الثاني: التفسير النقلي والعقلي في تفسير الشيخ كعباش
- المطلب الثالث: التفصيل في مباحث مختلفة

الفصل الثالث..... القصص القرآني من خلال تفسير نفحات الرحمن في رياض القرآن

المبحث الثاني: منهج الشيخ كعباش في التفسير

اتَّبَعَ الشَّيْخُ كَعْبَاشٌ مِنْهَجًا مَتَنَاسِقًا فِي تَفْسِيرِهِ، فَطَرِيقَةُ عَرْضِهِ لِمَوَاضِعِ التَّفْسِيرِ جَعَلَتْ مِنْهُ تَفْسِيرًا مَتَمِّيزًا.

المطلب الأول: طريقة الشيخ في التفسير

يَعَدُّ تَفْسِيرَ "نَفْحَاتِ الرَّحْمَنِ" مِنْ أَنْفَسِ التَّفَاسِيرِ الْحَدِيثَةِ فِي الْجَزَائِرِ شِكْلًا وَمُضْمُونًا، فَهُوَ تَفْسِيرٌ مَنْظَّمٌ مَرْتَّبٌ مَهْدَّبٌ، اتَّبَعَ فِيهِ صَاحِبُهُ مِنْهَجِيَّةً مَوْحَدَةً وَمَنْظَمَةً وَمَتَنَاسِقَةً، إِذْ قَسَمَ الْآيَاتِ وَضَمَّنَ كُلَّ قِسْمٍ عُنْوَانًا يَشْمَلُ مَا تَحْوِيهِ الْآيَةُ مِنْ أَحْدَاثٍ وَمَوَاضِعٍ، وَتَحْتَ كُلِّ عُنْوَانٍ نَجْدُ الْآيَاتِ الْمَقْصُودِ تَفْسِيرَهَا وَبَيَانَ مَعَانِيهَا مَكْتُوبَةً بِالْخَطِّ الْعُثْمَانِي بِرَوَايَةِ وَرْشٍ عَنِ نَافِعٍ، وَامْتِازَ هَذَا التَّفْسِيرِ بِبَسَاطَةِ الْعِبَارَةِ وَوُضُوحِهَا فَهُوَ مَيْسَّرٌ لِلْمُتَقَفِّ وَالْعَامِّيِّ، كَذَلِكَ امْتِازَ بَثْرَاءِ اللَّغَةِ فَلَمْ يَمْرَ عَلَى مَفْرَدَةٍ فِيهَا غَمُوضٌ إِلَّا وَبَيَّنَّ مَعْنَاهَا اللَّغَوِيَّ مِمَّا يَسْهَلُ فَهْمُ مَعْنَى الْآيَةِ، كَمَا نَجَّدَ الشَّيْخُ يَتَفَاعَلُ بِرُوحِهِ وَفِكْرِهِ مَعَ الْآيَاتِ وَيَفِيضُ بِمِشَاعِرِهِ فِي التَّعْبِيرِ عَنِ مَدْلُولَاتِهَا، فَقَدْ أَحْسَنَ الشَّيْخُ حِينَ سَمَّاهُ: "نَفْحَاتِ الرَّحْمَنِ" فَتِلْكَ النَّفْحَاتُ نَتَلَمَّسُهَا فِي أُسْلُوبِهِ الرَّبَّانِيِّ، حِينَ يَعِيشُ مَعَ الْآيَةِ فَيَتَوَجَّهُ مِنْ خِلَالِهَا إِلَى اللَّهِ بِالِدَّعَاءِ فَفِي خَتَامِ سُورَةِ الْقَصَصِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٨﴾﴾⁽¹⁾، حَلَّقَتْ رُوحَ الشَّيْخِ مَعَ الْآيَةِ دَاعِيًا: "رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أَنْزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ."⁽²⁾

وَيَسْنَدُ الشَّيْخُ الْعِلْمَ إِلَى اللَّهِ فِي خَتَامِ كُلِّ سُورَةٍ فَمَا أَجَادَهُ فَمَنْ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى وَبِتَوْفِيقِهِ مِنْهُ وَمَا لَمْ يَصِبْهُ لَعْلَمُ الْبَشَرِ الْفَاقِصِرِ فَلَا يَكْمَلُ مَحْوَرًا مِنْ مَحَاوِرِ السُّورَةِ إِلَّا وَقَالَ: "اللَّهُ أَعْلَمُ".

وَلَقَدْ اتَّبَعَ الشَّيْخُ الْمَنْهَجِيَّةَ ذَاتَهَا مِنْ بَدَايَةِ التَّفْسِيرِ إِلَى نَهَايَتِهِ حَيْثُ تَنَاوَلَ الْمَحَاوِرَ الْآتِيَةَ:

أ. التَّقديم للسُّورة:

يَفْتَتِحُ الشَّيْخُ كَعْبَاشٌ تَفْسِيرَ السُّورَةِ بِذِكْرِ كُلِّ مَا يَتَعَلَّقُ بِالسُّورَةِ حَيْثُ التَّرْمُ بِذَلِكَ فِي أَغْلَبِ السُّورِ تَقْرِيْبًا وَتَنَاوَلَ فِي تَعْرِيفِهِ وَتَقْدِيمِهِ لِّلْسُّورَةِ النِّقَاطَ الْآتِيَةَ:

- بَيَانُ مَعْنَى اسْمِ السُّورَةِ وَمَاذَا سَمِّيَتْ بِذَلِكَ وَالْأَسْمَاءُ الْآخَرَى الَّتِي سَمِّيَتْ بِهَا السُّورَةُ.
- بَيَانُ هَلْ هِيَ مَكِّيَّةٌ أَمْ مَدِينِيَّةٌ، وَيَذْكَرُ أَحْيَانًا بَعْضَ خِصَائِصِ الْقُرْآنِ الْمَكِّيِّ أَوْ الْمَدِينِيِّ الَّتِي تَوَافَقَتْ مَعَهَا
- السُّورَةُ، فِي سُورَةِ التَّمَلُّ مِثْلًا قَالَ: "وَهِيَ مَكِّيَّةٌ... وَهِيَ تَتَّفَقُ مَعَ أَغْرَاضِ السُّورِ الْمَكِّيَّةِ فِي بَيَانِ أَصُولِ

(1) القصص: الآية 88.

(2) محمد سعيد كعباش: نفحات الرحمن، ج10، ص 259.

الفصل الثالث..... القصص القرآني من خلال تفسير فحات الرحمن في رياض القرآن

- العقيدة من الإيمان بوحداية الله، وصدق الرسالة والتبوءة، والإيمان باليوم الآخر. (1)
- ذكر ترتيبها المصحفي والتزوي.
- ذكر فضائل السورة أحيانا بما ورد من أحاديث نبوية وآثار للصحابة.
- بيان التناسب بين السورة وما قبلها في كثير من المواضع.

ب. ذكر المحاور الأساسية للسورة

يذكر الشيخ قبل الشروع في تفسير السورة الكريمة أهم المحاور التي تركز عليها بشكل واضح ومفصل، ملتزما بذلك من بداية التفسير إلى نهايته.

هذه المحاور تساعد القارئ على أخذ تصوّر عام قبل التفصيل أو ملخص جامع بعد الشرح والبيان، كما يدرك من خلالها القارئ التسلسل القرآني في عرض مواضيع السورة فيتهدي إلى الترابط المحكم بين الآيات.

وهذا المنهج يعتبره علماء التنمية البشرية من أنجح الخطوات في تقديم الدروس، لأنّ المتلقّي يدرك من البداية ما سيتمّ تناوله، ويشوّقه إلى معرفة تفاصيل كلّ محور فيساعده ذلك على التركيز والانتباه أكثر، وبالتالي يستوعب المادّة المقدّمة له ويفهمها أكثر وأكثر.

ج. التحقيق اللغوي:

لم يكتف الشيخ كعباش ببيان المعنى العام للآيات فحسب بل وعقد فصلا بعنوان "التحقيق اللغوي" يبين من خلاله المعاني اللغوية للمفردات الصعبة؛ التي تبسط معنى الآية في ذهن القارئ، وتزيل الإشكال الواقع عليها. ومن بين المواضع التي بيّن فيها كعباش المعنى اللغوي للآية في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ﴾ (2) بيّن أنّ معنى "القرن": الزمن الذي يجمع أناسا متقاربين في مسائل الحياة. في نفس السورة في آيات متتابعة تحكي أحداثا متتابعة يقول تعالى: ﴿ثُمَّ أَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قُرُونًا آخَرِينَ﴾ (3) يقول الشيخ كعباش: "القرون بمعنى الأمم" فالقرن بمعنى الزمن ومعنى الأمم كما يقول النبي ﷺ: "خَيْرُ الْقُرُونِ الْقَرْنُ الَّذِي أَنَا فِيهِمْ" (4) كما يذكر أيضا الوجوه الإعرابية للمفردة القرآنية كما في قوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ

(1) محمد سعيد كعباش: فحات الرحمن، ج10، ص 95.

(2) المؤمنون: الآية 31.

(3) المؤمنون: الآية 42.

(4) أبو نعيم أحمد بن عبد الله: حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، الطبقة الأولى من التابعين، باب زيد بن وهب، دار السعادة-مصر ط (1394هـ-1974م)، ج4، ص 172.

الفصل الثالث..... القصص القرآني من خلال تفسير فحاح الرحمن في رياض القرآن

لِسَبَاٍ فِي مَسْكِهِمْ ءَايَةٌ جَنَّاتٍ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَأَشْكُرُوا لَهُٓ بَلَدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبُّ غَفُورٌ ﴿١٥﴾ (1) قال الشيخ كعباش: "جَنَّاتٍ" بدل من "آية" ويجوز أن يكون خبر لمبتدأ محذوف، أي جَنَّاتٍ متّصل بعضها ببعض (2) ومثال ذلك كثير؛ فهو لا يستغن عن بيان إعراب أو بيان أو بديع، فتفسيره حديقة غناء وروضة فيحاء، جمع بين رونق العبارة وجمال الأسلوب، واشتمل على كل ما يحتاجه القارئ من معرفة تمكنه من فهم مقصود الله جل وعلا في قرآنه.

ت. بيان أوجه القراءة:

هو بيان أوجه القراءة في المفردة المختلف في قراءتها، فيبين أولاً القراءة التي عليها جمهور القراء ثم يذكر القراءات الأخرى، أحياناً يتخطى كعباش هذا الفصل إلى الذي بعده عندما لا يكون هناك اختلاف بين القراء في قراءة المفردة القرآنية، فاستغناؤه عن هذا الفصل دلالة على أهم على قراءة واحدة، وليس لأنّ الشيخ كعباش لم ينتهج ولم يتبع طريقة موحدة في تفسيره.

في الغالب الشيخ كعباش لا يذكر بقاء المعنى واختلافه في اختلاف القراءة فهو فقط يذكر أوجه القراءة ولا يعقب.

ث. البيان والتفسير:

يشرع الشيخ بعد هذه المقدمات في تفسير الآيات القرآنية بأسلوب مبسّط، من غير إطناب مملّ ولا اختصار مخلّ، وفق منهج التفسير التحليلي، معتمداً على القرآن الكريم كمصدر أول في التفسير ثم تأتي بعده السنّة النبويّة وأقوال الصحابة، مستخدماً أدوات المفسّر الملمّ بكلّ قواعد وأدوات التفسير، موظفاً مختلف المباحث التي يرى أنّها توضّح المعنى وتزيل اللبس؛ كبيان أسباب النزول والتأسيخ والمنسوخ وعلم المناسبات، والمباحث اللغويّة والنحويّة والعقدية والفقهية والإسقاطات الواقعية والقصص التاريخي.

(1) سبأ: الآية 15.

(2) محمد سعيد كعباش: فحاح الرحمن، ج 9، ص 174.

الفصل الثالث..... القصص القرآني من خلال تفسير نفحات الرحمن في رياض القرآن

المطلب الثاني: التفسير النقلي والعقلي في تفسير نفحات الرحمن

أولاً: التفسير النقلي

اعتمد الشيخ على تفسير القرآن بالقرآن لإيضاح معاني الآيات فمن آيات القرآن ما جاء مجملاً في موضع، وما جاء مبيناً في موضع آخر، ومنه ما فيه عموم ومنه ما فيه خصوص، ومنه ما فيه إطلاق ومنه ما فيه تقييد، ومثل هذا يفسر بعضه بعضاً. وقد وظّف الشيخ في هذا القسم من التفسير "التفسير الموضوعي" فنجده يجمع الآيات التي تعالج الموضوع الذي هو بصدد تفسيره، فتكتمل الصورة ويتّضح المعنى، ويبرز هذا المنهج في التفسير خاصّة في تفسيره لآيات القصص القرآني والذي عبّر عنه بالتكامل بين القصص بحيث يجمع الآيات في القصّة الواحدة، وكذلك بالنسبة للآيات العقديّة ولآيات الأحكام، ومن فوائد هذا اللون من التفسير إزالة إشكال التعارض الظاهري للآيات الذي يتوهمه البعض وذلك نتيجة نظرهم القاصرة في دراسة النصّ القرآني. ومن التماذج على التفسير الموضوعي في تفسير الشيخ جمعه لبعض الآيات التي فيها حمد الله تعالى في القرآن الكريم: يقول الشيخ كعباش: "تكرّر الحمد لله في القرآن على كلّ تدبّر حكيم أراد الله بخلقه في السّراء والضّراء، سيما ما كان يلهج به رسل الله وهم المثل الأعلى للإنسان الكامل"⁽¹⁾ فبعد أن ذكر الشيخ تفسيره لأمر الله تعالى لرسوله ﷺ بحمده حيث قال تعالى: ﴿قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ الَّذِينَ أُصْطَفَىٰ﴾⁽²⁾ ذكر الآيات الأخرى التي فيها حمد الأنبياء والصّالحين الله تعالى على ما منّ عليهم من نعم، كحمد نوح عليه السّلام ربّه بعد نجاته من القوم الظّالمين، وحمد سيّدنا إبراهيم على أن رزقه الله تعالى الذريّة الصّالحة، وهكذا يسوق باقي الآيات ليؤكّد أنّ منهج الأنبياء واحد.

ولا يكتفي الشيخ بجمع الآيات فقط وإنما يدعو من خلالها إلى تطبيق ما ترشد إليه الآيات، وهذا هو الفقه السّليم للآيات فلما كان الحمد على النعم خلق الأنبياء دعا الشيخ إلى التخلّق بهذا الأدب وإلى حمد الله تعالى في السّراء والضّراء، لأنّ الأقدار التي يدبّرها الله لخلقه هي كلّها خير وإن لم يدركوا سرّها⁽³⁾. كما اعتمد على السنّة النبويّة الشريفة لأتمّها تشرح وتفسّر ما جاء في القرآن الكريم حيث نوع في الأخذ من كتب السنّة فأخذ من صحيح البخاري وصحيح مسلم، مسند الرّبيع بن حبيب، والترمذي وغيرها من

(1) محمد سعيد كعباش: نفحات الرحمن، ج10، ص 141.

(2) التمل: الآية 59.

الفصل الثالث..... القصص القرآني من خلال تفسير فحاح الرحمن في رياض القرآن

كتب السنّة، كما التزم بتخريج الحديث وبيان درجته إذا كان غير صحيحا، واستشهد بأقوال الصحابة خاصة عبد الله بن عباس وعبد الله بن مسعود.

ثانيا: التفسير العقلي

اعتمد الشيخ على اللغة وأقوال العلماء وآرائه أيضا في بيان معاني بعض الآيات التي لم يرد فيها نصّ في القرآن ولا في السنّة، ويؤمن الشيخ أنّ القرآن الكريم بحر واسع عميق لا تنفذ معانيه ولا تنضب، فتظهر في كلّ مرّة معاني متجدّدة تنير الجانب المظلم في حياة كلّ مجتمع، ولذلك كانت صلاحية القرآن لكلّ زمان ومكان، فمعانيه تتجدّد وتتوالد بالتدبّر بالإمعان في آياته، ولكلّ مفسّر نظرتَه الخاصّة التي تميّزه عن باقي المفسّرين.

وقد استعان الشيخ في بيان مدلول الآيات بآراء المفسّرين واجتهاداتهم، وهو كثير النّقل لآراء الإمام الطاهر بن عاشور والشيخ اطفيش والفخر الرّازي، وسيّد قطب رحمهم الله تعالى، ثمّ يدي برأيه هو واجتهاده، ورأيه يتمثّل في موافقته لرأي أحدهم أو الإتيان برأي لم يسبق لأحدهم ذكره، وحين يعبر عن رأيه لا يجزم بقطعيّة ما ذهب إليه وإلّا يعبر عنه بما يفيد الظنّ لذلك دائما ما نجده يقول: "ويبدو لي "وبدا لي"، ففي قوله تعالى مثلا: ﴿فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾ (٢٤) (1)، ذكر رأي بعض المفسّرين من أنّ الحجارة في الآية كناية عن الأصنام التي كانوا يعبدونها من دون الله؛ فهم وهي في نار جهنّم، بينما كان للشيخ رأي آخر حيث قال: "فبدا لي أنّ اللفظ يفيد معنى أشمل من ذلك وهو الدلالة على الحرارة القصوى لنار جهنّم، وألّا ليست كالتيران التي اعتاد الناس إيقادها بمختلف الوسائل... فهذه المادّة الصّلبة الواقية تذوب في حرارتها وتصير هباءً". (2)

وقد استنتج الشيخ هذا الرّأي ولم يكتف بالرّأي الأوّل لأنّه يرى أنّ الأصنام التي تعبد لا تكون فقط من جنس الحجارة، فهي تصنع من مواد مختلفة فقاده هذا الاستنتاج إلى هذا الرّأي.

كما اعتمد الشيخ على قواعد اللغة العربيّة لفهم معاني القرآن الكريم والكشف عن أسراره "لأنّ اللغة هي الأساس في معرفة دلالات الألفاظ القرآنيّة والوقوف على سرّ إعجاز التّركيب القرآني" (3)، حيث اعتنى

(1) البقرة: الآية 24.

(2) محمد إبراهيم سعيد كعباش: فحاح الرحمن، ج 01، ص 62.

(3) حمّو بن عيسى الشّيهاني: الدّرس العقدي عند الشّيوخ كعباش، الملتقى الوطني "الشيخ محمد بن إبراهيم سعيد كعباش أديبا ومفسّرا"، جامعة عيسى غرداية (2017م)، ص 04.

الفصل الثالث..... القصص القرآني من خلال تفسير فحاح الرحمن في رياض القرآن

بيان مختلف المباحث اللغوية من نحو وصرف، وإعراب وبلاغة من غير إطناب، وإنما يبين فقط ما يعين في فهم الآية، ويكشف عن مدلولها، فالقرآن نزل بلغة عربية فلا بدّ من الرجوع إلى قواعد هذه اللغة التي قد لا نفهم ما يحيط بالآية من معاني إلا بالرجوع إليها.

كما استعان الشيخ بالشعر العربي القديم والحديث يستشهد به على معنى تارة، ويشرح به لفظة قرآنية تارة أخرى، ففي قوله تعالى: ﴿فَمَا لَنَا مِنْ شَافِعِينَ ﴿١١﴾ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ ﴿١٢﴾﴾⁽¹⁾ بين الشيخ معنى "حميم" في الآية الكريمة وهو "الشخص الذي يهتمّ بأمورك دون أن تطلب منه شيء"⁽²⁾ وأنّ هذا النوع من الأصدقاء قليل؛ مستشهدا بقول الشاعر:

وَمَا أَكْثَرَ الْإِخْوَانَ حِينَ تَعُدُّهُمْ وَلَكِنَّهُمْ فِي النَّائِبَاتِ قَلِيلٌ.⁽³⁾

المطلب الثالث: التفصيل في مباحث مختلفة

فصل الشيخ كعباش الحديث في المواضيع المهمة خاصة فيما يتعلّق بمواضيع علوم القرآن.

الفرع الأوّل: عناية الشيخ كعباش بمباحث علوم القرآن

أولاً: بيان أسباب النزول

اعتنى الشيخ في تفسيره بيان أسباب النزول معتمدا على ما صحّ من حديث رسول الله ﷺ بالدرجة الأولى، واتفاق الروايات ثانيا في سبب النزول، ونراه يُجزم عن ذكر سبب النزول وإن كان واردا في العديد من كتب التفسير إذا تضاربت الروايات، فنرى الشيخ يذكرها وكأنّه غير مقتنع بصحتها، وهذا ما نلاحظه من خلال أسلوبه؛ حيث لا يورد الروايات بلفظها وإنما يوردها بالمعنى دون الإحالة على مصدرها ويكتفي فقط بعبارة " قيل"، و" تذكر الروايات" أو: "وقد وردت روايات".

أ. موقفه من القاعدة: " العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب"

يؤكد الشيخ في كل موضع ذكر فيه سبب نزول أنّ العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، مستعينا بما جاء في القرآن من آيات تؤكد أنّ الأصل هو العموم لا الخصوص، وأنّ الآية وإن نزلت في شخص أو جماعة

(1) الشعراء: الآية 100-101.

(2) محمد سعيد كعباش: فحاح الرحمن، ج10، ص 50.

(3) المرجع نفسه، ج10، ص 50.

الفصل الثالث..... القصص القرآني من خلال تفسير نفحات الرحمن في رياض القرآن

فإنَّ العمل بها وبأحكامها موجهٌ لكلِّ مكلفٍ ففي قوله تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا وَإِنْ جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾﴾ (1) وبعد أن ذكر الروايات التي جاءت في بيان سبب نزول الآية قال الشيخ كعباش: " لكنَّ الوصيَّة عامَّة تسند مثيلاتها في القرآن سيما نظيرتها في سورة لقمان" وذكر الشيخ أنَّ آية لقمان نزلت في مكة وآية العنكبوت نزلت في المدينة، ممَّا يدلُّ على أنَّ الأمر بالإحسان إلى الوالدين عام في جميع النَّاس. (2)

ثانيا: الاهتمام بعلم المناسبات

علم المناسبات من أكثر المباحث التي فصلَّ الشيخ في بيانها، حيث اعتنى ببيان المناسبات بين الآيات والسُّور، وبين أوائل السُّورة وخواتيمها، في كثير من المواضع وإن كان الشيخ قد أكثر في بيان المناسبات حتَّى أنَّه بيَّن المناسبة في سورة الشعراء بين كلِّ آية تقريبا وبين أول السُّورة وخاتمها وبين السُّورة والتي تليها، لكنَّ بيانه للمناسبات كان منطقيًّا لا تكلف فيه ولعلَّ اهتمام الشيخ بهذا العلم بهذه الصُّورة لإدراكه قيمة هذا العلم، فهو يعين على استخراج المعاني والحكم ولطائف الفوائد التي لا يتوصَّل إليها إلا عن طريق هذا العلم، وبيان التَّناسب بين الآيات والسُّور دليل على علم كعباش النَّافذ وإمعانه في التأمُّل في الآيات لأن هذا العلم دقيق وبذلك يرهن السيوطي رحمته الله قلة السَّالِكين والقائلين بهذا العلم. (3)

وسنعرض نموذج المناسبات في سورة الشعراء لإبراز طريقة الشيخ اللطيفة في ربط الآيات بعضها ببعض حتى غدت سلسلة محكمة الحلقات:

1. المناسبات بين الآيات:

أ. مناسبة الحروف المقطعة لما بعدها:

ما ذكره في بيان المناسبة بين الحروف المقطعة والآيات التي تليها في كلِّ سورة ابتدأت بها، فبعد أن ذكر موقفه من تفسير الحروف المقطعة حيث ردَّ علمها إلى الله عزَّ وجلَّ، وأنها جاءت تحديدا للكفار من العرب أن يأتوا بمثله، قال الشيخ: " ولعلَّ ذكر القرآن وآياته بعد تلك الحروف في أغلب السُّور المبدوءة بها ممَّا يؤيِّد هذا التَّوجيه (4) - أنها جاءت تحديدا لمنكري القرآن - مثل قوله تعالى :

(1) العنكبوت: الآية 08

(2) محمد سعيد كعباش: نفحات الرِّحمن، ج10، ص270.

(3) جلال الدين السيوطي: الإِتقان في علوم القرآن، دار الفكر بيروت لبنان، ط(1431-2010م) ج2، ص451.

(4) محمد سعيد كعباش: نفحات الرِّحمن، ج10، ص98.

الفصل الثالث.....التقص القرآن من خلال تفسير فحاح الرحمن فى رفاض القرآن

﴿طسَمَ ١ تَلَكْ ءَايَتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ ٢﴾ (1)

﴿طسَمَ ١ تَلَكْ ءَايَتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ ٢﴾ (2)

﴿الرَّ ١ تَلَكْ ءَايَتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ ٢﴾ (3)

﴿الرَّ ١ تَلَكْ ءَايَتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ ٢﴾ (4)

وغيرها من فواتح السور الأخرى فالشيخ اعتبر التنصيص على الآيات مضافة إلى الكتاب هو للمبالغة فى التحدى بالإتيان بجزء منه. (5)

كما يربط الشيخ الآيات بعضها ببعض ويبيّن العلاقة الوطيدة بين مواضع السورة الواحدة، حيث بيّن الترابط الوثيق بين محاور سورة الشعراء التى ابتداء الله عزّ وجلّ الحديث فيها عن شأن القرآن الكريم، وأنه تنزيل من الله العزيز الحكيم معجز فى معناه ومبناه، ثمّ انتقل إلى تسليّة الرسول ﷺ على ما كان يلاقه من أذى قومه، بعدها انتقل إلى عرض نماذج من قصص الأنبياء مع أقوامهم؛ يقول الشيخ كعباش مبرزا المناسبة بين الآيات: "بعد أن أياس الله رسوله من إيمان قومه، وأرشده أن يكفّ عن الحزن عليهم، وبعد التّدليل على وحدانيّته وقدرته بإنبات الأرض، ولمزيد من التسليّة لقلب رسول الله ﷺ، بيّن الله له هنا بأنّ قومه ليس بدعا من الأمم، فذكر قصّة سبعة من الرّسل السابقين مع أقوامهم إذ كذبوهم فحاق بهم ما كانوا يستهزئون." (6)

كما يذكر الشيخ المناسبات بين أوائل هذه السورة - سورة الشعراء - وخواتيمها حيث يقول: "تضمّنت السورة الكريمة سبعا من قصص الأنبياء مع أقوامهم، لتصوّر الصّراع بين الحقّ والباطل، وكيف تنفذ سنّة الله فى خلقه بانتصار الحقّ واندحار الباطل، فتكون فى ذلك كلّه تسليّة لرسول الله ﷺ، وإنذار للمشركين من قومه أن يصيبهم مثل ما أصاب من سبقهم، وهنا ينتقل السّياق إلى خطاب رسول الله ﷺ، فى معرض التّنويه بشأن القرآن المنزّل على قلبه الشّريف وأنه الآية العظمى على صدق نبوءته، وهكذا تتناسب خاتمة السورة مع بدايتها فى التّنويه بشأن القرآن والتّنديد بموقف المشركين." (7)

(1) الشعراء: الآية 01-02.

(2) القصص: الآية 01-02.

(3) لقمان: الآية 01-02.

(4) يونس: الآية 01.

(5) محمد سعيد كعباش: فحاح الرحمن، ج10، ص10.

(6) المرجع نفسه، ج10، ص15.

(7) المرجع نفسه، ج10، ص81.

الفصل الثالث..... القصص القرآني من خلال تفسير نفحات الرحمن في رياض القرآن

ب. بيان المناسبات بين السور:

بيّن الشيخ المناسبة بين سورة الشعراء والسورة التي سبقتها وهي سورة الفرقان والسورة التي تليها وهي سورة النمل حيث نقل عن المراغي وجوه مناسبة سورة الشعراء لما قبلها وهي:

- أنّ فيها بسطا وتفصيلا لبعض ما ذكر في موضوعات سألها كقصص الأنبياء.
- إنّ كليهما قد بدئت بمدح الكتاب الكريم.
- أنّ كليهما ختمت بإبعاد المكذّبين. (1)

وجعل المناسبة بين أوائل السورتين هو ابتداءهما بالحروف المقطّعة والتّنويه بشأن القرآن الكريم. (2)

ثالثا: استخدام طريقة السؤال

لعلّ الشيخ يتبع منهج الشيخ إبراهيم بيّوض في توظيف أسلوب الاستفهام من حين لآخر، هذا الأسلوب الذي خلق حوارا حيّا بين القارئ والمفسّر، وتختلف أغراض الشيخ في توظيفه لتلك الأسئلة بحسب اختلاف أغراض الاستفهام: فتتلّسّ أحيانا غرض لفت الانتباه، وأحيانا غرض التّشويق، وأحيانا لإبراز أهمية الموضوع الذي سيتناول الحديث عنه وتمهيدا له، وأحيانا بغرض الإنكار فيطرح السؤال ويتركه مفتوحا دون أن يجيب عليه.

والشيخ لا يطنب في طرح الأسئلة بل يوجز في طرحها ويجدّد الإجابة عنها عقب السؤال مباشرة.

فمثلا عن الاستفهام بغرض التّشويق: لما تحدّث عن استعداد بني إسرائيل للخروج مع موسى عليه السّلام يقول: "ولا شكّ أنّهم قد احتاطوا لذلك الخروج؛ لأنّ الله تعالى قد أخبرهم باتّباع فرعون لهم؛ لأنّه كان يتوقّع من ذلك شرّا على قومه ومملكته" هنا وبعد هذا الكلام يتساءل الشيخ "فماذا فعل؟" (3) تشويقا لمعرفة ردّ فعل فرعون (4)، وبعد السؤال ذكر الجواب متمثّلا في قوله تعالى: ﴿فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ

(1) محمد سعيد كعباش: نفحات الرّحمن، ج10، ص06/ أحمد بن مصطفى المراغي: تفسير المراغي، شركة ومكتبة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر ط(1365هـ/ 1946م) ج19، ص44.

(2) محمد سعيد كعباش: نفحات الرّحمن، ج10، ص97.

(3) المرجع نفسه، ج10، ص111.

(4) المرجع نفسه، ج10، ص34.

الفصل الثالث.....التقص القرآن من خلال تفسير نفحات الرحمن في رياض القرآن

﴿٥٣﴾ إِنَّ هَؤُلَاءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ ﴿٥٤﴾ وَإِنَّهُمْ لَنَا لِعَايُطُونَ ﴿٥٥﴾ وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَادِرُونَ ﴿٥٦﴾ ﴿١﴾

وغرض التشويق باد من خلال سياق الآية فالقصة هنا في مرحلة العقدة حيث تأزمت الأحداث، وهنا تطلع النفس لمعرفة المشهد الموالي.

وبغرض بيان عظمة وأهمية الموضوع الذي سيأتي يتساءل الشيخ كعباش ممهدا له لبيان عظمة المشهد، وهذا ما تلمسناه في تفسير الشيخ لقصة سليمان عليه السلام حيث يقول: "وها هو ذا سليمان يترتع على عرش ملكه وحوله جنوده من كل ما سحر الله له، هذا الكلام مقدمة للسؤال الذي سيرطحه والذي يمهد من خلاله لأمر مهم يقول متسائلا: " فكيف ينتظمون أمام قائدهم؟ يطرح الشيخ السؤال لبيّن قدرة الله تعالى في تسخير ما خلق لخدمة هذا النبي، وكذلك لبيان عظمة هذا النبي الذي استحق كل هذا يجيب الشيخ عن سؤاله بقوله

تعالى: ﴿ وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴾ ﴿٧﴾ ﴿٢﴾

كما جاءت تساؤلات الشيخ بين ثنايا تفسيره أيضا بغرض لفت انتباه القارئ وإيقاظ تركيزه حتى لا يفوته من معاني الآيات شيء، وليعيّنه على التدبّر العميق في دلالاتها، فلما تحدّث الشيخ عن خروج موسى عليه السلام من مدين - بعد أن قضى فيها عشر سنوات كاملة - متّجها إلى مصر، توقّف الشيخ لبرهة متسائلا عن السبب الذي جعل موسى عليه السلام يحنّ إلى مصر وأهلها فيقول: " ترى ما الذي حرّك في نفس موسى لواعج الشوق إلى المنزل الأوّل حيث مربّوه على ما عرفوا به من جبروت وطغيان؟؟ وحيث قومه على ما مردوا عليه من ذلّ وهوان؟" (3) فكان هذا التساؤل عبارة عن فاصل يحاول الشيخ فيه استجماع فكر القارئ لينتقل به إلى مرحلة أخرى من حياة موسى عليه السلام، وأيضا من خلال هذا التساؤل هو يعلم القارئ البحث في أغوار الآيات والكشف عن أسرارها التي لا تتضح ولا تظهر إلا بالإمعان والتدبّر لكلّ لفظة بل لكلّ حرف في القرآن الكريم.

وجواب الشيخ على مثل هذه الأسئلة يفيض بمعاني ربّانية منشؤها عقل حكيم يتخيّر الأساليب لإيصالها إلى أقلّ الناس إدراكا وفهما، وقلب صادق كلّ حبّ ومودة همّة الإفادة ونشر الخير والعلم في أوساط الناس.

(1) الشعراء: الآية 53-56.

(2) التمل: الآية 17.

(3) محمد سعيد كعباش: نفحات الرحمن، ج10، ص 205.

المبحث الثالث: طريقة الشىخ كعباش فى عرض القصة القرآنية

● المطلب الأول: أسلوب الشىخ كعباش فى عرض القصة

القرآنية

● المطلب الثانى: عناية الشىخ كعباش بالتكامل والترابط

القصصى

● المطلب الثالث: موقف الشىخ كعباش من الإسرائىليات

الفصل الثالث..... القصص القرآني من خلال تفسير فحاح الرحمن في رياض القرآن

المبحث الثالث: طريقة الشيخ كعباش في عرض القصّة القرآنيّة

كما عرضنا في الفصول السّابقة طريقة كل مفسّر في عرض القصّة القرآنيّة، فسنبيّن من خلال هذا المبحث الطّريقة التي اتّبعها الشيخ كعباش في تناول القصّة من حيث الأسلوب وعنايته بالتناسب والترابط بين قصص القرآن، وكذلك العناية بتفاصيل القصة من عدمه.

المطلب الأوّل: أسلوب الشيخ كعباش في عرض القصّة

للشيخ كعباش أسلوب فني مشوّق يجذب القارئ، ويجعله يعيش تفاصيل القصّة ويفهم معانيها.

أوّلاً: عرض ملخّص لحياة كل نبيّ

يذكر الشيخ ملخّص القصّة ويعرّف بالنبيّ الذي تناول القرآن قصّته في أوّل ذكر له في القرآن الكريم، وهو غالباً ما ينقل ذلك الملخّص بتصرّف منه من إحدى كتب التّفسير؛ كتفسير التّحرير والتّنوير للطاهر بن عاشور، والتّفسير المنير لوهبة الزّحيلي، ولا يتجاوز الملخّص الصّفحة، يذكر فيها تعريفا موجزا بالنبيّ وقومه وأهمّ الأحداث في تلك القصّة. ويجعل الشيخ ملخّص القصّة عنواناً استفهامياً كقوله:

من هو موسى عليه السّلام؟ من نوح عليه السّلام؟ من هو يوسف عليه السّلام؟

والشيخ غالباً ما يذكر بتعريف النبيّ وقومه، ويعيده بشيء من الاختصار ويشير إلى الموضوع الذي تمّ فيه التّعريف أوّل مرّة في التّفسير.

ثانياً: عناية الشيخ ببيان الجانب الفني في القصّة القرآنيّة:

إنّ المتأمل لأسلوب الشيخ كعباش وعباراته في دراسة القصّة القرآنيّة يظهر له التشابه الكبير بين أسلوبه وأسلوب سيد قطب رحمته الله، الذي كان له السّبق في بيان هذا الجانب في دراسة القصّة القرآنيّة من خلال كتابه: "التّصوير الفنيّ في القرآن الكريم" حيث نجده يؤيّد ما ذهب إليه ويوظّف أسلوبه وأقواله في دراسته لمختلف قصص القرآن الكريم؛ يقول الشيخ كعباش وهو بصدد دراسته لقصّة أصحاب الكهف: "ولم أجد في مختلف التّفاسير ما تطمئنّ إليه النّفس ممّا يمكن أن أثبته بين يدي هذه القصّة العجيبة، وقد قرأت لسيد قطب رحمته الله ما ارتاحت إليه النّفس من اكتفائه في الموضوع بما قصّه القرآن على طريقة أسلوبه الفنيّ البديع في عرض تلك القصص وتركيزه على ما فيه العبرة منها." (1)

(1) محمد سعيد كعباش: فحاح الرحمن، ج8، ص 161.

الفصل الثالث..... القصص القرآني من خلال تفسير فحاحات الرحمن في رياض القرآن

حيث أبرز الشيخ النواحي الفنيّة للقصّة القرآنيّة وأظهر روعتها بأسلوب بديع شيق يصوّر فيه مشاهدتها ويظهر جمالها في الشّكل والمضمون، وأبرز واقعيّتها من خلال أحداثها وجزئياتها المتلاحقة وأهدافها السّامية التي ترمي إلى غرس القيم النبيلة، ومعالجة النّفس البشريّة وفق منهج متكامل شامل لجميع قصص القرآن الكريم.

فنجده يحاول من خلال كلّ قصّة أن يبرز مظاهرها المتحرّكة وأحداثها المتسلسلة المتناسكة، مستنطقا العواطف بأسلوب شيق بديع يجعل مشاهدتها حيّة يتلمسها القارئ ويعيش في جوّها.

وسورة الكهف أظهرت عناية الشيخ بإبراز الجمال والفرق في القصص القرآني، هذه السّورة التي تضمّنت مجموعة من القصص تدور حول محور واحد وهو تصحيح العقيدة وتصحيح منهج النّظر والفكر، وتصحيح القيم بميزان العقيدة.

ويبيّن الشيخ أنّ الجانب الفنّي في القصّة القرآنيّة لا يشمل المضمون فقط من إيجاز العبارة وبلاغة التّكرار والتّعمية الموسيقيّة للقصّة وإمّا يشمل الشّكل العام لها وكيف عرضها القرآن الكريم، يقول الشيخ: "وتوفّر في القصّة كلّ العناصر الفنيّة للإبداع القصصي بالتمهيد الإجمالي لها، ثمّ ذكر مشاهدتها المختلفة ثمّ استخلاص العبرة في نهايتها بما يركّز العقيدة في وحدانية الله"⁽¹⁾ فالله تعالى جعل القصّة وفق مراحل ومشاهد، وبين كل مشهد ومرحلة نستخلص الكثير من الفوائد والعبر.

يقول الشيخ واصفا سورة الكهف: " يغلب على السّورة العنصر القصصي بأسلوبه الفنّي المثير، فتجيء قصّة أهل الكهف في أوّلها بما توحى به من التّوجّه الإيماني ومن اللّطف الرّباني على الفتية، وتأتي قصّة آدم وإبليس للتّحذير من عداوة الشّيطان لبني آدم في معرض إغراء المال والبنين، ثمّ تجيء قصّة موسى مع الرّجل الصّالح، وفي النّهاية تأتي قصّة ذي القرنين."⁽²⁾

وفي حوار شعيب لقومه في قوله تعالى: ﴿ وَيَقَوْمٍ لَا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِي أَنْ يُصِيبَكُمْ مِثْلَ مَا أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَالِحٍ وَمَا قَوْمٌ لُوطٍ مِّنْكُمْ بَعِيدٍ ﴾^(١٨٩) وَأَسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ^(٩٠) ﴿⁽³⁾ نجد الشيخ يصوّر مشاعر شعيب الصّادقة

(1) محمد سعيد كعباش: فحاحات الرّحمن، ج08، ص 161.

(2) المرجع نفسه، ج08، ص 151.

(3) هود: الآية 89

الفصل الثالث.....التقص القرآن من خلال تفسير نفحات الرحمن في رياض القرآن

النبيلة تجاه قومه بأسلوب فني بديع حيث يقول: " ثم في لمسة عاطفية وهو مشفق على ما يجلّ بهم من العذاب إن هم تبادوا في ضلالهم؛ يفتح لهم باب التوبة والمغفرة من الرب الرحيم الودود." (1)

كما يتضح لنا الجانب الفني في أسلوبه في الربط بين أحداث القصة المتناسقة؛ فيجعل القارئ يدرك مراحلها ومشاهدتها، وهذا له دور كبير في إدراك العبرة والموعظة من القصة؛ وهذا ما يتضح لنا في تفسيره لحوار شعيب مع قومه يقول الله تعالى: ﴿ وَيَقَوْمٍ لَا يَعْرِمَنَكُمُ شِقَاقِي أَنْ يُصِيبَكُمْ مِثْلُ مَا أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَالِحٍ وَمَا قَوْمٌ لَوْطٍ مِّنكُمْ بَعِيدٍ ﴿٩١﴾ وَأَسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ ﴿٩٢﴾ قَالُوا يَدْعُبُ مَا نَفَقَهُ كَثِيرًا مِّمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرِيكَ فِينَا ضَعِيفًا وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ وَمَا أَنْتَ عَلَيْنَا بَعِيزٌ ﴿٩٣﴾ قَالَ يَقَوْمِ أَرَهْطِي أَعَزُّ عَلَيْكُمْ مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ وَاتَّخَذْتُمُوهُ وَرَاءَكُمْ ظَهْرِيًّا إِنَّ رَبِّي بِمَا تَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿٩٤﴾ وَيَقَوْمِ أَعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَمِلٌ سَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَمَن هُوَ كَذِبٌ وَأَرْتَقِبُوا إِنِّي مَعَكُمْ رَقِيبٌ ﴿٩٥﴾ وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ فَأَصْبَحُوا فِي دِيارِهِمْ جاثمين ﴿٩٦﴾ ﴿٩٦﴾ (2)

فبعد رفضهم الأخذ بنصيحته لهم يقول الشيخ: " ينتقل الحوار من أسلوب الرفق واللين إلى أسلوب التحدي والعنف " ويقول أيضا مصورا المشهد الذي يليه: " ثم يصعد شعيب من لهجة التحدي فيتحرش بقومه بإعلان المفارقة بينهم وبينه." (3)

ويقول في الآية الموالية: " والكل يراقب وينتظر مآله ومآل خصمه، وتنتهي تلك المجادلة الساخنة بأن يقضي الله أمره في مصير القوم بمحق معالم حضارتهم كلبية وبنجاة شعيب ومن معه من المؤمنين." (4) فالشيخ يبين لنا تدرج شعيب في الدعوة فجعل الحوار بينه وبين قومه حيا يجذب القارئ ويدخله في أجواء القصة.

(1) محمد سعيد كعباش: نفحات الرحمن، ج 06، ص 409.

(2) هود: الآيات 89-94.

(3) محمد سعيد كعباش: نفحات الرحمن، ج 06، ص 411.

(4) المرجع نفسه، ج 06، ص 411.

الفصل الثالث..... القصص القرآني من خلال تفسير نفحات الرحمن في رياض القرآن

وفي قصة يوسف عليه السلام نجد الشيخ يصف مشاهد القصة بمصطلحات الفن القصصي حيث يقول الشيخ: " بعد ذلك التمهيد بإضفاء صفة الإبانة على القرآن الكريم بما تضمنته قصة يوسف من التفاصيل تميّزها: عن بقاء القصص شرع الله تعالى في بيان حلقات تلك القصة المثيرة بذكر ما اصطلح عليه الفن القصصي بـ: "العقدة" وهي اللغز المبهم الذي يجتذب ذهن السامع لمعرفة حلّه وفكّ رموزه. "(1)

المطلب الثاني: عناية الشيخ كعباش ببيان التكامل والترابط القصص.

أولاً: التكامل القصصي في تفسير الشيخ كعباش

نقصد بالتكامل القصصي بيان العلاقة بين القصص المكرّر في القرآن الكريم والتي اختلفت ألفاظه من موضع لآخر بحيث ينفي من خلاله التناقض بينها.

بيّن الشيخ كعباش أنّ ما جاء مكرّراً من القصص القرآني دلالة على التكامل بينها فما سكت عنه الله في موضع بيّنه في موضع آخر، فتكتمل حلقات القصة في ذهن القارئ.

والشيخ لا يستحضر كلّ أجزاء القصة في بيان التكامل بين القصص، وإنما يكتفي فقط بما يخدم السياق، كأن يستحضر الجزء الذي به يزيل إبهاماً، أو حلقة سكت عنها القرآن بين حادثتين.

ونذكر على سبيل المثال لا الحصر بعض المواضع التي أبان فيها الشيخ كعباش التكامل بين الآيات؛ والتي أفرزت عن معاني بيّنت لحمّة القصص القرآني بما قبله وما بعده من آيات وترابط بعضها ببعض.

لما جاء الشيخ إلى تفسير قوله تعالى: ﴿فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ﴾ (2) بيّن أنّ اختلاف ألفاظ القرآن في تحوّل عصا موسى هو تكامل وليس تناقض حيث قال: " فالأوصاف تتكامل في بيان هيئات العصا إذ ألقاها موسى ثلاث مرّات كانت في كلّ مرّة على هيئة من تلك الهيئات المذكورة، مرّة عند مناجاة ربّه ومرّة أمام فرعون ومرّة أمام السحرة وجموع الناس عند المباراة. "(3)

ما ذكره من التكامل بين سورة هود وسورة يوسف في ذكر قصص الأنبياء وفي الاستدلال في كل منهما على كونهما وحيا من الله تعالى دالا على قدرة الله وعظّمته وعلى صدق رسالة محمد ﷺ. (4)

(1) محمد سعيد كعباش: نفحات الرحمن، ج7، ص 13.

(2) الشعراء: الآية 32.

(3) محمد سعيد كعباش: نفحات الرحمن، ج10، ص25

(4) المرجع نفسه، ج7، ص09.

الفصل الثالث.....التقص القرآنى من خلال تفسير نفحات الرحمن فى رىاض القرآن

وبين الشيخ تكامل القصة القرآنية مع ما قبلها فى السورة الواحدة، وإن كان هذا يندرج تحت علم المناسبات إلا أن الشيخ عبّر عنه بالتكامل ومثالا على ذلك ما ذكره من خطاب الله للرسول ﷺ حين بين له ما حدث لقوم نوح حين عصوا رسولهم يقول تعالى: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ يَتَقَوْمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُمْ مَقَامِي وَتَذِكْرِي بَيَّاتِ اللَّهِ فَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرَكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ أَضْضُوا إِلَيَّ وَلَا تُنظِرُونِ ﴿٧١﴾﴾⁽¹⁾ وقبلها جاءت الآيات تتحدث عن وعيد المولى جلّ وعلا الشديد للكفار لتكذيبهم وكفرهم بآيات الله يقول جلّ وعلا:

﴿قُلْ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴿٦٩﴾ مَتَّعٌ فِي الدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ نُذِيقُهُمُ الْعَذَابَ الشَّدِيدَ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ ﴿٧٠﴾﴾⁽²⁾ يقول الشيخ كعباش: "لأن القصة تعتبر تكميلا لما سبق من ذلك الوعيد الشديد بما تتضمنه من بيان سنة الله فى خلقه واستدراج المكذبين إلى نهايتهم بعد إقامة الحجة عليهم"⁽³⁾ ويفسر الشيخ كعباش الآية بآية أخرى تشابحت معها فى الأحداث كما فى قصة موسى عليه السلام بين معنى قوله تعالى: ﴿قَالَ تَعَالَى: ﴿وَجَوْرَنَا بِنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَاتَّبَعَهُمْ فَرَعُونَ وَجُنُودَهُ بَغِيًّا وَعَدُوًّا حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ ءَأَمَنْتُ أَنَّهُ وَلَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي ءَأَمَنْتُ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٩٠﴾﴾﴾⁽⁴⁾

وننقل هنا قوله كاملا حتى يتضح الترابط بين معنى الآيتين يقول الشيخ: ﴿وَجَوْرَنَا بِنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ﴾ معطوف على الجملة التمهيدية السابقة، ومجازة المكان هي قطعه، وإسناد الفعل إلى ضمير العظمة "جاوزنا" للدلالة على قدرة الله ورعايته لموسى بفلقه البحر وجعله طريقا ييسر للمرور بأمن وسلامة كما قال تعالى فى سورة طه: ﴿وَلَقَدْ أَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَن أَسْرِ بِعِبَادِي فَاصْرَبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِي الْبَحْرِ يَبَسًا

(1) يونس: الآية 71.

(2) يونس: الآية 69_70.

(3) محمد سعيد كعباش: نفحات الرحمن، ج 6، ص 263.

(4) يونس: الآية 90.

الفصل الثالث..... القصص القرآني من خلال تفسير نفحات الرحمن في رياض القرآن

لَا تَخَفُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَى ﴿٧٧﴾ (1) (2)

ثانيا: الترابط القصصي (3):

1. الفرق بين التكامل والترابط

من خلال استقراء المواضع التي اعتبرها الشيخ تكاملا في القصة القرآنية اتضح لنا أنه يعني بالتكامل الالتحام بين أجزاء القصة الواحدة المقسمة على مواضع متعددة في القرآن الكريم لتكون صورة مكتملة عن موضوع القصة، أما الترابط فهو إيجاد علاقة بين مجموعة قصص يجمع بينها موضوع مشترك سواء كانت في سور متعددة أو سورة واحدة.

والأصل أنّ الترابط بين القصص في السورة الواحدة هو من المناسبات، لذلك نجد الشيخ كثيرا ما يعبر عن هذا الترابط بالمناسبة.

فالشيخ كعباش اعتنى اعتناءً كبيرا ببيان الروابط بين القصص القرآني واجتهد في تحديدها ليظهر وحدة الهدف ووحدة المنطلق لكل قصة من القصص.

ففي قصة ابني آدم تقدمتها قصة بني إسرائيل لما أمرهم رسولهم موسى بدخول الأرض المقدسة وعصوه، وتلتها تشريع الله لبني إسرائيل بعض الأحكام التي تضر المجتمع حيث بين الشيخ الترابط بين قصة هابيل وقابيل وبين قصة بني إسرائيل:

- أنّ في كلا القصتين غرور وحسد فبني إسرائيل تنكروا للدعوة الإسلامية وعصوا رسولهم غرورا وحسدا. وقابيل أيضا عصى الله بعدم رضاه وتقبله لحكمه وعصيانه له وقتله لأخيه غرورا وحسدا أيضا.
- أنّ هذه القصص مهدّ الله سبحانه وتعالى بها لبيان أحكام السرقة والقتل والحراة التي تهدد أمن المجتمع.

وعضد الشيخ كعباش ما ذكره من وجه المناسبة بين القصتين ما ذكره الشيخ الطاهر بن عاشور في تفسيره التحرير والتنوير حيث قال: "والمناسبة بينها وبين القصة التي قبلها مناسبة تماثل ومناسبة تضاد، فأما التماثل

(1) طه: الآية 77.

(2) محمد سعيد كعباش: نفحات الرحمن، ج6، ص 283.

(3) أشار إلى هذا الباحث ياسين محمد خير التّاس في بحثه الموسوم ب: "الترابط القصصي في سورتي الكهف ومريم من خلال تفسير نفحات الرحمن في رياض القرآن" الذي قدّمه في الملتقى الوطني للشيخ كعباش بغرداية في مارس 2017م.

الفصل الثالث..... القصص القرآني من خلال تفسير نفحات الرحمن في رياض القرآن

فإنّ في كليهما عدم الرضا بما حكم الله تعالى، فإنّ بني إسرائيل عصوا أمر رسولهم إليهم بالدخول إلى الأرض المقدّسة - في قوله تعالى: ﴿يَقْوَرُوا دُخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ﴾ (1) - وأحد ابني آدم عصى حكم الله تعالى بعدم قبوله قربانه لأنّه لم يكن من المتّقين، وفي كليهما جرأة على الله بعد المعصية. (2)

وأيضاً في قصّة عيسى عليه السلام يشبّه حالة الخوف والضعف التي انتابته حينما همّ قومه بقتله بحالة من سبقه من الأنبياء مع أقوامهم منهم "نوح عليه السلام حين ناجى ربّه قال تعالى: ﴿فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانْتَصِرَ﴾ (3) (4)

المطلب الثالث: موقف الشّيخ كعباش من الإسرائيليات

أولاً. خلوّ تفسيره من الإسرائيليات إلا ما نذر

بعد تفسير "نفحات الرّحمن" من التّفاسير الإباضيّة التي لم تهتم بتوظيف الروايات الإسرائيلىة، لا في توضيح معنى الآية ولا لإتمام أحداثها التي سكت عنها القرآن الكريم، وقد أشار كعباش في مقدّمة تفسيره إلى أنّ القصص القرآني يستفاد منه في مجال العبرة والموعظة ومبدؤه في ذلك قوله تعالى: ﴿فَأَقْصَصَ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (5)، وأنّه لا يُعنى بالاستفاضة في أحداث القصة بما لا فائدة ترجى من ورائها. فهو يذكّر بعد ذكر أحداث كل قصة أن الغرض منها هو العبرة والموعظة.

وأرى أنّ الشّيخ كعباش خرج عن رأيه الذي التزم به في الأخذ من الإسرائيليات أخذ المتنبّه الحذر المتيقّن، فالتتبع للآيات التي اشتملت على القصص نجده - وإن كان غير مكثّر - يذكر روايات من العهد القديم يكمل بها أحداث القصة التي لم يتطرّق القرآن إلى بعض أحداثها، وأحياناً كثيرة يستعمل صيغة التّمرّيض "قيل" لذكر اسم أشخاص أو أماكن أو حيوانات وأرى أنّها تنسب للعهد القديم أيضاً، وأحياناً أخرى يقتبس

(1) المائدة: الآية 21.

(2) محمد سعيد كعباش: نفحات الرّحمن، ج 4، ص 7.

(3) القمر: الآية 10.

(4) محمد سعيد كعباش: نفحات الرّحمن، ج 2، ص 301.

(5) الأعراف: الآية 176.

الفصل الثالث..... القصص القرآني من خلال تفسير نفحات الرحمن في رياض القرآن

القصة بطولها من إحدى التفاسير التي سبقتة وعذره في ذلك أنه يذكر غالبا أنّ الغرض الأول للقصص هو العبرة.

القسم الأول: ذكر الشيخ لروايات من العهد القديم

كما في قصة يوسف عليه السلام حيث ذكر روايات من سفر التكوين في بيان عمره حين رموه إخوته في البئر (1) وأيضا في تفسير قوله تعالى: ﴿ قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ لَا تَقْتُلُوا يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِي غَيَابَتِ الْجُبِّ يَلْتَقِطُهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ إِن كُنتُمْ فَاعِلِينَ ﴾ (2) نقل عن السفر ذاته روايات في ذكر اسم من اقترح على إخوته رميه في البئر فقبل أنه "يهودا" وقيل أنه "هوراوين" (3)

القسم الثاني: استعمال صيغة التمرّض "قيل":

استعمال صيغة التمرّض هي الغالبة على أسلوب الشيخ كعباش، حيث يستعمل "قيل" دون تبيان مصدر القول، كما في قصة بقرة بني إسرائيل قال: "قيل أنّ اسم العجل أبيض" واسم البقرة "بعل"، كذلك في قصة يوسف عليه السلام في ذكر اسم عزيز مصر ذكر نقولا عن المفسرين دون تحديدهم فقال: "لقد ذكر المفسرون اسم المشتري فقبل أنه "فوطيفار" أو "أطفير" وسمى العرب امرأته "زليخاء" وسمّاها اليهود "راعيل" وقيل اسم المدينة "منفيس" .. الخ". وقوله أيضا: "قيل أنّ الذي حمل القميص إلى يعقوب هو "يهودا" وقيل أنّه هو الذي ذهب به أول مرة ملطخا بدم كذب" علق كعباش على هذا الموقف فقال: "أراد أن يُفرح بذلك والده كما أحزنه من قبل" (4)

القسم الثالث: نقله روايات من تفاسير أخرى

نقل الشيخ كعباش روايات من تفاسير أخرى، ومثال ذلك ما نقله عن تيسير التفسير لمحمد بن يوسف اطفيش حيث نقل عنه حوارا بين يوسف عليه السلام وجبريل وهو في الجب وهذا نصه: "نزل إليه جبريل فقال يا غلام من ألقاك في هذا البئر قال: "إخوتي: قال: " ولم" قال: لمودة أبي لي حسدوني، قال: أتريد الخروج من هنا؟ قال: ذاك إلى إله يعقوب، قال: قل: "اللهم إني أسألك باسمك المخزون المكنون، يا بديع

(1) محمد سعيد كعباش: نفحات الرحمن، ج7، ص14.

(2) يوسف: الآية 10.

(3) محمد سعيد كعباش: نفحات الرحمن، ج4، ص22.

(4) المرجع نفسه، ج7، ص33.

الفصل الثالث..... القصص القرآني من خلال تفسير نفحات الرحمن في رياض القرآن

السموات والأرض، يا ذا الجلال والإكرام أن تغفر لي وترحمي وأن تجعل من أمري فرجا ومخرجا وأن ترزقني من حيث أحتسب ومن حيث لا أحتسب." (1) وتضارب الروايات في هذه الحادثة يوحى بضعفها فالسِّيوطي روى عن الضَّحَّاك رواية تختلف عما رواه اطفيش فقال: "قال الضَّحَّاك: نزل جبريل عليه السلام على يوسف وهو في الجبِّ فقال له: ألا أعلمك كلمات إذا أنت قلتهم عجل الله لك خروجك من هذا الجب؟ فقال: نعم فقال له: قل يا صانع كل مصنع، ويا جابر كل كسير، ويا شاهد كل نجوى، ويا حاضر كل ملا، ويا مفرج كل كربة، ويا صاحب كل غريب، ويا مؤنس كل وحيد، إيتني بالفرج والرجاء، واقذف رجاءك في قلبي حتى لا أرجو أحدا سواك، فرددها يوسف في ليلته مرارا، فأخرجه الله في صبيحة يومه ذلك من الجب" (2)، وهناك روايات أخرى بألفاظ مختلفة، وعلّق بعض العلماء على هذه الرواية وحكم بضعفها وعدم صحتها. ومن المواضع التي استطردها فيها الشَّيخ كعباش في بيان تفاصيل القصص التي سكت عنها القرآن الكريم، ومما لا فائدة تطلب من ورائها تفسيره لقوله تعالى: ﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَنْ تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ (3) حيث طرح عدّة أسئلة حول المراد من تبوء البيوت، وما نوع تلك البيوت؟ وأين كان يسكن قوم موسى؟ وعلى أي كيفية يتخذون البيوت المأمور بها؟ وجعل يتحدث طويلا عن تلك البيوت ويورد الروايات الإسرائيلية نقلا عن الطاهر بن عاشور.

وهذا التفصيل ليس من منهج الشَّيخ الذي عهدناه، فلا أرى في مثل هذا الكلام عبرة ولا موعظة.

كما نقل في عدة مواضع روايات مطولة عن "التفسير المنير" لهوبة الزحيلي "منها تلك الرواية المطولة في قصة طالوت وجالوت، (4) التي نقلها بنصّها كاملة تمهيدا للتفسير.

ونقل عنه أيضا روايات حول المدة التي قضاها يعقوب مع ابنه يوسف ومدّة فراقهما، فقيل أنّه أقام معه أربعًا وعشرين سنة وقيل سبع عشرة سنة، أما مدّة فراقهما فقيل ثمانين سنة وقيل أربعين أو ثمانين سنة؟ (5)

(1) محمد سعيد كعباش: نفحات الرحمن، ج7، ص29.

(2) القرطبي: تفسير أحكام القرآن، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم اطفيش، دار الكتب المصريّة القاهرة ط2(1384هـ/1964م)، ج2، ص213.

(3) يونس: الآية 87.

(4) محمد سعيد كعباش: نفحات الرحمن، ج2، ص108.

(5) المرجع نفسه، ج7 ص124/ وهبة الزحيلي: التفسير المنير، ج13، ص76.

المبحث الرابع: أسرار القصص القرآني في تفسير

الشيخ كعباش

- المطلب الأول: أسرار الترتيب في قصص الأنبياء
- المطلب الثاني: أسرار التكرار في القصص
- المطلب الثالث: البعد الإصلاحي للقصة القرآنية

الفصل الثالث..... القصص القرآني من خلال تفسير نفحات الرحمن في رياض القرآن

المبحث الرابع: أسرار القصص القرآني في تفسير الشيخ كعباش

في هذا المبحث سنبرز بعض التحليلات العميقة في قراءة القصة القرآنية عند الشيخ كعباش، والتي ستكشف لنا عن أسرار قيمة توصل إليها الشيخ ومن بين هذه الأسرار:

المطلب الأول: أسرار الترتيب في قصص الأنبياء:

ينظر الشيخ في تحليله لآيات القصص القرآني إلى جوانب متعدّدة ليستخلص منها العبر والحكم، فقد عني ببيان التكامل والترابط بين القصص القرآني وأغراضه، كما اعتنى أيضا ببيان الغرض من ترتيب القرآن الكريم لقصص الأنبياء، حيث أمعن النظر في أنّ القرآن الكريم لم يلتزم أحيانا بالترتيب الزمني لقصص الأنبياء إذا جاءت متتابعة في السورة، الأمر الذي وُلد في ذهنه تساؤلا عن غاية القرآن وحكمته في ترتيب قصص الأنبياء.

وهذا التدقيق يبرز لنا عمق التحليل عند الشيخ كعباش؛ لأنّه يعلم يقينا أنّ كلّ ما جاء في القرآن الكريم لحكمة ما؛ وترتيب القصص المختلف من موضع لآخر إنّما هو لحكمة وغاية، فلم يمرّ على هذا الموضوع مرور الكرام وإنّما أعطاه نصيبا من التدبّر والإمعان، وأطلعنا الشيخ على ما وصل إليه من تدبّره لتلك القصص.

أولا: ترتيب القصص مراعاة للسياق القرآني

بيّن الشيخ أنّ ترتيب القصص في القرآن الكريم يأتي مراعاةً لسياق الآيات:

ففي سورة الشعراء مثلا ذكر الله تعالى مجموعة لقصص الأنبياء، حيث ابتدأ بقصة موسى عليه السلام، ثمّ قصة إبراهيم، ثمّ قصة نوح عليه السلام، ثمّ هود عليه السلام، ثمّ قصة صالح عليه السلام، ثمّ قصة لوط عليه السلام، ثمّ قصة شعيب عليه السلام، وموسى عليه السلام جاء بعد هؤلاء جميعا فلماذا قدّمه القرآن هنا؟

عللّ الشيخ كعباش ذلك أنّ قصة موسى عليه السلام مناسبة جدا للسياق القرآني، فهناك تشابه كبير في المواقف ما بين مشركي مكّة وبين فرعون وقومه في الإعراض والعناد وطلب الخارقة. (1)

ثانيا: الترتيب بحسب مدّة الدّعوة

كما يرجع الشيخ كعباش ترتيب الله تعالى لقصص بعض الأنبياء إذا جاءت متتالية إلى أطولهم مدّة في

(1) محمد سعيد كعباش: نفحات الرحمن، ج10، ص 15.

الفصل الثالث..... القصص القرآني من خلال تفسير فحاح الرحمن في رياض القرآن

الدعوة إلى الله تعالى⁽¹⁾، فيذكر الله تعالى أطولهم مدة ثم الذي يليه إلى أن ينتهي إلى أقصر الأنبياء مدة في الدعوة.

ولقد بين الشيخ الحالة التي بها يرتب الله الأنبياء على هذا النسق، وهي في حالة ما أشار الله تعالى في الآية الكريمة إلى المدة التي لبثها النبي في الدعوة، فمن خلال ذكر الله تعالى للمدة التي لبثها نوح عليه السلام في دعوة قومه، ولأهمية ذكر المدة وقيمتها عند الله تعالى بين الشيخ سبب تقديم الله قصة نوح عليه السلام على باقي القصص في سورة العنكبوت قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ﴾⁽²⁾ حيث لبث يدعو قومه خمسون وتسعمائة سنة دون اعتبار ما قبل النبوة، ويهدف الله من خلال تأكيده على بيان طول مدته حتى يبين حجم المعاناة ومقدار الصبر الذي تحمله هذا النبي الكريم، وفي كل هذا تسلية للنبي ﷺ.

ثالثا: ترتيب قصص الأنبياء بحسب التسلسل التاريخي

يبين الشيخ كعباش أن ترتيب قصص الأنبياء في القرآن الكريم يخضع أحيانا للتسلسل التاريخي وليس هذا شرطا، ولكن ليبين الله تعالى التسلسل الزمني لدعوات الأنبياء وليبين أيضا وحدة الرسائل السماوية وأن للرسول على تتابع الأجيال قضية واحدة وهي الدعوة إلى توحيد الله تعالى، كما يهدف من خلال هذا الترتيب الزمني إلى إبراز الموقف الواحد لمختلف الجاهليّات من كل رسول في كل مرحلة من مراحل الدعوة وهو التكذيب والإعراض وإلحاق الأذى للرسول والذين آمنوا معه، وليبين أيضا أن النبي محمد ﷺ ليس بدعا من الرسل في معارضة قومه له - وهذا الغرض حاضر في جميع قصص الأنبياء - إذ أن ذلك سنة الله في خلقه.

يقول الشيخ كعباش في سياق تفسيره لقصص الأنبياء في سورة هود: "القصص في سورة هود يغطي أكبر حيز منها، وهو يسير على خط التاريخ مع موكب الرسل بدءا بنوح ثم هود وصالح ثم إيل إبراهيم ليسلك إلى قصة لوط ثم شعيب، وبعد ذلك إلى موسى".⁽³⁾

ومن عادة الشيخ دائما إذا انتقل من قصة إلى أخرى بين الرابطين بينهما بأسلوب بديع متنوع يجعل من تلك القصص سلسلة متكاملة مترابطة فيما بينها، حيث جعل الشيخ الرابطين بين قصص الأنبياء في سورة هود هو التسلسل الزمني.

(1) محمد سعيد كعباش: فحاح الرحمن، ج10، ص 275.

(2) العنكبوت: الآية 14.

(3) محمد سعيد كعباش: فحاح الرحمن، ج 06، ص 348.

الفصل الثالث..... القصص القرآني من خلال تفسير فحاح الرحمن في رياض القرآن

حيث يقول: " يبدو أنّ ترتيب قصّة هود على قصّة نوح عليه السّلام جاء وفق التّرتيب الزّمني لبعثتهما، ويعللّ التقارب الزّمني بما ورد من روايات تؤكّد أنّ هودا هو من ذريّة نوح، وأنّ الأصنام التي عبدها قوم نوح عبدها أيضا قوم هود، كما ذكر الفترة الزّمنيّة بينهما بثمانمائة سنة كما تحدّدها الرّوايات. (1)

المطلب الثاني: أسرار تكرار القصّة القرآنيّة

ربط الشّيخ كعباش التّكرار في قصص الأنبياء بمجال الدّعوة، ورأى أنّ التّكرار في هذه القصص يسهم في بيان منهج الدّعوة عند الأنبياء بكلّ وضوح، حيث بيّن الله تعالى من خلالها تعدّد مناهج الدّعوة واختلافها بحسب كلّ قوم، وبحسب كلّ بيئة، فحاول أن يبرز من خلال التّكرار في القصص تلك الأسرار؛ ونلخص ما ذكره من علاقة التّكرار بمجال الدّعوة في النقاط التّالية:

- يعتبر القصص القرآني من أبرز الأساليب القرآنيّة في نشر الإسلام وبيان رسالته.
- قصص الأنبياء عبارة عن تاريخ لسير الدّعوة الدّينيّة في الحياة.
- تصوّر قصص الأنبياء لنا الصّراع بين الغيّ والرّشد والحقّ والباطل.
- قصص الأنبياء يمكننا من معرفة العقبات التي اعترضت الدّعوة الدّينيّة، وتبيّن موقف الأنبياء منها.
- نتعرّف من خلاله على موقف الأقوام من رسالات أنبيائهم.
- يقول الشّيخ نقلا عن الإمام الغزالي: " والقرآن كتاب الدّعوة وتاريخها، وفي تضاعيف السّرد التاريخي لأخبار الأوّلين يزداد عرض الدّعوة وضوحا، ويستبين منهجها الذي تحدو البشر إليه، لا يختلف وإن اختلفت العصور وكثرت الدّهور" (2)

كما يرى الشّيخ كعباش أنّ في تكرار القصّة القرآنيّة فائدة كبيرة، لأنّ القصّة جاءت لتحقيق أهداف وغايات ينبغي للدّاعية أن يفقهها، ويدرسها جيّدا حتى يتسنى له تطبيقها في مجتمعه.

المطلب الثالث: البعد الإصلاحي للقصّة القرآنيّة

يعدّ تفسير الشّيخ محمد بن إبراهيم سعيد كعباش من التّفاسير المعاصرة التي سعت لتيسير كتاب الله، وإحسان تنزيل آياته على الواقع الذي تعيشه الأمتة، والعمل على حلّ القضايا الرّاهنة على هدي حقائق

(1) محمد سعيد كعباش: فحاح الرحمن، ج 06، ص 374.

(2) المرجع نفسه، ج 06، ص 340.

الفصل الثالث..... القصص القرآني من خلال تفسير فحاح الرحمن في رياض القرآن

القرآن الكريم اعتقاداً أنّه كتاب تحرك لا كتاب تبرك، فهو كتاب هداية يحوي منهج حياة الإنسان التي تتعدّد إشكالاتها وتزايد تحدياتها. (1)

ويعتبر الشيخ كعباش من أبرز رجال الإصلاح في الجزائر، وقد ذكرنا بعضاً من مواقفه في الإصلاح الاجتماعي في بداية هذا الفصل، حيث أدرك الشيخ أنّ القرآن الكريم من أشرف وأهمّ الوسائل التي يستخدمها الداعية المسلم لإصلاح ما فسد في أحوال الناس، فأقبل على الناس بدروسه وحلقاته المسجدية مقتفياً أثر مشايخه (الشيخ اطفيش والشيخ بيوض) الذين عالجوا مختلف القضايا الاجتماعية من خلال دروس التفسير حتى يخرجوا الناس ممّا هم فيه من ضلالات وبدع، وانحراف فكري أو أخلاقي، حيث "استفاد الشيخ من هؤلاء الأعلام وغيرهم من رواد الإصلاح إذ كانت الواقعية حاضرة في تفسيره وفي مختلف مواقفه ودروسه، وظّفها لإيصال فكرته وتحقيق التغيير المنشود، ذلك أنّ فقه الواقع أسلوب أساسي في التغيير". (2)

والشيخ كعباش وقف في تفسيره على كثير من الجوانب الإصلاحية مستمداً إيّاها من قصص السابقين، خاصّة التي سيقّت للاعتبار والادّكار، أمراً من خلالها بالمعروف ناه عن المنكر، داعياً وناصحاً إلى كلّ خير ومحذراً ومنذراً من كلّ شرّ، مبيناً عواقب وخطورة الإفساد في الأرض حيث يقول: "للفساد في الأرض أوجه عدّة أغلبها يتسبّب فيها الإنسان تحت عوامل مختلفة، والله تعالى ينهى عن الفساد في الأرض ويبين عواقب المفسدين كيف تنتهي بهم إلى الخراب والدمار... ولا شيء يكدر الإحسان كالظلم والإفساد، فربّ إحسان اقترن به بغي وفساد، فيزيل بركته ويكون وبالاً على صاحبه". (3)

ومن بين الجوانب التي ركّز عليها الشيخ محاولاً معالجتها في المجتمع:

أولاً: تحذير الشيخ كعباش من زخارف الدّنيا

نوّه الشيخ كعباش إلى خطورة الانجراف وراء ملذّات الدّنيا وشهواتها، فتحدّث عن التّطاول في البنيان، واعتبره إسرافاً وترفا ومضيعة للوقت، حيث ذكر ذلك في سياق الحديث عن عتوّ قوم هود عليه السّلام الذين

(1) محمّد بن عيسى الشّيباني: الدّرس العقدي عند الشيخ كعباش، ص 02.

(2) المرجع نفسه، ص 08.

(3) محمد سعيد كعباش: فحاح الرحمن، ج 10، ص 251.

الفصل الثالث..... القصص القرآني من خلال تفسير نفحات الرحمن في رياض القرآن

بالغوا في تشييد الأبراج العالية فأنكر عليهم هود عملهم هذا وقال لهم: ﴿تَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ آيَةً تَعْبَثُونَ﴾⁽¹⁾، والرّيع كما فسّرها الشّيخ هي الأبراج العالية.

والشّيخ أنكر على أهل هذا الزّمان تطاولهم في البنيان كما أنكر هود على قومه ذلك فقال: "كما نجد ذلك فيما تقوم به الدّول القويّة من التّفنّن في المعالم العمرانيّة المختلفة إلى حدّ الإسراف والتّرف."⁽²⁾

ويقول أيضا في ختام القصّة: "والعبرة هنا لكلّ أمة متّعها الله بالقوّة والسّلطان فكفرت بأنعم الله، فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون."⁽³⁾

في هذا الكلام الموجز من الشّيخ كعباش يوجّه الشّيخ رسالة قاسية إلى كل صاحب مال وقوّة تغطرس بماله وتعاضم به، منوّها على أنّ عقاب الله سيحلّ عليه لا محالة

ثانيا: التحذير من الظلم والطغيان

في سياق الحديث عن تهديد الله تعالى لكلّ أنواع الظلم في نهاية سورة الشعراء حيث قال تعالى: ﴿إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا وَانْتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ﴾⁽⁴⁾، حذّر الشّيخ من عقوبة الله للظالمين ودعاهم إلى الاعتبار والاتّعاظ بآيات الله تعالى واعتبرها رسالة إلى كلّ ظالم متغطرس يعيث في الأرض فسادا فقال الشّيخ: "ليت المتعاضمين المتغطرسين تؤثّر فيهم هذه الآية فيراجعون أنفسهم ويشفقون على منقلبهم كيف يكون؟، وإلا فويل لمن طوّحت به الشكوك والظنون"⁽⁵⁾

ثالثا: بيان صفات القائد النّاجح

اعتنى الشّيخ كعباش بقضايا الإصلاح في الجانب السياسي، فبيّن منهج القائد النّاجح في الحكم بين النّاس، لأنّ نجاح أي دولة وتطوّرها متوقّف على صلاح حكّامها وحسن معاملتهم مع رعيتهم.

(1) الشعراء: الآية 128.

(2) محمد سعيد كعباش: نفحات الرّحمن، ج 10، ص 62.

(3) المرجع نفسه، ج 10، ص 62.

(4) الشعراء: 227.

(5) محمد سعيد كعباش: نفحات الرّحمن، ج 10، ص 94.

الفصل الثالث..... القصص القرآني من خلال تفسير فحاح الرحمن في رياض القرآن

فقد استثمر الشيخ كعباش القصص القرآني، وأرشد من خلالها إلى قضايا مهمة تفيد كل من أراد الصلاح والفلاح له ولدولته، انطلاقاً من قصص الأنبياء مع أقوامهم وكيفية معاملتهم لهم، فنجده يغوص في تحليل الآيات المتعلقة بهذا الشأن ويفيض بمعاني ملهمة تدل على رغبته وأمله الشديد في امتثال حكام اليوم بما كان عليه الأخيار الأولون المصطفين من عند الله.

فالمتتبع لتحليل الشيخ لقصة سليمان عليه السلام يستجلي حرصه هذا، فقد بين موقف سليمان عليه السلام في تعامله مع رعيته وسأورد نص الشيخ كاملاً ثم نلخصه في نقاط: "فقد كان سليمان حازماً وعادلاً في معاملته لرعيته ذلك بأنه:

- لم يتوانى في إدراك موضع الخلل في صفوف جيشه، وعندما تعين المتسبب وهو غياب الهدد، لم يتردد في معاقبة المقصر في واجبه، لأن السكوت عن ذلك ينجر عنه تحديات أخرى تفضي إلى الفوضى واللامبالاة.

- عدله في تنويع العقوبة حتى تكون وفق حجم الجريمة المرتكبة، وذلك لا يتأتى للقاضي إلا بالنظر الحصيف في ملابسات الخطأ المرتكب.

- إعطاؤه فرصة للجاني بالدفاع عن نفسه بما يكون له عذراً مقبولاً. (1)

- عدم التعجيل بإصدار الأحكام والتثبت من أقوال الهدد حتى يتبين صدقه من كذبه.

- ونلخص قول الشيخ في نقاط موجزة ومحددة لندرك الصفات التي تميز بها سليمان عليه السلام والتي لا بد لكل قائد أن يتأسى به:

- اليقظة والانتباه وإحاطة القائد بكل صغيرة وكبيرة في دولته.
- ضرورة تطبيق العقوبات في وقتها.
- عدم العفو عن العقوبات التي تهدد أمن الدولة.
- العقوبة تكون بمقدار حجم الجريمة.
- العدل وعدم الاستبداد.

ويذكر الشيخ في ختام تفسيره للقصة أن كل ما جاء فيها هو عبرة لنا وموعظة، وهذا هو منهج الشيخ في مختلف القصص؛ لا يتوانى في اكتشاف أسرارها وما تهدف إليه كل قصة، وهذه من ميزات تفسير الشيخ الذي جعل منه مادة حية تعالج ما يحتاج إليه الناس في دينهم ودنياهم، يدرس الواقع وينطلق منه ليعطي دروساً من أزمته مضت تحاكي واقع المسلمين، فيكون تأثير الناس بها أشد.

(1) محمد سعيد كعباش: فحاح الرحمن، ج10، ص 117.

الفصل الثالث..... القصص القرآني من خلال تفسير نفحات الرحمن في رياض القرآن

والتفسير الإصلاحي هو ما يحتاج إليه المسلمون اليوم، فمعظم التفسيرات ابتعدت عن هذا الاتجاه فركزت على الجانب الفقهي أو العقدي أو اللغوي... الخ، لكن ما أحوج الناس إلى من يصلح حالهم بكلام ربهم.

رابعاً: قواعد السياسة الرشيدة عند كعباش من خلال قصة ذي القرنين:

وقصة ذي القرنين فيها فوائد ودرر جمّة وعبراً لهذه الأمة في منهجية الحكم الرشيد، فمن خلال كل مرحلة يذكر كعباش تلك الفوائد التي إذا ما اتبعتها حكام اليوم كانت لهم منهاجاً لترسيخ قواعد الحكم الصحيح، حتى يمكن الله لهم في الأرض كما مكن لذي القرنين:

- تطبيق الموازين العادلة في سياسة المجتمع بوضع العقوبات والزواجر على الظلمة المعتدين، وتعيين الحوافز والتشجيعات للعاملين المحسنين. وهذا من تشريعات ذي القرنين في رحلته إلى مغرب الأرض
- السياسة الرشيدة لدى الحاكم المؤمن لا تتغير مع الناس ولا مع الزمان والمكان وهذا استخلصه من خلال معاملة ذي القرنين للأقوام بنفس المعاملة سواء في مشرق الأرض أو مغربها أو بعبارة أخرى تطبيق ما جاء في دستور حكمه فهو لديه خطة واحدة ومبدأ واحد.
- يقتضي العمران البشري أن يقوم على المجتمعات البشرية أصحاب الحلّ والعقد والذين وصفهم الله بأولي الأمر وجعل طاعتهم واجبة بعد طاعة الله ورسوله.
- لا تستقيم أمور الرعية إلا بصلاح الراعي وقيام مسؤوليته على الحق والعدل.
- الحاكم الحق يجب عليه القيام بمشاريع عمرانية تكفل أرزاق العباد، وتؤمن حياتهم من الفتن الداخلية والاعتداء الخارجي.
- المحافظة على ثروات البلاد فلا ينفقها إلا فيما يعود بالفائدة على الجميع.
- استعفاف الحاكم عن الأموال العمومية.
- الاستعانة بجهود المواطنين في المشاريع الضخمة.

اتخاذ السجون وحبس أهل الفساد فيها مع ردعهم بالعقاب الذي يستحقونه. (1)

ونقلت هذه القواعد لما لها من فائدة عظيمة علّها تصل إلى أسماع الحكام فيرجعون إلى القرآن الكريم ويتخذون منه سياستهم في الحكم، وكلام الشيخ كعباش درر فنرجو أن يجد أذان صاغية وقلوبا حيّة وهما عالية لتطبيقه، وحتى نرسم منهاجاً متكاملًا في السياسة الرشيدة.

(1) محمد سعيد كعباش: نفحات الرحمن، ج8، ص 261.

الفصل الثالث..... القصص القرآني من خلال تفسير نفحات الرحمن في رياض القرآن

خامسا: الإصلاح الأخلاقي

إنّ أهم جانب يركّز عليه المصلح بعد الجانب العقدي هو الجانب الأخلاقي والسلوكي، والشيخ كعباش يعلّمنا من خلال تفسيره أن نتخلّق بأخلاق القرآن الكريم ونسير على هدي الأنبياء الصّالحين ونترك ما كان عليه الأقوام السابقين من فساد في الأخلاق والدّين، يقول الشاعر حافظ إبراهيم:

إِنَّمَا الْأُمَّمُ الْأَخْلَاقُ مَا بَقِيَتْ... فَإِنَّ هُمْ ذَهَبَتْ أَخْلَاقُهُمْ ذَهَبُوا

ولقد أولى الشيخ كعباش عناية كبيرة بهذا الجانب في تفسيره، حيث يرى أنّ الأخلاق من أهمّ القضايا التي لا بدّ أن تكون من اهتمام كلّ فرد في المجتمع، وأعطى نصائح هامة يبيّن من خلالها أهميّة التحلي بالأخلاق الفاضلة والآداب الإسلاميّة وخطورة اتباع الفواحش والمنكرات.

ونتلمّس مشاعر الأمل والاستبشار حين يتحدّث عن الأخلاق الفاضلة التي لا تكون إلّا في رحاب الإسلام: كخلق الحياء والأمانة والنخوة والمروءة، كما نتلمّس الغضب ممزوجة بمشاعر الألم حين يتحدّث عن الانحراف الأخلاقي في المجتمعات العربيّة والدّوليّة.

ففي سياق تفسيره لقصة لوط عليه السّلام مع قومه الذين أتوا أقبح الفواحش بوجه لومه على المجتمع الدّولي الذي قنّ لممارسة الرّذيلة وأعطى للشّواذ الحرّية المطلقة في ذلك تحت حماية القانون، فحدّر الشيخ الأمّة العربيّة من عقاب محقق بالأمّة لما آلت إليه أخلاقها من انعدام الحياء وفعل المنكرات دون استشعار رقابة الله تعالى ولا خوف منه، وأكدّ الشيخ أنّ ما تتخبّط فيه الأمّة من فتن هو لا محالة نتيجة التّجاوزات الأخلاقية مع الله وممارسة الفواحش يقول الشيخ: " فنحن اليوم أقرب إلى الدّمار والخراب من أي وقت مضى، فليس عقاب الله قاصرا على ما ينزل به الأرض أو ينزله من السّماء، وأشدّ منهما أن يجعل بأسنا بيننا شديد"⁽¹⁾ ونستشعر ألم الشيخ على واقع هذه الأمّة وبراءته من أفعال العباد النّكراء بتوجّهه إلى الله تعالى داعيا: "اللهم إنّنا نسألك اللطف، وإذا أردت بعبادك فتنة فاقبضنا غير مفتونين"⁽²⁾ فهو دائما نجده يدعو لهذه الأمّة بالصّلاح والنّجاة من عذاب الله .

(1) محمد سعيد كعباش: نفحات الرحمن، ج10، ص 141.

(2) المرجع نفسه، ج10، ص 141.

المبحث الخامس: أغراض القصص القرآني في

تفسير الشيخ كعباش

- المطلب الأول: العبرة والموعظة
- المطلب الثاني: تسلية قلب النبي محمد ﷺ
- المطلب الثالث: التذكير بنعم الله

الفصل الثالث..... القصص القرآني من خلال تفسير فحاح الرحمن في رياض القرآن

المبحث الخامس: أغراض القصص القرآني في تفسير الشيخ كعباش

ذكر الشيخ كعباش أغراضاً عدّة من القصّة القرآنيّة، لكنّه يرى أنّ غرض العبرة والموعظة هو الغرض الأوّل والأساس ومن الأغراض التي فصلّ فيها:

المطلب الأوّل: العبرة والموعظة

اشتملت القصّة القرآنيّة على كثير من العظات والعبر التي تؤثر في النفوس، وتدفع الكافرين إلى الإيمان لئلاّ يصيبهم ما أصاب الأمم من قبلهم، أو يحلّ بهم من العذاب العاجل مثل ما حلّ بقوم هود أو قوم صالح أو قوم لوط⁽¹⁾. ويستعرضون في مخيلتهم شريطاً يصوّر لهم حال تلك الأقوام، فيأخذون العبرة من واقعهم، ويتعظون من عاقبة أمرهم، ويتحسّسون بمشاعرهم نتيجة العناد والاستكبار عن الحقّ الذي يتولّاه الله بعنايته، وتدفع المؤمنين لزيادة التمسك بدينهم، والتفاني في نشر تعاليمه، وتحمل الأذى في سبيله، لينالوا من النعيم ما أعدّ لهم ولأمثالهم السابقين، يقول الله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾⁽²⁾.

ويمكن القول أنّ الشيخ كعباش لم يجعل للقصص القرآني غرضاً غير العبرة والموعظة، لذلك نجد في كثير من المواضع التي طوى فيها سبحانه وتعالى أحداثاً ومشاهد القصّة، يذكر أنّها ما سيقّت إلا للعبرة، ولا فائدة من التفصيل فيما سكت عنه القرآن، فأسلوب الشيخ في سرد القصص القرآني دعويّ تربويّ، فكثيراً ما نجده يدعو القارئ إلى التأمل والتدبّر في مختلف أحداث القصص، كلّ ذلك بغرض الاعتبار والادّكار، ويقف الشيخ وقفة المتأمل المتبحّر في معاني كلّ كلمة، ومعاني كلّ حلقة من حلقات القصّة؛ محلاًّ إيّاها باحثاً عن الأهداف الربانيّة بين ثناياها .

واستوفيني تحليله الرائع لحديث النملة في القرآن الكريم حيث قال الله تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا أَتَوْا عَلَىٰ وَادٍ اللَّامِلِ قَالَتْ نَمَلَةٌ يَأْتِيهَا التَّمَلُّ أَدْخُلُوا مَسَكِنَكُمْ لَا يَحِطُّمَنَّكُمْ سُلَيْمَنُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾⁽³⁾ حيث استنتج الشيخ من الآية ما يلي:

✓ أنّ لهذه النملة مهمّة رائدة فإمّا أن تكون هي الملكة، أو تكون مكلفة بالحراسة.

(1) موسي شاهين لاشين: اللالئ الحسان في علوم القرآن، دار الشروق مصر، ط1(1423هـ-2002م) ص 317.

(2) يوسف: الآية 111.

(3) التمل: الآية 18.

الفصل الثالث..... القصص القرآني من خلال تفسير نفحات الرحمن في رياض القرآن

✓ في قولها: " وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ " دلالة على عدل النملة؛ لأنها أعذرت سليمان وجنوده بأنهم لا يشعرون، وأنهم لا يفعلون ذلك عن قصد الإذابة والظلم.

✓ في قولها " ادْخُلُوا مَسَكِنَكُمْ " دلالة على أن للنمل سرايب تحت الأرض لا يستطيع جيش أن يهدمها. (1)

✓ قدرة الله وعظمته في الخلق إذ ألهم هذا المخلوق الصغير تنظيم شؤون حياته بتلك الدقة العجيبة التي لا تقل عن تنظيم البشر تنسيقا.

هذه الحشرة التي أعطت لبي البشر درسا في القيادة والمسؤولية وهذا ما أراد الشيخ أن نقف عنده فالقصص كله مليء بالعبر.

1. العبرة العامة من إهلاك الأمم:

مما يميز تفسير الشيخ كعباش عمن سواه من التفسير كونه تفسير دعوي، فهو لا يكتف بعرض أحداث القصة فحسب بل يدبج التفسير بتعقيبات وتعليقات يدرجها عقب كل قصة، فبين العبرة منها وما يستخلص منها من فوائد تفيد المسلم في هذا العصر؛ فبعد عرض قرآني موجز لقصص الأنبياء مع أقوامهم في سورة هود يبين الله سبحانه وتعالى لنبيه الكريم العبرة مما قصه عليه فيقول تعالى: ﴿ ذَلِكِ مِنْ أَنْبَاءِ الْقُرَى نَقُصُّهُ وَعَلَيْكَ مِنْهَا قَائِمٌ وَحَصِيدٌ ۝١٠١ وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَمَا أَغْنَتْ عَنْهُمْ ءَالِهَتُهُمُ الَّتِي يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ لَمَّا جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْبِيبٍ ۝١٠٢ وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ۝١٠٣﴾ (2)

الشيخ كعباش أفرد هذه الآيات بعنوان مستقل " العبرة من إهلاك الأمم " ذكرا تحت هذا العنوان العبر التي يمكن استخلاصها من خلال تلك القصص ومن جملة ما ذكر من العبر ما يلي:

— أنها تبين مصائر الأمم التي تمادت في الظلم والطغيان.

— أن الشرك بالله وما ينجر عنه من الضلالات لا يستقيم معه عمران.

— الهلاك والعذاب يأتي من صميم المعصية والطغيان.

(1) محمد سعيد كعباش: نفحات الرحمن، ج10، ص 113.

(2) هود: الآية 100_102

الفصل الثالث..... القصص القرآني من خلال تفسير نفحات الرحمن في رياض القرآن

- أخبار الأمم السابقة هو نموذج لما أعدّه الله للمجرمين من عذاب الآخرة وهو أشدّ وأبقى. (1)

- من ثمرات الاعتبار بما كان من أحوال الأمم مع رسلهم أن يكون الرسول ﷺ ومن معه من المؤمنين متمسكا بالإسلام ومطبقا لتعاليمه على وجه قويم قال تعالى: ﴿فَأَسْتَقِمَّ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ (2) أمرٌ من الله له بالثبات والاستمرار على الحقّ هذه الآية التي كانت أشدّ وقعا على قلب رسول الله ﷺ. (3)

- أبقى الله سبحانه وتعالى _ زيادة على ما قصة لنبيه من عذابه وهلاكه للأمم السابقة التي عصت نبيها _ جزءا من مخلفات ذلك الهلاك ليكون مجال الاعتبار والاتعاظ أبلغ، كما يقول المثل: "ليس الخبر كالعيان".

2. استخراج الفوائد والحكم من القصص القرآني:

يبرز الأسلوب الدعوي عند الشيخ كعباش انطلاقا من عنوان تفسيره "نفحات الرحمن في رياض القرآن"، حيث يفهم القارئ أنّ هذا التفسير نابع من روح عاشت مع القرآن وغاصت في عمق معانيه، وتريد أن ترسل ما جنته من درر لكلّ من طرقت صفحات هذا التفسير، لذلك فالشيخ كعباش يذكر عقب بعض القصص ما ترمي إليه الآيات من فوائد وحكم تفيد المسلم، وتكون له رصيда معنويًا في مجال الدعوة إلى الله، فتارة يستخلصها هو وأحيانا يقتبسها من بعض التفاسير، ومثال ذلك ما استخلصه من تعبير يوسف عليه السلام للرؤيا أنّ فيها إرشادا نبويًا لما فيه مصلحة العباد وهو ادخار الأقوات مما فيه حفظ النفوس عن المقاصد الشرعية في الكليات الخمس، وأن يجتاط الناس لقوارع الزمن ومفاجآت الدهر. (4)

وأيضًا في حوار الله تعالى للملائكة بخصوص استخلاف آدم في الأرض ذكر فوائد وحكم راقية له من تفسير المنار:

— إنّ الله تعالى في عظمته وجلاله يرضى لعبده أن يسأله عن حكمته في صنعه، وما يخفى عليهم من أسراره في خلقه لا سيما عند الحيرة.

(1) محمد سعيد كعباش: نفحات الرحمن، ج6، ص 421/ المرجع نفسه: ج14، ص119.

(2) هود: الآية 112.

(3) محمد سعيد كعباش: نفحات الرحمن، ج6، ص 429.

(4) المرجع نفسه، ج7، ص88.

الفصل الثالث.....التقص القرآن من خلال تفسير صفحات الرحمن في رياض القرآن

— إذا كان من أسرار الله تعالى وحكمه ما يخفى على الملائكة، فنحن أولى أن يخفي علينا، فلا مطمع للإنسان في معرفة جمع أسرار الخليفة وحكمها، لأنه لم يؤت من العلم إلا قليلاً.

— إنّ الله تعالى هدى الملائكة في خيرتهم، وأجابهم عن سؤالهم لإقامة الدليل بعد الإرشاد إلى الخضوع والتسليم.⁽¹⁾

وفي قصة موسى عليه السلام ملأ الشيخ صفحات تفسيره بفوائد قيّمة، لكون قصة موسى من أكثر القصص ذكراً في القرآن الكريم، ولتنوع الأحداث فيها، حيث ذكر القرآن الكريم عدّة مشاهد في هذه القصة منها: قصة ميلاد موسى ورميه في اليمّ، وقتله للقبطي، وخروجه من مصر إلى مدين، وتكليم الله له في جبل الطّور، ومواجهته لفرعون وللسحرة، وخروجه مع بني إسرائيل، وذهابه إلى الميقات، وتركه أخاه هارون خليفة له، ولقاؤه بالخضر عليه السلام.

وفي كلّ مشهد من هذه المشاهد يستخلص الشيخ فوائد ودروساً فيها العبرة والحكمة:

أ. فوائد من قصة موسى في مواجهته لفرعون:

- تدرّج فرعون في استخدام الحوار الوجداني ثمّ الفكري دلالة على مكره ودهائه.
- الأسلوب الذكي لموسى عليه السلام في الحوار حيث ارتكز على النقاط الآتية:
- اختيار صفة الإيقان في قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِن كُنْتُمْ مُوقِنِينَ﴾⁽²⁾ لدفعهم إلى التأمّل الواعي وإدراك أنّ ذلك الخلق العظيم موجود قبل فرعون .
- استخدامه لضمير الجمع ﴿إِن كُنْتُمْ مُوقِنِينَ﴾ لإشراك مخاطبيه في مجلس فرعون لإقامة الحجّة عليهم.
- تدرّج موسى عليه السلام في تقديم الحجج الدامغة التي فنّدت وأنكرت ألوهية فرعون حيث انتقل من الحجّة المعقولية إلى الحجّة الواقعية.⁽³⁾
- تدرّج فرعون في الحوار هو نموذج لكلّ طاغية جبار حيث انتقل من الحجاج إلى التخويف والتّهديد.⁽⁴⁾

(1) محمد سعيد كعباش: نفحات الرحمن، ج1، ص92.

(2) الشعراء: الآية 24.

(3) محمد سعيد كعباش: نفحات الرحمن، ج10، ص 22-23.

(4) المرجع نفسه، ج10، ص 23.

الفصل الثالث..... القصص القرآني من خلال تفسير نفحات الرحمن في رياض القرآن

ب. العبرة من قصة ذي القرنين:

قصة ذي القرنين "من القصص الموعظة في القدم والتي لم يدونها التاريخ وهي من القصص التي سألها كفار قريش للرسول ﷺ قال تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ ذِي الْقَرْنَيْنِ﴾ (1) فكانت إجابة من الله لرسوله الكريم، وذو القرنين رجل صالح أتاه الله أسباب القوة و المنعة لبسط سلطته في الأرض، وسخر له الإمكانيات والوسائل التي يحقق بها غرضه في رحلاته الثلاث، والقرآن الكريم لم يذكر عن ذي القرنين إلا ما كان من فتوحاته العظمى في مشارق الأرض ومغاربها ولم يذكر شيئاً عن شخصه ولا عن زمانه ولا مكانه. (2)

ج. العبرة من قصة يوسف عليه السلام:

- وجوب الادّخار للأقوات مما فيه حفظ النفوس من المقاصد الشرعية في الكليات الخمس وهذا مما يُستخلص.
- احتياط الناس لقوارع الزمن ومفاجآت الدهر. (3)
- إسناد الأمور لذوي الكفاءات علما وخلقاً وسلوكاً (الرجل المناسب في المكان المناسب) (4)

وهذا مما يستخلصه من قول يوسف عليه السلام: ﴿قَالَ أَجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ

عَلَيْمٌ﴾ (5)

المطلب الثاني: تثبيت قلب النبي ﷺ

يقول الشيخ كعباش " إنّ من مزايا قصص الأنبياء في القرآن الكريم أنّها تعالج أوضاع أمم اختلفت في بيئاتها وأوضاعها الاجتماعية، وفي أمراضها الحضارية، وفي ذلك سجلّ حافل من الأحداث التاريخية يستخلص منها رسول الله ﷺ عبراً ودروساً، وهو يضع بأمر الله للناس جميعاً منهاجاً الذي يتلاءم مع كلّ زمان ومكان إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها. (6)

(1) الكهف: الآية 83.

(2) محمد سعيد كعباش: نفحات الرحمن، ج8، ص 248. (بتصرف)

(3) المرجع نفسه، ج7، ص 65.

(4) المرجع نفسه، ج7، ص 73.

(5) يوسف: الآية 55.

(6) محمد سعيد كعباش: نفحات الرحمن، ج10، ص 64.

الفصل الثالث..... القصص القرآني من خلال تفسير نفحات الرحمن في رياض القرآن

من خلال هذا الكلام يقرّر الشيخ أن القصة القرآنية جاءت أيضا لتثبيت قلب النبي ﷺ وقلوب الأمة الحمادية على دين الله وتقوية ثقة المؤمنين بنصرة الحق وجنده وخذلان الباطل وأهله، يقول جلّ وعلا: ﴿وَكَلَّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ ۗ﴾ (1) لأنه كان بحاجة إلى هذا التثبيت وهو يرى من قومه الغلظة والجفاء والكفر والعناد.

فقصص الأنبياء السابقين هي دروس يستخلص منها النبي ﷺ العبر، فبرغم اختلاف الأماكن والأزمان فإنّ دعوة الرّسل واحدة وهي الدّعوة إلى توحيد الله تعالى، وطبيعة الكفر واحدة أيضا وهي الوقوف في وجه الحقّ والتّطاول على أنبياء الله.

والشيخ كعباش فصلّ في بيان جانب التّسليّة والتّثبيت من خلال أخبار الأنبياء مع أقوامهم وأثرها على قلب الرسول ﷺ وعلى المؤمنين، وصوّر لنا مشاعر النبي ﷺ قبل التّلقّي وبعده.

ومن القصص التي اشتملت على هذا الغرض وفصل الشيخ كعباش في بيانه:

أ. قصة نوح مع قومه:

بيّن المولى جلّ وعلا من خلال قصة نوح وما بعدها من قصص الأنبياء عليهم السلام في سورة هود أنّ محمدا ﷺ ليس بدعا من الرّسل في معارضة قومه له، إذ أنّ ذلك سنّة الله في خلقه.

وفي بيان ما تهدف إليه قصة نوح عليه السلام من تثبيت قلب النبي ﷺ ومن معه، استخرج الشيخ كعباش وجه الشّبه بين حال نوح مع قومه وحال النبي ﷺ، والمتمثّل في تعنّت قومهما وتكبرهما عن دعوة الحق التي جاء بها يقول الشيخ كعباش: " ذلك أنّ الكفر ملّة واحدة وإن اختلفت الدّهور والعصور" (2) يقول الله تعالى يحكي تكبر قوم نوح: ﴿فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا تَرَىٰ إِلَّا بَشَرًا مِثْلَنَا وَمَا تَرَىٰكَ إِلَّا اتَّبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَادُوا بِادِّىَ الرَّأْيِ وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ ﴿٢٧﴾﴾ (3) كل ذلك تكبرا منهم واحتقارا لدعوة نبيهم وبالأسلوب ذاته خاطب كفار قريش محمدا ﷺ قال تعالى: ﴿وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴿٢١﴾﴾ (4) (5)

(1) هود 120.

(2) محمد سعيد كعباش: نفحات الرحمن، ج6، ص 349.

(3) هود: الآية 27.

(4) الزخرف: الآية 31.

(5) محمد سعيد كعباش: نفحات الرحمن، ج6، ص 349.

الفصل الثالث..... القصص القرآني من خلال تفسير نفحات الرحمن في رياض القرآن

فتشابه الأحداث والمواقف له الأثر البليغ على قلب نبي الله محمد ﷺ المكلم، من ردة فعل سادة وكبراء قريش، فتحصّف عنه وجعه وتزليل همّه وتربط على قلبه وتزيده قوة وثباتا على الحقّ وصلابة في مواجهة الباطل. ضف إلى ذلك قصّة الطوفان التي تصوّر لنا صراعا بين الحقّ والباطل وتظهر لنا عاقبة الكفر وعاقبة الإيمان؛ في مشاهد مؤثّرة من حنو الأب على ابنه وهو يشاهده ضمن الهالكين، وفي ثبات النبي نوح عليه السّلام وصبره على الابتلاء في ابنه برضاه بقدر الله. (1)

قلت: فإذا كان نوح صبر على كفر ابنه وعناده وهو الأشدّ إيلا ما أفلا يصبر محمد ﷺ على كفر أقربائه وقومه ومعه جنده ومدده من أهل بيته - حاشاه -

ثمّ يختم المولى عزّ وجلّ هذه الأحداث ببشارته للنبي ﷺ ومن معه من المؤمنين بأنّ عاقبتهم النّصر والتمكين إن هم صبروا، ولعدّوهم الخذلان والهلاك قال تعالى: ﴿ تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَقِيبَةَ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ (2)

ت. قصّة هود مع قومه عاد:

وهود أيضا رغم ترجّيه قومه بعبادة الله إلا أنّهم قابلوه بالكفر والإعراض عن دعوته وأنهموه بالجنون، قال تعالى: ﴿ إِنْ نَقُولُ إِلَّا أَعْرَضْنَا عَنْ بَعْضِ آيَاتِنَا بِسُوءٍ ﴾ (3)، كما أنّهم محمد ﷺ أيضا من قبل كفار قريش.

وما يستفاد من الآيات التي تحكي حوار هود مع قومه تلك القوّة والشجاعة، وذلك التّحدي والثّبات في مواجهته إيّاهم يقول تعالى: ﴿ قَالَ إِنِّي أَشْهَدُ اللَّهَ وَأَشْهَدُوكَ أَنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ ﴾ (4) من دُونِهِ فَكَيْدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ (5) إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (6) (4)(5)، وكأنّ هذه الآيات ترسل للنبي محمد ﷺ رسائل مفعمة بالقوّة والثّبات، وتدعوه للسّير على نهج إخوانه من الأنبياء، فمن نوح تعلّم الصبر، ومن هود تعلّم القوّة

(1) محمد سعيد كعباش: نفحات الرحمن، ج 6، ص 370 (بتصرّف)

(2) هود: الآية 49.

(3) هود: الآية 55.

(4) هود: الآية 54-56.

(5) محمد سعيد كعباش: نفحات الرحمن، ج 6، ص 377.

الفصل الثالث..... القصص القرآني من خلال تفسير فحاح الرحمن في رياض القرآن

والشجاعة، ومن كل قصة من قصص الأنبياء مع أقوامهم رسائل ربانية؛ تثبت قلب النبي ﷺ ومن معه من المؤمنين على طريق الدعوة الذي لن يكون مفروشا بالورود، بل هو شاق وطويل يحتاج إلى كثير من الصبر والتحمل.

ومن أعظم العبر المستفادة من هذه القصة، أنّ الداعي إلى الله عندما يخلص في دعوته، ويعتمد على الله سبحانه في تبليغ رسالته، فإنّه في هذه الحالة سيقف في وجه الطّغاة المناوئين للحقّ كالجبل الرّاسخ، الذي لا تنال منه ريح عاصف، ولا سيل جارف لأنّه يأوي إلى ركن شديد. وهكذا الدعاة المخلصين يبلغون رسالة ربهم، ويخشونه ولا يخشون أحداً إلا الله، ويغارون عليها، ويدافعون عنها بكل شجاعة وثبات، وبكل عزم وإصرار .

ح. قصة شعيب مع قومه ثمود:

قال تعالى: ﴿ قَالُوا يَشُعَيْبُ مَا نَفَقَهُ كَثِيرًا مِّمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرِيكَ فِيْنَا ضَعِيفًا ﴾ (1)

دائماً في مقام تسليّة قلب الرسول ﷺ بأخبار إخوانه من الأنبياء وما لاقوه من طغيان من طرف أقوامهم، تأتي قصة النبي شعيب عليه السلام؛ يخبرنا المولى جلّ وعلا من خلالها عن مواقف قوم شعيب تجاه نبيهم وعنادهم له، واتهامهم له بالهذيان وعدم الإفصاح سخريّة وتهكّمًا، وفي هذا المقام يذكر لنا الشيخ كعباش موقفاً مشابهاً من كفار قريش مع النبي محمد ﷺ يقول تعالى: ﴿ وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِيْ أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ وَفِيْ ءَاذَانِنَا وَقْرٌ وَمِنْ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ فَأَعْمَلْ إِنَّا عَمِلُونَ ﴾ (2) فتشابه المواقف أدعى للتفريج عن القلب والتّحلي بالصبر. (3)

وتتوالى قصص الأنبياء في بيان اجتهاداتهم في دعوة أقوامهم إلى توحيد الله عزّ وجلّ ونبذ ما سواه، والتّحلي بالأخلاق، ونبذ الظلم والتّعدي على حرّيات الغير، وتدرّجهم في أسلوب الدعوة من الاستعطاف والتّرجيب إلى التّوعد والترهيب ممّا يبيّن أنّ دعوة الأنبياء واحدة، ومن خلال أسلوبهم في الدعوة الذي يوشك أن يكون واحداً بين جميع الأنبياء، نستيقن جيّداً أنّ الله ما أرسلهم إلا رحمةً بأقوامهم وحبّاً فيهم، لذا جعل أسلوب التّوعد بالعذاب كآخر وسيلة للإيمان، لكنّهم ومع ذلك استمرّوا في عنادهم وتحديهم فكان جزاؤهم العذاب.

(1) سورة هود: الآية 91.

(2) سورة فصلت: الآية 05.

(3) محمد سعيد كعباش: فحاح الرحمن، ج6، ص 410.

الفصل الثالث..... القصص القرآني من خلال تفسير نفحات الرحمن في رياض القرآن

والعقاب يكون من جنس العمل، وفي كل هذا رسالة للنبي ﷺ أن اتبع سبيل من سبقك من الأنبياء، و اصبر كما صبر إخوانك، وفي النهاية لا يكون إلا النصر للمؤمنين والهلاك للطاغين وإن طال الزمن.

خ. قصة أصحاب الجنة:

يقول تعالى: ﴿إِنَّا بَلَوْنَهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ﴾ (1)

جاءت هذه القصة تسلية وتطمينا لقلوب المستضعفين من المسلمين في مكة، وهم يسمعون من رسول الله ﷺ توعد المولى عز وجل للمشركين بزوال النعمة وحلول النقمه، كما فعل بأصحاب الجنة، فالله ابتلاهم بنعمة الشجر والزرع والثمر لكنهم ظلموا المستضعفين وهموا بإفساد مزارعهم، لكن الله انتقم منهم، وكذلك ابتلى الله كبراء وسادة قريش بالمال والجاه لكن استعبادهم واستضعافهم للمسلمين سيكون سببا في زوال نعمتهم. (2)

المطلب الثالث: التذكير بنعم الله

يقول الطاهر بن عاشور في مقدمة كتابه "أن الغرض من سوق القصص في القرآن الكريم ليس قاصرا على حصول العبرة والموعظة مما تضمنته القصة من عواقب الخير والشر، ولا على حصول التنويه بأصحاب تلك القصص في عناية الله بهم أو التشويه بأصحابها فيما لقوه من غضب الله عليهم، كما تقف عنده أفهام القانعين بظواهر الأشياء وأوائلها، بل الغرض من ذلك أسمى وأجل، إن في تلك القصص عبرا حمة وفوائد للأمة، ولذلك نرى القرآن يأخذ من كل قصة أشرف مواضيعها ويعرض عما عداه ليكون تعرضه للقصص منزها عن قصد التفكك بها" (3)

إن لله على عباده نعم لا تحصى وخيرات لا تستقصى تفضل بها على خلقه، وهبات الله تعالى وعطاياه ظاهرة وباطنة جلية وخفية معلومة ومجهولة كما قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعْمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾ (4) والتذكير بنعم الله يوقظ القلب الغافل وينبهه إلى ما يرتع فيه الإنسان من خيرات عظيمة، ونعم جلييلة، فيكون ذلك أدعى للاستجابة لهدي الله والدخول

(1) سورة القلم: الآية 17.

(2) محمد سعيد كعباش: نفحات الرحمن، ج14، ص 119.

(3) محمد الطاهر بن عاشور: التحرير والتنوير، ج1، ص 64.

(4) سورة لقمان: الآية 20.

الفصل الثالث.....التقص القرآني من خلال تفسير نفحات الرحمن في رياض القرآن

في طاعته فوعدهم بالزيادة إن هم شكروه: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ^ص وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴿٧﴾⁽¹⁾ وضمن لهم بقاءها واستمرارها إن هم أطاعوه ، وتوعدهم بزوال نعمه وتحول عافيته إن هم عصوه. (2)

كما قال الله تعالى وقصّ علينا من أخبار الأمم الماضية قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكِنِهِمْ آيَةٌ^ص جَنَّاتٍ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَأَشْكُرُوا لَهُ، بَلَدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبُّ غَفُورٌ ﴿١٥﴾ فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتِ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثَلٍ وَشَيْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ ﴿١٦﴾ ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ يُجْزَىٰ إِلَّا الْكُفُورَ ﴿١٧﴾ ﴿٣﴾⁽³⁾ لذلك ذكّر الأنبياء أفعالهم بنعم الله طالبين منهم توحيدهم ونبذ ما يعبدون من دونه من الأنداد والأوثان.

التذكير بنعم الله جاءت بين ثنايا قصص خاطب بها الله سبحانه وتعالى اليهود وقت التنزيل - وهم أخلاف بني إسرائيل - عن طريق النبي ﷺ لعلهم يتوبوا ويشكروا الله على نعمه وقد صنّفها الشيخ كعباش بحسب موضوع كل مشهد وأدرجها تحت عنوان واحد " توالي النعم على بني إسرائيل " ويختلف غرض هذه الأحداث من القصص بحسب أسلوب الخطاب القرآني والمخاطب وعدّد الشيخ كعباش هذه النعم وفق ترتيب الآيات:

أولاً: باعتبار خطاب اليهود:

1. التذكير بنعمة الإنجاء:

يقول تعالى: ﴿وَإِذْ نَجَّيْنَاكُمْ مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُدَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَٰلِكُمْ بَلَاءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿٤٩﴾ ﴿٤﴾⁽⁴⁾

عدّد المولى جل وعلا على مسامع يهود المدينة أنواع العذاب الذي مارسه فرعون على أسلافهم من بني إسرائيل ودائما الكلام جاء بصيغة الخطاب فبقاء الأسلاف سبب في بقاء الأخلاف لذلك كان الإنجاء نعمة

(1) سورة إبراهيم: الآية 07.

(2) محمد سعيد كعباش: نفحات الرحمن، ج 10، ص 418 (بتصرف).

(3) سبأ: الآية 15-17.

(4) البقرة: الآية 49.

الفصل الثالث.....التقص القرآنى من خلال تفسير نفحات الرحمن فى رىاض القرآن

لأسلافهم ولهم. (1)

وكذلك نجّاهم من فرعون وجنده فى حادثة فرق البحر؛ التى هى أعظم معجزة لموسى عليه السلام يقول تعالى: ﴿فَأَنْجَيْنَاكُمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ﴾ (2) يقول الشيخ كعباش: "ل: " وأنتم تنظرون" وقعها الشّدِيد فى التذكير بهذه الحادثة وذلك بإسناد النَّظَر إلى الأخلاف المخاطبين حتى لكأهم هم الذين عايشوها وعابنوها دفعا لهم إلى التّصديق بما حدث. "(3)

1. التذكير بنعمة المواعدة وإعطائهم شريعة التوراة

يقول الله تعالى: ﴿وَإِذْ وَعَدْنَا مُوسَىٰ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ أَخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ ﴿٥١﴾ ثُمَّ عَفَوْنَا عَنْكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٥٢﴾﴾ (4)

ذَكَر المولى جلّ وعلا اليهود بمَنته على أسلافهم من بني إسرائيل، بوعد له موسى أربعين ليلة لينزل عليهم التوراة المتضمنة للنعم العظيمة والمصالح العميمة، وهى نعمة كبرى تستحق الشكر، ثم إنهم لم يصبروا قبل استكمال الميعاد حتى عبدوا العجل من بعده جحودا، وأكرمهم أيضا بنعمة أخرى وهى العفو عنهم بعد جحودهم وكفرهم، ومحو ذنوبهم لعلهم يشكروا الله على نعمه ويطيعوه ويهتدوا إلى الحق، ودائما الكلام يكون بصيغة الخطاب حتى لكأن السامعين هم مع أجدادهم يتنعمون بما منحهم الله فيكون ذلك أبلغ فى التذكير وأنفع فى السلوك وهذا هو الأسلوب المشترك فى جميع أحداث قصص بني إسرائيل. (5)

2. التذكير بنعمة الإحياء

قصة بني إسرائيل " يقول الله عز وجل: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَىٰ لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَىٰ اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ ﴿٥٥﴾ ثُمَّ بَعَثْنَاكُمْ مِنْ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٥٦﴾﴾ (6)

(1) محمد سعيد كعباش: نفحات الرحمن، ج1، ص127.

(2) البقرة: الآية 50.

(3) محمد سعيد كعباش: نفحات الرحمن، ج1، ص127.

(4) البقرة: الآية 51.

(5) محمد سعيد كعباش: نفحات الرحمن، ج1، ص136.

(6) البقرة: الآية 55_56.

الفصل الثالث..... القصص القرآني من خلال تفسير نفحات الرحمن في رياض القرآن

يقصّ الله سبحانه وتعالى على نبيه مشهدا آخر من قصص بني إسرائيل؛ يذكّر بها اليهود "بنعمة الإحياء بعد الإماتة لبعض أسلافهم، وهم الذين اختارهم موسى عليه السّلام لميقات ربه... والقائلون برؤية الله جلّ وعلا هم الأسلاف لكن خوطب به الأخلاف على اعتبار أنّ الأمة الواحدة تتكامل فيها الأجيال وتتضامن في المسؤولية الجماعية للشعوب." (1)

3. التذكير بنعمة الظلّ والطيب من الأكل

يقول الله تعالى: ﴿وَوَضَّلْنَا عَلَيْكُمْ الْغَمَامَ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّٰنَ وَالسَّلْوٰى ط كُلُوا مِنْ طَيِّبٰتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾ (2) يقول الشيخ كعباش: "التظليل بالغمام في بيئة صحراوية نعمة كبرى، ولولا ذلك الظلّ الذي لازمهم في رحلتهم في صحراء سيناء للفتحهم حرارة الشّمس وما استطاعوا إكمال مشوارهم إلى الأرض المقدّسة" (3) ويبيّن الشيخ كعباش قيمة نعمة الظلّ وخصوصيتها في البيئة الصحراوية، خاصّة في فصل الصّيف، حيث تبلغ درجة الحرارة أقصى درجاتها، فتتعرّس الحياة، فلا يستطيع النّاس الخروج في جميع الأوقات، فنعمة الظلّ من النّعم التي منّ الله بها على عباده، وما ركّز الشّيخ عليها في هذه الآية، إلّا لأنّه يعيش في بيئة صحراوية ويعرف قيمة الظلّ، وكذلك أعم الله عليهم بنعمة الأكل الطيّب، المختلف شكّا ولونا وذوقا، ونفعا.

ثمّ استفاض الشّيخ في بيان صفات أنواع المأكولات التي منّ الله بها عليهم وهم في سفرهم إلى الأرض المقدّسة، ثمّ ينتقل الله تعالى بعد ذكر النّعم إلى ذكر الظلم والجور والجحود الذي قابل به هؤلاء نعم الله تعالى فقال في نهاية الآية: ﴿وَمَا ظَلَمُونَا وَلٰكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ (4) بضمير الغيبة لقصد الاتّعاظ والاعتبار. (5)

يعدّد الله جلّ وعلا كلّ هذه النّعم ليذكّر النّاس بفضلها عزّ وجلّ، وأنّه صاحب كل واسع الفضل، كريم على عباده، ولكن قليل من عباده الشّكور.

(1) محمد سعيد كعباش: نفحات الرحمن، ج1، ص 132. (بتصرّف)

(2) البقرة: الآية 57.

(3) محمد سعيد كعباش: نفحات الرحمن، ج1، ص 133.

(4) البقرة: الآية 57.

(5) محمد سعيد كعباش: نفحات الرحمن، ج1، ص 135.

الفصل الثالث.....القصص القرآني من خلال تفسير نفحات الرحمن في رياض القرآن

ثانيا: باعتبار الخطاب للرّسول ﷺ :

ومن جهة أنّ الخطاب للرّسول ﷺ كونه المتلقي والمبلّغ عن الله تعالى فالقصص بغرض التّسليّة والتّثبيت وأخذ العبرة والموعظة وهذا ما فصّلنا القول فيه في المطالب السّابقة.

المبحث السادس: التوجيهات العقديّة والفقهية

في القصة القرآنية

- المطلب الأول: موقف الشيخ كعباش من آيات الصفات
- المطلب الثاني: موقف الشيخ كعباش من مسألة الرؤية
- المطلب الثالث: موقف الشيخ من الآراء الفقهية في القصة القرآنية

الفصل الثالث..... القصص القرآني من خلال تفسير نفحات الرحمن في رياض القرآن

المبحث السادس: التوجيهات العقدية والفقهية في القصة القرآنية

جاء ضمن آيات القصص القرآني آيات ذات صلة بالعقيدة الإباضية لهم رأيهم الخاص الذي يختلف عن منهج أهل السنة والجماعة، وبحكم أنّ الشيخ كعباش من الإباضية المعاصرين رأينا أن ندرس رأيه في مثل هذه المسائل خاصة وأنّ تفسيره " نفحات الرحمن " ليس موجّها للإباضية وحدهم بل هو لكلّ مسلم فهل تعصب الشيخ وفسّر الآيات بحسب ما يقتضيه مذهبه، أم أنّه ذكر التفسيرات المختلفة للآيات مع الترجيح، أم أنه ذكرها دون ترجيح؟

المطلب الأول: موقف الشيخ كعباش من آيات الصفات.

أولاً: صفة الكلام

في قصة موسى عليه السلام وردت عدة آيات في عدة مواضع تحدثت عن كلام الله لموسى، وخصوصيته عن سائر الأنبياء بكلام الله له حتى سميّ كلّم الله والشيخ كعباش في كل موضع من هذه المواضع يكتفي ببيان معنى "كلمه الله" بما جاء في سورة الشورى: ﴿ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَائِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلَىٰ حَكِيمٍ مُّبِينٍ ﴾ (1)، ففي قوله تعالى: ﴿ تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ ﴾ (2) يقول كعباش: " وهو موسى عليه السلام شرفه الله بهذه المنقبة وهذا الكلام بون واسطة جبريل هو نوع من الوحي كما جاء ذلك في سورة الشورى. " (3)

هذا الكلام واضح لا غبار عليه ولا يعترض عليه أحد لكن إذا ما رجعنا إلى تفسيره لآية الشورى نجده ينكر صفة الكلام ولا يعرفها مما تفهم على أنّها ليست من ذات الله يقول كعباش: " أن يسمع الرسول كلاماً من وراء حجاب ولا يرى شيئاً وهذا ما حدث لكلّم الله موسى عليه السلام، فهو نوع من هذا الوحي إذ قال الله له: " وأنا اخترتك فاستمع لما يوحى " وكما حدث لرسول الله ﷺ في ليلة الإسراء عند فرضية الصلاة

(1) الشورى: الآية 51.

(2) البقرة 253

(3) محمد بن سعيد كعباش: نفحات الرحمن، ج2، ص 121.

الفصل الثالث.....التقص القرآن من خلال تفسير نفحات الرحمن في رياض القرآن

عليه وعلى أمته⁽¹⁾ وبه فسّر أيضا قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَىٰ لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ﴾⁽²⁾ ثم أردف هذا بقوله: "ولا شك أنّ إسناد الكلام إلى الله تعالى هو مجازي، لأنّ النطق بالألفاظ المفيدة للمعاني وفق مصطلح التكليم لدينا نحن البشر مستحيل على الله، ثم يضيف.. "فموسى كان يسمع ذلك الكلام دون واسطة الملك... وفي ذلك المقام القدسي التّشريفى لموسى في موقف الميقات حيث غشاه جلال النبوة بسماع الكلام استشرفت نفسه لرؤية الذات العلية"⁽³⁾

﴿وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَرُسُلًا لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَىٰ

تَكَلِيمًا ﴿١٦٤﴾﴾⁽⁴⁾ يقول الشيخ كعباش في تفسير هذه الآية" اختلف التعبير عن الوحي بخصوص سيدنا موسى للدلالة على هذا النوع الممتاز من الوحي خص به هذا الرسول الكريم."⁽⁵⁾

ثم إنّه دائما يرجع إلى آية الشورى ولا يخوض أكثر من هذا التفسير.

ثانيا: صفة العين:

في سورة طه يعدد الله على موسى النعم والمنن التي حباه الله بها ومن هذه المنن: ﴿وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً

مِّنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِي ﴿٣٩﴾﴾⁽⁶⁾

يؤوّل معنى العين على أنّها بمعنى الحفظ والعلم يقول كعباش: ﴿عَلَىٰ عَيْنِي﴾ على للاستعلاء المجازي، أي

المصاحبة المتمكنة، والعين مجاز في المراعاة كما قال تعالى لرسوله: ﴿فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾⁽⁷⁾ "أي بمحلّ عنايتنا ورعايتنا والعين تمثيل لشدة الملاحظة وهي كناية النّصر والحفظ."⁽⁸⁾

(1) محمد سعيد كعباش: نفحات الرحمن، ج 12، ص 321.

(2) الأعراف: الآية 143.

(3) محمد سعيد كعباش: نفحات الرحمن، ج 5، ص 178.

(4) النساء: الآية 164.

(5) محمد سعيد كعباش: نفحات الرحمن، ج 3، ص 396.

(6) طه: الآية 39.

(7) الطور: الآية 48.

(8) محمد سعيد كعباش: نفحات الرحمن، ج 13، ص 239.

الفصل الثالث.....التقص القرآن من خلال تفسير نفحات الرحمن في رياض القرآن

ولبيان هذا المعنى أكثر _ أن العين بمعنى الرعاية والعناية _ يستشهد بيت من الشعر لأحمد شوقي حيث يقول:

وإذا العناية لأحظتكَ عُيُونُهَا.....تَمَّ فَالْمَحَاوِفُ كُفُّهُنَّ أَمَانُ. (1)

وكذلك في سياق الحديث عن حياة موسى عليه السلام في سورة القصص والتي تناولت ميلاد موسى عليه السلام ومشهد قتله للقبطي وخروجه من مصر إلى مدين واستقراره فيها يقول الشيخ: "كل ذلك كان إرهاصاً ومقدمات هيأتها يد القدرة لموسى ليصنع على عينيها." (2)

ثالثاً: صفة النفس

في قصة موسى عليه السلام ورد قوله تعالى: ﴿ وَأَصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي ﴾ (3)

اعتبر الشيخ مصطلح "نفسى" تمثيل لما يضطلع به موسى من مهام رسالة الله. (4) وكذلك في قصة عيسى عليه السلام وحواره مع الله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَعْيسَى ابْنَ مَرْيَمَ ءَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمَّيَّ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالِ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقِّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ وَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعَلَّمَ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ ﴾ (5) يفسر النفس بالعلم يقول: "إضافة النفس إلى اسم الجلالة يكون بمعنى العلم الذي لم يطلع عليه غيره وجيء بكلمة النفس لمشكلة ما قبلها." (6)

رابعاً: صفة السمع والرؤية

في قوله تعالى لموسى وهارون: ﴿ إِنِّي مَعَكُمْ أَسْمَعُ وَأَرَى ﴾ (7)

(1) محمد سعيد كعباش: نفحات الرحمن، ج8، ص393.

(2) المرجع نفسه: ج10، ص205.

(3) طه: الآية 41.

(4) محمد سعيد كعباش: نفحات الرحمن، ج8، ص395.

(5) المائدة: الآية 116.

(6) محمد سعيد كعباش: نفحات الرحمن، ج4، ص173.

(7) طه: الآية 46.

الفصل الثالث..... القصص القرآني من خلال تفسير نفحات الرحمن في رياض القرآن

وذلك حين أرسلهما لمجابهة فرعون ودعوته لعبادة الله وحده علل الشيخ كعباش السمع والرؤية بمعينه لهما بالحفظ والرعاية والنصر والتأييد، وكذلك فسّر قوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ اللَّهَ يَرَى﴾ (1)

حيث فسّر الرؤية بالحاسبة والمجازاة وخلط بين صفات الله وأسمائه فاعتبر صفة أن الله يرى " اسما من أسمائه " أنه عليم " ومعلوم أن الصفة ليست اسما وأن كانت تدخل تحته يقول: " يرى " كناية عن التهديد والوعيد لذلك الطاغية بأنه تعالى عليم بأفعاله وسيجازيه على ذلك " (2)

خامسا: صفة المجيء

في قوله تعالى: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِّنَ الْغَمَامِ﴾ (3)

يكرّر الشيخ كعباش أن صفة الإتيان مجازية ومعنى يأتيهم الله أي يأتي أمر الله لأن الله تعالى لا يتحيز في مكان ولا زمان، أما إسناد الإتيان للملائكة فهو إسناد حقيقي أي نزولهم لتنفيذ عذاب الله يوم الجزاء على الزالين عن طريق الله.

وفي قوله تعالى: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ﴾

يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ (4) قال: " إتيان الربّ تعالى : أي إتيان أمره بنصر أوليائه ودحر أعدائه وكل ذلك واقع في الدنيا أما في الأمور الغيبية من الحياة الأخرى فله تأويل آخر كإذنه تعالى بالحساب يوم القيامة. " (5)

وخلاصة القول فإنّ المسلمين وإن اختلفوا في فهمهم آيات الصفات الواردة في القرآن الكريم، لكنهم متفقون على وجوب تنزيه الله تعالى عن كلّ نقص، وإن أهم ما يجب أن يعتقد المسلم في مسألة الصفات أنّ الله ليس كمثله شيء، كما ذكر في القرآن الكريم، وهذا يعني أنّ كلّ صفة لمخلوق ليست من صفات الله تعالى، فحياته محدودة، ومحتاج إلى غيره، وواجب على كلّ مسلم أن ينزه الله تعالى عن جميع النقائص، وينسب

(1) العلق: الآية 14.

(2) محمد سعيد كعباش: نفحات الرحمن ، ج 14، ص 444.

(3) البقرة: الآية 210.

(4) الأنعام: الآية 158.

(5) محمد سعيد كعباش: نفحات الرحمن، ج 4، ص 440.

الفصل الثالث.....التقص القرآن من خلال تفسير فحاح الرحمن فى رفاض القرآن

إليه كُله صفاء الكمال، وكُلما اعترضته آفة أو حاء صاء فى صفاءه تعالى، أو اعراه شىء فى قلبه؛ فليل كما قال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾⁽¹⁾

المطلب الثانى: موقف الشىء كعباش من مسألة رؤية الله عز وجل.

وهذا الأصل أيضاً من الأصول اللامعة فى عقائء الاباضية فهم ينكرون رؤية الله فى الدنيا والآخرة والآيات الاءى جاءء فى هذا الباب فى قصة بنى إسرائيل حين طلبوا من موسى رؤية الله فقالوا: ﴿يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكُتُبِ أَنْ تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتاباً مِنَ السَّماءِ فَقَدْ سَأَلُوا مُوسى أَكْبَرَ مِنْ ذَلِكَ فَقَالُوا أَرِنَّا اللَّهَ جَهْرَةً﴾⁽²⁾

وفى قصة موسى عليه السلام قال تعالى: ﴿وَلَمَّا جاءَ مُوسى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِ أَنْظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ نَرِنى وَلَكِنِ أَنْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرِنى فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسى صَعِقاً فَلَمَّا أَفاقَ قَالَ سُبْحانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ﴾⁽³⁾

عرضنا فىما سبى لحادثة المىقات وتكلم الله لموسى وذكرنا رأى الشىء كعباش فى المسألة، وفى انقاله لتفسىء الجزء الخاص بطلبه رؤىءه بقول كعباش: "الإجابة الإلهىة جاءء نافىة نفىا تأبىءىاً للرؤىة فى الحاضر والمستقبل، إذ لىس لأءء من الخلق القءءرة على ذلك وقء ظنّ موسى أنّ مقام الحظوة الاءى حباه الله بها فى الاصال بالملأ الأعلى ءؤوله تلك المىزة للاستشراف إلى ذلك المقام العالى، ولكن جلال الألوهىة فوق الطاقة البشرىة المءءوءة" مسءءلاً بالحاءء الذى رواه مسلم عن أبى موسى الأشعرى: "حِجابُهُ النُّورُ لَوْ كَشَفَهُ لَأَحْرَقَتْ سُبُحانُ وَجْهِهِ ما انْتَهى إِلَيْهِ بَصَرُهُ مِنْ خَلْقِهِ"⁽⁴⁾ رأى كعباش فى المسألة واضح فهو يأءء برأى مذهبه الإباضى بعءم جواز الرؤىة وهذا ما بىءنه قوله: "الإجابة الإلهىة جاءء نافىة نفىا تأبىءىاً للرؤىة فى الحاضر والمستقبل."⁽⁵⁾ وكذلك إذا ما رجعنا إلى ما ذكره فى الءءقىق اللغوى لمفراءء الآى بقول: ﴿لَنْ تَرِنى﴾ لن ءسءعمل لتأبىء النفى ولءأكىء النفى فى المسءقبل. لكننه لا يكءفى بءبىان رأبه فقط بل ذكر كءءام تفسىره للآفة أن مسألة الرؤىة ما ءزال مءار جءل كبىر بىن المءكلمىن، وأن المءفق علىه هو اسءءالة

(1) الشورى: الآفة 11.

(2) النساء: الآفة 153.

(3) الأعراف: الآفة 143.

(4) أحمد بن حنبل: مسءء أحمد، مسءء الكوفىىن، حاءء أبى موسى الأشعرى، ج 32، ص 405.

(5) محمد سعىء كعباش: نفاءاء الرحمن، ج 5، ص 178.

الفصل الثالث.....التقص القرآني من خلال تفسير نفحات الرحمن في رياض القرآن

رؤيته في الدنيا، ثم يذكر رأي ابن عاشور مفاده أن الخلاف بين الفريقين خلاف في اللفظ، فكلا الفريقين _ القائلين بإمكانية الرؤية واستحالتها في الآخرة_ يتفقان على استحالة إحاطة الإدراك بذات الله واستحالة التحيز. (1)

ونلاحظ أنّ الشّيخ وإن كان معتقده واضحاً إلا أنّه يعزف عن الخوض في مسائل العقيدة الخلافية بين المسلمين لأنّه يعتبر التفسير ليس مظانّه هذه المسائل، وإنّما لها مظانّها الخاصة التي تطلب منها، فيذكر رأي مشايخه بإيجاز، وأنّه يميل إليه.

أما في تفسير قوله تعالى: ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاصِرَةٌ﴾ (2)

فقد ذكر كلا الرّأيين فقال: " يتردّد معنى الكلمة بين الانتظار فيقدر له مضاف كما قال الإمام علي: ينتظرون إذن ربّهم بدخول الجنّة كما يراه الإباضيّة والمعتزلة، أو هي بمعنى النظر العيني البصري بمعايير النّشأة الأخرى وليس بمعايير المألوف الأرضي " ولكل حججه وأدلته التي يعضّض بها رأيه ويفوض فيها العلم إلى الله. (3)

وكذلك بالنسبة لصفة التجلّي التي جاءت في الآية: ﴿فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ﴾ يعتبر التجلّي ليس التجلّي بالمعنى اللغوي الذي يفيد حقيقة الظهور وإنّما هو التجلّي المجازي والذي يراد به إزالة الحوائل المعتادة التي جعلها الله حجاباً بين الموجودات الأرضية وبين قوى العظمة والجبروت التي استأثر الله بتصرفها. (4)

من خلال هذا العرض الذي يتناول رأي كعباش في المسائل العقديّة الخلاقيّة بين المذهب الإباضي ومذهب أهل السنّة والجماعة فيمكننا تلخيص رأيه فنقول:

- أنه يبيّن رأيه وما يعتقدّه صواباً على اعتبار أنه الأصل عنده ويذكر ما يدلّ على صحته سواء من القرآن أو من كتب الحديث أو من اللغة.
- أنه يتجنب الخوض في مثل هذه المسائل الخلافية ويحيل القارئ إلى مظانها من الكتب الإباضية وإلى مشايخه فيها والإحالة إلى المشايخ أي انه يعتد بقولهم.

(1) محمد سعيد كعباش: نفحات الرحمن، ج5، ص 178.

(2) القيامة: الآية 22.

(3) محمد سعيد كعباش: نفحات الرحمن، ج4، ص 341 / وأيضاً المرجع نفسه، ج14، ص335.

(4) المرجع نفسه، ج5، ص 175.

الفصل الثالث..... القصص القرآني من خلال تفسير نفحات الرحمن في رياض القرآن

- أنه يذكر رأي الإباضية ورأي أهل السنة دون الترجيح بينهما ويكتفي بالقول أنّ المسائل خلافية ولا حاجة للخوض وأنّ لكلّ حججه وأدلته إنصافا لكلا الفريقين.
- الشيخ كعباش وسطيّ معتدل فلا هو تنكّر لمذهبه ولا هو تعصّب له، وعدم خوضه في مثل هذه المسائل فذاك منهجه الذي رسمه في بداية تفسيره إذ لا يكثر الكلام فيما يخرج عن معنى الآية والغرض الذي سيقت له.

ويمكن أن نختم هذا المبحث بكلماته التي تدعو إلى الوحدة وعدم التفرق والاختلاف في الدين بين المسلمين وذلك انطلاقاً من قوله تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَقْتَلَ الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ وَلَكِنْ اُخْتَلَفُوا فَمِنْهُمْ مَنْ ءَامَنَ وَمِنْهُمْ مَنْ كَفَرَ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَقْتَلُوا وَلَكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾⁽¹⁾ التي جاءت عقب حديثه عن تفضيله للرسل بعضهم على بعض من الآيات القرآنية الكثيرة أيضاً في هذا الباب حيث يقول: "الاختلاف في الدين الواحد - كما حدث بين المسلمين - لا يجوز أن يؤدي إلى مستوى التكفير الذي يؤدي إلى الاقتتال، لأن الدين يجمع ولا يفرق فيجب على المسلمين أن يعذر بعضهم بعضاً فيما ينشأ بينهم من الخلاف لا يمسّ جوهر الدين في أصوله ومبادئه الكبرى."⁽²⁾

ولعله يقصد بهذا الكلام ما وصلت إليه حالة المسلمين من المالكية والإباضية في الجنوب الجزائري تحديداً ببرتّان بولاية غرداية من حالة الاقتتال؛ التي تسببت في زهق أرواح وسفك دماء وتدمير بيوت؛ لشحناء بينهم، نسأل الله الأمن والأمان لهذا البلد وأن يحميه من الجهلة الظلمة.

المطلب الثالث: موقفه من الآراء الفقهيّة في القصّة القرآنيّة

لم يغفل الشيخ عن بيان بعض الأحكام الفقهيّة من خلال آيات الأحكام، ومن خلال القصّة القرآنيّة التي لا يوحى ظاهرها بوجود حكم فقهي، فيحاول الشيخ استنباط تلك الأحكام وبيانها للمتلقّي بشيء من الإيجاز والاختصار، وأحياناً نجده ينقل تلك الأحكام عن الشيخ الطاهر بن عاشور، أو الشيخ اطفيش.

والشيخ لا يخوض في بيان الاختلافات بين الفقهاء، ولا يعنى بها تفسيره، فيذكر الآراء المختلفة ثمّ يذكر الرّأي الرّاجح عنده أو عند الجمهور؛ دون الرّدّ أو التعقيب على الآراء الأخرى، ولا يتعصّب لرأي مذهبه، بل يذكر الآراء بكلّ موضوعيّة.

(1) البقرة: الآية 253.

(2) محمد سعيد كعباش: نفحات الرحمن، ج2، ص 123.

الفصل الثالث..... القصص القرآني من خلال تفسير نفحات الرحمن في رياض القرآن

ومن الأمثلة على ذلك ذكر الشيخ في تفسير قول الله تعالى على لسان سليمان عليه السلام -عندما تفقد الهدهد ولم يجده-: ﴿لَا عُدْبَنَّهُ وَعَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَا أَدْبَحْنَهُ أَوْ لِيَأْتِيَنِي بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴿١١﴾﴾ (1)
أحكاما فقهية في بيان عقوبة الحيوانات نقلا عن الطاهر بن عاشور ومن بين ما ذكر:

- الهرة إذا آذت وقصد قتلها لا تعذب ولا تخنق بل تذبح بموسى حادة هذا عند أبي حنيفة.

- لا بأس بقتل النمل إذا آذى وهو قول ابن أبي زيد القيرواني. (2)

- والخيول تعاقب عقابا خفيفا لتربيتها على تعلم السير ونحوه وهو مأذون فيه. (3)

يحاول الشيخ كعباش استنباط الأحكام الفقهية من القصص القرآني، ففي قصة موسى عليه السلام مع الرجل الصالح قال تعالى: ﴿قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَيَّ أَنْ تَأْجُرَنِي ثَمَنِي حِجَابٍ فَإِنْ أَتَمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِنْدِكَ﴾ (4)

ذكر الشيخ كعباش بعض الأحكام الفقهية ناقلا إياها عن الشيخ اطفيش رحمه الله نلخصها في النقاط الآتية:

- التوسعة بين الأجلين لا تعدّ جهالة لأثما على الثمان وإن شاء أتم العشر.
- لا يضرّ الإجمال في قوله ﴿إِحْدَى ابْنَتَيَّ﴾ لأنه يبيّن بعد ذلك واحدة وميّزها.
- لا يضرّ عدم بيان زمان ابتداء الرعي، فإنّ العقدة إذا لم تؤجّل كانت على الحلول.
- مذهب الشافعية والحنفية جواز الصداق بالرعي، ومالك الإجازة والكرهية والمنع. (5)

(1) التمل: الآية 21.

(2) ابن أبي يزيد القيرواني هو: عالم أهل المغرب أبو محمد عبد الله بن أبي زيد القيرواني المالكي، صاحب كتاب " الرسالة في الفقه المالكي " توفي 389هـ (محمد حسين الذهبي: سير أعلام النبلاء، مؤسسة الرسالة، ط 3 (1405هـ - 1980م) ج 17، ص 10-13).

(3) محمد سعيد كعباش: نفحات الرحمن، ج 10، ص 118 / محمد الطاهر بن عاشور: التحرير والتنوير، ج 19، ص 246.

(4) القصص: الآية 27.

(5) محمد سعيد كعباش: نفحات الرحمن، ج 10، ص 202 / محمد بن يوسف اطفيش: تيسير التفسير، ج 10، ص 420.

الفصل الثالث..... القصص القرآني من خلال تفسير نفحات الرحمن في رياض القرآن

- بيان عقوبة اللواط:

في قصة لوط عليه السلام بين الشيخ كعباش بإيجاز حدّ اللائط فقال: "هي من أعظم الكبائر في الإسلام، يحدّ مرتكبوها بالقتل إجماعاً من صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلّم، أمّا كيفية ذلك فقد اختلف فيه الأئمة ما بين الحرق بالنار، أو الرجم، أو الإلقاء من شاهق، إلّا أبا حنيفة فهو يرى التعزير" (1)

وختاماً لهذا الفصل ومن خلال ما عرضناه من دراسة حول القصة القرآنية في تفسير الشيخ كعباش نجد أنّ الشيخ كعباش اتخذ من القصة القرآنية منبراً للدعوة والإصلاح، خاصّة في وقتنا هذا الذي كثرت فيه المنكرات والمفاسد العقائديّة والسلوكيّة والاجتماعيّة والسبب الأوّل هو بعدنا عن سيرة الأولين وعدم الاعتبار بها، فنجدّه يحرص بشدّة على العودة إلى التمسك بكتاب الله العظيم من أجل كل إصلاح ورفي وازدهار.

(1) محمد سعيد كعباش: نفحات الرحمن، ج10، ص 69.

خاتمة

الحمد لله الذي تمَّ بنعمته الصالحات، والصلاة والسلام على سيدنا محمد ﷺ خاتم الرسل
والتبوت، أحمده سبحانه وأثنى عليه حمداً كبيراً طيباً مباركاً فيه، أن أعانني على تمام هذه الرسالة
الموسومة ب: "القصص القرآني من خلال التفاسير الإباضية الحديثة والمعاصرة".

وقبل الختام لابد من ذكر ثمرة هذه الرسالة، والتي تتمثل في جملة من النتائج والتوصيات:

أ. أهم النتائج:

✓ المدرسة الإباضية أقرب المذاهب الإسلامية إلى مذهب أهل السنة والجماعة، وما كان من اختلاف
هو في الأمور الاجتهادية، والتفسير اجتهاد، وكلّ يؤخذ من قوله ويردّ، وهذه الاختلافات لا ترتقي إلى
تكفير أصحاب المذهب أو إخراجهم عن ملة الإسلام كما يدّعي بعض من ينسبون إلى الإسلام.

✓ إنّ القصص القرآني من الموضوعات المهمة التي تسهم في معالجة قضايا الواقع؛ لذلك لم يغفل عنها
المفسرون الإباضيون، بل احتلّت مساحة واسعة في تفاسيرهم، واتّخذوها منبراً للإصلاح بمختلف مجالاته،
فلم يبخل المفسرون الإباضيون المعاصرون في استنباط الأحكام والفوائد من بين ثنايا القصة القرآنية، وإفادة
الناس بها.

✓ القصة القرآنية في التفاسير الإباضية غرضها الأساس هو العبرة والموعظة، وذلك يتناسب مع الدروس
الشفوية التي كان هدفها الأول إصلاح المجتمع والرقّي به، وذلك من خلال المقاربة بين أقوام في زمن مضى
وزمن نعيشه، وتحديد العوامل المشتركة بينهما رغم اختلاف الأزمان، وبذلك يكون لها الأثر العميق في
نفوس المتلقين.

✓ إنّ الاهتمام بالتفسير عند الإباضية في القرن الأخير قد أخذ يتزايد بشكل واضح خاصّة عند
إباضية الجزائر، ولعلّ هذه الجهود جاءت لتغطّي النقص في التفسير الإباضي في القديم.

✓ جلّ الجهود في تفسير القرآن الكريم في العصر الحديث والمعاصر كانت عند إباضية الجزائر، فلم
نقف على تفسير مشرقى مطبوع سوى تفسير جواهر التفسير لأحمد الخليلي العماني، وباقي التفاسير هي
من إنتاج إباضية الجزائر.

✓ تتباين التفاسير الإباضية في اهتمامها بموضوع القصة القرآنية، وذلك لاختلاف الزمان واختلاف
اهتمامات كلّ عصر.

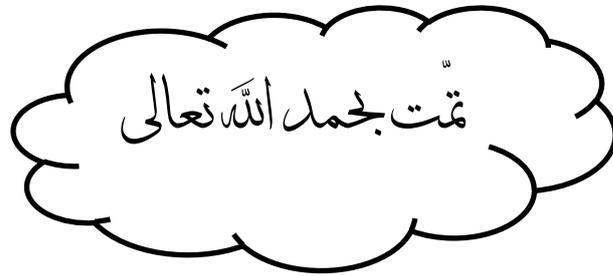
- ✓ يستطرد الشيخ اطفيش في بيان أحداث القصة ويذكر الاختلافات الواردة بين الروايات ويرجح بينها أحيانا، لكن الشيخ بيوض والشيخ كعباش لا يعينان بذلك ويكتفیان ببيان مواطن العبرة من كل قصة.
- ✓ يُعنى الشيخ كعباش والشيخ بيوض ببيان الترابط بين مختلف قصص القرآن، وهذا من الجمال الفني في دراستهما للقصة، حيث يبينان من خلاله - موضوع الترابط-الوحدة الموضوعية للقصة القرآنية، ويبينان أيضا الإعجاز القرآني فيها .
- ✓ يركّز الشيخ بيوض والشيخ كعباش على بيان غرض القصة في كل موضع وردت فيها قصة من القصص ويستفيضان في بيان ذلك لكن نجد الشيخ اطفيش قليلا ما يشير إلى غرض القصة إلا ما عبّر عنه القرآن صراحة فيذكر غرضه في سياق تفسيره للآية.
- ✓ نلاحظ أنّ التفاسير الإباضية في العصر الحديث قد استغنت عن الإسرائيليات والمرويات التي لم تثبت صحتها أو نسبتها إلى الرسول صلى الله عليه وسلم، فأعطت نموذجاً في التفسير الهادف الذي لا يجيد عن هدف القرآن الكريم في سرد القصص القرآني وهو الاتعاض والاعتبار.
- ✓ نجد تباينا بين المفسرين الثلاثة في الالتزام بمواقفهم تجاه الإسرائيليات، فهناك من التزم به وهناك من حاد عنه، حيث نجد الشيخ بيوض قد التزم بموقفه، ونكاد نجزم أنّه لم يدخل في تفسيره شيء من تلك المرويّات - سوى بعض المرويّات القليلة جدّا والتي تناولته العديد من كتب التفسير حتى اشتهرت، وكذلك الشيخ كعباش في حين نجد أنّ الشيخ اطفيش قد أكثر من إيرادها فعقب على بعضها وأبطلها، وسكت عن الآخر وهذا من مآخذ تفسيره.
- ✓ تفسير الشيخ اطفيش، من التفاسير الموسوعية، التي حوت العديد من العلوم والمعارف المهمة، والنافعة، وتوظيفه للإسرائيليات لا تنقص من قيمته العلمية.

ثانيا التوصيات:

تولّد عن هذه الدّراسة جملة من التّوصيات نجلها في النّقاط الآتية:

- ✓ لا توجد دراسات مستقلة عنيت بالجانب الإصلاحي في القصة القرآنية بل ما وجد هو عبارة عن مباحث متفرقة ضمن دراسات مختلفة في التفسير وعلوم القرآن، أو عبارة عن دراسة قضية واحدة من قضايا الإصلاح كالجانب الأخلاقي في القصة ودورها في تربية النفوس وتهذيبها مثلا، ولو أُلّف في هذا الموضوع لرأينا منه فوائد عظيمة لا متناهية، وللشيخ بيوض رحمه الله درر ثمينة في القصة القرآنية

- تحتاج إلى بحث ودراسة، ومن المواضيع التي أراها جديرة بالبحث: "البعد الإصلاحي للقصة القرآنية عند الشيخ بيوض من خلال تفسيره" في رحاب القرآن".
- ✓ من البحوث التي أراها جديرة بالبحث أيضا مقارنة بين التفسير الإباضي في المشرق والمغرب تفسير الشيخ بيوض والشيخ أحمد الخليلي أنموذجا.
- ✓ ضرورة الاهتمام بالتراث الإباضي الذي يزخر علما وفكرا.
- ✓ المجتمع الإباضي مجتمع فريد من نوعه، فهو مجتمع موحد، منظم، ملتزم بتعاليم ديننا السمحة، مجتمع يهتم بالدراسات الدينية والقرآنية، مجتمع يعطي للمسجد قيمته التي أعطاها له الدين الإسلامي، مجتمع يحترم العادات والأعراف النافعة والموافقة للشرع، وبذلك استطاع أن يحقق حضارة مستقلة، وأرى أنّ هذا المجتمع يحتاج إلى دراسة ميدانية تقف على مختلف الجوانب التي ساهمت في رقيّ هذا المجتمع.
- ✓ ضرورة التجرد من الانتماء المذهبي عند كل دراسة تهتم بالفرق الإسلامية، حتى نحقق الموضوعية والمصداقية في البحث.



الفهارس العامة

- فهرس الآيات القرآنيّة
- فهرس الأحاديث النبويّة والآثار
- فهرس الأعلام
- قائمة المصادر والمراجع
- فهرس المحتويات

فهرس الآيات القرآنية

رقم الآية	نص الآية	رقم الصفحة
سورة البقرة		
24	﴿ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَن تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ ﴾	214
35	﴿ وَقُلْنَا يَا دَمْرُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ ﴾	193-68
36	﴿ فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ ﴾	119
49	﴿ وَإِذْ نَجَّيْنَاكَ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكَ سُوءَ الْعَذَابِ ﴾	249
50	﴿ وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ الْبَحْرَ ﴾	250
51	﴿ وَإِذْ وَعَدْنَا مُوسَىٰ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ﴾	250
55	﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِمُوسَىٰ لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَىٰ اللَّهَ جَهْرَةً ﴾	117-70 250
56	﴿ ثُمَّ بَعَثْنَاكَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾	250
57	﴿ وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَىٰ ﴾	251
102	﴿ وَاتَّبِعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيْطِينُ عَلَىٰ مُلْكٍ سُلَيْمَنَ ﴾	124
106	﴿ مَا نَسَخَ مِنْ آيَةٍ أَوْ نَسِيهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا أَوْ مِثْلَهَا ﴾	73
190	﴿ وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقْتُلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴾	45
210	﴿ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ يَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ ﴾	257
216	﴿ وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ لَّهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلُّ لَّهُ رُ قِنْتُونَ ﴾	195

122	﴿ نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ ﴾	223
147	﴿ الطَّلَقُ مَرَّتَانٍ فَاِمْسَاكُ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ ﴾	229
68	﴿ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّ رَبِّهِمْ أَتِ اللَّهِ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا ﴾	247
-164 260-254	﴿ تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ ﴾	253
92	﴿ أَوَكَلَدَيْ مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا ﴾	259
سورة آل عمران		
45	﴿ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَىٰ ﴾	36
121	﴿ فَنادته الملائكة وهو قائم يصلي في المحراب ﴾	39
-10-07 12	﴿ ذلك من أنباء الغيب يُوحى إليك ﴾	44
06	﴿ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ ﴾	62
128	﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ ﴾	110
179	﴿ إِنَّ يَمَسُّكُمْ فَرَحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ فَرَحٌ مِثْلُهُ ﴾	140
سورة النساء		
31	﴿ وَمَنْ يَعِصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ ﴾	14
109	﴿ وَإِنْ أَرَدْتُمْ أَسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَّكَانَ زَوْجٍ وَآتَيْتُمْ إِحْدَهُنَّ قِنْطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا ﴾	20
31	﴿ وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا ﴾	93
71	﴿ وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ ﴾	127

32	﴿مُدَّبِّينَ بَيْنَ ذَلِكَ لَا إِلَى هَوَاهُ وَلَا إِلَى هَوْلَاءَ ^٤ وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ سَبِيلًا ﴿١٣٢﴾﴾	143
258	﴿يَمَسُّكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَنْ تُنزِلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِنَ السَّمَاءِ﴾	153
255	﴿وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَرُسُلًا لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ﴾	164
سورة المائدة		
155	﴿فَمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً﴾	13
227	﴿يَقُومُوا أَدْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ﴾	21
120	﴿وَأَنْ أَحْكَمُ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ هُمْ وَأَحْزَرُهُمْ أَنْ يَفْتُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ﴾	49
256-116	﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يُعَيْسَى ابْنُ مَرْيَمَ أَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمَّيَّ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾	116
سورة الأنعام		
30	﴿بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ^٥ أَلَى يَكُونُ لَهُ وَاَلِدٌ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ صَاحِبَةٌ﴾	101
30	﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ ^٦ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴿١٣﴾﴾	103
166	﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ مِمَّنْ تَرْتُفِكُمْ ^٧ وَإِيْسَاهُمْ﴾	151
257	﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ﴾	158
سورة الأعراف		
125-98	﴿قَالَ مَا مَنَعَكَ إِلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ ﴿١٢﴾﴾	12
98	﴿قَالَ فِيمَا آغَاوَيْتَنِي لِأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾﴾	16
95	﴿ثُمَّ لَا تَبْنِيَهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ ^٨ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ﴾	17

95	﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِن إِلَهٍ غَيْرُهُ ﴾	59
94	﴿ أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنْصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾	62
95	﴿ * وَإِلَىٰ عَادِ أَخَاهُمْ هُودًا ﴾	65
95	﴿ أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ ﴾	68
106	﴿ وَأَذْكُرُوا إِذْ جَعَلْنَا خُلَفَاءَ مِن بَعْدِ عَادٍ ﴾	74
105	﴿ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴾	81
106	﴿ تِلْكَ الْقَرْيَاتُ نَقِصُ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبِيَآهَا ﴾	101
100	﴿ فَالْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴾	107
99	﴿ قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ ﴾	109
96	﴿ قَالُوا يَمْوَسَىٰ إِمَّا أَنْ تُلْقَىٰ وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ نَحْنُ الْمُلْقِينَ ﴾	115
99	﴿ فَإِذَا جَاءَ تَهُمُ الْحَسَنَةُ قَالُوا لَنَا هَذِهِ وَإِنْ تُصِيبُهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا بِمُوسَىٰ وَمَنْ مَعَهُ ﴾	122
108	﴿ فَإِذَا جَاءَ تَهُمُ الْحَسَنَةُ قَالُوا لَنَا هَذِهِ ﴾	131
64	﴿ وَإِذْ أَنْجَيْنَاكَ مِنَ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكَ سُوءَ الْعَذَابِ ﴾	141
-116-83 258-255	﴿ وَلَمَّا جَاءَ مُوسَىٰ لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي إِلَيْكَ ﴾	143
104-83	﴿ وَسَأَلَهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ ﴾	163
64	﴿ وَقَطَّعَتْهُمْ فِي الْأَرْضِ أُمَّمًا مِّنْهُمْ الصَّالِحُونَ وَمِنْهُمْ دُونَ ذَلِكَ وَبَلَوْنَاهُمْ بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ لَعَالَهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾	168
227-03	﴿ فَأَقْصِصْ الْقِصَصَ لَعَالَهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾	176
سورة التوبة		

72	﴿ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مِنْ ءَامِنٍ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَآقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ ﴾	18
181	﴿ وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ ﴾	114
سورة يونس		
217	﴿ الرَّتِلَ ءَآيَتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ ﴿١﴾ ﴾	01
225	﴿ قُلْ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴿٦٩﴾ ﴾	69
225	﴿ مَتَّعْ فِي الدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ نُذِقُهُمُ الْعَذَابَ الشَّدِيدَ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ ﴿٧٠﴾ ﴾	70
225	﴿ * وَأَنْتَلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ ﴾	71
229	﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَنْ تَبَوَّءَ الْقَوْمَ كَمَا بَمِصْرَ بِيُوتَنَا ﴾	87
225	﴿ وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ ﴾	90
سورة هود		
245	﴿ فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا تَرَكُوا إِلَّا بَشَرًا مِثْلَنَا وَمَا تَرَكُوا أَتْبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَادُوا أَنْ يُبَادُوا ﴾	27
115-29	﴿ وَأَصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحِّينَا ﴾	37
246	﴿ تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَقِيبَةَ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٤٩﴾ ﴾	49
246	﴿ إِنْ نَقُولُ إِلَّا اعْتَرَاكَ بَعْضُ ءَالِهَتِنَا بِسُوءٍ ﴾	54-
		56
164	﴿ قَالَتْ يَوَيْلَتِي ءَأَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ ﴿٧٢﴾ ﴾	72
20	﴿ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴿٨٨﴾ ﴾	88

223-222	﴿ وَيَقَوْمٍ لَا يَعْبُرُ مَتَاعَكُمْ شِقَاقِي أَنْ يُصِيبَكُمْ مِثْلُ مَا أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَالِحٍ وَمَا قَوْمٌ لَوْطٍ مِنْكُمْ بَعِيدٍ ﴾ ^(٨٩)	89
247	﴿ قَالُوا يَا شُعَيْبُ مَا نَفَقَهُ كَثِيرًا مِمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرِيكَ فِينَا ضَعِيفًا وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ وَمَا أَنْتَ عَلَيْنَا بَعِيزٌ ﴾ ^(٩١)	91
241	﴿ ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْقُرَى نَقُصُّهُ عَلَيْكَ مِنْهَا قَائِمٌ وَحَصِيدٌ ﴾ ^(١٠٠)	100
242	﴿ فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ ^(١١٣)	112
-105-09 245-174	﴿ وَكَلَّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُنشِئُ بِهِ فُؤَادَكَ ﴾ ^(٤)	120
سورة يوسف		
-06-03 -84-12 107	﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِن كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ ﴾ ^(٣)	03
65-16	﴿ إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ ﴾ ^(٤)	04
228	﴿ قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ لَا تَقْتُلُوا يُوسُفَ وَالْقَوْهُ فِي غِيَبَتِ الْجُبِّ يَلْتَقِطُهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ ﴾ ^(١٠)	10
92	﴿ وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ ﴾	23
120	﴿ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ ﴾	24
91	﴿ يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ ﴾	46
91	﴿ قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَابًّا فَمَا حَصَدْتُمْ فَذَرُوهُ فِي سُنْبُلِهِ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تَأْكُلُونَ ﴾ ^(٤٧)	47
244	﴿ قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلَيْمُ ﴾ ^(٥٥)	55
122	﴿ قَالُوا يَا بَانَا مَا نَبِغِي هَذِهِ بَضَعْتَنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا وَنَمِيرُ أَهْلَنَا وَنَحْفُظُ أَخَانَا وَنَزِدَادُ كَيْلٍ بَعِيرٍ ذَلِكَ كَيْلٌ يَسِيرٌ ﴾ ^(٥٥)	65

112	﴿ وَقَالَ يَبْنَى لآ تَدْخُلُوا مِن بَابٍ وَحِدٍ وَأَدْخُلُوا مِن أَبْوَابٍ مُّتَفَرِّقَةٍ ﴾	67
-08-07 240	﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولَى الْأَلْبَابِ ﴾	111
سورة إبراهيم		
249	﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ﴾	07
سورة الحج		
99	﴿ قَالَ يَا بَلِيسُ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ ﴿٣٥﴾ ﴾	32
99	﴿ قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزِينََنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَاغْوِيَتَهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٣٩﴾ ﴾	39
164	﴿ قَالَ أَبَشِّرْ مُونِي عَلَى أَن مَّسَنِي الْكِبَرُ فِيمَ تَبْشُرُونَ ﴿٥٤﴾ ﴾	54
سورة النحل		
08	﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ﴾	36
سورة الإسراء		
164	﴿ وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَن فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾	55
	﴿ * وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ ﴾	70
140	﴿ يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أَنَسٍ بِأَمَلِهِمْ ﴾	71
141	﴿ وَقُرْءَانَ الْفَجْرِ ﴿٥﴾ ﴾	78
سورة الكهف		
138	﴿ فَلَعَلَّكَ بِخُغِّ نَفْسِكَ عَلَى آثَرِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا ﴿٦﴾ ﴾	06
138	﴿ إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴿٧﴾ ﴾	07
111	﴿ إِذْ أَوْى الْفَتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا مِن لَّدُنكَ رَحِمَةً وَهِيَ لَنَا مِن أَمْرِنَا رَشَدًا ﴿١١﴾ ﴾	10

107-12	﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِالْحَقِّ﴾ ^٤	13
173	﴿وَكَذَلِكَ أَعِزَّنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوا أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ﴾	21
162	﴿وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِن رُّدِدْتُ إِلَىٰ رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِنْهَا مُنْقَلَبًا﴾ ^{٣٦}	36
03	﴿قَالَ ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبِغُ فَأَزِدْنَا عَلَىٰ آثَارِهِمَا قَصَصًا﴾ ^{١٥}	64
112	﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا﴾ ^{١٥}	65
172	﴿فَانْطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا آتَىٰ أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطَعَمَا أَهْلَهَا فَأَبْوَأَ أَنْ يُضَيِّفُوهُمَا﴾	77
163	﴿وَأَمَّا الْعُلَمَاءُ فَكَانَ أَبْوَاهُ مُؤْمِنِينَ فَخَشِينَا أَنْ يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا﴾ ^{٨٠}	80
244	﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الذِّكْرِينِ﴾ ^{٤٤}	83
159	﴿حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَىٰ قَوْمٍ لَمْ يَجْعَلْ لَهُمْ مِنْ دُونِهَا سِتْرًا﴾ ^{٩٠}	90
147	﴿قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مَدَادًا لَكَلِمَتِ رَبِّي لَنَفَذَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَذَ كَلِمَتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا﴾ ^{١١٩}	109
سورة مريم		
164	﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي يَكُونُ لِي غُلْمٌ وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا﴾ ^٨	08
102	﴿فَنَادَاهَا مِنْ تَحْتِهَا أَلَا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا﴾ ^{٢٤}	24
103	﴿فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا﴾ ^{٣٤}	26
75	﴿وَأَنْذَرَهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ ^{٣٩}	39
75	﴿وَأَذْكُرُ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِتَىٰهُ وَكَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا﴾ ^{٤١}	41
181	﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهْوَاتِ﴾ ^{٥٩}	59
74	﴿أَفْرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا وَقَالَ لَأُوتِينَ مَالًا وَوَلَدًا﴾ ^{٧٧}	77
سورة طه		

87	﴿لَهُ وَمَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَى﴾ ﴿٦﴾	06
149	﴿إِذْ رَأَى نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ﴾	10
188-118	﴿فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ يَمْوَسَى﴾ ﴿١١﴾	11
100-99	﴿فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى﴾ ﴿٢٠﴾	20
-115 255-189	﴿وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي﴾ ﴿٣٦﴾	39
-115 256-189	﴿وَأَصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي﴾ ﴿٤١﴾	41
256	﴿قَالَ لَا تَخَافَا إِنِّي مَعَكُمْ أَسْمَعُ وَأَرَى﴾ ﴿٤٦﴾	46
226	﴿وَلَقَدْ أَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي فَاصْرَبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِي الْبَحْرِ يَبَسًا﴾	77
139	﴿نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ إِذْ يَقُولُ أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا يَوْمًا﴾ ﴿١٠٤﴾	104
31	﴿وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا﴾ ﴿١١٣﴾	113
122-120	﴿فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتَ لَهَا سَوْءٌ تَهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ﴾	121
سورة الأنبياء		
64	﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ ﴿٥٥﴾	35
سورة الحج		
141	﴿وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ﴾	31
179	﴿الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ ﴿٦٤﴾	41
سورة المومنون		
150	﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ﴾ ﴿٥٠﴾	-05 07

144	﴿ فَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ أَنْ اصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحَيْنَا ﴾	27
150	﴿ فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهِ غَيْرُهُ ۖ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾	32
149	﴿ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِذَا مِتُّمُ وَكُنْتُمْ تُرَابًا وَعِظْمًا أَنَّكُمْ مُّخْرَجُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾	35
211	﴿ ثُمَّ أَنشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قُرُونًا آخَرِينَ ﴿٤٢﴾ ﴾	42
سورة الفرقان		
06	﴿ وَقَالُوا أَأَسْطِيرُ الْأَوْلِيَاءِ أَكُتِبَ عَلَيْهَا فَهِيَ تُمَلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٥﴾ ﴾	05
174	﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَا مَعَهُ وَآخَاهُ هَارُونَ وَزِيرًا ﴿٣٥﴾ ﴾	-35 39
174	﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا عَلَى الْقَرْيَةِ الَّتِي أَمْطَرْنَا عَلَيْهَا مَطَرًا سَوِيًّا ﴿٤٠﴾ ﴾	40
139	﴿ وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا ﴿٧٢﴾ ﴾	72
سورة الشعراء		
217	﴿ طَسَمَ ﴿١﴾ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ ﴿٢﴾ ﴾	-01 02
31	﴿ وَمَا يَأْتِيهِمْ مِّنْ ذِكْرٍ مِّنَ الرَّحْمَنِ مُحَدَّثٍ إِلَّا كَانُوا عَنْهُ مُعْرِضِينَ ﴿٥﴾ ﴾	05
169-147	﴿ وَإِذْ نَادَى رَبُّكَ مُوسَىٰ أَنْ أَنْتَ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿١٠﴾ ﴾	10
243	﴿ قَالَ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِن كُنْتُمْ مُّوقِنِينَ ﴿٢٤﴾ ﴾	24
224	﴿ فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴿٣٢﴾ ﴾	32
99	﴿ قَالَ لِلْمَلَأِ حَوْلَهُ إِن هَذَا إِلَّا سِحْرٌ عَلِيمٌ ﴿٣٤﴾ ﴾	34
148	﴿ فَأَلْقُوا جِبَالَهُمْ وَعَصِيَّهُمْ وَقَالُوا بَعِزَّةٌ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ الْغَالِبُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾	44
170	﴿ قَالُوا لَا ضَيْرَ ۗ إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ ﴿٥٠﴾ ﴾	50
219	﴿ وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَادِرُونَ ﴿٥٦﴾ ﴾	-53 56
170	﴿ كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴿٥٩﴾ ﴾	59

170	﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُّؤْمِنِينَ ﴿٦٧﴾﴾	67
138	﴿قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَڪَفِينَ ﴿٧١﴾﴾	71
215	﴿فَمَّا لَنَا مِن شَفِيعِينَ ﴿١٠٣﴾ وَلَا صَٰدِقِي حَمِيمٍ ﴿١٠١﴾﴾	100
235	﴿أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ آيَةً تَعْبَثُونَ ﴿١٢٨﴾﴾	128
235	﴿إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّٰلِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا وَانْتَصَرُوا مِنۢ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا ﴿١٤٠﴾﴾	227
سورة النمل		
120	﴿وَأَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّآ رَأَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ ﴿٤﴾﴾	10
109	﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا وَقَالَا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّنۢ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥﴾﴾	15
84	﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُدَ ﴿١٦﴾﴾	16
219	﴿وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنۢ الْجِنِّ وَالْإِنسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿٧﴾﴾	17
240	﴿حَتَّىٰ إِذَا أَتَوْا عَلَىٰ وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٨﴾﴾	18
261	﴿لَا عُدْبَةَ لَهُ وَعَذَابًا شَدِيدًا أُولَٰئِكَ أَزْجَحْتُهُمْ أُولِيَٰتِنِي بِسُلْطٰنٍ مُّبِينٍ ﴿١١﴾﴾	21
197	﴿وَجَدْتُهُمَا وَقَوْمَهُمَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ اللَّهِ ﴿٢٤﴾﴾	24
110	﴿قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُوٓأَفْتُونِي فِي أَمْرِي مَا كُنْتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّىٰ تَشْهَدُونِ ﴿٣٢﴾﴾	32
180	﴿قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذْ دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعْرَٰةَ أَهْلِهَا آذِلَّةً وَكَذٰلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٣٤﴾﴾	34
106	﴿فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً بِمَا ظَلَمُوا ۗ إِنَّ فِي ذٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٥٤﴾﴾	52
213	﴿قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَىٰ ؕ اللَّهُ خَيْرٌ مَّا يُشْرِكُونَ ﴿٥٦﴾﴾	59

سورة القصص

217	﴿طَسَمَ ﴿١﴾ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ ﴿٢﴾﴾	-01 02
180	﴿إِنِّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيْعًا﴾	04
02	﴿وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّبِهِ قُصِّبَتْ بِهِ عَنْ جُنْبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١١﴾﴾	11
184-124	﴿فَلَمَّا جَاءَهُ وَوَقَّصَ عَلَيْهِ الْقِصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٢٥﴾﴾	25
261	﴿قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَى أَنْ تَأْجُرَنِي ثَمَنِي حَبِيبًا﴾	27
117	﴿فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِنْ شَاطِئِ الْوَادِ الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبْرَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَنْ يَمْوَسِيَّ إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٣٠﴾﴾	30
194	﴿إِن قَدَرُونَ كَانَتْ مِنْ قَوْمِ مُوسَى فَبَغَى عَلَيْهِمْ﴾	76
210	﴿وَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٨﴾﴾	88
سورة العنكبوت		
216	﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا وَإِنْ جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا﴾	08
232	﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا﴾	14
181	﴿أَتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ﴾	45
سورة الزمر		
144	﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَقُورَ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ بِأَمْرِهِ﴾	25
سورة لقمان		
217	﴿الْم ﴿١﴾ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ ﴿٢﴾﴾	-01 02

141	﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَنُ لِبَنِيهِ هُوَ يَعْظُهُ وَيُبَيِّنُ لَنَا شُرَكَاءَ اللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾﴾	13
248	﴿الَّذِينَ تَرَوُا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَافِي السَّمَوَاتِ وَمَافِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعْمَهُ وظَهْرَهُ وَبَاطِنَهُ﴾	20
147	﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَمٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةَ﴾	27
سورة الأحزاب		
194	﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ ءَادَوْا مُوسَى فَبَرَّاهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهًا ﴿٦٩﴾﴾	69
سورة سبأ		
11	﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُدَ مِنَّا فَضْلًا يَجِبَالٍ أُوْبَىٰ مَعَهُ وَالطَّيْرِ ﴿١١﴾﴾	10
11	﴿وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ غُدُوها شَهْرٌ وَرَوْحُها ﴿١٢﴾﴾	12
249-212	﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكِئِهِمْ ءَايَةٌ ﴿١٥﴾﴾	15
249	﴿ذَٰلِكَ جَزَاءُ مَن كَفَرَ وَهَلْ يُجْزَىٰ إِلَّا الْكُفُورَ ﴿١٧﴾﴾	17
سورة الصافات		
110	﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعَىٰ قَالَ يَبْنَئِي إِنِّي آرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ﴿١١٠﴾﴾	102
107	﴿وَبَدَّلْنَا عَلَيْهِ وَعَلَىٰ إِسْحَاقَ وَمَنْ دَرَيْتَهُمَا مُحْسِنٌ وَظَلِمٌ لِّنَفْسِهِ مُبِينٌ ﴿١١٣﴾﴾	113
سورة ص		
195	﴿قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَجَّتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِ﴾	24
75	﴿وَقَالُوا مَا لَنَا لَنَرِي رِجَالًا لَّا نَعُدُّهُمْ مِنَ الْأَشْرَارِ ﴿٦٦﴾﴾	62
99	﴿قَالَ يَا بَلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِإِيْدِي﴾	75
99	﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأَعُوْبَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾﴾	82
سورة غافر		

03	﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ مِنْهُمْ مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ﴾	78
سورة فصلت		
247	﴿وَقَالُوا فَلَوْ نَبَأُ فِي آكِنَتِنَا مِمَّا نَدْعُونَ إِلَيْهِ﴾	05
139	﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي أَيَّامٍ نَّحْسَاتٍ لِّنُذِيقَهُمْ عَذَابَ الْجَزَاءِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾	16
سورة الشورى		
258-188	﴿فَاطْرُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ جَعَلْ لَكُمْ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا﴾	11
254	﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَآئِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ﴾	51
سورة الزخرف		
245-105	﴿وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِّنَ الْقُرَيْتَيْنِ عَظِيمٍ﴾	31
105	﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَقَالَ إِنِّي رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾	46
سورة الأحقاف		
163	﴿وَالَّذِي قَالَ لَوْلَائِهِ أَفِ لَكُمَا أَتَعَدَانِي أَنْ أُخْرِجَ وَقَدْ خَلَّتِ الْقُرُونُ مِن قَبْلِي﴾	17
سورة ق		
148	﴿مَا يَلْفُظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾	18
سورة الطور		
255	﴿وَأَصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾	48
سورة القم		
227-156	﴿فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ﴾	-10 11
سورة المجادلة		

50	﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَجَّيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِ مُؤَيَّنَ بِيَدِي نَجْوِكُمْ صَدَقَةٌ﴾	12
سورة الجمعة		
74	﴿قُلْ يَأَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا إِن زَعَمْتُمْ أَنكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِن دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾	06
سورة القلم		
248-14	﴿إِنَّا بَلَوْنَهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ﴾	17
سورة نوح		
190	﴿وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا﴾	23
سورة القيامة		
259-30	﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾	-22 23
سورة الفجر		
64	﴿فَأَمَّا الْإِنسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ، وَنَعَّمَهُ، فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ﴾	15
سورة العلق		
257	﴿أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ اللَّهَ يَرَىٰ﴾	14

فهرس الأماذس الأنبوة والآثار

الصفحة	طرف الحديث
112	" العفن حقّ
221	" خفر القرون قرنف
123	" اءفظ عورتك إلا من زوجتك
198	" إذا أدرك أحدكم سجدة
198	" إذا بدا حاجب الشمس فأخروا الصلاة
112	" اعقلها وتوكل
112	" أعفدكما بكلمات الله التامة
191	" إن أولئك إذا كان ففهم الرجل
103	" إن خفاطا دعا رسول الله
184	" إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق
81	" بلغوا عني ولو آفة
121	" تزوجوا الودود الودود
80	" جاء حبر من الأخبار
141	" جاءني جبرفل
258	" حجابه النور
65	" سام أبو العرب
81	" لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم
192	" لعنة الله على اليهود
113	" ما أنعم الله على عبد نعمة من أهل أو مال ففقول ما شاء الله
121	" من وجدتموه فعمل عمل قوم لوط
110	" ما رأفت أحدا أكثر مشورة
66	" اللهم فقهه فف الءفن
183	" يا معشر الشباب

فهرس الأعلام

العلم	الصفحة
إبراهيم بن عيسى حمدي أبو	43
اليقظان	44
إبراهيم طلاي	47
إبراهيم بن عمر بيوض	56
أبو مدين الغوث	128
أحمد الخليلي	160
بكير بن محمد الشيخ بالحاج	192
(باش عادل)	47
جابر بن زيد	48
حاج أحمد كروم	22
سعيد بن أحمد الكندي	49
سعيد بن يوسف وثن	41
صالح بن عمر داود لعللي	44
صالح حمدي	42
عبد القادر الجيلاني	50
عمر بن سليمان	191
عمر بن صالح	44
عمرو بن جميع الجري	44
عمروس بن فتح النفوسي (أبو حفص)	189
	-23
	93
عيسى بن محمد الشيخ بالحاج	132
محمد بن إبراهيم سعيد كعباش	203
محمد بن الحواري	39
محمد بن أيوب صدقي	49

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم

أولاً: المصادر

ابن الصغير:

1. أخبار الأئمة الرّستمين، تحقيق محمد ناصر وإبراهيم مجاز، دار الغرب الإسلامي-بيروت ط(1986).

أبو بكر: البيهقي

2. السنن الكبرى، تحقيق محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية بيروت ط3(1424هـ / 2003م).

أبو داود: السّجستاني

3. سنن أبي داود، المكتبة العصريّة - صيدا بيروت.

أحمد بن عبد العليم: ابن تيمية

4. السياسة الشّرعيّة في إصلاح الرّاعي والرّعيّة، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدّعوة والإرشاد_ المملكة العربيّة السّعوديّة ط1(1418هـ).

5. مقدمة في أصول التفسير، تحقيق عدنان زرزور، ط2(1392هـ/1972م).

أحمد بن سعيد: الدّرجيني

6. طبقات المشايخ بالمغرب، تحقيق إبراهيم طلاي، (دط).

أحمد بن سعيد: الشّماخي

7. كتاب السير، تحقيق أحمد بن سعود السّيابي، وزارة التّراث القومي - سلطنة عمان، ط (1407هـ-1987م).

أحمد بن عبد الله: أبو نعيم

8. حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، الطبقة الأولى من التابعين، باب زيد بن وهب، دار السعادة-مصر ط (1394هـ-1974م).

أحمد بن علي بن حجر: العسقلاني

9. فتح الباري شرح صحيح البخاري، دار المعرفة بيروت، ط (1379هـ).

أحمد بن محمد بن حنبل:

10. مسند الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون، مؤسسة الرسالة.

أحمد بن مصطفى: المراغي

11. تفسير المراغي، شركة ومكتبة مصطفى الباي الحلبي وأولاده بمصر ط (1365هـ).

أحمد بن يحيى شهاب الدين العمري:

12. مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، المجمع الثقافي - أبو ظبي ط 1 (1423هـ).

إسماعيل بن حماد الجوهري: الفارابي

13. الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار دار العلم للملايين - بيروت ط (1407 هـ - 1987 م).

بدر الدين: الزركشي

14. البرهان في علوم القرآن، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ط 1 (1370هـ / 1957م)، دار إحياء الكتب العربية.

خير الدين: الزركلي

15. الأعلام، دار العلم للملايين، ط 15 (2002م).

جلال الدين: السيوطي

16. الإتيقان في علوم القرآن، دار الفكر، بيروت - لبنان ط (1431-1432 هـ/2010م).

سعيد بن أحمد: الكندي

17. التفسير الميسر للقرآن الكريم، تحقيق، مصطفى بن محمد شريفى ومحمد بن موسى بابا عمى، ط1 (1418هـ-1998م).

عبد الرحمن بن محمد ابن خلدون:

18. مقدمة ابن خلدون، تحقيق: عبد الله محمد الدرويش، دار يعرب دمشق، ط1 (1425هـ-2004م).

فخر الدين: الرازي

19. مفاتيح الغيب، دار إحياء التراث العربي - بيروت ط3 (1420هـ).

مالك بن أنس:

20. الموطأ، تحقيق: محمد مصطفى الأعظمى مؤسسة زايد بن سلطان آل نهيان للأعمال الخيرية والإنسانية - أبو ظبي - الإمارات، ط1 (1425 هـ - 2004 م).

محمد بن إدريس أبو عبد الله الشافعي:

21. تفسير الإمام الشافعي، جمع وتحقيق ودراسة أحمد بن مصطفى الفزان، دار التدمرية-المملكة العربية السعودية، ط1 (1427هـ/ 2006م).

محمد بن حبان:

22. مشاهير علماء الأمصار، وأعلام فقهاء الأقطار، دار الوفاء-المنصورة، ط (1411هـ-1991م).

محمد بن الحواري: أبي الحواري

23. الدراية وكنز الغناية ومنتهى الغاية في تفسير خمسمائة آية، ط (1411هـ - 1991م).

محمد بن جرير: الطبري

24. جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تحقيق عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر ط1 (1422هـ/ 2001م).

محمد بن سعد:

25. الطبقات الكبرى، تحقيق محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلميّة بيروت، ط1(1410).

محمد بن عبد الرزاق الحسيني: الزبيدي:

26. تاج العروس من جواهر القاموس، دار الكتب العلميّة، بيروت.

محمد بن عيسى: الترمذي:

27. سنن الترمذي تحقيق وتعليق: أحمد محمد شاكر ومحمد فؤاد عبد الباقي وإبراهيم عطوة عوض المدرس في الأزهر الشريف، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي - مصر الطبعة: الثانية، 1395 هـ - 1975 م.

محمد بن يوسف الطهيش:

28. الذهب الخالص المنوه بالعلم القالص، مكتبة الضّامري-سلطنة عمان، (دط).

29. تيسير التفسير، تحقيق إبراهيم طلاي، وزارة التراث والثقافة-سلطنة عمان ط1(1425هـ / 2004م).

30. هميان الزّاد إلى دار المعاد، وزارة التراث والثقافة-سلطنة عمان، ط(1408هـ/1988م).

مسلم بن الحجاج النيسابوري:

31. صحيح مسلم، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي - بيروت.

ثانيا: المراجع

إبراهيم بن عمر بيّوض:

32. فتاوى الإمام الشيخ بيّوض، ترتيب وتقديم بكير بن محمد بالحاج، المطبعة العربيّة-غرداية، ط (1988م).

33. في رحاب القرآن، تحرير عيسى بن محمد الشّيخ بالحاج، جمعيّة التّراث، القرارة - غرداية، الجزائر، ط2.

34. في رحاب القرآن، الشطر المفقود تفسير أجزاء من الربع الأوّل، تحرير حمو فخار، تهذيب وتحقيق مصطفى بن صالح باجو، مؤسّسة المنار - الجزائر.

أحمد إلياس حسين:

35. الأباضية في المغرب العربي، مكتبة الضامري، سلطنة عمان، ط1(1412هـ-1992م).

أحمد بن محمد العزيز بن محمد الله الحسين:

36. دعوة الإمام محمد عبد الوهاب سلفية لا وهابية، مكتبة الملك فهد الوطنية، ط1(1420هـ-1999م).

أحمد بن حمد الخليوي:

37. جواهر التفسير أنوار من بيان التنزيل، مكتبة الاستقامة-سلطنة عمان، ط1(1404هـ-1984م).

أسامة محمد عبد العظيم حمزة:

38. القصص القرآني وأثره في استنباط الأحكام، ط(1429هـ-2008م) القاهرة.

بكير بن سعيد أموشة:

39. دراسات في الأصول الإباضية، مكتبة وهبة، القاهرة ط(1408هـ/1988م).

حمدي بن محمد نور الدين آل نوفل:

40. قصص القرآن، مكتبة المورد -القاهرة، ط1 (1423هـ-2002م).

زكريا بن خليفة المحرمي:

41. الإباضية تاريخ ومنهج ومبادئ، (دط).

سالم بن حمد الحارثي:

42. العقود الفضية في أصول الإباضية، سلطنة عمان ط2 (1438هـ-2017م).

سامي صقر محمد الودود:

43. الإمام جابر بن زيد الأزدي (ت 93هـ-711م) وأثره في الحياة الفكرية السياسية دراسة تاريخية، مطابع

التهضة الأردن، ط1 (2000م)

سليمان البارونبي:

44. مختصر تاريخ الأباضية، مكتبة الضامري، سلطنة عمان، ط5 (1416هـ-1995م).

سيفه بن أحمد البوسعيدي:

45. حملة العلم إلى المغرب، (دط)

صابر طعيمة:

46. الإباضية عقيدة ومذهبها، دار الجيل بيروت ط(1406هـ-1986م).

صالح بن قاسم الراجحي:

47. فقه الأولويات ودوره في الإصلاح عند الشيخ بيوض، ط (2012م) جمعية التراث - غرداية، ص109.

صلاح الخالدي:

48. مع قصص السابقين في القرآن، دار القلم-دمشق، ط5(1428هـ-2007م)

طارق ساسي الشيباني:

49. الإباضية أصولها وأعلامها وأثرها في التقريب بين المذاهب، المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم الثقافية، الرباط-المملكة المغربية. ط(1434هـ-2013م).

الطاهر بن محاشور:

50. التحرير والتنوير (تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد)، الدار التونسية - تونس (1984م).

محمد الحليم محمود:

51. شيخ الشيوخ أبو مدين الغوث، دار المعارف-القاهرة ط(1985م).

محمد الكريم آل خطيب:

52. القصص القرآني في منطوقه ومفهومه، دار المعرفة، بيروت لبنان.

محمد الكريم محمود يوسف:

53. أسلوب الاستفهام في القرآن الكريم غرضه وإعرابه، مطبعة الشّام ط1(1421هـ/2000).

معدون جهلان:

54. الفكر السياسي عند الإباضية، مكتبة الضامري - السيب، سلطنة عمان.

علي الطلّابي:

55. الإباضية مدرسة بعيدة عن الخوارج، ط1 (2018م-2019م).

علي يحيى معمر:

56. الإباضية في موكب التاريخ، مكتبة وهبة-القاهرة.

عمر محمد عمر باحاذق:

57. الجانب الفني في قصص القرآن، دار المأمون للتراث، بيروت ط (1413هـ-1993م).

عوض خليفات:

58. الأصول التاريخية للفرقة الإباضية، وزار التراث القومي والثقافة-سلطنة عمان، ط3 (1415هـ-

1994م)

59. نشأة الحركة الإباضية، ط(1978م).

فضل حسن: محاسن:

60. القصص القرآني إيجازة ونفحاته، شركة الشهاب. (دط)

61. قصص القرآن الكريم، دار النفائس _ الأردن (دط).

محمد: أبو زهرة

62. المعجزة الكبرى للقرآن، دار الفكر العربي-بيروت (دط).

محمد: أبو شمسة

63. الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير، مكتبة السنّة ط 4 (دت).

محمد: الغزالي

64. ركائز الإيمان بين العقل والقلب، دار الشروق-القاهرة.

محمد: باقر الحكيم

65. السنن التاريخية في القرآن، أعاد صياغته محمد جعفر شمس الدين، دار المعارف للمطبوعات، دمشق، ط 1 (1409هـ - 1989م).

محمد بن إبراهيم سعيد: كعباش

66. حديث الشيخ الإمام ردا على بعض الشبهات والأوهام، تنسيق وإعداد محمد بن سعيد كعباش، جمعية النهضة، العطف، غرداية، ط (1992م).

67. رحلة العمر، مكتبة التوفيق - العطف غرداية ط1 (1436هـ - 2015م).

68. صرخات على مسرح المجتمع، مكتبة التوفيق، العطف غرداية ط1 (1437هـ - 2016م).

69. نفحات الرحمان في رياض القرآن، تخرّيج الأحاديث، الفهرسة والتنسيق الفني: قاسم بن عمر حاج احمد، جمعية النهضة، العطف، غرداية، ط (1424هـ - 2003م).

محمد بن أحمد أبو عبد الله: القرطبي

70. تفسير أحكام القرآن، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم اطفيش، دار الكتب المصريّة القاهرة ط2 (1384هـ / 1964م).

محمد بن صالح: العثيمين

71. أصول في التفسير، المكتبة الإسلاميّة ط1 (1422هـ / 2001م).

محمد بن موسى: بابا عمي

72. إبراهيم بن بكير بحّاز وآخرون: معجم أعلام الإباضيّة دار الغرب الإسلامي ط2 (1421هـ - 2000م).

محمد حسين: الذهبي

73. الإسرائيليات في التفسير والحديث، مكتبة وهبة، ط4 (1990م).

74. التفسير والمفسرون، مكتبة وهبة، القاهرة ط7 (2000م).

75. سير أعلام النبلاء، مؤسّسة الرسالة، ط3 (1405هـ - 1980م).

محمد صالح ناصر:

76. الشيخ بيوض مريبا وزعيما، دار ناصر-الدار البيضاء، الجزائر ط4 (2017م).

77. منهج الدعوة عند الإباضيّة، دار ناصر-الدار البيضاء، الجزائر ط5 (1434هـ - 2013م).

محمد علي ديبوز:

78. أعلام الإصلاح في الجزائر، عالم المعرفة، الجزائر.

79. أعلام الإصلاح في الجزائر، مطبعة البعث قسنطينة، ج2، ط1 1396هـ-1976م.

80. نهضة الجزائر الحديثة وثورتها المباركة، عالم المعرفة الجزائر، ط1 (2013 م).

محمد قطب:

81. القصة في القرآن مقاصد الدين وقيم الفن، دار قباء، القاهرة، ط(2002م).

محمد محمود: حجازي

82. الوحدة الموضوعية في القرآن الكريم، دار الكتب الحديثة-القاهرة ط(1390هـ-1970م).

محمد زعيم: هانبي ساهي

83. القانون في عقائد الفرق والمذاهب الإسلاميّة، دار السلام، الإسكندرية-مصر ط2(1428هـ-2008م).

محمد ناصر: بوجام

84. منهج الشيخ بيوض في عرض العقيدة، العالمية للطباعة والنشر، البلدية-الجزائر، ط2 (1438هـ/2017م)

مسلم الطيار:

85. فصول في أصول التفسير، ط1، (1413هـ - 1993م).

مصطفى ديبج البغا ومحيي الدين ديبج مستو:

86. الواضح في علوم القرآن، دار الكلم الطيب، دار العلوم الإنسانيّة، ط2(1418هـ-1998م).

مصطفى وندن:

87. آراء الشيخ أحمد بن يوسف اطفيش العقديّة، جمعية التراث-القرارة-الجزائر، ط (1998 م).

مناع القطان:

88. مباحث في علوم القرآن مؤسسة الرسالة ط1 (2011م. 1432 هـ)، دمشق-سوريا.

منصور الرفاعي عبيد

89. أهداف القصة في القرآن، دار العرفان - القاهرة.

موسى شاهين: لاشين

90. اللآلئ الحسان في علوم القرآن، دار الشروق مصر، ط1 (1423هـ-2002م).

هود بن محكم: الهواري

91. تفسير الكتاب العزيز، تحقيق بالحاج بن سعيد شريقي، دار الغرب الإسلامي.

يوسف بن بكير: الحاج سعيد

92. تاريخ بني ميزاب دراسة اجتماعية واقتصادية وسياسية، ط3 (1435هـ-2014م)، المطبعة العربية
غرداية.

ثالثاً: رسائل جامعية وبحوث

التهامي: نقرة

93. سيكولوجية القصة في القرآن، رسالة دكتوراه، جامعة الجزائر الشركة التونسية للتوزيع، (1971 م).

دليلة: خبزي

94. اتجاهات التفسير عند إباضية الجزائر، رسالة دكتوراه في العلوم الإسلامية، قسم العقيدة، جامعة الجزائر،
2013م.

عبد الله بن سليمان الكندي:

95. جهود علماء الإباضية في التفسير، رسالة ماجستير، جامعة آل البيت - الأردن.

محمد مصطفى درويش: الخواجا

96. منهج الشيخ محمد بن اطفيش في تفسيره تيسير التفسير، رسالة ماجستير في التفسير، كلية الدراسات
العليا الجامعة الأردنية (1994م).

مريم عبد القادر: السباحي

97. القصة في القرآن، رسالة دكتوراه في العلوم الإسلامية، تخصص الكتاب والسنة جامعة أم
القرى (1404هـ).

نادية وزناجي

98. التفسير الشفاهي وأثره في الإصلاح الحديث، أطروحة دكتوراه في العلوم الإسلامية، تخصص الكتاب والسنة، جامعة الحاج لخضر باتنة (1429هـ-2008م).

يحيى صالح بن يحيى:

99. الشيخ محمد بن يوسف اطفيش ومنهجه في تفسير القرآن الكريم بالمقارنة إلى أهل السنة، رسالة ماجستير، كلية آداب جامعة عين شمس (1410هـ-1989م).

رابعاً: مجلات وملتقيات

100. مجلة الحياة:

حمّو بن عيسى: الشّيباني

101. دراسة في " فتح نوافذ القرآن " للشيخ إبراهيم أبي اليقظان، مجلة الحياة، معهد الحياة وجمعية التراث، غرداية الجزائر العدد 22، أوت 2017.

مجلة الواحات للبحوث والدراسات

بالعاج أوزايد:

102. جهود الشيخ اطفيش الإصلاحية ومواقفه الوطنية، العدد 14.

قاسم حاج أحمد:

103. آثار الشيخ محمد بن يوسف اطفيش في علم مصطلح الحديث وبعض آرائه في السنة من خلال كتابيه (جامع الشمل ووفاء الضمانة) العدد 14 (2011م) المركز الجامعي غرداية.

محمد بولقصاب:

104. مباحث علوم القرآن في تيسير التفسير للشيخ اطفيش العدد 14 (2011م) المركز الجامعي غرداية.

محولية الجامعة الإسلامية العالمية

محمد عطا أحمد يوسف:

105. المسكوت عنه من الإسرائيليات، العدد 7، ص من إ13

مجلة ديابي

عمر عبد الله نجم الدين:

106. مفهوم الإصلاح في القرآن الكريم، العدد الثامن والعشرين.

الملتقى الأول لفكر الإمام الشيخ إبراهيم بن عمر بيوض

علي محزوزي:

107. لمحة عن منهج الشيخ بيوض في التفسير، جمعية الحياة _ القرارة غرداية

الملتقى الوطني " الشيخ محمد بن إبراهيم سعيد كعباش أديبا ومفسرا "

حمو بن عيسى الشيهاني:

108. الدرس العقدي عند الشيخ كعباش، جامعة عيسى غرداية (2017م).

مدونة المعرفة

محمد تمزغين:

109. ملخص عن علاقات القطب اطفيش من خلال مراسلاته ورحلاته، مقال منشور بتاريخ 22 مارس 2012.

خامسنا: مرابلات

110. رسالة إلكترونية من الدكتور مصطفى بن صالح باجو بتاريخ 13 صفر 1440هـ الموافق لـ: 22 أكتوبر 2018.

111. رسالة إلكترونية من الشيخ صدقي: يوم الإثنين 15 أكتوبر 2018 يوم السبت 20 أكتوبر 2018.

112. رسالة إلكترونية من الشيخ أحمد كروم: بتاريخ 02 ديسمبر 2018م.

113. لقاء علمي مع الشيخ عيسى بن محمد الشيخ بالحاج بمقر سكنه بالقرارة غرداية - الجزائر بتاريخ: 30 ديسمبر 2017م.

114. لقاء علمي مع الشيخ محمد بن إبراهيم سعيد كعباش بالعطف غرداية - الجزائر بتاريخ 6 ربيع الثاني 1439هـ الموافق ل 25 ديسمبر 2017م.
115. لقاء علمي مع الشيخ إبراهيم طلاي ببني يزقن غرداية-الجزائر بتاريخ: 31 ديسمبر 2017م.

مواقع إلكترونية

116. بتار: من هو أحمد بن حمد الخليلي، تاريخ النشر: 06 جانفي 2011، سبلة عمان (s-avb.net.oman
117. موقع إبراهيم محمد طلاي chikh-tellai.net

المحتويات

الصفحة

أمقدمة
01 الفصل التمهيدي: القصة القرآنية والمدرسة الإباضية
02 المبحث الأول: مدخل للتعريف بالقصة القرآنية
02المطلب الأول: القصة القرآنية أهميتها، أهدافها خصائصها وأنواعها
03الفرع الأول: تعريف القصة
04أولاً: تعريف القصة لغة
05ثانياً: تعريف القصة عند الباحثين في موضوع القصص القرآني
06الفرع الثاني: أهمية القصة القرآنية
06أولاً: القصص الحق
06ثانياً: أحسن القصص
08الفرع الثالث: أهداف القصة القرآنية
08أولاً. إبراز الحقائق الإسلامية
08ثانياً. العبرة
09ثالثاً. تسلية الرسول ﷺ وإيناسه
09رابعاً. الدعوة إلى الخير ومكارم الأخلاق
10خامساً. إثبات الوحي والرّسالة
10سادساً. التأييد بالتّعم

11	الفرع الرابع: خصائص القصّة القرآنيّة.....
11	أولا: رباية القصّة القرآنية.....
12	ثانيا: الواقعيّة.....
13	ثالثا: تنوّع طريقة العرض.....
13	رابعا: تنوع طريقة المفاجأة.....
14	خامسا: تنوّع في عرض المشاهد.....
15	سادسا: التكرار في القصّة القرآنية.....
16	الفرع الخامس: أنواع القصص القرآني.....
17	أولا: باعتبار طول القصّة وقصرها.....
17	ثانيا: باعتبار موضوعه.....
18	ثالثا: باعتبار زمن حدوثه.....
18	المطلب الثاني: أثر القصّة في الإصلاح الاجتماعي.....
21	المبحث الثاني: المدرسة الإباضية في التّفسير.....
22	المطلب الأول : المذهب الإباضي نشأته وتطوره وأصوله العقديّة.....
22	الفرع الأول: مدخل للتّعريف بالمذهب الإباضي.....
25	الفرع الثاني: أماكن انتشار المذهب الإباضي.....
26	أولا: المجتمع الإباضي في الجزائر.....
26	ثانيا: التّعليم في ميزاب.....
29	الفرع الثالث: أصول المذهب الإباضي العقديّة.....
29	الفرع الأول: التّوحيد.....
29	الفرع الثاني: الصّفات.....

29 الفرع الثالث: الإيمان
30 الفرع الرابع: نفي رؤية الله عزّ وجلّ
30 الفرع الخامس: القدر
30 الفرع السادس: الوعد والوعيد
31 الفرع السابع: الشّفاة
31 الفرع الثامن: خلق القرآن
31 الفرع التاسع: لا منزلة بين المنزلتين
32 المطلب الثاني: التّفسير عند الإباضيّة
33 الفرع الأول: عناية الإباضيّة بالقرآن الكريم وحفظه وتحفيظه
33 الفرع الثاني: حركة التّأليف في التّفسير عند الإباضيّة
33 أولاً: الأسباب التي أدت إلى قلة التّفسير عند الاباضية قديماً
34 ثانياً: أسباب اهتمام الاباضية بالتّفسير في هذا العصر
35 ثالثاً: أبرز المؤلفات في التّفسير عند الإباضيّة في القديم والحديث
48 المطلب الثالث: الجهود التّفسيرية المعاصرة عند الإباضيّة
54	✓ الفصل الثاني: القصص القرآني من خلال تفسير " تيسير التّفسير لمحمد بن يوسف اطفيش (ت 1332 هـ - 1914 م)
55 المبحث الأوّل: ترجمة للشّيخ محمد بن يوسف اطفيش و التّعريف بتفسيره " تيسير التّفسير "
55 المطلب الأوّل: ترجمة للشّيخ محمد بن يوسف اطفيش
56 الفرع الأوّل: اسمه ونسبه
57 الفرع الثاني: نشأة وحياة الشّيخ اطفيش
58 الفرع الرّابع: مقاومة الشّيخ للاستعمار
59 الفرع الرابع: وفاة الشّيخ اطفيش
59 الفرع السادس: آثار الشّيخ العلميّة

60	المطلب الثّاني: التعريف بتفسير الشيخ اطفيش " تيسير التفسير "
60	الفرع الأوّل: سبب تأليف التّفسير
60	الفرع الثّاني: طبعاته
63	المبحث الثّاني: منهج الشّيخ اطفيش في التّفسير
63	المطلب الأوّل: عدم التزام الشّيخ بطريقة موحّدة
64	الفرع الأوّل: التّفسير بالمأثور
66	الفرع الثّاني: التّفسير بالرّأي
70	المطلب الثّاني: التّفصيل في المسائل المختلفة
70	الفرع الأوّل: بيان المسائل العقديّة والفقهية
72	الفرع الثاني: التّفصيل في بيان ما يتعلق بالسّورة
72	المطلب الثّالث: الاهتمام بقضايا علوم القرآن
73	الفرع الأوّل: الاهتمام ببيان التّاسخ والمنسوخ
73	الفرع الثّاني: الاهتمام ببيان أسباب التّزول
75	الفرع الثّالث: بيان المناسبات بين الآيات والسّور
77	المبحث الثّالث: منهج الشّيخ اطفيش في تفسير آيات القصص القرآني
79	المطلب الأوّل: الإسرائيليّات في تفسير الشيخ اطفيش وموقفه منها
80	الفرع الأوّل: مقدمة عن الإسرائيليّات
81	الفرع الثّاني: إيراد الشّيخ اطفيش للروايات الإسرائيليّة في التّفسير
87	الفرع الثّالث: مصادر الشيخ اطفيش في الروايات والأخبار
89	الفرع الرّابع: غرض الشيخ اطفيش من التّفصيل في إيراد القصص
91	المطلب الثّاني: الرّبط بين حلقات القصّة
91	1. بيان الغرض من حذف بعض حلقات القصّة
92	2. الغرض من عدم ذكر أسماء شخصيات في القصّة
93	المطلب الثّالث: منهج الشّيخ اطفيش في عرض قصص الأنبياء

93 الفرع الأول: ذكر نسب كلّ نبي.
93 الفرع الثاني. قوله برفع بعض الأنبياء.
94 المطلب الرابع: أسلوب الشيخ اطفيش في تحليل آيات القصص القرآني.
94 الفرع الأول: استخدام الأسلوب اللغوي.
96 الفرع الثاني: أسلوب الترجيح والاستدلال.
97	المطلب الخامس: الإعجاز البياني في القصص القرآني من خلال تفسير الشيخ اطفيش
 القصة في تفسير الشيخ اطفيش.
98 الفرع الأول: في قصة آدم عليه السلام.
99 الفرع الثاني: قصة موسى عليه السلام.
101 المبحث الرابع: مكانة القصة القرآنية في تفسير الشيخ اطفيش.
102 المطلب الأول: استخلاص الفوائد والأحكام من القصص القرآني.
102 الفرع الأول: في قصة مريم عليها السلام.
103 الفرع الثاني: فوائد من قصة موسى عليه السلام.
103 الفرع الثالث: فوائد من قصة إبراهيم عليه السلام.
103 الفرع الرابع: فوائد من قصة يونس عليه السلام.
104 الفرع الخامس: فوائد لغوية.
105 المطلب الثاني: أغراض القصة القرآنية.
105 الفرع الأول: غرض تثبيت النبي ﷺ.
106 الفرع الثاني: غرض العبرة والموعظة.
106 الفرع الثالث: الكشف عن الزيف والتحريف الذي قام به أهل الكتاب.
107 المطلب الثالث: المنهج الإصلاحي للقصة القرآنية.
108 الفرع الأول: الإصلاح العقدي.
109 الفرع الثاني: الإصلاح الثقافي.
110 الفرع الثالث: الإصلاح السياسي.

111	الفرع الرابع: مجالات فصل فيها الشَّيخ من خلال القصة القرآنيَّة.
114	المبحث الخامس: التَّأويلات العقديَّة والفقهية في القصة القرآنيَّة.
115	المطلب الأوَّل: القول بعدم إثبات الصفات لله تعالى.
116	المطلب الثاني: استحالة رؤية الله تعالى.
117	المطلب الثالث: نفي صفة الكلام.
118	المطلب الرَّابع: القول بعصمة الأنبياء.
118	الفرع الأوَّل: تعريف العصمة.
118	الفرع الثاني: مذاهب العلماء في عصمة الأنبياء.
119	الفرع الثالث: موقف الشَّيخ اطفيش من عصمة الأنبياء.
121	المطلب الخامس: موقفه من الأحكام الفقهية في القصة القرآنيَّة.
121	الفرع الأوَّل: بيان محرمات الوطء وحدِّ اللائط.
122	الفرع الثاني: وجوب النفقة على الرَّوج.
122	الفرع الثالث: وجوب ستر العورة بين الزوجين.
123	الفرع الرَّابع: موقف الشَّيخ من القاعدة الأصولية: " شرع من قبلنا شرع لنا ما لم يكن في شرعنا ما يخالفه".
126	▪ الفصل الثَّاني: القصص القرآني من خلال تفسير "في رحاب القرآن" لإبراهيم بن عمر بيّوض (1316-1401 هـ / 1899-1981 م).
127	المبحث الأوَّل: التعريف بالشَّيخ إبراهيم بن عمر بيّوض وتفسيره.
128	المطلب الأوَّل: تعريف الشَّيخ إبراهيم بن عمر بيّوض.
128	الفرع الأوَّل: اسم الشَّيخ ونسبه. وحياته.
130	الفرع الثَّاني: مميزات شخصية الشيخ بيّوض.
131	الفرع الثَّالث: من تراث الشيخ بيّوض.
131	المطلب الثَّاني: دراسة وصفية لتفسير في رحاب القرآن.

132 الفرع الأول: نقل التفسير من المسموع إلى المقروء.....
133 الفرع الثاني: جهد الدكتور مصطفى باجو في إكمال الشطر المفقود من التفسير.....
135 الفرع الثالث: مصادر ومراجع الشيخ بيوض في تفسيره في التفسير.....
136 المطلب الثالث: منهج الشيخ بيوض في التفسير.....
136 الفرع الأول: بيان ما يتعلق بالسورة.....
136 الفرع الثاني: اهتمام الشيخ بيوض بعلم المناسبات.....
138 الفرع الثالث: توظيف الشيخ بيوض بالجانب اللغوي.....
140 الفرع الرابع: الجمع بين التفسير بالمأثور والتفسير بالرأي المحمود.....
140 أولاً: التفسير بالمأثور.....
142 ثانياً: التفسير بالرأي المحمود عند الشيخ بيوض.....
153 المبحث الثاني: منهج الشيخ بيوض في التفسير.....
154 المطلب الأول: مكانة القصة القرآنية عند الشيخ بيوض.....
155 المطلب الثاني: موقف الشيخ بيوض من الإسرائيليات.....
155 الفرع الأول: عدم الخوض في تفاصيل القصص القرآني.....
160 الفرع الثاني: تفصيل الشيخ بيوض في ذكر روايات تاريخية.....
161 المطلب الثالث: الترابط القصصي عند الشيخ بيوض.....
161 الفرع الأول: مفهوم الترابط.....
161 الفرع الثاني: مفهوم الترابط القصصي.....
162 الفرع الثالث: عناية الشيخ بيوض بالترابط القصصي في القرآن وأهدافه.....
162 الفرع الرابع: أنواع الترابط القصصي في تفسير الشيخ بيوض.....
162 أولاً: الترابط بين القصص في السورة الواحدة.....
163 ثانياً: الترابط بين القصص في سور مختلفة.....
164 ثالثاً: الترابط بين أجزاء القصة الواحدة في سور مختلفة.....
167 المبحث الثالث: أغراض القصص القرآني في تفسير الشيخ بيوض.....

168المطلب الأول: العبرة والموعظة
169الفرع الأوّل: نماذج من القصص
171أوّلاً: الفوائد والعبر من قصص الأنبياء
173المطلب الثّاني: تسليّة النّبي صلى الله عليه وسلّم
174المطلب الثّالث: بيان قوّة الله تعالى وقدرته
177المطلب الرّابع: الإصلاح الاجتماعي
178الفرع الأوّل: مجالات إصلاحيّة مهمّة عالجهما الشّيخ بيوض من خلال القصّة القرآنيّة
184الفرع الثّاني: آثار الإصلاح في المجتمع الإباضي
186المبحث الرّابع: الآراء الفقهيّة والعقدية في القصّة القرآنيّة
187المطلب الأوّل: الآراء العقديّة وموقفه منها
187الفرع الأوّل: تحرره من التّعصب للمذهب
189الفرع الثّاني: نقده للتّراث الإباضي
192الفرع الثّالث: دفاعه عن عصمة الأنبياء
196المطلب الثّاني: الآراء الفقهيّة وموقفه منها
196الفرع الأوّل: وجوب زكاة حلي المرأة وإن كانت تستخدمه للزينة
197الفرع الثّاني: أوقات النّهي عن الصّلاة
200الفصل الرّابع: القصص القرآني من خلال تفسير "نفحات الرّحمن في رياض القرآن" لمحمّد بن إبراهيم سعيد كعباش
201المبحث الأوّل: التعريف بالشّيخ كعباش وقصّته مع التّفسير
203المطلب الأوّل: تعريف الشّيخ محمد بن إبراهيم سعيد كعباش
203الفرع الأوّل: مولده
203الفرع الثّاني تعلّمه والمناصب التي شغلها
205الفرع الثّالث: إنتاج الشّيخ كعباش العلمي
205المطلب الثّاني: قصّة الشّيخ مع تفسير "نفحات الرّحمن"

207	المطلب الثالث: مصادر الشَّيخ كعباش في التفسير
207	أولاً: في تجميع المادة العلمية.....
207	ثانياً: في التحرير والتأليف.....
208	ثالثاً: في الترجيح بين الآراء.....
209	المبحث الثاني: منهج الشَّيخ كعباش في التفسير.....
210	المطلب الأول: طريقة الشَّيخ كعباش في التفسير.....
210	الفرع الأول: التقديم للسورة.....
211	الفرع الثاني: ذكر المحاور الأساسية للسورة.....
211	الفرع الثالث: التحقيق اللغوي.....
212	الفرع الرابع: بيان أوجه القراءة.....
212	الفرع الرابع: البيان والتفسير.....
213	المطلب الثاني: التفسير النقلى والعقلى في تفسير الشَّيخ كعباش.....
213	الفرع الأول: التفسير النقلى.....
214	الفرع الثاني: التفسير العقلى.....
215	المطلب الثالث: التفصيل في مباحث مختلفة.....
215	الفرع الأول: عناية الشَّيخ كعباش بمباحث علوم القرآن.....
218	الفرع الثاني: استخدام طريقة السؤال.....
220	المبحث الثالث: طريقة الشَّيخ كعباش في عرض القصص القرآنى.....
221	المطلب الأول: أسلوب الشَّيخ كعباش في عرض القصَّة القرآنيَّة.....
221	الفرع الأول: عرض ملخص حياة كل نبي.....
221	الفرع الثاني: عناية الشَّيخ ببيان الجانب الفنى فى القصَّة القرآنيَّة.....
224	المطلب الثاني: عناية الشَّيخ كعباش بالتكامل والترابط القصصى.....
224	الفرع الأول: التكامل القصصى فى تفسير الشَّيخ كعباش.....
226	الفرع الثاني: الترابط القصصى.....

227	المطلب الثالث: موقف الشيخ كعباش من الإسرائيليات.....
230	المبحث الرابع: بعض أسرار القصص القرآني في تفسير الشيخ كعباش.....
231	المطلب الأول: أسرار الترتيب في قصص الأنبياء.....
231	الفرع الأول: ترتيب القصص مراعاة للسياق القرآني.....
231	الفرع الثاني: الترتيب بحسب مدة الدعوة.....
232	الفرع الثالث: ترتيب قصص الأنبياء بحسب التسلسل التاريخي.....
233	المطلب الثاني: أسرار التكرار في القصص.....
233	المطلب الثالث: البعد الإصلاحي للقصة القرآنية.....
234	الفرع الأول: تحذير الشيخ كعباش من زخارف الدنيا.....
235	الفرع الثاني: التحذير من الظلم والطغيان.....
235	الفرع الثالث بيان صفات القائد الناجح.....
237	الفرع الرابع: قواعد السياسة الرشيدة عند الشيخ كعباش من خلال قصة ذي القرنين.....
238	الفرع الخامس: الإصلاح الأخلاقي.....
240	المبحث الخامس: أغراض القصص القرآني في تفسير الشيخ.....
240	المطلب الأول: العبرة والموعظة.....
244	المطلب الثاني: تسلية قلب النبي محمد ﷺ.....
248	المطلب الثالث: التذكير بنعم الله.....
249	الفرع الأول: باعتبار خطاب اليهود.....
252	الفرع الثاني: باعتبار الخطاب للرسول صلى الله عليه وسلم.....
253	المبحث السادس: التوجيهات العقديّة في القصة القرآنية.....
254	المطلب الأول: موقفه من آيات الصفات.....
258	المطلب الثاني: موقفه من مسألة رؤية الله عز وجل.....
260	المطلب الثالث: موقفه من الآراء الفقهيّة في القصة القرآنية.....

263 خاتمة.
267 الفهارس العامة
268 فهرس الآيات القرآنية.
283 فهرس الأحاديث النبوية.
284 فهرس الأعلام.
285 قائمة المصادر والمراجع.
298 فهرس المحتويات.
 ملخص البحث
 ملخص البحث بالعربية.
 ملخص البحث بالانجليزية.
 ملخص البحث بالفرنسية.

٣
ملخص

ملخص الرسالة باللغة العربية

تناول هذه الرسالة موضوع "القصص القرآني من خلال التفاسير الإباضية الحديثة والمعاصرة، دراسة تحليلية نقدية"، وقد ركزت هذه الدراسة على ثلاثة تفاسير لإباضية الجزائر، الذين كان لهم دورا بارزا في النشاط الإصلاحية بني ميزاب، وهي: تفسير " تيسير التفسير " لمحمد بن يوسف اطفيش، وتفسير " في رحاب القرآن " للإبراهيم بن عمر بيوض، وتفسير " نفحات الرحمن في رياض القرآن " لمحمد بن إبراهيم سعيد كعباش، حيث تمثل هذه التفاسير عصرين مختلفين هما العصر الحديث والذي يمثله تفسير الشيخ اطفيش، والعصر المعاصر والذي يمثله تفسير الشيخ بيوض، وتفسير الشيخ كعباش، وسبب اختيارنا لهذه التفاسير هو بيان تطور التفسير الإباضي من جهة، ومن جهة أخرى للمقارنة بينها من حيث توظيفها وتوجيهها للقصة القرآنية بناءً على اختلاف الزمان والبيئة.

ولقد تضمنت هذه الرسالة مقدمة وأربعة فصول، وخاتمة، بينت في المقدمة مشكلة البحث التي نسعى للإجابة عنها وهي كآآتي: إلى أي مدى ساهمت القصة القرآنية في التفاسير الإباضية في تثبيت العقيدة وتكوين السلوك؟

وحددت أطرها، وأهميته، وأهدافه، وأسباب اختياره، والمنهج المتبع في الدراسة، والدراستات السابقة للموضوع.

كما بينت طريقة كل مفسر في عرض القصة القرآنية، وكذلك بينت أغراض القصة القرآنية، ولعل الغرض الإصلاحي يعتبر من أبرز الأغراض التي ركزت عليها هذه التفاسير، مع اختلاف في مجالات الإصلاح، بحسب حاجة كل مجتمع وكل زمان.

وأيضاً فقد أبرزت لنا التفاسير الإباضية في هذا العصر منهجا متميزا في قراءة القصة القرآنية، وهو بيان الترابط والتكامل بين قصص القرآن الكريم، حيث كشفت لنا عن أسرار ثمينة أكدّت على لحمة القصص القرآني.

والحمد لله رب العالمين.

Résumé

La présente thèse aborde la question des « **Récits Coraniques à travers les interprétations modernes et contemporaines des Ibadis, étude analytique critique** », cette recherche porte sur les trois interprétations des Ibadis de l'Algérie qui ont eu un rôle marquant dans l'activité de la réforme à Beni Mizeb qui consiste à interpréter « Taysir El-Tafsir » de Mohamed Ben Youcef Atfich, « Fi Rihab El-coran » de Ibrahim Ben Omar Bayoud, l'interprétation de « Nafahat El-rahman Fi Riad El-coran » de Mohamed Ben Ibrahim Said Kaabach. Ces interprétations présentent deux différentes époques : l'époque moderne représentée par l'interprétation El-chaikh Aftich et l'époque contemporaine représentée par l'interprétation de El-chaikh Bayoud et Chaikh Kaabach. Nous avons choisi ces interprétations afin de suivre l'évolution de celles des Ibadis et de faire une comparaison entre elles au niveau de leurs fonctions, leurs orientations envers les récits coraniques selon la différence du temps et d'environnement.

Nous avons divisé notre recherche en une introduction, quatre chapitres et une conclusion. L'introduction détermine la problématique suivante : A quel point le récit coranique dans les interprétations des Ibadis a-t'il contribué dans l'établissement de la doctrine et l'évaluation du comportement ? , les limites de cette recherche, son importance, ses objectifs, la méthodologie de la recherche ainsi que la revue de la littérature.

La méthode de chaque interprète lors de son exposition du récit coranique montre,

Et nous avons démontré les dimensions et les buts du récit coranique selon chaque interprète, ainsi que le lien qui relie entre ces derniers et leurs méthodes de réforme et leurs doctrines.

Les interprétations de cette époque ont révélé une méthodologie raffinée dans la lecture du récit coranique ce qui prouve la cohérence et la complémentarité entre les récits coraniques.

Cette recherche a également montré la relation entre les récits coraniques et les orientations de la doctrine à travers les versets des jugements dans chaque interprétation vue les objectifs des prophètes précédents qui mènent à fixer la doctrine et à faire apprendre aux gens les dispositions de leur religion, ainsi que la simplicité du style des récits dont le but est de réformer la doctrine et développer le comportement.

Abstract of Thesis in English

This study focuses on three interpretations of the Ibadis of Algeria, who played a prominent role in the reform activity of the sons of Mizab, namely: the interpretation of Taysir al-Tafsir by Muhammad ibn Yusuf And the interpretation of "Nafahat al-Rahman in the Quran" by Muhammad ibn Ibrahim Saeed Kaabash, where these interpretations represent two different times: the modern era, represented by the interpretation of Sheikh Atfish, and the contemporary era, represented by the interpretation of Sheikh Bayoud, And the interpretation of Sheikh Kaabash, The reason for our selection of these interpretations is the statement of the evolution Ibadī interpretation on the one hand, and on the other hand to compare them in terms of employing and directing them to the story .

This study included an introduction, four chapters, and a conclusion, which showed in the introduction the research problem that we seek to answer, which is as follows: To what extent did the Qur'anic story contribute to the Ibadhi interpretations in establishing belief and correcting behavior?

It defined its frameworks, importance, goals, reasons for choosing it, the methodology followed in the study, and previous studies of the topic.

It also showed the method of each exegete in presenting the Qur'anic story, as well as the purposes of the Qur'anic story. Perhaps the reform purpose is one of the most prominent objectives that these interpretations focus on, with a difference in the areas of reform, according to the needs of each society and every time.

Also, Ibadī interpretations have shown us in this era a distinct approach to reading the Qur'anic story, which is the statement of the interconnectedness and complementarity between the stories of the Holy Qur'an, as it revealed to us precious secrets that emphasized the flesh of the Qur'an stories.

